دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

نهاية الأرب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

السفر العاشر

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥١ هـ — ١٩٣٣ م

فهرس

السفر العاشر

من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى

ذكر ما وصفت به العرب الخيل

من ترتيبها فى السن، وتسمية أعضائها، وأبعاضها، وألوانها، وشياتها، وغررها، وحجولها الخ

صفحة

أما ترتيبها فى السن ١

وأما ما قيل فى تسميتها، وتسمية أعضائها وأبعاضها ١

وأما الوجه وما فيه مما لم يذكر فى خلق الانسان ٢

وأما العنق وما فيه ٣

وأما الظهر وما آتصل به من الوركين ٤

وأما الصدر وما آتصل به من البطن ٥

وأما الذراعان وما دونهما ٥

وأما ألوانها وشياتها وغررها وحجولها وعصمها وما فيها من الدوائر ٥

وأما الشية ١٢

وأما ما فى الفرس من الدوائر ١٦

وأما ما قيل فى طبائعها، وعاداتها، والمحمود من صفاتها ومحاسنها والعلامات الدالة على جودة الفرس ونجابته ١٩

صفحة

ومما يستحب من أوصافها فى الخلق ٢٢
وأما عيوبها التى تكون فى خلقتها وفى جريها والتى تطرأ عليها وتحدث فيها... ٢٧
فأما التى فى خلقتها ٢٧
وأما العيوب التى فى جريها ٣٠
وأما العيوب التى تطرأ عليها وتحدث فيها ٣١
ذكر أسماء خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣٣
ذكر أسماء كرام الخيل المشهورة عند العرب ٣٩
ذكر ما قيل فى أوصاف الخيل وتشبيهها نظما ونثرا ٤٨
طرائف فى ذم الخيل بالهزال والعجز عن الحركة ٦٥
ذكر ما وصفت به فى الرسائل المنثورة ٦٧

الباب الثانى

من القسم الثالث من الفن الثالث فى البغال والحمير

ذكر ما قيل فى البغال ٧٩
ذكر بغلات رسول الله صلى الله عليه وسلم ٨٠
ذكر شىء مما وصفت به البغال ٨٥
ذكر ما قيل فى الحمر الأهلية ٩٣
ذكر مايتمثل به مما فيه ذكر الحمار ٩٥
ذكر شىء مما وصفت به الحمير على طريق المدح والذم ٩٧

الباب الثالث

من القسم الثالث من الفن الثالث فى الإبل والبقر والغنم

ذكر ما قيل فى الإبل ١٠٣
أما تسميتها من حين تولد الى أن تتناهى سنها ١٠٤
وأما أسماء ما يركب منها ويحمل عليه ١٠٥

صفحة

وأما ما اختصت به النوق من الأسماء والصفات ١٠٦

ومن أوصافها فى السير ١٠٧

وأما ألوان الإبل ١٠٨

وأما ترتيب سيرها ١٠٨

وأما ما قيل فى المسير عليها والنزول للراحة والإراحة ١٠٩

ذكر أصناف الإبل وعاداتها وما قيل فى طبائعها ١٠٩

ذكر ما ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإبل ١١١

ذكر شيء مما وصفت به الإبل نظما ونثرا ١١٥

ذكر ما قيل فى البقر الأهلية ١٢٠

ذكر ما قيل فى الجاموس... . ... ١٢٤

ذكر ما قيل فى الغنم الضأن والمعز ١٢٥

ذكر ترتيب سنّ الغنم ١٢٧

القســـــم الرابع

من الفن الثالث فى ذوات السموم، وفيه بابان

البـاب الأوّل

ويشتمل على ما قيل فى الحيات والعقارب

ذكر ما قيل فى الحيات ١٣٣

ذكر ما فى لحوم الحيات من المنافع والأدوية ١٤٠

ذكر شيء مما وصفت به الأفاعى ١٤٣

ذكر ما قيل فى العقارب ١٤٧

الباب الثانى

من القسم الرابع من الفن الثالث فيما هو ليس قاتلا بفعله من ذوات السموم

ويشتمل على ما قيل فى الخنافس والوزغ والضب وابن عرس

والحرباء والقنافذ والفئران والقراد والنمل والذر والقمل والصؤاب

صفحة

فأما الخنافس وما قيل فيها ١٥٢
وأما الوزغ وما قيل فيه ١٥٤
وأما الضب وما قيل فيه ١٥٥
وأما الحرباء وما قيل فيها ١٥٩
وأما ابن عرس وما قيل فيه... ... ... ١٦١
وأما القنافذ وما قيل فيها ١٦٢
وأما الفئران وما قيل فيها وأنواعها ١٦٦
فأما الجرذ والفأر ١٦٦
وأما الزباب ١٧٠
وأما الخلد ١٧٠
وأما اليربوع ١٧٠
وأما فأرة المسك ١٧١
وأما فأرة الإبل ١٧٢
وأما القراد وما قيل فيه ١٧٢
وأما النمل والذر وما قيل فيهما ١٧٣
وأما القمل والصؤاب وما قيل فيهما ١٧٧

القســـم الخامس
فى أجناس الطير وأنواع السمك

وفيه سبعة أبواب : ستة منها فى الطير وباب فى السمك وذيل لذكر شيء مما قيل فى آلات صيد البر والبحر وهو باب ثامن

البـاب الأوّل

من القسم الخامس من الفن الثالث فى سباع الطير، ويشتمل على ما قيل فى العقاب والبزاة والصقور والشواهين وأصناف ذلك

صفحة

ذكر ما قيل فى العقاب ١٨١

وأما الزمج وهو الصنف الثانى من العقاب... ... ... ١٨٤

ذكر ما قيل فى البازى وأصنافه ١٨٦

فأما البازى ١٨٦

وأما الزرّق... ... ... ١٩١

وأما الباشق ١٩١

وأما العفصىّ ١٩٣

وأما البيدق ١٩٤

ذكر ما قيل فى الصقر وأصنافه ١٩٥

فأما الصقر ١٩٥

وأما الكونج وهو الصنف الثانى من الصقر ١٩٨

وأما اليؤيؤ وهو الصنف الثالث من الصقر ١٩٩

ذكر ما قيل فى الشاهين وأصنافه ٢٠٠

فأما الشاهين ٢٠٠

وأما الأنيق وهو الصنف الثانى من الشاهين ٢٠٣

وأما القطامى وهو الصنف الثالث من الشاهين ٢٠٤

فصل فى ذكر ما ناسب الجوارح فى الافتراس وأكل اللحم الحىّ ٢٠٤

الباب الثانى

من القسم الخامس من الفن الثالث فى كلاب الطير، ويشتمل على ما قيل فى النسر والرخم والحدأة والغراب

صفحة

ذكر ما قيل فى النسر ٢٠٦

ذكر ما قيل فى الرخم ٢٠٧

ذكر ما قيل فى الحدأة ٢٠٩

ذكر ما قيل فى الغراب وأصنافه ٢٠٩

الباب الثالث

من القسم الخامس من الفن الثالث فى بهائم الطير، ويشتمل على ما قيل فى الدراج والحبارى والطاوس والديك والدجاج والحجل والكركى والإوز والبط والنحام والأنيس والقاوند والخطاف والقيق والرزور والسمانى والهدهد والعقعق والعصافير

فأما الدراج وما قيل فيه ٢١٤

وأما الحبارى وما قيل فيه... ... ... ٢١٥

وأما الطاوس وما قيل فيه ٢١٦

وأما الديك والدجاج وما قيل فيهما ٢١٧

ذكر ما جاء فى الديكة من الأحاديث وما عدّ من فضائلها وعاداتها ومنافعها ٢١٩

ذكر شيء مما وصفت به الشعراء البيضة والدجاجة والديك ٢٢٦

ومما قيل فى الدجاجة والديك ٢٢٧

وأما الحجل وما قيل فيه ٢٣٣

وأما الكركى وما قيل فيه ٢٣٤

وأما الإوز وما قيل فيه وأصنافه ٢٣٥

وأما البط وما قيل فيه وأصنافه ٢٣٦

صفحة

وأما النحام وما قيل فيه ... ٢٣٧

وأما الأنيس وما قيل فيه ... ٢٣٨

وأما القاوند وما قيل فيه ... ٢٣٨

وأما الخطاف وما قيل فيه ... ٢٣٨

وأما القيق والزرزور وما قيل فيهما ... ٢٤١

ما قيل فى القيق ... ٢٤١

وأما الزرزور ... ٢٤٢

وأما السمانى وما قيل فيه ... ٢٤٥

وأما الهدهد وما قيل فيه ... ٢٤٦

وأما العقعق وما قيل فيه ... ٢٤٨

وأما العصافير وما قيل فيها وأنواعها ... ٢٤٩

فأما العصافير البيوتى ... ٢٤٩

وأما عصفور الشوك ... ٢٥٠

وأما عصفور النيلوفر ... ٢٥٠

وأما القبرة ... ٢٥١

وأما حسون ... ٢٥١

وأما البلبل ... ٢٥٢

الباب الرابع

من القسم الخامس من الفن الثالث فى بغاث الطير

ويشتمل على ما قيل فى القمرى والدبسى والورشان والفواخت والشفنين واليعتبط والنوّاح والقطا واليمام وأصنافه والببغاء

أما القمرى وما قيل فيه ... ٢٥٨

وأما الدبسى وما قيل فيه ... ٢٥٨

وأما الورشان وما قيل فيه ... ٢٥٩

صفحة

وأما الفواخت وما قيل فيها ٢٥٩

وأما الشفنين وما قيل فيه ٢٦٠

وأما اليعتبط وما قيل فيه ٢٦١

وأما النوّاح وما قيل فيه ٢٦١

وأما القطا وما قيل فيه ٢٦١

ذكر شيء من الأوصاف والتشبيهات الشعرية الجامعة لمجموع هـذا النوع ٢٦٥

وأما اليمـام وأصنافه وما وصف به وما قيل فيه ٢٦٨

فأما الرواعب ٢٦٨

وأما المراعيش ٢٦٨

وأما العدّاد ٢٦٩

وأما الميساق ٢٦٩

وأما الشدّاد ٢٦٩

وأما القلّاب ٢٦٩

وأما المنسوب ٢٦٩

ذكر ما قيل فى طوق الحمامة ٢٧٧

ذكر شيء مما وصفت به هذا النوع نظما ونثرا ٢٧٩

وأما الببغاء وما قيل فيها ٢٨٠

البـاب الخامس

من القسم الخامس من الفن الثـالث فى الطير الليلى و يشتمل على ما قيل فى الخفاش والكروان والبوم والصدى

فأما الخفاش وما قيل فيه ٢٨٣

وأما الكروان وما قيل فيه ٢٨٥

صفحة

وأما البوم وما قيل فيه ٢٨٥

وأما الصدى وما قيل فيه ٢٨٦

الباب السادس

من القسم الخامس من الفن الثالث فى الهمج وهو مما يطير كالنحل والزنبور والعنكبوت والجراد ودود القز والذباب والبعوض والبراغيث والحرقوص

فأما النحل وما قيل فيه ٢٨٧

وأما الزنبور وما قيل فيه ٢٨٩

وأما العنكبوت وما قيل فيه ٢٩٠

وأما الجراد وما قيل فيه ٢٩٢

وأما دود القز وما قيل فيه ٢٩٧

وأما الذباب وما قيل فيه ٢٩٨

وأما البعوض وما قيل فيه ٣٠١

وأما البراغيث وما قيل فيها ٣٠٣

وأما الحرقوص وما قيل فيه ٣٠٥

الباب السابع

من القسم الخامس من الفن الثالث فى أنواع الأسماك

ذكر شيء من أنواع الأسماك ٣١٢

فأما الدلفين ٣١٣

وأما الرعاد ٣١٣

وأما التمساح ٣١٤

وأما السقنقور ٣١٥

صفحة

وأما السلحفاة والجأة ٣١٦

وأما الفرس النهرى ٣١٧

وأما الجندبيدستر ٣١٨

وأما حيوان القندس والفاقم ٣١٩

وأما الضفادع ٣١٩

وأما السرطان وما قيل فيه ٣٢١

ذكر شيء من عجائب الحيوان المائى ٣٢٢

الباب الثامن

وهو الذيل على القسم الخامس من الفن الثالث ويشتمل على ذكر شيء
مما وصفت به آلات الصيد فى البر والبحر ووصف
رماة البندق وما يجرى هذا المجرى

ذكر شيء مما قيل فى رماة البندق ٣٢٤

ومما ورد فى وصف الجلاهق نظما ٣٤٨

ذكر شيء مما قيل فى سبطانة ٣٥٠

ذكر شيء مما قيل فى عيدان الدبق ٣٥١

١٢٥٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر ما وصفت به العربُ الخيلَ :

من ترتيبها فى السنّ، وتسمية أعضائها، وأبعاضها، وألوانها، وشياتها، وغررها، وحجولها، وعصمها، ودوائرها، وما قيل فى طبائعها وعاداتها، والمحمودِ من صفاتها ومحاسنها، والعلامات الدالّة على جَوْدتها ونجابتها، وعدّ عيوبها التى تكون فى خَلْقها وجريها، والعيوبِ التى تطرأ عليها وتحدُث فيها

أما ترتيبها فى السنّ — فالعرب تقول : سِنّ الفرس إذا وضعته أمه فهو "مُهْر" . ثم هو "فَلُوّ"(١) . وإذا آستكمل سنةً فهو "حَوْلِىّ" . ثم هو فى الثانية "جَذَع" . ثم فى الثالثة "ثَنِىّ" . ثم فى الرابعة "رَبَاعٍ" . ثم فى الخامسة "قارِحٌ" . ثم هو الى نهاية عمره "مُذَكٍّ" .

وأما ما قيل فى تسميتها، وتسمية أعضائها وأبعاضها — فقد قالوا : الخيل مؤنثةٌ، ولا واحد لها من جنسها، وجمعها خيول . ويقال فى صفاتها : "أُذُنٌ مُؤَلَّلَةٌ" و"مُرْهَفَةٌ"، أى محدّدة الطرَف . قال عَدِىّ بن الرِّقَاع :

ملاحظة — يبتدئ هذا الجزء فى صفحة ٤٨ من الجزء التاسع الفتوغرافى من هذا الكتاب وهو أحد أجزاء النسخة التى اصطلحنا على تسميتها بالحرف « أ » والتى سيرد ذكرها كثيرا فى التعليقات .

(١) ويقال فيه أيضا "فِلْو" (وزان حمل) .

تَخُوضُ فى فُرُجاتِ النَّقْع دامِيةً * كأنّ آذانَهـا أطـرافُ أقـلامِ [(١)]

و"حَشْرَةٌ" : صغـيرة مُستديرةٌ . و"مَقْـدودةٌ" : مُدوّرةٌ . وأُذُنٌ "غَضَنْفَـرَةٌ" أى غليظةٌ . و"زِبَعْراة" أى غليظـةٌ شَعْراءُ . و" خُذاوِيَّةٌ " أى خفيفـةُ السمع . قال عَدِىّ بن زيد :

له أُذُنانِ خُـــذاوِيَّتا * نِ والعينُ تُبصِرُ ما فى الظُّلَمْ [(٢)]

ثم "الناصية" وهى الشعرُ السائلُ على الجبهة، يقال : "وارِدَةٌ" وهى الطويلة . و"جَثْلة" وهى الكثيرةُ الملتفَّةُ . و"الفاشِغة" و"الغَمَّاء" [(٣)] وهى الكثيرةُ المنتشِرةُ . و"السَّفْواءُ" [(٤)] وهى القليلة . و"عُصفورُها" : أصلُ مَنْبِتِ شَعْرِها . و"قَوْنَسُها" [(٥)] : العَظْمُ الناتئُ بين [(٦)] الأُذُنين .

وأما الوجهُ وما فيه مما لم يُذكر فى خَلْق الإنسان — "النَّواهِقُ" [(٧)] وهما عَظْمان شاخِصان فى وجهه من الجَبْهة الى المَنْخَرَيْن . و"اللَّهْزِمَتان" : ما اجتمع من اللحم فى مُعظَم الجَبين . و" عَيْنٌ مُغْرَبةٌ " أى بيضاءُ الحَمَاليق وما حَوْلها . و" خَيْفاءُ " : إذا كانت إحداهما سـوداءَ والأخرى زرقاء . و"المُحَمْلَقَةُ" : التى حَوْلَ مُقْلَتِيها بياضٌ لم يُخالِف السَّوادَ .

---

(١) ورد هذا الشطر فى كتاب رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد للبحشى (ص ٢٤ طبع حلب) هكذا : «يخرجن من مستطير النقع... الخ» .

(٢) فى التكملة للصاغانى : «وبالعين يبصر ... الخ» .

(٣) فى الأصلين : « الغم » ، وهو تحريف .

(٤) فى الأصلين : «الشغواء» بالشين والغين المعجمتين ، وهو تصحيف .

(٥) فى الأصلين : «قويسها» بالياء المثناة بدل النون ، وهو تصحيف .

(٦) فى الأصلين : « من » وهو تحريف .

(٧) عبارة القاموس : « والناهقان : عظمان شاخصان من ذى الحافر فى مجرى الدمع ويقال لهما : النواهق أيضا » .

و"أنفٌ مُصَفَّحٌ" أى مُعتدِلُ القَصَبة . و"السَّمّ" : ثَقْبُه(١)، قال(٢) :

* ومَنْخِرًا واسِعةً سُمُومُه *

وقال مُزَاحِم بن طُفَيل الغَنَوِىّ، وقيل : العبّاس بن مِرْداس السُّلَمِىّ(٣) :

مِلْءُ الحِزامَيْنِ(٤) ومِلْء العيْن * ينفُش عنـد الرَّبْوِ مَنْخَرين

* كَنفْش كِيرَيْن بكَفَّى قَيْنِ(٥) *

و"الجَحْفَلَة" : الشَّفَة . و"الفَيْد" : الشَّـعر النابت عليها . و"الشِّدْقان" : مَشَقّ الفَم إلى حدّ اللجام .

وأما العُنُق وما فيه — "فالمَعْرَفة" : موضع العُرْف . و"العُرْف" : شـعر أعلى العُنُق . و"العُذَرَة" : ما على المِنْسَج يَقبِضُ عليه الفارسُ اذا ركب . و"العُرْشانِ" : اللحمان من جانبَي العُرْف . و"الجِرَانُ(٦)" : جِلْدُ أسفلِ العنق . و"الدَّسِيعُ" : مُرَكَّب العُنُق فى الكاهل . قال سَلامةُ [بن جَندَل](٧) :

يَرْقَى الدَّسِـيعُ الى هادٍ له بَتِعٍ(٨) * فى جُؤْجُؤٍ(٩) كَمَدَاكِ الطِّيبِ مَخْضُوبِ

(١) فى الأصلين : « نقبا » بالنون وهو تحريف . قال الأصمعىّ : « سمومه منخراه وعيناه وأذناه وكل ثقب سم » . (٢) فى الأصلين : « يقال » .

(٣) نسب هذا الشعر فى ديوان المعانى لأبى هـلال العسكرى (ح ٢ ص ٧٤ من النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٧٤ أدب) للعباس بن مرداس. ونسب فيه لمزاحم بن طفيل شاهد آخر وهو : * من منخر كوجار الثعلب الخرب *
وقال : «بجعله خربا ليكون أوسع» .

(٤) الربو : البهر وانتفاخ الجوف . (٥) القين : الحداد .

(٦) كذا فى المخصص ولسان العرب (مادة جرن) . وفى أ : « الحرار » وفى ب : « الحراز » ، وكلاهما تحريف . (٧) الزيادة عن المخصص ولسان العرب مادة « بتع » .

(٨) كذا فى المخصص ولسان العرب مادة « بتع » وكتاب الخيل للأصمعى (ص ١٣ طبع أوربا) . والبتع (بالتحريك) : شدة العنق وإشرافها . والوصف منه أبتع و بتع (وزان فرح) . وفى رواية أخرى : « تلع » والتلع : طول العنق . وفى الأصلين : « تبع » بتقديم التاء المثناة على الباء الموحدة، وهو تصحيف .

(٩) الجؤجؤ : الصدر . والمداك : حجر يسحق عليه الطيب .

(٤٩) و"اللَّبَان": ما جرى عليه اللَّبَبُ. ويقال: "عُنُقٌ قَوْدَاء" أى طويلةٌ. و"سَطْعَاء" أى طويلةٌ منتصبةٌ غليظةٌ. و"تَلْعاء": منتصبةٌ غليظةُ الأصـل مَجْدُولةُ الأعلى. و"دَنَّاء" أى مطمئنّةٌ من أصلها. و"هَنْعاء": مُطمَئِنَّةٌ من وَسَطها. و"وَقْصَاء": قصيرةٌ. و"مُرْهَفَةٌ": رَقيقةٌ[1].

وأما الظهر وما آتصل به من الوَرِكَين — فمنه: "المَتْنان" وهما لحمان يَكتنِفان الظهرَ من مُرَكَّب العُنُق الى عُلْوِ ظَهْر الذَّنَب. و"الحارِكُ": عَظمٌ مشرفٌ من بين فَرْعَي الكَتِفَيْن. و"القُرْدُودَةُ": حدّ الفَقَار. و"الفَقَار": المنتظمة فى الصُّلْب. و"الصَّهْوَةُ": مَقْعَدُ الفارس. و"القَطَاة": مَقْعَدُ الرِّدْفِ خَلْفَه. و"المَعَدَّانِ": موضع السَّرْج من جَنبيْه. قال شاعر[2]:

فإمّا زَالَ سَرْجِي[3] عن مَعَـدٍّ ... وأَجْدِرْ[4] بالحوادث أن تَكُونا

و"الصُّرَد": بياضٌ[5] على الظهر. و"الغُرَابان": مُلْتَقَى أعالى الوَرِكَين فى ناحية الصُّلْب. و"الصَّلَوانِ": ما أسْهَلَ من جانبى الوَرِكَيْن. و"العَجْبُ": ما آرتفع من أصل الذَّنَب. و"العُكْوَةُ": أصله. و"العَسِيبُ": عَظْمُ الذَّنَب. والأعوجُ العَسِيب: "أعزَلُ".

---

(١) لعلها «دقيقة» بالدال المهملة.   (٢) هو عمرو بن أحمر الباهلى يخاطب امرأته، كما فى لسان العرب (مادّة معد). (انظر ترجمته فى الشعر والشعراء ص ٢٠٧ طبع أوربا).

(٣) فى الأصلين: «سرح» بالحاء المهملة. والتصويب عن لسان العرب. ثم استطرد صاحب اللسان فى تفسير البيت قائلا: «وقال ابن الأعرابى: معناه إن عزّى فرسى من سرجى ومت». وجواب الشرط مذكور فى البيت بعده وهو:

فـلا تصلى بمطروق اذا ما ... سرى فى القوم أصبح مستكينا

(٤) فى الأصلين: «فأحدر» بالفاء بدل الواو، وهو تحريف.

(٥) فى الأصلين: «بيص» وهو تحريف.

وأما الصدر وما آتصل به من البطن — فمنه: "الكَلْكَلُ": ما مسّ الأرضَ من فَهْدَتَيه. و"الفَهْدَتان": اللَّحمتان الناتئتانِ فى الصدر. و"المحْزِمُ": ما شُدَّ عليه الحِزَامُ. "والناحِرانِ"(١): عِرقَانِ يُودَجُ منهما.

وأما الذِّراعانِ ومادونهما — "المِرْفَقانِ": مآخِيرُ رُءوسِ الذِّراعِ. و"الحَصِيلةُ"(٢): لحمة الذراعِ مع العَصَبِ. و"الصَّافِنُ": عِرْقُ الذراعِ. و"الحِبَالُ": عَصَبُها. و"الزُّمَّتانِ"(٣): لحمتان فى باطنهما لا تُنبِتانِ شَعْرًا. و"الرُّكبةُ"(٤): مَوْصِلُ ما بينَ الذّراعِ والوَظِيفِ. و"الوَظِيفانِ": العظمانِ تحت الركبتين والعُرقُوبينِ. و"الرَّضْفَتانِ"(٥): عَظمانِ مُستدِيرانِ على الرُّكبة. و"السُّنْبُكُ": طَرَفُ مُقَدَّمِ الحافرِ. و"النَّسْرُ": ما يَتَطايرُ من أسفله كالنَّوَى. و"المنقلُ": مُجْتَمَعُ الحافرِ من باطنه. و"أَلْيَةُ الحافرِ": مُؤَخَّرُه. ويقال: حافِرٌ أرَحُّ(٦): مُنبَطِحُ السَّنابكِ. و"فِرْشاحٌ" أى مُنبَطِحٌ. و"وَأْبٌ": مُقعَّبٌ. و"مَصْرُورٌ": مَضمُومٌ صغيرٌ. و"مُكْثَبٌ"(٧) أى كثيفٌ. والله أعلم بالصواب.

* * *

وأما ألوانُها وشِيَاتُها وغُرَرُها وحُجُولُها وعُصَمُها وما فيها من الدوائر — من ألوانها: "البَهِيمُ والمُصْمَتُ": كلُّ ذى لونٍ واحدٍ لا شِيَةَ فيه.

(١) فى الأصلين: «الناجران» بالجيم والزاى المعجمتين، وهو تصحيف.
(٢) فى الأصلين: «الخصيلة» بالخاء المهملة، وهو تصحيف.
(٣) فى الأصلين: «والزقتان: جلتان فى باطنها لا ينبتان شعرا».
(٤) فى الأصلين: «الركوبة»، وهو تحريف.
(٥) فى الأصلين: «الرصفتان» بالصاد المهملة، وهو تصحيف.
(٦) فى الأصلين: «أزج» بالزاى والجيم المعجمتين، وهو تصحيف.
(٧) فى الأصلين: «مكشب» بالشين المعجمة، وهو تحريف.

إلا الأشهبَ فإنه لا يقال له بَهِيمٌ . يقال : فرسٌ مُصْمَتٌ ، والأنثى مُصمَتَةٌ ، والجمع مَصَامِتُ . وكذلك يُقال فى قوائم الفرس اذا لم يكن بهنّ تحجيلٌ . قال أبو[1] حاتم :

* مُبهمةٌ مُصْمَتَةُ القوائمِ *

ومن ألوانِ الخيـل : "الدُّهْمُ" ، وهى ستة : "أدهَمُ غَيهَبٌ" وهو أشدّها سوادا ، والأنثى غَيهبةٌ . والغيهَبُ : الظلمةُ ، والجمع غَيَاهِبُ . وكذلك "الغِرْبِيبُ" . و"الحالِكُ" . و"أدهَمُ دَجُوجِىٌّ" : صافِى السَّوَادِ ؛ وقيل : هو مأخوذ من الدُّجَّة ، وهى شِدّة السوادِ والظّلمةِ . وَ "أدهَمُ يَحمُومٌ وأدهم أَحَمّ" وهو الذى أشرِبَتْ سَرَاتُه[2] وجُحْزَتُه حُمرةً . قال أبو تمـام :

أو[3] أدهم فيــه كُمْتةٌ أَمَمٌ * كأنه قِطعةٌ من الغَلَسِ

ثم "أدهَمُ أَكْهَبُ" وهو إلى الكدرة .

ثم "أحْوَى" والجمع حُوٌّ ، وهو أهونُ سوادا مِـن الجَوْنِ ، وَمَنَاخِرُه مُحْمَرَّةٌ ، وشاكِلَتُه مُصفَرَّةٌ . والأحوَى أربعةُ ألوانٍ : "أحوَى أَحَمّ" وهو المُشَاكِلُ للدُّهْمة والخضرة ؛ ولا فرق بينه وبين الأخضرِ الأحمِ إلا باحمرار مناخِره واصفِرار شاكِلته . و"أحوى أَصبَحُ" وهو الذى تَقِلُّ حمرةُ مناخره فتصيرُ الى السواد و يكون البياضُ فيه غالبا على أطراف المَنخَرين . و "أَحْوَى أطحَلُ" وهو الذى تَعتَريهِ صُفرةٌ وخضرةٌ

---

(١) فى كتاب فضل الخيـل للامام الحافظ شرف الدين الدمياطى المصرى المتوفى سـنة ٧٠٥ هـ (ص ٤٨ طبع حلب) : «أنشد أبو حاتم» .

(٢) سراة الفرس : أعلى متنه . وفى الأصلين «سبراته» ، وهو تحريف .

(٣) كذا فى ديوانه المطبوع ببيروت سنة ١٨٨٩ م (ص ١٥٠) وشرحه للعلامة التبريزى (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠ أدب ش ص ٣٢٨) . وفى الأصلين : «أدهم فى كمتة تزينه» ، وهو تحريف .

مُخالطتان لكُدرةٍ. و"أَحْوَى أكْهَبُ" . والكَهَبُ: قِلّةُ ماءِ اللّونِ وكُدرَتُه فى موضع المنخرين فى حمرتهما وفى سواد السَّرَاةِ فى بياض الأَقْراب .

ومنها الخُضر[(١)] — وهى أربعةٌ: "أخضرُ أحَمُّ" وهو أدناها إلى الدُّهمة. قال الشاعر :

* خَضراءُ حَمَّاءُ كلَونِ العَوْهَقِ *

وهو اللّازَوَرْدُ . و" أخضرُ أدغَمُ " وهو الأخطبُ لونِ وجهه وأذنيـهِ ومَناخرِه. وهذا اللّونُ يُسمَّى بالفارسيّة "دِيزَجاً"[(٢)]. و"أخضرُ أطحَلُ" وهو الذى تعلو خُضرتَه صُفرةٌ . و"أخضرُ أورَقُ" وهو الذى كلون الرَّماد .

ومنها الكُمَيْتُ — والجمع كُمْتٌ، والذكر والأنثى فيه كُميتٌ، وهى تسعةٌ . (٥٠)

قالوا: وكُميتٌ من الأسماء المصغَّرة المرخَّمة التى لا تَكبيرَ لها، من أكْمَتَ بمنزلة حُمَيدٍ من أحمَدَ، غير أن أكْمَتَ لم يُستعمَل. والكميتُ بين الأحوَى والأصدأ، وهو أقربُ من الشُّقْر والوِرَادِ الى السواد وأشـدّ منها حمرةً . والفرقُ ما بين الكُميت والأشقَر بالعُرف والذَّنَب، فإن كانا أحمَرَيْنِ فهو أشقرُ، و إن كانا أسودين فهو كُميتٌ؛ والوَرْدُ بينهما . والكُميتُ أحبُّ الألوانِ الى العَـرَب . ومن ألوانه : "كُميتٌ أحمُّ" وهو الذى يُشاكل الأحْوَى، غيرَ أنه تَفصِلُ بينهما حُمرةُ أقرابِهِ ومَراقّه ومُرْبَطّائه . والمُرَيْطاءُ: الجلدةُ التى بين العانَةِ والسُّرّةِ . والأقرابُ: من الشاكلة التى هى الخاصرةُ

---

(١) فى الأصلين: «ومنها الخضرة» . وقد حذفنا التاء ليتسق كلام المؤلف؛ فقد ذكر سائر الألوان بصيغة الوصف .

(٢) جاء فى كتاب قطر السـيل فى أمر الخيل للبلقينى (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٤ فنون حربية) : «ويقال : إنّ الحجاج قال لصاحب دوابه : أسرج الأدعم. فخرج الرجل لا يدرى ما قال له، فسأل يزيد بن الحكم (لعله يعنى يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج ومستشاره) . فقال : أفى دوابه ديزج؟ قال: نعم فيها ديزج. قال: أسرجه له» .

الى مَرَاقِّ البطن، واحدها : قُرْبٌ وقُرُبٌ . قال الأصمعىّ : أشـدّ الخيـل جُلودًا وحوافرَ الكُمْتُ الحُمّ . و "كُمَيتٌ أصْحَمُ"(١) وهو الأسودُ الذى يضرب الى الصُّفرة . و "كُميتٌ أطخَمُ" والطُّخْمَة : سَوادٌ فى مُقدَّم الأنف . و "كُميتٌ مُدَمًّى" وهو الشديد الحمـرةِ وكلّما انحدر الى مَرَاقِّ البطن يزدادُ صفاءً . و "كُميتٌ أحمرُ" وهو أشدُّ حمرةً من المدَمَّى، وهو أحسنُ الكُمْتِ . و "كُميتٌ مُذْهَبٌ" وهو الذى تعلو حمرتَه صُفرةٌ . و "كُميتٌ مُحلِفٌ" وهو أدنى الكُمت الى الشُّقرة وظاهرُ شَعر ذنبهِ وعُرفِه كلونِ جسدِه و باطنُه أسودُ، والأنثى مُحلِفَةٌ(٢) . وأنشدوا :

كُمَيتٌ غيرُ مُحلِفَةٍ(٣) ولكن ... كَلَوْنِ الصِّرفِ(٤) عُلَّ به الأديمُ

قال أبو خَيرَة : المُحلِفُ بين الأصهب والأحمر، وهو من الإبل الأصحَرُ . و "كُميتٌ أكلَفُ" وهو الذى لم تَصفُ حُمرتُه ويُرَى فى أطرافِ شَعره سوادٌ . و "كُميتٌ أصدَأُ" وهو الذى فيه صُدَأَةٌ أى كُدرةٌ بصُفرةٍ قليلة، شُبِّهتْ بلونِ صدأ الحديد .

ومنها الوِرَادُ — وهى جمع وَرْدٍ وهى ثلاثةٌ — والوَرْدُ هو الذى تَعلوه حمرةٌ الى الشُّقرة الخَلُوقِيَّـةِ(٥) وجِلدُه وأُصولُ شَعرِه سُودٌ . وقيل : الوُرْدَة : حمرةٌ تضرِبُ

---

(١) فى الأصلين : « أشخم » بالمعجمتين، وهو تصحيف .

(٢) قائل هـذا البيت هو ابن كاهنة اليربوعى واسمه هبيرة بن عبد مناف وكاهنة أمه، كما فى لسان العرب مادة « حلف » .

(٣) قال صاحب اللسان فى تفسير كلمة محلفة : « يعنى أنها خالصـة اللون لا يحلف عليها أنها ليست كذلك » .

(٤) الصرف (بالكسر) : صبغ أحمر يصبغ به شرك النعال . يعنى أنها خالصة الكمتة كلون الصرف .

(٥) الخلوقية (بالخاء المعجمة) : نسبة الى الخلوق، وهو ضرب من الطيب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب .

الى الصُّفرة . وتحقيقه أنه بين الكُميتِ الأحمرِ و بين الأشقرِ — منها : "وَرْدٌ خالصٌ" و "وَرْدٌ مُصامِص" وهو الخالص أيضا ، والأنثى مُصامِصَةٌ . و "وَرْدٌ أَغْبَس"(١) تَدعوه العجمُ "السَّمَنْدَ" وهو الذى لَونُه كلون الرَّماد .

ومنها الشُّقْر — وهى تسعةٌ — والأشقَرُ : أشدُّ حُمرةً من الوَرْد — يقال: "أشقَرُ أَدْبَسُ" وهوالذى لونُه بين السوادِوالحمرة . و"أشقرُخَلُوقِىّ". و"أشقرأَصْبَحُ" وهوقريبٌ من الأصهَب . والصُّهبَةُ : الشُّقرةُ فى شَعْر الرأس . و"أشقَرُ سِلَّغْدٌ" وهو الذى خَلَصَت شُقْرتُه ، والأنثى سِلَّغْدَةٌ ، والجمع سِلَّغْدَاتٌ . قال شاعرٌ :

أَشـقَرُ سِلَّغْـدٌ وأَحْوى أدعَجُ ✻ أَصَكُّ أَظْمَى(٢) وحِيفَسٌ(٣) أفلجُ(٤)

و "أشـقَرُ قَرِفٌ" والأنثى قَـرِفَةٌ ، والجمع قُروفٌ وقِرافٌ وأقرافٌ وهو كالسِّلَّغْد . و"أشقَرُ مُدَمًّى" وهو الشديدُ الحمرة . و "أشقَرُ أَقْهَبُ". والقُهبة : غُبرةٌ إلى سوادٍ . وقال ابن الأعرابىّ : الأقهَبُ : الذى فيـه حُمرةٌ فيها غُبرةٌ . و "أشقَرُ أمغَرُ" ، وهو الذى تعلو شُقرتَه مَغْرَةٌ ، أى كُدرةٌ . و "أشقَرُ أفضَحُ": بيّن الفُضْحَة ، وهى البياض ليس بالشديد .

ومنها الصُّفْرُ — وهى أربعةٌ : "أصفَرُ فاقِـعٌ" . و"أصـفَرُ أعفَرُ" وهو بياضٌ تعلوه حمرةٌ . و "أصفَرُ ناصِعٌ" . و "أصفَرُ ذَهبىٌّ" وهو الذى يَضرِبُ إلى البياض ، وهو السُّوسَنىّ(٥) .

(١) فى الأصلين : «أعمش» بالعين والشين المعجمتين ، وهو تصحيف .

(٢) كذا فى كتاب فصل الخيل للدمياطى والأظمى : الذى ليس به رهل (استرخاء اللحم من السمن) . وفى الأصلين : «أطمى» بالطاء المهملة ، وهو تصحيف .

(٣) كذا فى كتاب فصل الخيل للدمياطى ومعاجم اللغة . والحيفس : القصير الغليظ . وفى الأصلين : «وحفيش» بالشين المعجمة وتقديم الفاء على الياء ، وهو تحريف . (٤) الفلج : تباعد ما بين الساقين .

(٥) كذا فى كتاب حلية الفرسان وشعار الشجعان لابن هذيل الأندلسى (ص ٢٢ طبع باريسة ١٩٢٢ م) والسوسنى : نسبة الى السوسن ، وهو نبات طيب الرائحة ، وأجناسه كثيرة وأطيبه الأبيض . وفى الأصلين : « السوسى » بدون النون ، وهو تحريف .

ومنها الشُّهْبُ — وهى خمسـةٌ . والأشهَبُ : كلُّ فرس تكونُ شَعْرتُه على لونين ثم تفترق شعراتُه[(١)] فلا تَجمع واحدا من اللّونين شعراتٌ تَخلُصُ بلون كقَدْرِ[(٢)] النُّكتة فما فوقها . وقيـل : الأشهَبُ الأبيضُ الشَّعْرةِ ليس بالبياض الصَّافِى القِرطَاسِىّ وجلُده أسـودُ يقال له " أشهبُ أبيضُ " . والشُّهبةُ فى الألوان : البياضُ الذى يَغلب على السَّوَاد . و يقال للأشهب أيضا : أَضحَى ، والأنثى ضحياء . وأسماء ألوانه : "أشهبُ ناصِعٌ" . و"أشهبُ أحمٌّ[(٣)]" وهو أسودُ تَنفُذُه شَعَراتٌ بيضٌ . و" أشهبُ زُرْزُورِىّ" وهو الذى ٱعتدل فيه السواد والبياض . و"أشهبُ مُقَلَّسٌ" وهو الذى خالط بياضَه سوادٌ أو حُمرة . و"أشهبُ سامِرِىّ" وهو الذى شُهْبته بسواد أَوْرَق .

ومنها الجَوْنُ[(٤)] — وهو ٱختلاط بياض بحُمْرة الأشقر أو الكُمَيت .

ومنها الصِّنَابىّ — وهو دُهْمة فيها شُهْبة ، أو كُمْتة فيها شُهْبة أقلّ من بياض الأشهب . نُسِبَ الى الصِّناب وهو الخَرْدَل بالزبيب . (٥١)

ومنها الأغبرُ — وهو أشقرُ شَمِلَت شُقرتَه شُهبةٌ .

ومنها الأبرشُ — وهو الذى فيه لُمَعُ[(٥)] بياض كالرُّقْط[(٦)] ، وقيل : هو الذى يكون فى شَعْره نُكَتٌ صِغارٌ تُخالفُ سائرَ لَوْنه ، وإنما يكون ذلك فى الدُّهْم والشُّقْر خاصّةً ، وربما أصابها ذلك من شدّة العطاش . فإذا عَظُمَت النُّكَت فهو "مُدَنَّرٌ" . واذا كان فى جسده بقعٌ متفرّقةٌ مخالفةٌ للونه فهو "مُلَمَّعٌ" و"أَبقَعُ" و"أشيمُ" . وقيل : الأَشيَمُ : أن تكون

(١) كذا فى كتاب رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد . وفى الأصلين : « تفرق شعرته » .

(٢) كذا فى كتاب فصل الخيل للدمياطى وقطر السيل للبلقينى . وفى الأصلين : « كمدد » ، وهو تحريف .

(٣) كذا فى ب . وفى ا : « أحمر » بزيادة الراء المهملة .

(٤) فى الأصلين : « الجلجون » ، وهو تحريف .

(٥) كذا فى اللسان والمخصص . وفى الأصلين : «لدع» .

(٦) الرقط : جمع أرقط ، والرقطة : سواد يشوبه نقط بياض أو بياض يشوبه نقط سواد .

فيه شامةٌ بيضاءُ، وقيل : قد تكون الشّامةُ غيرَ بَيْضاء . واذا كان فى الشامة ٱستطالةٌ فهو "مُوَلَّعٌ" . وقال ٱبن بنين (١) : إذا كان فى الدابّة عدّةُ ألوان من غير بَلَقٍ فذلك التوليعُ، يقال : بِرْذَوْنٌ مُوَلَّعٌ . واذا كانت الشامة فى مُؤَخّره أو شِقّه الأيمن كُرِهَت .

ومنها العِرْسىّ — وهو الذى يشبه لَوْنَ ٱبنِ عِرْس .

ومنها الأنمرُ — وهو الذى يكون فيه بقعةٌ بيضاءُ و بقعةٌ أخرى من أىّ لَوْن كان .

ومنها الأبلقُ — وهو ما يكون نصفُ لَوْنِه أو ما قارب النصفَ أبيضَ، والنصفُ الآخر أسودَ أو أحمرَ .

ومنها الأغشَى (بالغين المعجمة) — وهو ما ٱبيضّ رأسُه دون جسده مثل الأرخم (٢) .

ومنها الأبيضُ — وهو الذى ٱبيضّ شعرُه بياضا مثلَ بياض الأوضاح أشدّ ما يكون من البياض وأصفاه لا يخالطه شىءٌ من الألوان فيقال، فيه : أبيض قرطاسىّ . وربما كان أزرقَ العين أو أسودَ أو أكحلَ (٣) . و يدعى بما فى عينيه من زُرْقة وسَوَاد وكَحَلٍ، ولا يكون أكحلَ حتى تسودَّ أشفارُ عينيه وجفونُه .

قال الشيخ رحمه الله تعالى فى كتابه "[فضل] الخيل" : «وألوانُ الخيل أدهمُ، وأخضرُ، وأَحْوَى، وكُمَيت، وأشقرُ، وأصفرُ، وأشهبُ، وأبرشُ، ومُلَمَّع، ومُوَلَّع،

(١) هو سليمان بن بنين بن خلف النحوى المصرى المتوفى سنة ٦١٤ هـ . له عدّة مؤلفات ذكرها السيوطى فى كتابه بغية الوعاة : منها كتاب آلات الجهاد وأدوات الصافنات الجياد الذى نقل عنه الحافظ الدمياطى فى كتابه فضل الخيل . (٢) أورد صاحب اللسان للأغشى معنيين أولها : الذى غشيت غرته وجهه واسعت وثانيهما ما ذكره المؤلف . (٣) كذا فى كتاب رشحات المداد . وقد ورد فى الأصلين وكتاب فضل الخيل هكذا « ... لا يخالطه شىء من الألوان وربما كان أزرق العين أو أسود أو أكحل فيقال فيه أبيض قرطاسى . و يدعى ... الخ » . (٤) المراد به الامام الحافظ شرف الدين عبد المؤمن الدمياطى المصرى المتوفى سنة ٧٠٥ هـ مؤلف كتاب فضل الخيل . وقد طبع بمدينة حلب سنة ١٣٤٩ هـ . وما ساقه عنه المؤلف هنا يقع فى ص ٤٧ من الكتاب المذكور .

وأشيمُ . هـذا قول أبي عُبَيدة . وقال الأَبِيوَرْدِىّ فى رسالته : الدُّهْمةُ، ثم الحُوَّةُ، ثم الصُّدْأَةُ، ثم الخُضْرةُ، ثم الكُمْتةُ، ثم الوُرْدةُ، ثم الشُّقْرةُ، ثم الصُّفْرةُ، ثم العُفْرةُ، ثم الشُّهبة» . هذا ما وقفنا عليه من ألوانها . والله أعلم .

* * *

وأما الشِّيَة وجمعها شـيَات — فقالوا : كلّ لَوْن يُخالفُ مُعظَمَ لَوْنِ الفَرَس فهو "شِيَةٌ" . فإذا لم يكن فيه شِية فهو "أصمّ" و"بَهِيم" من أىّ الألوان كان، والأنثى أيضا بَهِيم . وكذلك فرس "مُصْمَتٌ" بمنزلة البَهِيم من أىّ لون كان، والأنثى مُصْمَتة، والجمع مَصامِتُ . وقد تقدّم ذكر ذلك . فلنذكر الشِّيَات .

من الشِّية — : الغُرَّة، والقُرْحة، والرَّثْمة، والتَّحجيل، والسَّعَف، والنَّبط، والصَّبغ، والشَّعَل، واللَّمَظ، واليعسوب، والعميم، والبَلَق .

فالغُرَّة — : البياضُ فى الوجه، وهى أنواع : لَطِيم، وشادخة، وسائلة، وشِمراخ، ومُتَقطِّعة[1]، وشَهْباء .

و"اللَّطِيم": الذى يُصيب البياض عينيه أو إحداهما أو خدّيه أو أحدهما، والأنثى أيضا لَطِيم . وإذا فَشَت فى الوجه ولم تُصب العينَ فهى "شادِحةٌ". فإذا اعتدلت على قَصَبة الأنف وإن عَرُضت فى الجَبْهة فهى "سائلة". وإذا دقَّت وسالت فى الجبهة وعلى قَصَبة الأنف ولم تَبْلُغ الجحفلةَ فهى "شِمْراخٌ". وكلّ بياض فى جبهة [الفرس][2] فَشا أو قلّ يحدر حتى يبلُغَ المَرْسِن[3] ثم ينقطع فهى غُرّة "مُتَقطعة". وإذا كان البياضُ فى مَنخِرَيه ثم ارتفع مُصعِدًا حتى يبلُغَ بين عَيْنيه ما لم يبلُغ جَبْهته فهى أيضا غُرّة متقطعة .

---

(١) كذا فى لسان العرب والقاموس (مادة قطع) . وفى الأصل : «منقطعة» بالنون، وهو تصحيف .

(٢) التكملة من كتاب فصل الخيل وكتاب قطر السيل .

(٣) المرسن (بفتح الميم وكسر السين) : موضع الرسن من أنف الفرس .

و إذا كان فى الغرّة شعر يخالف البياضَ فهى غُرَّة "شهباء" . وقال آبن قتيبة: «إن سالت غُرّته ودقَّت فلم تُجاوِز العينين فهى "العُصفُور". و إن أَخَذَتْ جميعَ وجهه غير أنه يَنظُر فى سوادٍ فهى "المبرقَعةُ". فإن فَشَتْ حتى تأخذ العينين فتبيضّ أشفارُهما فهو "مُغْرَبٌ" . فإن كانت إحدى عَيْنيه زرقاء والأخرى كحلاء فهو "أخيَفُ"» .

وأما القُرْحةُ — وهى دُون الغُرّة؛ فقال آبن قتيبة : الغُرّة : ما فوق الدّرهم، والقُرْحة : قدرُ الدرهم فما دونه . قالوا : والقَرَح : كلّ بياض كان فى جَبْهة الفرس ثم آنقطع قبـل أن يبلُغ المَرْسِن . وتُنْسب القُرْحة الى خِلْقتها فى الآستداره والتثليث والتربيع والآستطالة والقلّة ؛ فإذا قلّتْ قيل : "خَفيّة". و إذا كان فى القُرْحة شَعر يخالفُ البياضَ فهى "قُرحةٌ شهباء" .

وأما الرُّثْمة (بالثاء المثلثة) — فكلّ بياض أصاب الجَحْفَلة العُلْيا قَلَّ أو كَثُر فهو "رَثَمٌ" إلى أن يبلغ المَرْسِن . وتُنسَب الرُّثْمة إذا هى فَشَت الى الشُّدُوخ . و إذا لم تُجاوز المَنْخَرين نُسِبت الى الاعتـدال . و إذا قلّت وآشتدّ بياضُهـا نُسِبت الى الآستنارة . و إذا لم يظهر بياضُها للناظر حتى يدنو نُسِبت الى الخُفْية .

واللُّمْظَة — كلّ بياض أصابَ الجَحْفلة السُّـفْلى قَلّ أو كثر فهو "لَمَظٌ" والفرس ألمظ .

واليعسوب — : كلّ بياض يكون على قَصَبة الأنف قَلّ أو كَثُر ما لم يبلُغ العينين . و إذا شاب الناصيةَ بياضٌ فهو "أسعَفُ". فإذا خَلَص البياضُ فى الناصية فهو "أصبغ" . فإذا آنحدر البياضُ الى مَنبِت الناصية فهو "المعَمَّم" . و إذا كان فى عرض الذَّنَب بياضٌ فهو "أشـعل" . والعرب تكره شُعْلة الذَّنَب . و إذا كان فى قَمَعة الذَّنَب، وهى طَرَفه، بياض فهو "أصبَغُ". و إذا آرتفع البياضُ حتى يبلُغ المطنَ (٥٢)

فهو "أَنبط"[٢]. وإذا ظهر البياضُ وزاد فهو "أبلَق". وقال ٱبن قُتَيبة[١] وٱبن الأجدابى: إذا كان الفرس أبيضَ الظَّهْر فهو "أَرْحَل"، وإن كان أبيضَ البطن فهو "أَنْبَط". وقال غيرهما: "الأدرَع" من الخيل والشاء: الذى ٱسودّ رأسه ولونُ سائره أبيضُ، والأنثى "دَرْعَاء"، من الدُّرْعة[٣]. و"الأَخصَفُ" من الخيــل والغنم: الأبيضُ الخاصرتينِ الذى ٱرتفَع البَلَقُ من بطنه الى جنبيه، ولَونُه كلون الرّماد فيــه سوادٌ وبياضٌ. وقيل: كلُّ ذى لَونينِ مجتمعين فهو خصيفٌ وأخصفُ؛ وأكثر ذلك السوادُ والبياضُ. ويقال: فرسٌ "آزرُ" إذا كان أبيضَ العَجُز.

* * *

ومن الشِّية التحجيلُ — وهو البياضُ فى قوائم الفرس الأربع، أو فى ثلاث منها، أو فى رجليــه قلّ أو كثُر إذا اســتدار حتى يُطِيفَ بها. وأصــل الحُجْلة من الحِجْلِ (بفتح الحاء وكسرها) وهو القيدُ والخلخالُ. قال ٱبنُ الأجدابىّ: فإن كانت قوائمُه الأربعُ بيضاءَ لا يبلغُ البياضُ منهــا الركبتين[٤] فهو "مُحَجَّلٌ". وطَليقُ اليــدِ وطلق اليدِ (بفتح الطاء وإسكان اللام وبضمهما أيضا): إذا كانت على لون البدن ولم يكن بها بياضٌ. فإذا أصاب البياضُ القوائمَ كلها فهو "مُحَجَّلُ أربعٍ". وإن

(١) راجع كتابه أدب الكاتب (ص ٤٩ طبع مطبعة الوطن بمصر سنة ١٣٠٠ ﻫ).

(٢) هو أبو اسحاق ابراهيم بن اسماعيل بن عبد الله المعروف بابن الأجدابى الطرابلسى. (راجع ما كتبه على ألوان الخيل فى كتابه كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ ص ٢٦ طبع مطبعة وادى النيل).

(٣) الدرعة: اسم من الدرع (بالتحريك) وهو سواد مقــدم الفرس أو الشاة وبياض سائرها؛ وقيــل: هو سواد الجسد وبياض الرأس. وإنمـا سميت بذلك تشبيها بالليالى الدرع وهى ليلة ست عشرة وسبع عشرة وثمـان عشرة اسودت أوائلها وابيض سائرها. أو هى الليالى التى يطلع القمر فيها عنــد وجه الصبح وسائرها أسود مظلم.

(٤) كذا فى كفاية المتحفظ لابن الأجدابى وكتاب فصل الخيــل للدمياطى. وفى الأصلين: «الوركين» وهو تحريف.

كان فى ثلاثِ قوائمَ فهو "محجَّلُ ثلاثٍ" مُطلقُ يدٍ أو رجلٍ يُمنى أو يُسرى . وكلّ قائمةٍ بها بياضٌ فهى "مُمسَكةٌ". وكلّ قائمة ليس بها وضَحٌ فهى "مُطلَقةٌ". فإن كان البياض فى الرجلين جميعا فهو "مُحجَّلُ الرجلين". وإن كان فى إحداهما فهو "الأَرْجَلُ"؛ وقد ذكرناه .

ولا يكون التَّحجيلُ واقعا بيــدٍ ما لم يكن معها رجلٌ أو رِجلانِ ، ولا بيدَين مالم يكن معهما رِجلٌ أو رجــلان أو وَضَحٌ بالوجه . فإن كان التحجيلُ فى يد ورجل من شِقٍّ واحدٍ فهو مُمسَكُ الأيامن مُطلَقُ الأياسر، أو مُمسَكُ الأياسرِ مُطلَقُ الأيامنِ ، ويقــال : الأيمنَينِ والأيسَرينِ . وإن كان من خلافٍ قلّ أو كثر فهو "مَشكُولٌ"؛ وهو مكروه فى الحديث (١) . وقد تقدّم ذكره .

✥

ومنها العَصَمُ — وهو إذا كان البياض بإحدى يديه قلّ أو كثُر فهو "أَعْصمُ" اليمنى أو اليسرى . وآسم العُصمةِ مأخوذٌ من المِعْصَم وهو مَوضِــعُ السِّوار من الساعد . فإن كان البياضُ فى يده اليسرى قيل : "مَنكُوسٌ"؛ وهو مكروه . وإن كان البياضُ بيديه جميعا فهو أعصمُ اليدينِ، إلا أن يكون بوجهه وَضَحٌ فهو "مُحجَّلٌ" ذهب عنه العَصَمُ . فإن كان بوجهه وضَحٌ وبإحدى يديه بياضٌ فهو أعصَمُ، لا يُوقِــعُ عليه وَضَحُ الوجه آسمَ التحجيل اذا كان البياضُ بيد واحدة .

ووَضَحُ القوائم : الخاتَمُ ، والإنعــالُ ، والتَّحذيمُ ، والصَّبَغُ ، والتَّجبيبُ ، والمُسَرْوَلُ، والأَخرَجُ، والتَّسريحُ. فأقلُّ وَضَحِ القوائمِ "الخاتَمُ" وهو شَعَراتٌ بيضٌ. فإذا جاوز ذلك حتى يكون البياضُ واضحا فهو "إنعَــالٌ" ما دام فى مؤخَّر رُسْغِه مما يلى الحافرَ. فإذا جاوز الأرساغَ فهو "تَحْذيمٌ". واذا آبيضَّت الثُّنَّة (٢) كلُّها ولم يتَّصِلْ

(١) لعله يريد ما رواه مسلم وأبو داود عن أبى هريرة : كان النبى صلى الله عليــه وسلم يكره الشكال فى الخيل . (٢) الثنة : الشعرات التى فى مؤخر رسغ الدابة .

بياضُها ببياض التحجيل فهو "أصبَغ". وإذا ارتفعَ البياضُ فى القوائم الى الجُبَبِ[1] فما فوق ذلك ما لم يَبلُغ الركبتين والعُرقوبَين فهو "التّجبيبُ". فإذا بلغ التجبيبُ الركبتين والعرقوبين فهو "مُسَرْوَلٌ" حتى يَخرُجَ من الذراعين والساقين . فإذا خرج من الذراعين والساقين فهو "أخرَجُ" . وكلّ بياضٍ فى التحجيل مُستطيلٍ فهو "نَسرِيحٌ" . والله أعلم .

* * *

وأما ما فى الفرس من الدوائر — منها : "دَائِرةُ المحيا" وهى اللاصقة بأسفلِ الناصية . و"دائرةُ اللَّطاةِ" فى وسَط الجبهة، فإن كانت دائرتان فى الجبهة قيل : فَرَسٌ نَطيحٌ[2] . و"دائرةُ اللَّاهِزِ": التى تكون فى اللَّهْزِمةِ . و"دائرةُ العَمُودِ" وتُسمَّى المعوِّذَ أيضا وهى فى موضع القلادة . و"دائرةُ السَّمامة" فى وسَط العنق . و"دائرتا البَنِيقَتين"[3] وهما اللّتان فى نَحْر الفرس . و"دائرةُ النَّاحِر"[4]: التى فى الجِران إلى أسفل من ذلك . و"دائرةُ القالِع": التى تكون تحت اللِّبْد . و"دائرةُ الهَقْعَة" فى الشِّقَّيْن[5]، وتُدعى النافذةَ أيضا . وقيل : هى التى تكون فى عُرْض زَوْرِه . و"دائرةُ النّافِذة" وهى دائرة الحِزام . و"دائرتا الصَّقْرين" فى الجَبْهَتَيْن والقُصْرَيَيْن —

(١) الجبة : مغرز الوظيف فى الحافر .

(٢) فى الأصلين : « بطيح » بالباء الموحدة، وهو تصحيف .

(٣) كذا فى ا وقد جاء فى المخصص (ج ٦ ص ١٤٧) : « والدائرتان اللتان فى نحر الفرس يقال لهما : البنيقتان، الواحدة بنيقة بالهاء، والتثنية بغير هاء » وفى ب واللسان (مادة بنق) : « البنيقتين » باثبات هاء التأنيث فى التثنية .

(٤) الناحران (بالحاء المهملة) : عرقان فى صدر الفرس . والجران : باطن العنق، وقيل : مقدم العنق من مذبح البعير الى منحره .

(٥) كذا فى لسان العرب (مادة هقع) وكتاب فضل الخيل للدمياطى . وفى الأصلين : « الشقتين » بالقاف والتاء، وهو تحريف .

والجَبَةُ : رأس الوَرِك . والقُصْرَى : الضِّلَع التى تلى الشاكلة — و"دائرةُ الحَرب" تكون تحت الصَّقْرين . و" دائرةُ الناخِس " تكون تحت الجَاعِرتين الى الفَائلَين . وهما عِرْقان فى الفَخِذ . والجاعرتان : حَرْفا الوَرِكين المُشرِفان على الفخِذَيْن ، وهما مَضْرِبُ الفرس بذنبه على فخذيه ، وهما موضع الرَّقْمتين من آستِ الحمار . (٥٣)

وكانت العرب تَستحِبّ من هذه الدوائر : المُعوَّذ ، والسَّمامة ، والهَقْعة . وقيل : آستحبّوا الهقعةَ ثم كرِهوها . يقال : إن المهقوع لا يَسْبِق أبدا . وكانوا يكرهون النَّطيح ، واللَّاهِز ، والقالِع ، وقيل : الناخس أيضا . وما سوى هـذه الدوائر فغير مكروه .

* * *

وقال آبن قُتَيْبة[1] : «والدوائر ثمانى عشرةَ دائرةً . تُكره منها "الهقعة" وهى التى تكون فى عُرْض زوره ، ويقال : إنّ أبقى الخيل المهقوع . و" دائرة القَالِع " هى التى تكون تحت اللِّبد . و"دائرة النّاخس" هى التى تكون تحت الجَاعِرتين الى الفائلين . و"دائرة اللَّطَاة" فى وسط الجَبهة ، وليست تُكره إذا كانت واحدةً ؛ فإذا كانت هناك دائرتان قالوا : فرس نَطِيحٌ ، وذلك مكروه . وما سوى هذه الدوائر غير مكروهة » .

ومن الدوائر التى ذكرتها الهند فى البركة والشؤم — قالوا : إذا كان فى موضع حَكَمَته دائرةٌ أو على جَحْفَلته العُليا دائرةٌ كان ممّا يُرتَبَط . وما كان منها ليس فى وجهه ولا فى صدره دارةٌ[2] فمكروه آرتباطُه . وما كان فى صدره دارةٌ الى التربيع ، أو كان فى رأسه دارَتان ، أو على خاصِرته أو على مَذْبَحه دارة ، أو فى عنقه أو على خَطْمه أو على أُذُنه شَعَرٌ نابت كزهرة النبات ، كان ذلك مما يُرتبط وتُقضى عليه الحوائجُ ، ويكون صاحبُه مظفَّرا فى الحروب ولا يَرى فى أموره إلّا خيرا .

(١) راجع كتابه أدب الكاتب (ص ٥١ طبع مصر) . (٢) الدارة بمعنى الدائرة .

وذكروا أيضا : أنه لا ينبغى أن يُرتبَط من الدَّوابّ ما كان منها فى مُقَدَّم يده دارةٌ، وما كان أسفل من عينيــه دارة، أو فى أصــل أذنيه من الجانبين دَارَتان، أو على مَأْبِضه[1] دارة، أو على مَحْجِره[2] دارة ، أو فى خدّه أو فى جَحفَلته السُّــفلى أو على ملتقى لَحْيَيه دارة، أو فى بطنه شعر منتشرٌ، أو على سُرّته دارة، أو كانت أسنانه طالعةً على جحفلته، أو له سنّان ناتئان بمنزلة أنياب الخنزير، أو فى لسانه خُطَط سُودٌ لا خُضر، وما كان منها أدْبس[3] أو أبيض أو أصفر أو أشهب تعلوه حمرةٌ وداخل جَحافله ولَهَواته[4] وخارج لَحْيَيه سواد، وما كان منها أدهم وداخل جحافله أبيض، أو فى لهواته وداخل شِدْقه نُقَطٌ سُــود وجَحفلتُه خارجُها مُنَقط كحَبّ السمسم، أو على مِنْسَجه دارَتان، أو على خُصْيَيْه وبَرٌ أسودُ مخالِفٌ للونه، أو كان فى جَبْهته شَعَراتٌ [مُخَالفةٌ للونه][5]، أو ما كان منها حين يُنْتَج يُرى خُصْياه ظاهرين[6] — فهذه العلامات زعم حنة الهندى[7] أنه لا ينبغى لأحد أن يرتبط دابّةً بها شىءٌ منها . وزعم أنه يُستحبّ أن يُرتبَط ما كان فى صــدره أربعُ نُقَطٍ فى أربعــة مواضع ، أو شَــعَر ملتفّ عَرْضــا وطولا ، أو شعر ملتوٍ .

---

(١) المأبض : باطن الركبة .

(٢) محجر العين (بتقديم الحاء على الجيم مثال مجلس) : ما يبدو من النقاب .

(٣) الدبسة : حمرة مشربة سوادا ، وتكون فى الشاء والخيل .

(٤) اللهوات جمع اللهاة : لحمة حمراء فى الحنك معلقة على عكدة اللسان .

(٥) التكملة عن كتاب رشحات المداد .

(٦) فى الأصلين : «ظاهرة» .

(٧) كذا فى كتاب فضل الخيل للدمياطى (ص ٦٩) ورشحات المداد (ص ١٠٣) . وفى الأصلين : «جنة» بالجيم المعجمة .

* * *

وأما ما قيل فى طبائعها، وعاداتها، والمحمودِ من صفاتها، ومحاسنها، والعلاماتِ الدالّة على جَوْدة الفرس ونجابته :

قالت العرب : والخيل نوعان : عتيقٌ وهو المسمى فرسا، وهجين وهو المسمّى بِرذونا . والفرق بينهما أنّ عَظْم البرذون أغلظُ من عظم الفرس ؛ وعظم الفرس أصلب وأثقلُ من عظم البرذون؛ والبرذون أحملُ من الفرس، والفرس أسرعُ من البرذون ؛ والعتيق بمنزلة الغزال، والبرذون بمنزلة الشاة .

وفى طبع الفرس : الزَّهْو، والخُيَلاء، والعُجْب، والسرورُ بنفسه، والمحبّةُ لصاحبه . وفى طبعه : أنه لا يشرب الماءَ إلا كَدِرًا؛ حتى إنه يرد الماءَ وهو صافٍ فيضرب بيده فيه حتى يُكدِّره ويعكّره . وربما ورد الماءَ الصافى وهو عطشان فيرى خيالَه فيه فيتحاماه ويأباه، وذلك لفزعه من الخيال الذى يراه فى الماء . وهو يُوصف بحدّة البصر . وفى طبعه : أنه متى وطِئ أثر الذئب خَدِرت قوائمُه حتى لا يكاد يتحرّك، ويخرج الدُّخانُ من جلده؛ وإذا وطِئته الأُنثى وهى حامل أزْلَقَتْ(١) . والأُنثى من الخيل تحمِل سنةً كاملةً ؛ هذا هو المعروف من عادتها . وأخبرنى بعضُ من أثق الى قوله أنه كان يملك حِجْرًا(٢) تحمل ثلاثةَ عشر شهرا . وسمعتُ أن عند التَّتَر(٣) جنسا من خيلها تحمل الفرسُ منها تسعةَ أشهر وتَضَعُ . وقال لى الناقلُ : إنّ هذا أمر مشهور عندهم معروف مألوف لا ينكرونه ولا يتعجبون .

(١) أزلقت الفرس : أسقطت حملها لغير تمامه .

(٢) الحجر (بالكسر) : الأنثى من الخيل .

(٣) كذا فى شرح القاموس ، وهم جيل بأقاصى بلاد المشرق يتاخمون الترك . وفى الأصلين : « التتار » .

فصل — والعلامات الجامعة لنجابة الفرس الدالّة على جَوْدته، ماذكره أيّوب[(١)] ابن القِرِّيّة وقد سأله الحجّاجُ عن صـفة الجَوَاد من الخيل فقال: القصيرُ الثلاث، الطويلُ الثلاث، الرَّحْب الثلاث، الصافى الثلاث. فقـال: صِفْهنّ؛ فقال: أما الثّلاث الطِّوال فالأُذُن[(٢)] والعُنُق والذِّراع. وأما الثلاث القصـار فالظَّهْر والسّاق والعَسيب. وأما الثلاث الرَّحبة فالجَبْهة والمنخر والجوف. وأما الثلاث الصافيـة فالأديمُ والعَيْنان والحافر. وقد جمع بعضُ الشعراء ذلك فى بيت واحد فقال:

وقد أغتدى قبل ضوء الصّباح ✻ ووِرْد القَطَا فى الغَطَاط[(٣)] الحِثَاث

بصافى الثّلاث عريضِ الثلاث ✻ قصيرِ الثلاث طويلِ الثـلاث

وهذه الحكاية أيضا نُقِلت عن صَعْصَعةَ بن صُوحَان وقـد سأله معاوية: أىّ الخيل أفضل؟ فقال: الطويلُ الثلاث، العريضُ الثلاث، القصيرُ الثلاث، الصافى الثلاث. قال معاوية: فسِّرْ لنا؛ قال: أما الطويل الثلاث فالأذن والعنق والحِزَام. وأما القصير الثلاث فالصُّلب والعسيب والقضيب. وأما العريض الثلاث فالجبهة والمَنْخِر والوَرِك. وأما الصافى الثلاث فالأديم والعين والحافر.

وقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنـه لعمرو بن مَعْـدِ يكرِب: كيف معرفتُك بعِرَاب الخيل؟ قال: معرفة الإنسان بنفسه وأهله وولده؛ فأمَر بأفراسٍ فعُرِضَتْ

---

(١) هو أيوب بن زيد بن قيس، والقرّية أمه. وهو من بنى هلال. وكان لسنا خطيبا. قتله الحجاج لاتهامه بالميل الى آبن الأشعث. (راجع ترجمته فى تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ١١٥ طبع بولاق).

(٢) كذا فى كتاب نخبة عقد الأجياد فى الصافنات الجياد (ص ١١١ طبع بيروت). وفى الأصلين: «فالأنف».

(٣) الغطاط: ضرب من القطا، الواحدة غطاطة.

عليه، فقال : قدِّموا اليها المــاءَ فى التِّراس[١]، فمن شرب ولم يَكْتِف[٢] فهو من العراب، وما ثَنَى سُنْبُكَه[٣] فليس منها .

وقيل : أهدى عمرو بن العاص لمعاوية بن أبى سفيان ثلاثين فرسًا من خيل مصر، فعُرِضَتْ عليه وعنده عُتْبة بن سفيان بن يزيد الحارثى، فقال له معاوية : كيف ترى هذه يا أبا سفيان؟ فإن عمرًا قد أطنب فى وصفها، فقال : أراها يا أمير المؤمنين كما وَصف، و إنها لسامية العيون، لاحقة البطون، مُصْغِيَةُ الآذان، قُبَّاءُ[٤] الأسنان، ضِخَامُ الرُّكبات، مُشْرِفات الحَجَبات، رِحابُ المناخر، صِلابُ الحوافر، وضعُها تحليل[٥]، و رفعُها تقايــل، فهى إن طُلِبَتْ سَبَقَتْ، وان طَلَبت لَحِقَتْ . فقــال معاوية : اِصْرِفها الى دارك، فإن بنا عنها غنًى، و بفتيانك اليها حاجة .

وقال أبو عبيدة : يُستدلّ على عِتق الفرس برقّة جحافله وأرْنَبته، وسَعَة مَنْخَرَيْه، وعُرْيِ نواهقه، ودِقّة حَقْويه وما ظهر من أعالى أُذُنيه، و رقّة سالفتيه وأديمه، ولِين شعره، وأبينُ من ذلك كلّه لِينُ شَكِير[٦] ناصيته وعُرْفه .

---

(١) التراس : جمع ترس وهو صفحة مستديرة من الفولاد تحمل للوقاية من السيف ونحوه .

(٢) كتفت الخيل : ارتفعت فروع أكتافها .

(٣) قال ابن عبد ربه فى العقد الفريد (ج ١ ص ٥٨ طبع بولاق) بعد سياقه هذا الخبر : «قلت : إنمـا المحفوظ أن عمر شك فى العتاق والهجن فدعا سلمان بن ربيعة الباهلى بطست من ماء فوضع بالأرض ثم قدم اليها الخيل فرسا فرسا، فما ثنى سنبكه وشرب هجنه» اهـ .

(٤) فى الأصلين : «أقباء» وهو تحريف . يقال : قبت نابه اذا صوّتت وقعقعت .

(٥) يريد : أن مواصلتها بين حطواتها كمواصلة الحالف يمينه بالتحلة لا تراخى بينهما . والتحلة قول الحالف : ان شاء الله عقب اليمين . (عن ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى — الكتاب العاشر) .

(٦) كذا فى كتاب حلية الفرسان وشعار الشجعان لابن هـذيل الأندلسى (ص ١٧) . وقد ورد فى الأصلين محرّفا . والشكير : ما أطاف بالناصية من قصير الشعر، وهو مما يستدل به على العتق .

وكانوا يقولون : إذا اشتدّ نَفَسُه، ورَحُب مُتَنَفَّسُه، وطال عنقه، وآشتدّ حَقْوه، وآنْهَرَتَ شِدْقُه، وعظُمَتْ نِخَذاه، وآنشنجَتْ أنساؤه[(١)]، وعَظُمت فصوصُه، وصَلُبت حوافره ووقَحَتْ[(٢)]، لِحق بجياد الخيل . والله أعلم .

ومما يستحبّ من أوصافها فى الخَلْق — الأُذُن المؤلَّلة، والناصية المعتدلة التى ليست بسَفْواء ولا غَمّاء، والجبهةُ الواسعة، والعين الطامحة السامية، والخدّ الأسيل، ورُحْب المَنْخرين، وهَرَت الشِّدقين — قال الشاعر[(٣)] :

هَرِيتٌ[(٤)] قصيرُ عِذَارِ اللِّجام * أسيلٌ طويلُ عِذَارِ الرَّسَنْ

قوله : "قصيرعِذار اللجام": لم يُرِد به قِصَرَ خدّه، وإنما أراد طولَ شَقّ الفَمِ[(٥)]، ويدلّ على ذلك قولُه فى البيت :

* أسيلٌ طويلُ عِذَارِ الرَّسَنْ *

---

(١) الشنج : تقلص الجلد والأصابع وغيرهما ، يقال : فرس شنج النسا : متقبضه ، وهو مدح له . والنسا بالفتح : عرق من الورك الى الكعب .

(٢) كذا فى كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه (ج ١ ص ٥٨ طبع بولاق) . ووقحت (من باب ضرب وعلم وكرم) : صلبت . وورد فى الأصلين محرفا .

(٣) هو تميم بن أبىّ بن مقبل ، كما فى شرح القاموس (مادة قبل) ولسان العرب (مادة رسن) وهو أحد شعراء الجاهلية ، مخضرم عاش مائة وعشرين سنة .

(٤) الهريت : الواسع الشدقين الطويل شق الفم ، كما فى كتاب شرح أدب الكاتب لموهوب بن أحمد ابن محمد الجواليق (ص ١٩٢ من النسخة الفتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٤٢٦ أدب) . وقد جاء هذا البيت فى كتاب الخيل للأصمعىّ طبع فينا هكذا :

وأحوى قصـير عذار اللجا * م وهو طويل عذار الرسن

(٥) هذا التفسير لابن قتيبة فى كتابه أدب الكاتب (ص ٤٢) طبع مطبعة وادى النيل . وقد نقله ابن عبد ربه فى كتابه العقد الفريد (ج ١ ص ٥٨ طبع بولاق) .

يريد طولَ خَدّه — وقَوَدُ العنق (لينها حتى لا تكون جاسئةً[١]) ، ورِقّة الجَحْفلتَيْن ، وآرتفاع الكَتِفين والحارك والكاهل .

قالوا : ويستحبّ أن يشتدّ مُرَكّبُ عنقه فى كاهله لأنه يتساند إليه اذا أحْضَر ، وعِرَضُ الصدر ، وضيق الزَّوْر، وآرتفاع اللسان، وأن يشتدّ حَقْوه لأنه مُعَلّق ورَكَيْه ورجليه فى صُلبه، وعِظَمُ جوفه وجنبيه، وآنطواء كَشْحه ، وإشراف القَطَاة، وقصر العَسيب، وطول الذنب، وشَنَج النَّسا ، وآستواء الكَفَل حتى لا يكون أقرَنَ، وملاسَةُ الكَفَل، وقصر الساقين، وطول الفَخِذَيْن، وتوتير الرِّجلين حتى لا يكون أفسطَ[٢]، وتأنيف العرقوبين[٣] حتى لا يكون أقمعَ ، وغِلَظ الرُّسْغ، وأن تكون الحوافر صِلابًا سُودا أو خُضرا .

وحكى أن هارون الرشيد ركب فى سنة خمس وثمانين ومائة الى المَيدان لشهود الحَلْبة، قال الأصمعىّ : فدخلت الميدانَ لشهودها[٤]، فجاء فرسٌ أدهمُ لهارون الرشيد سابقا يقال له "الرّبد"[٥]؛ فسُرّ به الرشيد وآبتهج وقال: علىّ بالأصمعىّ، فنُودِيتُ من كل جانب، فأقبلتُ سريعا حتى مَثَلْتُ بين يديه؛ فقال: يا أصمعىّ، خذ بناصية "الرّبد" ثم صِفْه من قَوْنَسه الى سُنْبُكه، فإنه يقال : إن فيه عشرين آسما من أسماء الطير؛ (٥٥)
فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، وأُنشدك شعرا جامعا لها من قول أبى حَزْرة[٦]؛ قال : فانشدنا لله أبوك ! ؛ فأنشدته :

---

(١) كذا فى كتب اللغة . والجاسئة : الصلبة الخشنة . ووردت فى الأصلين محرفة .

(٢) سيذكر المؤلف « الأقسط » و يفسره فى العيوب التى تكون فى الخلقة .

(٣) تأنيف العرقوبين : تحديد طرفيهما . و يستحب فى الفرس أن يكون حديد طرف العرقوب . والقمع فى العرقوب : غلظ قمعته (رأسه)، وهو عيب .

(٤) فى العقد الفريد لابن عبد ربه (ج ١ ص ٦١ طبع بولاق): « ... لشهودها فيمن شهد من خواص أمير المؤمنين ، والحلبة يومئذ أفراس للرشيد ولولديه الأمين والمأمون ولسليمان بن أبى جعفر المنصور ولعيسى ابن جعفر فجاء ... الخ » . (٥) كذا فى الأصلين وحلية الفرسان لابن هذيل . وفى العقد الفريد : « الريذ » . ولعل صوابه « الربذ » (وزان فرح) . بالدال المعجمة . والربذ من الخيل : السريع .

(٦) هى كنية جرير بن عطية الخطفى الشاعر المشهور .

وأقبّ كالسِّرْحان تمّ له * ما بين هامته الى النَّسْر (١)

الهامَةُ : أعلى الرأس . والنّسر : ما ٱرتفع من بطن الحافر من أعلاه . وهما من أسماء الطير .

رَحُبَتْ نَعامتُه وَوُفِّرَ فَرْخُه (٢) * وتمكّن الصُّرَدَانِ فى النَّحر

النعامة : جلدة الرأس التى تُغَطِّى الدِّماغَ . والفرخ : الدِّماغُ . والصُّرَدَان : عِرْقان فى أصل اللسان، ويقال : إنهما عرقان يكتنفان باطنَ اللسان. وفى الظهر أيضا صُرَد يكون فى موضع السَّرج من أثر الدَّبَر . والنعـامة والفرخ والصُّرَدان من أسماء الطير .

وأناف (٣) بالعصفور فى سَعَفٍ * هـامٍ أشمّ موثّق الجِـذْر (٤)

العصفور : أصلُ مَنْبِت شعر النـاصية ، وهو أيضا عظْم ناتئ فى كل جبين ، وهو أيضا من الغُرَر . والسَّعَف: يقال : فرس أسعف اذا سالت ناصيتُه . وهام أى سائل . والشَّمَمُ: ارتفاع قصبة الأنف . وموثق الجذر أى شديد . والجذر : الأصل من كل شىء .

وٱزدان بالدِّيكَيْن صَلْصَلُه * ونَبَتْ دَجَاجَتُه عن (٥) الصَّدْر

الديكان : واحدهما ديك وهو العظم الناتئ خلف الأذن ، وهو الذى يقال له الخُشّاء والخُشَشَاءُ . والصلصل : بياض فى طرَف النـاصية ، ويقال : هو أصل

---

(١) الأقب : الضامر . والسرحان : الذئب . وقد ذكر ابن عبد ربه فى كتابه العقد الفريد هذه القصيدة وشرح الألفاظ العربية فى أبياتها عند ذكره «سوابق الخيل» (راجع ج ١ ص ٦١ — ٦٣ طبع بولاق).

(٢) رحب : اتسع . ووفر : تم وكمل .

(٣) أناف : أشرف . ويروى : «هاد أشم» ، يريد عنقا مرتفعا .

(٤) قال الأصمعىّ وغيره : هو بالفتح ، وقال أبو عمرو بن العلاء : هو بالكسر .

(٥) كذا فى العقد الفريد وحلية الفرسان . وفى الأصلين : «على» .

الناصية . والدَّجاجة : اللّحمُ الذى على زَوْره بين يديه . والدِّيكُ والصّلصلُ والدّجاجةُ من الطير .

والنّاهِضان أُمِرّ جَلْزُهما * فكأنما عُثِما على كَسْر

الناهضان : واحدهما ناهض ، وهو لحم المنكبين ، ويقال : هو اللحم الذى يلى العَضُدين من أعلاهما . والناهض : فرخ العُقَاب . وقوله : « أُمِرّ جَلْزُهما » أى فُتل وأُحْكِم ، يقال : أمررتُ الحبل أى فتلتُه . والجَلْز : الشدّ . وقوله :

* فكأنما عُثِما على كسر *

أى كأنهما كُسِرا ثم جُبِرا . والعَثْم : الجبر على عُقْدة وعَوَج .

مُسْحَنْفِر الجنبين مُلتئم * ما بين شيمتِه الى الغُرّ

قوله : « مسحنفر الجنبين » أى منتفخهما . ملتئم أى معتدل . والشيمة[1] : من قولك : فرس أشيم : بيّن الشامَة . والغرّ[2] فى الطير الأغلب الذى يسمّى الزُّمّة . وهى من الفرس عَضَلةُ السّاق .

وصَفَتْ سُمَاناه وحافِرُه * وأديمُه ومنابتُ الشعر

السُّمَانَى : طائر وهو موضع[3] من الفرس ربما أراد به السَّمَامَة ، وهى دائرة تكون فى سالِفة الفرس . والسَّمامة[4] أيضا من الطير . وأديمُه : جِلدُه .

(١) عبارة ابن عبد ربه فى العقد الفريد : « وشيمته : مسخره ، والشيمة أيضا من قولك فرس بين الشيمة وهى بياض فيه » .

(٢) عبارة العقد : «والغرّ فى الأغلب على الذى يسمى الزخمة من الفرس وهى عصلة الساق» . وكلتا العبارتين غير واضحة .

(٣) عبارة ابن عبد ربه فى كتاب العقد : «وهو موضع من الفرس لا أحفظه إلا أن يكون أراد السمامة وهى دائرة ... الخ » .

(٤) فى الأصلين : « السمانة » بالنون ، وهو تحريف .

وسما الغرابُ لمَوْقعَيْه معًا * فأُبِينَ بينهـما على قَـدْر

الغراب : رأس الوَرِك ، ويقـال للصَّلَوَيْن الغرابان ، وهما مُكْتَنِفَا عَجْمِ[1] الذنب ، ويقال : هما ملتقى أعلى الوَرِكين . والموقعان : ما فى أعالى الخاصرتَيْن . وقوله :

* فأُبِين بينهـما على قدر *

أى فُرِّق بينهما على ٱستواء وٱعتدال .

وٱكتنّ دون قَبِيحهِ خُطّافُه * ونأت شَمَـامتُه على الصَّقر

قوله : واكتنّ أى ٱستتر . والقبيحُ : ملتقى الساقين ، ويقـال : إنه مُرَكَّب الذراعين فى العَضُدَيْن . والخطّاف : هو حيث أدركتْ عَقِبُ[2] الفـارِس اذا حرّك رجليه ؛ ويقال لهـذين الموضعين من الفرس المَرْكَلَان . ونأت أى بَعُـدَت . والشَّامةُ : دائرة تكون فى عنق الفرس . والصـقر[3] : دائرة فى الرأس . والخُطّاف والشّامة والصقر من أسماء الطير .

وتقدّمَت عنه القَطاةُ له * فنأتْ بمَوْقعهـا عن الحُرّ

القَطاة : مَقْعَدُ الردف . والحُرّ : سوادٌ فى ظاهر أذنى الفرس . وهما من الطير . يقال : إن الحُرّ ذَكَر الحمام .

وسما على نِقْويه دون حِداته * خَرَبانِ بينهما مَدَى الشِّبْر

النِّقْوان : واحدهما نِقْو والجمـع أَنْقاء ، وهو عظم ذو مُخّ . وعَنَى هاهنـا عظامَ (٥٦)
الوَرِكين ، لأن الخَرَب هو الذى تراه مثل المُدْهُن[4] فى وِرك الفرس . وهو من الطير ذَكَر الحُبَارى . والحِدَأة : سالفة الفرس . وهى من الطير .

(١) العجم : أصل الذنب ، وهو العصعص ، لغة فى «العجب» بالباء الموحدة .

(٢) العقب : مؤخر القدم .

(٣) عبارة ٱبن عبد ربه فى كتاب العقد : «والصقر : أحسبها دائرة فى الرأس وما وقفت عليها» وقد جاء فى اللسان : أن الصقرين : دائرتان من الشعر عند مؤخر اللبد من ظهر الفرس .

(٤) كذا فى العقد الفريد . والمدهن : ما يجعل فيه الدهن . وفى الأصلين : «الدهن» بدون ميم .

يدع الرِّضيمَ اذا جَرى فِلَقاً * بتَـوائم كمواسم سُمْــرِ

الرِّضيم : الحجـارة ، يَفْلِقها بتَوائم أى بحوافره . والمواسم : جمع مِيسَم الحديد؛ أى أنها كمواسم الحديد فى صلابتها . وقوله : سُمْر أى لون الحافر . والحافر الأسمر هو الصُّلْب .

رُكِّبْن فى مَحْضِ الشَّوَى سَبِط * كَفْتِ الوثوب مُشَدَّدِ الأَسْر

الشوى هاهنا : القوائم ، يقال : فرس مَحْضُ الشَّوى إذا كانت قوائمه معصوبة. سبِط : سهل . كَفْت الوثوب أى مُجْتَمِعٌ . مشدّد الأَسْر أى الخَلْق .

قال الأصمعىّ : فأمر لى بعشرة آلاف درهم .

فهذه جُمَلٌ من أوصاف محاسنها . وسنذكر إن شاء الله تعالى ما وصفها به الشعراء فى أشعارها والفضلاءُ فى رسائلها ، على ما تقف على ذلك فى موضعه . فلنذكر عيوب الخيل :

⁂

وأما عيوبها التى تكون فى خِلْقتها، وفى جَرْيِهـا ، والتى تطرأ عليها وتَحْدُث فيها — فهى مائة نذكرها :

فأما التى فى خِلْقتها — فهى أن يكون الفـرس "أَخْذَى" وهو المُسترْخى أصول الأُذُنين. و"أَمْعَر"(١) وهو الذى ذهب شعر ناصيته . و"أَسْفَى" وهو الخفيف الناصية، وهو محمود فى البغال . و"أغَمّ" وهو الذى غطّتْ ناصيتُه عينيه . و"أَسْعَف" وهو الذى فى ناصيته بياض . و"أحْوَل" وهو الذى ٱبيضّ

---

(١) فى الأصلين : «أمعز» بالزاى المعجمة ، وهو تصحيف .

مُؤْخِر عينِـه وغار السوادُ من قِبَل مآقيه . و "أَزْرَق" وهو الذى فى إحدى عينيْـه بياضٌ أو زُرْقة . و "أَقْنَى" وهـو الذى فى أنفـه ٱحدِيدَابٌ . و "مُغْـرَباً" وهو الذى أشفارُ عينيه بِيضٌ مع زُرْقتها . و "أَدَنّ"(١) وهو الذى ٱطمأنّ عُنُقه(٢) من أصله . و "أَهْنَع" وهو الذى ٱطمأنت عنقه من وسطها . و "أَوْقَص" وهو الذى فى عنقه قِصَرٌ ويُبْس مَعْطَف . و "أَكْتَف" وهو الذى فى أعالى كتفيْه ٱنفراج . و "أَزْوَر" وهو الذى تدخل إحدى فَهْدَتَىْ(٣) صدره وتخرج الأخرى . و "أَقْعَص" وهو المطمئن الصُّلْب من الصهوة المرتفـعُ القَطَاة . و "مُخْطَفًا" وهو الذى لَحِق ما خَلْف مَحْزِمه من بطنه . و "أَهْضَم"(٤) وهو المستقيم الضلوع الذى دخلت أثاليه . و "صَقِلًا" وهو الطويل الصُّقْلة(٥) . و "أَنْجَل"(٦) وهو الذى خرجت خاصِرته ورقّ صِفَاقُه(٧) . و "أَفْرَق" وهو الذى قد أشرفت إحدى وِرْكيْه على الأُخرى . و "أَرْسَح"(٨) وهو قليـل لحم الصَّلا . و "أَعْزَل" وهو المُلْتَوى عسيبِ الذَّنَب حتى يبرُزَ بعضُ باطنه . و "أَكْشَف" وهو الذى ٱلتوى عسيبُ ذنبه . و "أَصْبَغ" وهو المُبَيَّض الذَّنَب . و "أَشْـعَل" وهو الذى فى عُرْض ذنبه بياض . و "أَشْرَج"(٩) وهو الذى بَيْضة واحدة . و "أَفْـحَج" وهو الذى تَباعَد كَعْباه . و "أَبَدّ" وهو الذى تباعدت

(١) فى الأصلين : «أذن» بالذال المعجمة ، وهو تصحيف .

(٢) العنق يذكر ويؤنث .

(٣) كذا فى لسان العرب (مادّة زور) . وفى الأصلين : «احدى مهدى صدره» ، وهو تحريف .

(٤) فى الأصلين : «أهظم» بالظاء المعجمة ، وهو تحريف .

(٥) الصقلة : الخاصرة .

(٦) فى الأصلين : «أنحل» بالنون والحاء المهملة ، وهو تصحيف .

(٧) الصفاق : جلد البطن .

(٨) فى الأصلين : «أرشح» بالشين المعجمة ، وهو تصحيف .

(٩) فى الأصلين : «أشرح» بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .

يَداه . و "أصَكّ" وهو الذى تَصطَكّ كَعْباه اذا مشى . و"أحَلّ" وهو مُتَمَسِّحُ النَّسا[1] رِخْوُ الكَعْب . و "أقْفَدَ" وهو المُنْتَصِبُ الرُّسْغ المُقْبل على الحافر و يكون فى الرِّجل خاصّةً . و "أصْدَفَ" وهو الذى تدانى ذِرَاعاه وتباعد حافِراه . و "مُوَجَّهًا" وهو الذى به صَدَفٌ يسير . و "أقْسَطَ" وهو الذى رجلاه منتصبتان غير منحنيتين . و "أمْدَش" وهو المُصْطَكّ بواطن الرُّسغين . و "أحْنَف"[2] وهو المُلتوى الحافرين يُقْبِل كلٌّ منهما على صاحبه . و "مُتَاقِّفًا"[3] وهو الذى يَخْبِط بيده . و "أرْجَز"[4] وهو المضطرب الرِّجل والكَفَل فإذا قام آضطربت فَخِذُه . و "شَخْتًا" وهو القليل اللحم الحَميش[5] العظام . و "رَطْلًا" وهو الضعيف الخفيف . و "مَكْبُونًا" وهو القصير الدّوارج[6] القريب من الأرض الرحيب الجوف . و "عَشًّا" وهو الصاحى العظام لقلّة لحمه . و "سَغِلًا" وهو الصغير الجِرْم . قال الواسانىّ[7] رحمه الله :

ليس بأسْفَى ولا أحَقّ[8] ولا * أهضَمَ طاوى الحَشا ولا سَغِل

و "جَأْبًا" وهو القصير الغليظ . و "مِلْواحًا" وهو السريعُ العَطَش . و "صَلُودًا" وهو البطىء العَرَق . و "ضَاوِيًّا" وهو الذى أضواه أبواه . و "مُقْرِفًا" وهو الذى أُمّه

---

(١) متمسح النسا : ضعيف النسا .

(٢) فى الأصلين : «أخيف» بالخاء المعجمة والياء المثناة ، وهو تصحيف .

(٣) فى الأصلين : « يفتل » بالفاء والتاء ، وهو تصحيف .

(٤) كذا فى كتاب رشحات المداد . وفى الأصلين : « أ ر » ، وهو تحريف .

(٥) الحميش العظام : دقيقها .

(٦) دوارج الدابة : قوائمها ، الواحدة دارجة .

(٧) هو أبو القاسم الحسين بن الحسين بن واسانه بن محمد المعروف بالواسانى ، أعجوبة الزمان ونادرته ، وفريد عصره وباقعته ؛ وهو أحد الفضلاء المجيدين فى الهجاء ؛ وكان فى زمانه ، كابن الرومى فى أوانه . (راجع ترجمته فى يتيمة الدهر للثعالبى ج ١ ص ٢٦١ طبع بيروت) .

(٨) الأحق : الذى يصع حافر رجله موضع يده .

عتيقة وأبوه غير عتيق . و"هَجِينًا" وهو الذى أبوه عتيق وأمه بِرْذَوْنة . و"مُحْمِقًا" وهو الذى لا يُنْتَج منه [إلا أحمق](١) . و"كُوسِيًّا"(٢) وهو الذى اذا جرى نَكّس كالحمار . و"جَاسِئًا"(٣) وهو الذى تُرى معاقِدُه وفَقَارُ ظهره وعنقُه جاسِئةً(٤) غيرَ ليِّنة . والله أعلم .

⁂

(٥٧) وأما العيوب التى فى جريها — فمنها : "الطَّمُوحُ" وهو السامى ببصره صُعُدًا . "والمُنَكِّسُ" وهو الذى يُطاطِئ رأسَه إذا جرى . و"المُعْتَرِمُ" وهو الذى يَجْمَح أحيانا . و"الجَمُوحُ" : الصُّلْبُ الرأس . و"الغَرْبُ" : المَدَادُ المَرَامى . و"الشَّمُوس" : الذى يمنع السرجَ والمسَّ . و"الحَرُون" : الذى اذا أُدِرّ جَرْيُه قام لا عن كَلال(٥) . و"البَالِحُ"(٦) إذا قَطَع جَرْيَه ضَعْفًا . و"الضَّغِنُ" هو الذى يَتَلكأ [فى](٧) الحُضر ويَقْصُر عن الجَرَان . و"الحَفَّاش"(٨) هو الذى يَشِبّ(٩) حُضْرًا ثم يرجع القَهْقَرى . و"الرَّوَّاغُ"(١٠) هو الذى يَحِيد فى حُضْره يمينا وشمالا . و"الفَيُوش" هو الذى يُظَنّ به الجرىُ وليس عنده شىء منه . و"الحَيُوص" وهو الذى يَعْدِل يمينا وشمالا فى آستقامة حُضْره(١١) .

---

(١) التكلة عن رشحات المداد (ص ٢٥) .

(٢) فى الأصلين : « كوشيا » بالشين المعجمة ، وهو تصحيف .

(٣) فى الأصلين : « حاشئا » بالحاء المهملة والشين المعجمة ، وهو تصحيف .

(٤) فى الأصلين : « حاشية » بالشين المعجمة ، وهو تصحيف .

(٥) يريد : إذا طلب منه الجرى وقف عصيانا لا إعياء . وفى الأصلين : « إذا درّ جريه قام إلا عن كلال » .

(٦) فى الأصلين : « النابح » ، وهو تحريف .

(٧) زيادة يقتضيها السياق .

(٨) كذا فى الأصل ورشحات المداد . والذى فى كتب اللغة أن الحفاش هو الذى يعقب جريا بعد جرى ولم يردد إلا جودة .

(٩) فى الأصلين : « يستب » .

(١٠) فى الأصلين : « الرواع » بالعين المهملة ، وهو تصحيف .

(١١) عبارة رشحات المداد : « فى حضره » .

و"المُشْتَقّ" هو الذى يدَع طريقَه و يعدِل ثم يمضى على عُدوله لايَروغ . و"الشَّبُوبُ": الذى يقوم على رجليه و يرفع يديه . و"العاجِر" و"المُعَاجِر": الذى يَعجِز برجليْه كقُماص الحمار . و" العَدُومُ" و" العَضوضُ " : الذى يَعَضُّ ما سَايَره . و "الشَّادِخُ" : يَعدِل عن طريقه ولا يُبالى ما رَكِب . و"الجَرُور": البَطِىء . و"المُنعَثِلُ": الذى يفرِّق بين قوائمه فإذا رفَعها فكأنما يَنزِعها من وَحَل يَخْفِق برأسه ولا تتبعه رِجْلاه . و"المُجْرِئْدُ"[1]: الذى يُقارِب الخطوَ يقرّب سنابكه من الأرض ولا يرفعها رفعًا شديدا . و"المُسَاعِرُ"[2]: الذى يُطيح قوائمَه جميعًا متفرِّقة ولا ضَبْر له[3] . و"المتراد": الذى ينقص حُضْرُه من ابتـداء جريه . و " الفاتِرُ " إذا فتر فى حُضْره[4] ولم تساعده قوائمُـه على ماتطالبه به نفسُه . و" المُواكِلُ" : الذى لا يسير إلا بسير غيره . " والخَرُوطُ" : الذى يَخْرِط رَسَنَه عن رأسه . و " الرَّمُوحُ ": الذى يَرْمَح[5] بإحدى رجليه . و "الضَّروحُ": الذى يَرْمَح بكلتيهما . قال : وهذه الزيادة على الأربعة والعشرين إنمـا هى من سوء العادة وفساد الرياضة .

⁂

وأما العيوبُ التى تَطْرَأ عليها وتَحدُث فيها — فمنها : "الانتِشارُ"

وهو انتفاخ العَصَب . و "الشَّظَى"[6] : تحرّك العظم اللّاصق بالرُّكبة . و"الفُتُوق":

(١) فى الأصلين : « المجربد » بالدال المهملة ، وهو تصحيف .

(٢) كذا فى لسان العرب مادة «سعر» و يقال فيه : « مسعر » (كمنبر) . وفى ا «والشاعر» . وفى ب : «والمشاعر» بالشين المعجمة ، وكلاهما تحريف .

(٣) كذا فى لسان العرب . والضبر (بالضاد المعجمة) : الوثب مع جمع القوائم . وفى الأصلين : «صبر» بالصاد المهملة ، وهو تصحيف .

(٤) هذه عبارة رشحات المداد . وفى الأصلين : « والفاتر اذا عجز عن نفسه وفتر ... الخ » .

(٥) يرمح : يضرب .

(٦) فى الأصلين : « تحريك » .

انفتاق من العصب على الأَرْضفة[1] . و" الدَّخَسُ " : ورم فى [أُطْرة[2]] الحافر . و" الزوائد " : أطراف عصب تفرّق عند العُجَاية[3] [وتنقطع عندها وتَلْصَق بها][3] . و" العَرَنُ " : جُسوءٌ[4] فى رُسْغ الرِّجل خاصّة لشُقاق أو مشقة . [" والشُّقاق " : يصيبه فى أرساغه] وربما ارتفع الى أوظفته ، [وهو تشقق يصيبها][5] ، وتسمى الحلامة[6] . « والجَرَدُ[7] » ، ما حدَث فى عُرْض عُرْقُوبَيْه ظاهرًا وباطنًا من تزيّد وانتفاخ عَصَب ويكون مع المِفصل طولا كالمَوْزة . و" المَلَحُ[8] " : انفتاقٌ من العَصَب أسفلَ العُرقوب لمادّة تَنصبّ إليه كالبَلُّوطة[9] . و" القَمَع " هو عِظَم قَمَعة العُرقوب . و" المَشَش " : كلّ ما شخص فى الوظيف وله حَجْمٌ وليست له صلابةُ العظم . و"الارتهاش" : أن يَصُكّ بعرض حافره عُرْضَ عُجايته من اليَد الأخرى . و"الرَّهْصة[10]" : ما يَصير فى الحافر . و"الوَجَا" : ما يُصيب الحافرَ من

(١) رضف الركبة ورضافها : ما كان تحت الداعصة (عظم يموج فوق رأس الركبة) .

(٢) التكملة عن المخصص وأدب الكاتب . وأطرة الحافر : ما أحاط به من اللحم .

(٣) فى الأصلين : « الفحانة » . والتصويب والتكملة عن المخصص وأدب الكاتب . والعجاية : عصبة باطن الوظيف من الفرس .

(٤) فى الأصلين : « حشو » ، وهو تحريف .

(٥) التكملة عن المخصص وأدب الكاتب .

(٦) كذا وردت هـذه الجملة فى أ . وفى ب : « وتسـمى الخلافة » . ولم نجد فى المظان ما يوضح هذه العبارة أو يبرر وجودها فى هذا الموضع .

(٧) ويقال فيه «الجرذ» بالذال المعجمة أيضا . وفى الأصلين : «الجراد» بزيادة ألف بعد الراء ، وهو تحريف .

(٨) فى اللسان : «والملح (بالتحريك) : ورم فى عرقوب الفرس دون الجرد ، فان اشتدّ فهو الجرد» .

(٩) البلوط : ثمر شجر يؤكل ويدبغ بقشره .

(١٠) فى العبارة قصور . وفى اللسان « ... والرهصة أن يدوى باطن حافر الدابة من حجر تطؤه مثل الوقرة » . وفى الأصلين : «الرهضة» بالمعجمة ، وهو تصحيف .

الخشونة . و"الرَّقَق" : ضَعْفٌ ورِقّة فى الحافر . و"النَّمْلَة" : شقّ فى الحافر من الأَشْعَر(١) إلى طرف السُّنْبُك . و"السَّرطان" : داءٌ يأخذ فى الرُّسغ فيَيْبَس عروقَه حتى يقلب حافرَه . و"العَزَل" : أن يعزِل ذنبَه فى شقّ عادةً(٢) . و"الحَمَاق" : صوت من ظبية(٣) الأنثى . و"البَجَر" : أن تكون الرُّهابة(٤) غيرَ مُلتئمةٍ فيعظم ما والاها من جلد السُّرّة .

وحيث ذكرنا العيوبَ فلنَذْكُر الخيلَ النبويّة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

ذكر أسماء خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم

أوّلُ فرس مَلَكه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فرسٌ آبتاعه بالمدينة من رجل من بنى فَزَارة بعشر أَوَاقٍ(٥)، وكان اسمُه عند الأعرابىّ "الضَّرِس" فسمّاه النبىّ صلى الله عليه وسلم "السَّكْبَ" . فكان أوّل ماغزَا عليه أُحُدًا، ليس مع المسلمين فرسٌ غيرُه وفرس

---

(١) أشعر الفرس : مابين حافره الى منتهى شعر أرساغه .

(٢) لا خلقة .

(٣) الطبية : الحياء من المرأة وغيرها . وعبارة أبى عبيدة فى كتاب الخيل : «الحقاق صوت يكون فى طبية الأنثى من الخيل من رخاوة حلقتها وارتفاع ملتقاها . واذا تحرّكت لعنق أو غيره احتشت رحمها الريح فصوّتت فذلك الحقاق، و يقال للفرس من ذلك الحاق» .

(٤) الرهابة (بضم الراء وفتحها) : غضروف كاللسان معلق فى أسفل الصدر مشرف على البطن .

(٥) الأواقى بالتخفيف ومثله الأواقىّ بالتشديد : جمع أوقية بالتشديد، وهى أربعون درهما . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة» . وهى مائتا درهم، والدرهم = ٣٫٠٨٩٨ من الجرامات كما قدّره رجال المجمع العلمى المصرى الذى انعقد فى عهد محمد على باشا للبحث فى ذلك . (راجع رسالة مخطوطة للامام تقى الدين أحمد الشهير بابن المقريزى فى المكاييل والأوزان الشرعية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٥ رياضة و رسالة فى المقاييس والمكاييل العملية بالديار المصرية لمؤلفها محمود باشا الفلكى طبع مطبعة الجوائب بالأستانة) . و يقدّر فى كتب الحساب المتداولة الآن ب ٣٫١٢ من الجرامات .

لأبى بُرْدة بن نِيَار يقال له مُلاوِح . وكان السَّكْبُ كُمَيْتًا أغَرَّ مُحجَّلا مُطْلَق اليمنى، وقيل : إنه أدهم . رواه الطَّبَرانى (١) فى المعجم الكبير .

وعن عُمَارة بن خُزَيْمة الأنصارىّ أن عمّه حدّثه — وهو من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم — : أن النبىّ صلى الله عليه وسلم ٱبتاع فرسًا من أعرابىّ (٢)، فٱستتبعه النبىّ صلى الله (٥٨) عليه وسلم ليَقْبِضَه ثمنَ فرسه، فأسرع النبىّ صلى الله عليه وسلم المَشْىَ وأبطأ الأعرابىّ؛ فطفِق رجالٌ يعترِضون الأعرابىّ فيُساومونه بالفرس ولا يشعرون أن النبىّ صلى الله عليه وسلم ٱبتاعه، حتى زاد بعضُهم الأعرابىّ فى السَّوْم على ثمن الفرس الذى ٱبتاعه به النبىّ صلى الله عليه وسلم؛ فنادَى الأعرابىُّ النبىَّ صلى الله عليه وسلم فقال: إن كنتَ مبتاعًا هذا الفرسَ فٱبتعه و إلا بعتُه؛ فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم: "بَلَى قد ٱبتعتُه"؛ فطفِق الناسُ يَلُوذون بالنبىّ صلى الله عليه وسلم و بالأعرابىّ وهما يَتَراجَعان (٣)، وطفِق الأعرابىُّ يقول : هَلُمَّ شهيدًا يشهد أنى قد بايعتُـك . فمن جاء من الناس قال للأعرابىّ : ويلك ! إن النبىّ صلى الله عليه وسلم لم يكن ليقول إلا حقًّا ! حتى جاء خُزَيْمةُ بن ثابت فٱستمع لمُرَاجَعة النبىّ صلى الله عليه وسلم ومراجعةِ الأعرابىّ؛ فطفِق الأعرابىُّ يقول : هَلُمَّ شهيدًا يشهد أنى قد بايعتُك؛ فقال خُزَيْمةُ بن ثابت: أنا أشهد أنك قد بايعتَه . فأقبل النبىّ صلى الله عليه وسلم على خزيمة فقال : "بِمَ تشهدُ" ؟ فقال : بتصديقك يا رسول الله؛ فجعل النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول : " شهادةُ

(١) هو الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى الحافظ المتوفى سنة ٣٦٠ هـ كان ثقة صدوقا واسع الحفظ بصيرا بالعلل . ومعجمه الكبير رتبه فى الصحابة على الحروف وهو مشتمل على نحو خمسمائة وعشرين ألف حديث . والطبرانى نسبة الى طبرية مدينة بالأردن . وفى الأصلين : «الطبرى» ، وهو خطأ .

(٢) هو سواء بن قيس المحاربى، كما فى أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير الجزرى فى ترجمته له ولخزيمة بن ثابت .

(٣) يتراجعان : يتحاوران .

خزيمة بن ثابت بشهادةِ رجلين". وفى لفظٍ : فقال خزيمة بن ثابت : أنا أشهد أنه قد باعك الفرَس يا رسول الله ؛ فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : "وهل حَضَرْتنا ياخزيمة"؟ فقال: [لا ؛ فقال:][١] "فكيف شهدت بذلك"؛ فقال خزيمة: بأبى أنت وأمّى! يارسول الله ، أُصَدِّقك على أخبار السماء وما يكون فى غدٍ ولا أصدّقك فى ٱبتياعك هـذا الفرس ! . فقـال النبىّ صلّى الله عليـه وسلم : "إنك لذو الشهادتَين يا خزيمـــة" .

وقد ٱخْتُلف فى ٱسم هذا الفرس، فقال محمد بن يحيي بن سَهْل بن أبى حَثْمَة : هو "المُرْتَجِزُ"[٢]؛ وعن ٱبن عباس رضى الله عنهـما أنه المُرْتَجِـزُ . قال ٱبنُ الأثير : وكان أبيض . وقال ٱبنُ قتيبة فى المعارف : المرتجز، وفى أخرى : "الطِّرْف"[٣]، وفى أخرى : "النّجيب" .

ومنها "البحر"، وهو الذى سبَق الخيلَ لمّـا سابَق به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فسمّاه البحرَ فى ذلك اليوم . وكان النبىّ صلى الله عليـه وسلم قد ٱشتراه من تَجْرٍ قدِموا من اليمن، فسبَق عليه مرّات . قال ٱبنُ الأثير : وكان كُمَيْتاً، وقيـل : كان أدهمَ .

ومنها "سَبْحة"، ذكرها ٱبن بنين فقال: وكانت فرسًا شقراءَ ابتاعها النبىّ صلى الله عليه وسلم من أعرابىّ من جُهينة بعشر من الإبل، وسابَق عليها يوم خميس

(١) التكملة عن كتاب فضل الخيل للدمياطى و رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد للمحشى .

(٢) سمى المرتجز لحسن صهيله .

(٣) هـذا يوافق ما فى كتاب فضل الخيل الذى ينقل عنـه المؤلف . و يلاحظ أن المؤلف لم يذكر «الطرف» ضمن جملة خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم التى ذكرها فى آخر كلامه عليها .

ومدّ الحبلَ بيده ثم خلّى عنها وسُبِّحَ عليها؛ فأقبلت الشقراءُ حتى أخذ صاحبُها العلَمَ وهى تُنَبِّرُ(١) فى وجوه الخيل؛ فسمِّيت سبحةَ . وسبحة من قولهم : فرس سابح إذا كان حسنَ مَدّ اليدين فى الجرى . وسَبْحُ الفرس : جَرْيُه .

ومنها "ذو اللِّمّة"، ذكره آبنُ حبيب فى أفراس النبىّ صلى الله عليه وسلم .

ومنها "ذو العُقّال"، قال بعضُ العلماء: كان للنبىّ صلى الله عليه وسلم فرس يقال له ذو العُقّال . وكان له صلّى الله عليه وسلم فرس يقال له "اللَّحِيف"(٢) وقيل : "اللَّخيف" بالخاء، وقيل فيه : "النّحيف". أهداه له فَرْوَةُ(٣) بن عمرو من أرض البَلْقاء، وقيل : أهداه له آبن أبى البَرَاء(٤)، وكان صلى الله عليه وسلم يركبه فى مَذاهبه . وسمّى اللّحيفَ لطول ذَنَبه .

و روى آبنُ مَنْدَه من حديث عبد المهيمن بن عباس بن سهل عن أبيه عن جدّه قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أفراس يسميهنّ : "اللِّزاز" و"اللّحيف" و"الظَّرِب" . فأمّا لِزَاز فأهداه له المُقَوْقِس . وأما اللَّحيف فأهداه له رَبيعة بن أبى البَرَاء، فأثابه عليه فرائضَ(٥) من نَعَم بنى كلب . وأما الظَّرِبُ فأهداه له فَرْوة بن عمرو بن النافرة الجُذَامىّ . الظَّرِبُ واحد الظِّراب وهى الرَّوابى(٦) [الصغار]. سمّى به لكبره وسِمَنه، وقيل : لقوّته وصلابة حافره .

---

(١) تنبر فى وجوه الخيل : تسبقها .

(٢) فى كتاب فضل الخيل : « ... وقيل فيه أيضا : اللحيف بضم اللام وفتح الحاء مصغرا ... الخ » .

(٣) كان فروة هذا عاملا للروم على من يليهم من العرب، وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام . فلما بلغ الروم إسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه ثم ضربوا عنقه وصلبوه .

(٤) أبو البراء : كنية ملاعب الأسنة عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب .

(٥) جمع فريضة وهى ما فرض فى السائمة من الصدقة .

(٦) فى الأصلين : « الرواسى » بالسين المهملة . والتصويب والتكملة عن كتاب فضل الخيل ومعاجم اللغة .

وأهدى تميمٌ الدّارِىّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرسًا يقال له "الوَرْدُ"، فأعطاه عمرَ، فحَمَل عليه عمرُ رضى الله عنه فى سبيل الله .

وذكر علىّ بن محمد بن حُنين[1] بن عَبْدُوس الكوفىّ فى أسماء خيل النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : وكانت له أربعة أفراس : أحدُها يقال له "السَّكْبُ" و"المُرْتَجِزُ" و"السِّجْل"[2] و"البحرُ" . وقال آبن الأثير : وكان له أفراس : "المرتجز" و"ذو العُقَّال" و"السَّكْب" و"اللَّحِيف" و"اللِّزَاز" و"الظَّرِب" و"سَبْحَة" و"البحرُ" و"الشَّحَاء"[2] (بالشين المعجمة والحاء المهملة) .

وحكى آبنُ بَنين عن آبن خالويْه قال : كان للنبىّ صلى الله عليه وسلم من الخيل : "سَبْحَة" و"اللَّحِيف" و"لِزاز" و"الظَّرِب" و"السَّكْب" و"ذو اللِّمَّة" و"السِّرْحان" و"المُرْتَجِل" و"الأَدْهَم" و"المُرْتَجِز" . وذكر فى موضع آخر: و"مُلاوِح" و"الورد" و"اليَعْسوب" .

وذكر قاسم بن ثابت فى كتاب الدلائل : "اليعسوب" و"اليَعْبوب" فرسين لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر آبن سعد فى وِفادات العرب عن محمد بن عمر

(١) كذا فى شرح الزرقانى على المواهب (ج ٣ ص ٣٦٣ طبع بولاق) وورد فيه أنه : «اسم للفظ الوادى المذكور فى القرآن» . يريد قوله تعالى : (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم) . وفى الأصلين : «الحسن» وهو تحريف .

(٢) قال الإمام الدمياطى فى كتابه فضل الخيل : «... والسجل بكسر السين المهملة وسكون الجيم، كذلك ألفيته مضبوطا . وإن كان محفوظا غير مصحف فلعله مأخوذ من قولك : سجلت الماء فانسجل، أى صببته فانصب، وأسجلت الحوض : ملأته ... إلى أن قال : والشحا بالشين المعجمة والحاء المهملة من قولهم : فرس بعيد الشحوة، أى بعيد الخطوة ... ... وأخاف أن يكون السجل مصحفا من الشحا أو العكس . والله أعلم» . وفى اللسان (مادة شحا) : «... كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرس يقال لها الشحاء، هكذا روى بالمدّ، وفسر بالواسع الخطوة ...» .

قال : حدّثنى أُسامة بن زيد عن زيد بن طَلْحة التَّيْمىّ قال : قدِم خمسة عشر رجلا من الرَّهَاويين (وهم حىّ من مَذْحِج) على رســول الله صلى الله عليه وسلم، [فنزلوا[1] دارَ رَمْلَةَ بنت الحارث؛ فأتاهم رسولُ الله صلى الله عليــه وسلم] فتحدّث عنــدهم طويلا؛ فأهدَوْا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هدايا، منهافرس يقال له "المِرْواح"؛ (٥٩) فأمر به فشُوِّر[2] بين يديه فأعجبه؛ فأسلموا وتعلّموا القرآنَ والفرائضَ؛ وأجازهم كما يُجيز الوفد : أرفعَهم[3] ثنتىْ عشرةَ أوقيّة ونَشًّا[3] وأخفضَهم[4] خمسَ أواق .

فقد ظهر من مجموع هذه الروايات أن خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تسعةَ عشرَ فرسا، وهى : "السَّكْب" و"المرتجز" و"البحر" و"سَبْحة" و"ذو اللِّمَّة" و"ذو العُقّال" و"اللَّحيف" — وقيل فيه بالخاء المعجمة، وقيل : "النحيف" بالنون — و"اللِّزاز" و"الظَّرِب" و"الوَرْد" و"السِّجْل" و"الشَّحاء" و"السِّرحان" و"المُرْتجِل" و"الأدهم" و"مُلاوِح" و"اليَعْســوب" و"اليَعْبوب" و"المِـرْواح" .

وقد يكون الأدهم هو السكب أو البحر، فتكون ثمانية عشر فرسا . والله عز وجل أعـــلم .

---

(١) الزيادة عن طبقات ابن سعد (ج ١ قسم ٢ ص ٧٦ طبع أوروبا) .

(٢) شار الدابة وشوّرها : عرضها أو أجراها ليعرف قوّتها . وفى الأصلين : «فتور» بالثاء المثلثة، وهو تحريف .

(٣) كذا وردت هــذه العبارة فى طبقات ابن ســعد . ووردت فى الأصلين هكذا « ... لرفيعهم ثنتى عشرة أوقية ونشا ولبعضهم ... الخ» .

(٤) النش : نصف أوقية والأوقية أربعون درهما، سئلت عائشــة رضى الله عنها : كم كان صداق النبىّ صلى الله عليه وسلم قالت : كان صداقه اثنتى عشرة ونشا، قالت : والنش نصف أوقية . وفى النش أقوال أخرى . (راجع لسان العرب مادة «نشش») .

ذكر أسماء كرام الخيل المشهورة عند العرب

من أقدم خيل العرب "زادُ الرَّاكِب"(١)، وكان من خيل سليمان بن داود عليهما السلام . حكى محمد بن السائب الكلبىّ(٢) : أن الصافِنات الجِياد المعروضة على سليمان ابن داود صلى الله عليهما وسلم كانت ألف فرس ورِثها عن أبيه؛ فلما عُرِضَت عليه ألْهَتْه عن صلاة العصر حتى توارت الشمسُ بالحجاب ، فردّها وعَرْقَبها إلّا أفراسا لم تُعرَض عليه؛ فوفَد عليه قوم من الأَزْدِ، وكانوا أصهارَه، فلما فرغوا من حوائجهم قالوا : يا نبىّ الله، إنّ أرضنا شاسعة فزوِّدنا زادا يبلِّغنا ؛ فأعطاهم فرسًا من تلك الخيل وقال : اذا نزلتم منزلا فآحملوا عليه غلاما وآحتطبوا ، فإنكم لا تُورُون ناركم حتى يأتيكم بطعام؛ فساروا بالفرس، فكانوا لا ينزلون منزلا إلا ركِبه أحدُهم للقَنْص، فلا يُفلِت شىءٌ تقع عينُه عليه من ظبى أو بقرة أو حمار، إلى أن قدِموا بلادَهم؛ فقالوا: ما لفرسنا هذا آسم إلا "زاد الراكب" فسمّوْه به. فأصلُ فحول العرب من نتاجه. ويقال : إن "أعوج" منها . قال آمرؤ القيس :

إذا ما ركِبنا قال وِلْدانُ أهلنا * تعالَوْا إلى أن يأتىَ الصيدُ نَحْطِبِ(٣)

وقال عُمارة :

---

(١) كذا فى الأصلين وأنساب الخيل لآبن الكلبى والعقد الفريد (ج ١ ص ٥٩ طبع بولاق) وقطر السيل للبلقينى . وفى كتاب أسماء الخيل لآبن الاعرابى (ص ٥٠ طبع ليدن) ولسان العرب مادة «زود» : «زاد الركب» . وقال : و إياه عنى الشاعر بقوله :

فلما رأوا ما قد رأته شهوده * تنادوا ألا هذا الجواد المؤمل

أبوه آبن زاد الركب وهو ابن أخته * معم لعمرى فى الجياد ومخول

(٢) راجع كتابه أنساب الخيل (ص ١٢ طبع بولاق و ص ٤ طبع ليدن) .

(٣) فى الأصلين « نحتطب » وهو تحريف؛ اذ هذا البيت من قصيدته التى مطلعها :

خليلىّ مرّا بى على أم جندب * لنقضى حاجات الفؤاد المعذب

وأرى[1] الوحش عن يمينى اذا ما * كان يومًا عنانُه فى شمالى

ومن خيل العرب المشهورة ماحكاه أبو علىّ الحسن بن رَشيق الأَزْدىّ فى كتابه المترجم بالعمدة عن ٱبن حَبيب عن أبى عُبيــدةَ قال : "الغُرَاب" و "الوَجيه" و "لاحِق" و "المُذْهَب" و "مكتوم" كانت كلّها لغَنِىّ .

وقال أحمد بن سعد الكاتب : كان "أعوجُ" أوّلا لِكِنْدَةَ، ثم أخذتْه سُلَيْم، وصار لبنى [عامر][2] ثم لبنى هلال . قال ٱبن حَبيب : رُكِبَ رَطْبًا فٱعوجّت قوائمُه، وكان من أجود خيل العرب . وأمّه "سَبَل" لغَنِىّ . وأمّ سبل [“سَوَادة” . وأم ســوادة][3] "القَسَامَة"[4]، وكانت لجَعْدة .

وحكى أحمد بن محمد بن عبد ربّه صاحب العقد فى كتابه : أنه لمـا أنتجته أُمُّه ببعض بيوت الحىّ نظروا الى طِرْف يضـع جَحْفَلَته على كاذَتها (على الفَخذ ممـا يلى الحَيَاء)؛ فقالوا : أدركوا ذلك الفرس لا يَنزو فرَسكم؛ لعظم "أعوج" وطول قوائمه؛ فقاموا إليه فإذا هم بالمهر؛ فَسمّوه "أعوج" . ولهم أيضا "الفيّاض" .

قال ٱبن سعد : "الوجيه" و "لاحق" لبنى أسد، "وقَيْد" "وحَلّاب"[5] لبنى تغلِب ، "والصَّرِيح" لبنى نَهْشَل — وزعم غيره أنه كان لآل المنذر —

(١) فى الأصلين : «ورأى» بدون راء مع تشديد الياء . والتصويب عن كتاب ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٨٧٤ أدب) .

(٢) التكملة عن كتاب العمدة لابن رشيق (ص ١٨٢ ج ٢ طبع مصر) .

(٣) التكملة عن كتاب أنساب الخيل (راجع فيه ص ١٥ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٤٣ طبع بولاق) .

(٤) وردت « القسامة » فى بعض أصول كتاب أنساب الخيل بالألف واللام كما فى الأصلين هنا ، وفى بعضها بدونهما . وفى بعضها «القسامية» . وضبطها الغندجانى « قسام » بضم القاف . (راجع كتاب أنساب الخيل ص ١٥ ، ٢١) .

(٥) كذا فى ب، وهو الموافق لمـا فى القاموس . وفى أ : «حلاب» بالجيم، وهو تصحيف .

و "جَلْوَى" لبنى ثَعْلبة بن يَرْبوع، و "ذو العُقّال"[١] لبنى رِياح بن يَرْبوع، وهو أبو "داحِس". وكان "داحِس"[٢] و "الغَبْراء" لبنى زُهير . والغبراء خالة داحس وأخته من أبيه . و "ذو العُقّال" و "قُرْزُل" و "الخَطّار" و "الحَنْفاء"[٣] لحُذَيفة بن بَدْر . والحَنْفاء هى أخت داحِس من أبيه وأمه . و "قُرْزُل" آخَرُ للطُّفَيْل[٤] بن مالك . و "حَذْفَة"[٥] لخالد بن جعفر بن كِلَاب . و "حَذْفَة" أيضا لصَخْر بن عمرو بن الشَّرِيد . و "الشَّقْرَاء" لزُهَير بن جَذِيمة العَبْسِيّ .

(١) وفيه يقول جرير :

إن الجياد يبتن حول قبابنا * من نسل «أعوج» أو «لدى العقال»

(راجع النقائض ص ٨٤ طبع أوربا) .

(٢) راجع فى النقائض (ص ٨٦) تفصيله الوافى لحديث «داحس» و «الغبراء» .

(٣) كذا فى اللسان (مادة حنف) . وفى الأصلين : «الحيفاء» بالياء المثناة من تحت وهو تصحيف .

(٤) قال سلمة بن الخرشب يخاطب عامرا ابنه :

فانك يا عام ابن فارس «قرزل» * معيد على قيل الخنا والهواجر

وقال فيه ضبيعة بن الحارث العبسى :

وفعلت فعل أبيك فارس «قرزل» * إن المدود هو ابن كل مدود

المدود : المهرم الذى اذا لقى الحرب فر . ولصاحبه الطفيل يقول أوس بن حجر :

هربت وأسلمت ابن أمك عامرا * يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

ونجاك تحت الليل شدات «قرزل» * يمر لخذروف الوليد المقرع

المقزع : السريع الخفيف من كل شىء . (راجع كتاب أسماء خيل العرب لابن الأعرابى ص ٧٥ طبع ليدن، وكتاب أنساب الخيل لابن الكلبى ص ٧٧ طبع بولاق و ص ٢٦ طبع ليدن) .

(٥) وفيها يقول خالد المذكور من قصيدة :

أريغونى إراغتكم فانى * و«حذفة» كالشجا تحت الوريد

أسويها بجارى أو بجزء * وألحفها ردائى فى الجليد

(راجع أنساب الخيل لابن الكلبى ص ٦٦ طبع بولاق) .

و "الزَّعْفَران" لِبِسْطَام بن قَيْس . و "الوَرِيعةُ"(١) و "نِصاب" و "ذوالخِمار"(٢) لمـالك بن نُوَيْرة . و "الشَّقْراء" أخرى لأَسِيد بن حِنَّاءة(٣) . و "الشَّيِّطُ"(٤) لأُنَيْف بن جَبلة(٥) الضَّبيّ . و "الوُحَيف"(٦) لعامر بن الطُّفَيل . و "الكَلْب" و "المَزْنوق"(٧)

(١) هذه الفرس وهبها الأحوص بن عمرو لمـالك بن نويرة ، فقال فى ذلك مالك :

سأهــدى مدحتى لبنى عدىّ * أخص بهـا عدىّ بنى جناب
شكوت اليهــم رحلى فقالوا * لسـيدهم أطعنا فى الجــواب
و ردّ حليفنا بعطاء صـــدق * وأعقبــه الوريعة من نصاب
تراث الأحوص الخير بن عمرو * ولا أعنى الأحاوص من كلاب
فأصبح خلتى قد حش سرجى * بسلهــبة وساع فى الجنــاب

(راجع أنساب الخيل لابن الكلبى ص ١٠٣ طبع بولاق وأسماء الخيل لابن الأعرابى ص ٦٤ طبع ليدن) . وفى الأصلين : «الوديعة» بالدال المهملة ، وهو تحريف .

(٢) قال فيه مالك المذكور :

حزانى دوائى ذو الخمار وصنعتى * اذا نام أطــواء بنىّ الأصاعر

(راجع أسماء الخيل لابن الأعرابى ص ٦٤ طبع ليدن) .

(٣) كذا فى كتاب أنساب الخيل لابن الكلبى (ص ٤٧ طبع بولاق) وكتاب أسماء الخيل لابن الأعرابى (ص ٦٥ طبع ليدن) والقاموس (مادة شقر) . وفى أ : «حنارة» . وفى ب : «جناره» وكلاهما تحريف .

(٤) كذا فى المخصص (ج ٦ ص ١٩٥) وأنساب الخيل لابن الكلبى (ص ٤٥ طبع بولاق) وأسماء الخيل لابن الأعرابى (ص ٥٨ طبع ليدن) . وفيه يقول أنيف :

أضر بنحر الشيط الطعن فانــنى * فأجشمته الإصعاب حتى تقدّما

وفى الأصلين : «السايط» وهو تحريف .

(٥) كذا فى كتاب أنساب الخيل لابن الكلبى وأسمـاء الخيل لابن الأعرابى والقاموس واللسان (مادة شيط) . وفى أ : «حلة» وفى ب : «حلقة» وكلاهما تحريف .

(٦) فى شرح القاموس (مادة وحف) نقلا عن ابن الأعرابى أن الوحف فرس عامر بن الطفيل . وفيه يقول يوم الرقم :

وتحتى «الوحف» والجلواط سيفى * فكيف يحــل من لومى المليم

ثم جاء فيه أيضا : «والوحيف كزبير فرس عقيل بن الطفيل أو عمرو — وفى نسخة عامر — بن الطفيل . والصواب الأوّل ، قال جبار بن سلمى :

يدعو عقيلا وقد مر الوحيف به * على طواله يمرى الركض بالعقب»

(٧) كذا فى أنساب الخيل لابن الكلبى (ص ٦٤ طبع بولاق) وأسماء الخيل لابن الأعرابى (ص ٧٦ طبع ليدن) والقاموس واللسان (مادة زنق) . وفيه يقول عامر المذكور :

و"الوَرْد"(١) له أيضا. و"الخُنْثَى"(٢) لعمرو بن عمرو بن عُدَس. و"الهَدَّاج"(٣) فرس الرَّبيب(٤)

لقـــد علم المزنوق أنى أكرّه * على جمعهم كر المنيح المشهر
اذا ازورّ من وقع الرماح زجرته * وقلت له ارجع مقبلا غير مدبر
وأنبـأته أن الفـــرار خزاية * على المرء ما لم يبل عذرا فيعذر
ألست ترى أرماحهم فىّ شرّعا * وأنت حصان ماجد العرق فاصبر
فبئس الفتى إن كنت أعور عاقرا * جبانا فما أرجى لدى كل محضر
لعمرى وما عمرى علىّ بهين * لقد شان حر الوجه طعنة مسهر

وفى أ : «المرنون» . وفى ب : «المزنون» وكلاهما تحريف .

(١) وفيه تقول تميمة بنت أهبان العبسية فى يوم الرقم :

ولولا نجاء «الورد» لا شىء غيره * وأمر الإله ليس لله غالب
اذا لسكنت العام نفئا ومعـجا * بلاد الأعادى أو بكتك الحبائب

(معج : قرية فى طريق البصرة إلى مكة . ونفء : مكان بالقرب منها) . (راجع أنساب الخيل لابن الكلبى ص ٦٥ طبع بولاق وص ٢١ طبع ليدن) .

(٢) لعمرو بن عمرو بن عدس هذا فرسان : إحداهما هذه وهى التى طلبه عليها مرداس بن أبى عامر السلمى يوم جبلة ففات، فقال مرداس :

تمطت كميت كالهـراوة صلدم * بعمرو بن عمرو بعد ما مس باليد
فلولا مدى الخنثى وطول حرائها * لرحت بطىء المشى غير مقيـد

والأخرى الحشاء، وكان لهـا ما للفحل وما للأنثى، وكانت لا تجارى، وكانت ضبوبا . وقد أورد هاتين الفرسين صاحب شرح القاموس كل منهما فى مادتها، وأورد الأخيرة ابن الكلبى فى كتابه أنساب الخيل .

(٣) وفيه تقول الحارثية ترثى من قتل من قومها فى يوم أرمام وكان لباهلة على بنى الحارث ومراد وخثعم :

شـقيق وحرىّ أراقا دماءنا * وفارس «هدّاج» أشاب النواصيا

(راجع أنساب الخيل لابن الكلبى ص ١٠١ طبع بولاق) .

(٤) كذا فى كتاب العمدة لابن رشيق الذى اعتمد عليه المؤلف فى النقل وكتاب أنساب الخيل لابن الكلبى (ص ١٠١ طبع بولاق وص ٣٥ طبع ليدن) والقاموس (مادة هدج) . وفى الأصلين : «لزينب بنت شريق»، وهو تحريف .

آبن شَريق السَّـعْدى و "وَجْزَة"[١] فرس يزيد بن سِنان المُرِّى[٢] فارس غَطَفان . و "النَّعَامة"[٣] للحارث بن عُبَاد[٤]. و "آبن النَّعَامة" لعَنْتَرة. و "النَّحَّام"[٥] فرسُ للسُّلَيْك ابن السُّلَكة السَّعْدىّ. و "العَصَا"[٦] فرس جَذِيمة بنِ مالك الأَزْدىّ. و "الهِرَاوة"[٧]

(١) وفيها يقول يزيد المذكور :

لما أن رأيت بنى حيي * عرفت شناءتى فيهم ووترى
رميتهم «بوجزة» اذ تواصوا * ليرموا نحرها كثبا ونحرى

(راجع أنساب الخيل لابن الكلبى ص ٦٩ طبع بولاق وأسماء الخيل لابن الأعرابى ص ٧٠ طبع ليدن) . وقال فى اللسان : «سمى من الوحز وهو السرعة» .

(٢) كذا فى الأصلين وكتاب أسماء الخيل لابن الأعرابى (ص ٧٠ طبع ليدن) والأغانى (حـ ١٠ ص ٤٦ طبع بولاق) والنقائض (ص ٥٧٦ و ١٠٦٨ طبع ليدن) ولسان العرب والقاموس وشرحه (مادة وجز) وفى أنساب الخيل لابن الكلبى : «زيد» .

(٣) وفيها يقول الحارث المذكور :

قربا مربط النعـامة مـــنى * لقحت حرب وائل عن حيال

(راجع أنساب الخيل لابن الكلبى ص ٨٤ طبع بولاق) .

(٤) قد ورد هذا الاسم بما يوجب هذا الضبط فى قول الفرزدق :

تريك نجوم الليــل والشمس حية * كرام بنـات الحـارث بن عبـاد

(٥) وفيه يقول سليك المذكور :

قدّم «النحام» وأعجل يا علام * وأطرح السرج عليـــه واللجام

وقال فيه :

قطعت وتحتى «النحام» يهـوى * كما انقضت على الخـرز العقاب

(راجـع أنساب الخيــل لابن الكلبى ص ٦١ و ٦٢ طبع بولاق ، وأسماء الخيل لابن الأعرابى ص ٦٢ طبع ليدن) .

(٦) ولها يقول عدى بن زيد :

نخـبرت "العصا" الأنباء عنه * ولم أر مثـل فارسـها هجينا

(راجع أنساب الخيـل لابن الكلبى ص ٩٤ طبع بولاق) .

(٧) قال فى شرح القاموس (مادة هرو) : الهراوة فرسان : إحداهمـا فرس الريان بن حويص العبدى ، والأخرى هراوة الأعزاب لعبد القيس بن أفصى . وقال فى (مادة عزب) : هراوة الأعزاب فرس للريان بن حويص العبدى ، وهذا ماذهب اليه المؤلف وسيذكره بعد قليل ، وفيها يقول لبيد : =

لعبد القَيْس بن أَفْصَى . و "اليَحْمُوم"(١) فرس النُّعْمان بن المنذر . و "كامِل"(٢) فرس زَيْد الخيـل . و "الزَّبِد"(٣) فرس الحَوْفَزان وهو أبو "الزَّعْفران" فرس بِسْطام . و "الجِمَالَة"(٤) فرس الكَلْحَبة اليَرْبُوعى . هذا ما أورده أحمد بن سعد . (٦٠)

لا تسـقنى بيديك إن لم ألتمس * نعم الصـحوع بعـارة أسراب
تهـدى أوائلهن كل طمـرة * جرداء مثل "هراوة الأعزاب"

وكانت لا تدرك جعلها موقوفة على الأعزاب من قومه فكانوا يغزون عليها ويستفيدون المال ليتزوّجوا فاذا استفاد واحد منهم مالا وأهلا دفعها الى آخر منهم فكانوا يتداولونها كذلك فضربت مثلا فقيل : أعز من هراوة الأعزاب . وفى الأصلين : «اهراوة» .

(١) سمى باليحموم لشدّة سواده . وفيه يقول الأعشى :

ويأمر "لليحموم" كل عشية * بقتّ وتعليق فقـد كاد يسنق

ويسنق ، أى تصيبه تخمة من كثرة الشرب ومن كثرة الأكل . (راجع أنساب الخيل لابن الكلبى ص ٩٢ طبع بولاق) .

(٢) فى الأصـلين : « كابل » بالبـاء الموحدة وهو تحريف ، والتصـويب عن القاموس وشرحه واللسان (مادة كمل) وإياه عنى زيد الخيل بقوله :

* ما زلت أرميهم بغرة كامل *

وكامل أيضا أفراس لموسى بن ميمون المرئى والرقاد بن المنذر الضبى وقد أورده ابن الأعرابى فى أسماء الخيل ، والهلقام الكلبى ، والحوفزان بن شريك الشيبانى ، وسمان بن أبى حارثة المرى ، وشيبان النهدى ، وزيد الفوارس الضبى وقد أورده ابن الكلبى فى أنساب الخيل . واستشهد بقول العائف الضبى فيه :

نعم الفوارس يوم جيش محرّق * لحقـوا وهم يدعون يالضرار
زيد الفـوارس كرّ آبنا منذر * والخيـل تضبعها بنو الأحرار
يرمى بغرة "كامل" ونحـره * خطر الفوس وأى حين خطار
ولعمـر جدّك ما الرقاد بطائش * رعش بديهتـه ولا عـوّار

(٣) كذا فى شرح القاموس (مادة زعفر) . وفى الأصلين : «الريد» بالراء المهملة والياء المثناة من تحت ، وهو تصحيف .

(٤) الذى أورده ابن الكلبى وابن الأعرابى فى كتابيهما أن لكلحبة اليربوعى فرسا اسمه «العرادة» وفيه يقول :

تسائلنى بنو جشم بن بكر * أغراء العرادة أم بهيم

وقال ابن دُرَيد : "القَطِيب"[1] و"البَطِين"[2] فرسان كانا للعرب . و"اللَّعَّاب"[3] و"العَبَايَة"[4] فرسا حَرِّىِّ[5] بن ضَمْرة . و "المِدْعاس"[6] فرس النَّوّاس[7] بن عامر

= وأما الحمالة فأفراس لبنى سليم وللطفيل بن مالك (ثم صارت لابنه عامر بن الطفيل) ولمطر بن الأشيم ولعباية بن شكس وللطفيل بن خويلد (راجع القاموس وشرحه واللسان «مادة حمل» وأنساب الخيل لابن الكلبى ص ١٠ و ١٢ و ٢٥ طبع ليدن وأسماء الخيل لابن الأعرابى ص ٥٦ و ٧٢ و ٧٦ و ٨٣ طبع ليدن) .

(١) القطيب فرسان ، الأول وزان أمير وهو لصرد بن حمزة بن شداد اليربوعى (عم مالك ومتمم ابنى نويرة) سابق به أبا سواج الضبى على فرسه بذوة فسبقه أبو سواج ؛ فقال :

ألم تر أن بذوة إذ جرينا ✱ وجد الجد منا والقطيبا

كأن قطيبهم يتلو عقابا ✱ على الصلعاء وازمة طلوبا

والآخر وزان زبير وهو لسابق بن صرد .

(٢) ضبطه شارح القاموس كأمير ، وذكر أنه وأباه بطانا (ككتاب) فرسان لمحمد بن الوليد بن عبد الملك ابن مروان .

(٣) ذكره الهذلى فى قوله :

وطاب عن "اللعاب" نفسا وربه ✱ وغادر قيسا فى المكر وعفزرا

(اللسان مادة لعب) .

(٤) كذا فى القاموس وشرحه (مادة عبى) . وفى الأصلين : «العباءة» .

(٥) كذا فى شرح القاموس (مادة عبى) والعمدة لابن رشيق وأسماء الخيل لابن الأعرابى (ص ٦٦ طبع ليدن) وكذلك ورد فى النقائض (ص ٩٤٣ طبع أوربا) فى بيت الفرزدق :

ولو كان حرى بن ضمرة فيكم ✱ لقال لكم لستم على المتخير

وشرح أشعار الحماسة للتبريزى (ص ٢٥٥ طبع أوربا) . وفى الأصلين وشرح القاموس واللسان (مادة هدج) وأنساب الخيل لابن الكلبى (ص ١٠١ طبع بولاق) : «حرمى» .

(٦) والمدعاس أيضا فرس الأقرع بن حابس كما فى القاموس وشرحه واللسان (مادة دعس) .

(٧) كذا فى العمدة والنقائض . وفى الأصلين : «لرايس» وهو خطأ .

المُجَاشِعي. و"صُهْبِي"(١) فرس النَّمِر بن تَوْلَب. و"حافل"(٢) فرس مشهور. و"العَسْجَدِي"(٣) لبني أسد. و"الشَّمُوس"(٤) فرس يزيد بن خَذَّاق(٥) العَبْدِي. و"الضَّيْف"(٦) لبني تَغلب. و"هِرَاوة العُزَّاب"(٧) فرس الرَّيَّان بن حُوَيْص العَبْدِي(٨)، يقال إنها جاءت سابقةً طولَ أربعَ عشرةَ سنة، فتصدّق بها على العُزَّاب يتكسّبون عليها في السِّباق

---

(١) ولها يقول النمر المذكور :

أيذهب باطلا عدوات "صهبي" * وركض الخيل تختلج اختلاجا
وكرى في الكريهة كل يوم * اذا الأصوات حالطت العجاجا
كميت اللون شائلة الدنابى * تخال بياض قرحتها سراجا

(راجع أسماء الخيل لابن الأعرابى ص ٥٨ طبع ليدن وأنساب الخيل لابن الكلبى ص ١١٠ طبع بولاق وص ٤٠ طبع ليدن) .

(٢) فى كتاب العمدة : «فرس مشهور ذكره حرب بن ضرار فى قوله :

كميت عنناة السراة نمى بها * الى نسب الخيل الصريح و«حافل»

(٣) وفيه قال النابغة الذبيانى :

وبهم بنات "العسجدى" و"لاحق" * ورق مراكلها من المضمار

ويروى : «ورقا» بالنصب . والمراكل : جمع مركل كجعفر وهو الموضع الذى يصيب رجل الفارس من الجانبين اذا استوى على السرج . (راجع أنساب الخيل لابن الكلبى ص ٣٣ طبع بولاق) .

(٤) وفيها يقول يزيد المذكور :

ألا هل أتاها أن شكة حازم * لدىّ وأنى قد صنعت "الشموسا"
وداويتها حتى شتت حبشية * كأن عليها سندسا وسدوسا

(راجع هذين البيتين وتفسيرهما فى لسان العرب مادة «سدس») .

(٥) كذا فى لسان العرب وتاج العروس وأنساب الخيل لابن الكلبى وأسماء الخيل لابن الأعرابى . وفى الأصلين : «حلاق» وهو تحريف .

(٦) سيذكر المؤلف بعد أسطر قول الشمردل اليربوعى فيه .

(٧) راجع الحاشية (٥) ص ٤٤ من هذا الجزء .

(٨) كذا فى كتب اللغة . وفى الأصلين : «العنبرى» ، وهو تحريف .

والغارات . و "الحَرُون"(١) فرس تنسب اليه الخيلُ، وكان لمسلم بن عمرو بن أسد الباهِلىّ . و "الزائد" فرس مشهور وهو من نســل الحرون . "ومُنَاهِب" فرس تُنسب اليه الخيل أيضا، قال الشَّمردل(٢) :

[تَلْقَ(٣) الجيادَ المُقْرَباتِ(٤) فينا] * لأَفْحُــلٍ ثــلاثةٍ يَنْمِينـا

* "مُنَاهِبا" و"الضَّيْفَ" و"الحَرُونا" *

و "العَلْهَان"(٥) فرس أبى مُلَيْلٍ(٦) عبد الله بن الحارث اليَرْبُوعى .

هذا ما آتفق إيرادُه من أسماء كِرام الخيل ومشهورها . فلنذكر ماورد فى أوصافها وتشــبيهها .

ذكر ما قيل فى أوصاف الخيل وتشبيهها نظما ونثرا

أوّلُ من شبّه الفرسَ بالظبى والسِّرْحان والنَّعامة، ثم آتّبعه الشعراء وحَذَوْا مثاله وآقتدَوْا به، هو آمرؤ القيس بن حُجْر حيث قال :

---

(١) راجع ما ورد من الكلام عليه فى كتاب أنساب الخيل لابن الكلبى (ص ١١٧ طبع بولاق)، وفيه يقول بعض الشعراء لما رأى غلبة مسلم بن عمرو على السبق :

اذا ما قريش حوى ملكها * فإن الخلافة فى باهله

لرب «الحرون» أبى صالح * وما تلك بالسنة العادله

(٢) كذا فى كتاب أنساب الخيــل لابن الكلبي (ص ١٢١ طبع بولاق) . وفى الأصلين : «السمول»، وهو تحريف .

(٣) الزيادة عن كتاب أنساب الخيل لابن الكلبي .

(٤) المقربات من الخيل : التى ضُمِّرت للركوب .

(٥) كذا فى شرح القاموس ولسان العرب (مادة عله) وأسماء الخيل لابن الأعرابى (ص ٦٤ و ٦٥ طبع ليدن) . وفى الأصلين : «العلها» وهو تحريف .

(٦) كذا فى لسان العرب وشرح القاموس (مادة عله) وأسماء الخيل لابن الأعرابى . وفى الأصلين : «مايك» بالكاف فى آخره، وهو تحريف .

له أَيْطَلا (١) ظَبْيٍ وساقا نعامةٍ * وإرْخاءُ (٢) سِرْحَانٍ وتقريبُ تَتْفُلِ (٣)
كأنّ على المَتْنَيْن (٤) منه اذا انتحَى * مَدَاكَ عَرُوسٍ أو صَرَايَةَ حَنْظَلِ
مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معًا * كجُلْمُودِ صَخْرٍ حطّه السّيْلُ من عَلِ
دَرِيرٍ (٥) كخُذْرُوفِ (٦) الوَلِيدِ أمَرّه (٧) * تَقَلُّبُ كَفَّيْه بخيطٍ مُوَصَّلِ
كُمَيْتٍ يَزِلّ اللِّبْدُ عن حالِ (٨) مَتْنِه * كما زلّت الصَّفْواءُ (٩) بالمُتَنَزِّلِ (١٠)

وقال أيضا :

وأَرْكَبُ فى الرَّوْعِ خَيْفَانَةً (١١) * كَسَا وجهَها سَعَفٌ (١٢) مُنْتَشِرْ

(١) الأيطل : الخاصرة ، وهى ما بين الأضلاع الى الورك .

(٢) الإرخاء : السير دون الحضر الشديد . والسرحان : الذئب .

(٣) التقريب : ضرب من العدو . والتتفل : ولد الثعلب .

(٤) كذا فى المعلقات . وفى الأصلين : « الكتفين » . والمتنان : ما اكتنفا فقار الظهر . والانتحاء : الاعتماد والقصد . والمداك : الحجر الذى يسحق عليه الطيب . والصراية : الحنظلة الخضراء البراقة (كما فى شرح أبى جعفر النحاس لمعلقة امرئ القيس) أو هى الحنظلة الصفراء (كما يقول الأصمعى) . ويروى : « صلاية حنظل » . والصلاية : الحجر الأملس الذى يسحق عليه حب الحنظل . ويروى الشطر الأول : « كأن سراته لدى البيت قائما » .

(٥) الدرير : الفرس السريع العدو .

(٦) الخذروف : عود أو قصبة مشقوقة يفرض فى وسطه ثم يشد بخيط فاذا أُمِرّ دار وسمعت له حفيفا يلعب به الصبيان ويوصف به الفرس لسرعته . وهو الذى يسمى « الخرارة » .

(٧) أمرّه : فتله ثم أداره بين كفيه . ويروى : « تتابع كفيه » .

(٨) الحال : وسط الظهر . يريد أن لحمه قد اكتنز على ظهره فأملاس ، فاذا ألقى عليه اللبد زل فلم يثبت عليه .

(٩) الصفواء : الصخرة الملساء التى لا ينبت فيها شىء .

(١٠) المتنزل : الذى ينزل عليها فيزلق عنها .

(١١) الخيفانة : الجرادة . شبه الفرس بها فى الخفة والسرعة .

(١٢) السعف : يريد به الناصية . شبه ناصية الفرس بسعف النخل .

لهـا حافِرٌ مثلُ قَعْبِ الوليـ (١) * ـد رُكِّبَ فيه وَظِيفٌ (٢) عُجُرْ (٣)
لهـا عُجُزٌ كصَفاةِ المَسيـ (٤) * ـلِ أَبْرَزَ (٥) عنها (٦) جُحَافٌ (٧) مُضِرّْ
لهـا ذَنَبٌ مثـلُ ذيلِ العرو * س تَسُدُّ به فرجَها من دُبُرْ
لهـا جَبْهةٌ كسَرَاةِ (٨) المِجَنّ * حَذَّفَه (٩) الصـانعُ المُقْتَـدِرْ
إذا أقبلتْ قلتَ دُبَّاءَةٌ (١٠) * من الخُضْرِ مغموسةٌ فى الغُدُرْ
وإنْ أعرضتْ قلتَ سُرْعُوفَةٌ (١١) * لهـا ذَنَبٌ خلفَها مُسْبَطِرّْ (١٢)
وإن أدبرتْ قلتَ أُثْفِيَّـةٌ (١٣) * مُلَمْلَمَةٌ ليس فيهـا أُثُـرْ

(١) القعب : القدح . شبه حافر الفرس بقعب الوليد لأنه صغير لطيف .

(٢) الوظيف : عظم الساق والرجل .

(٣) العجر ككتف و رجل : الصلب الشديد .

(٤) صفاة المسيل : الحجارة التى تكون فى المـاء وهى أصلب من غيرها .

(٥) أبرز : كشف .

(٦) كذا فى ديوانه ، أى عن الصفاة . وفى الأصلين : «عنه» .

(٧) الجحاف : السيل الذى لا يمر بشىء إلا حمله وقشره .

(٨) السراة : الظهر . والمجن : الترس .

(٩) حذفه : أخذ من جوانبه ما يسو يه به . وقيل : هيأه وصنعه .

(١٠) الدباءة : واحدة الدباء وهو القرع . وشبه الفرس بها لسعة مؤخرها ودقة مقدمها ، وذلك محبوب فى إناث الخيل . يقول : هى مجتمعة الخلق ، دقيقة الصدر ، عظيمة العجز . مغموسة فى الغدر : يريد أنها ريا .

(١١) السرعوفة : الجرادة .

(١٢) مسبطر : طويل .

(١٣) الأثفية : الحجر المدوّر الصلب الذى يوضع عليـه القدر . والململمة : المسـتديرة الصلبة . يقـول : مؤخرها كأنه صخرة مدوّرة مجتمعة . والأثر (بالضم و بضمتين) : أثر الجرح . يريد أنها ليس بها خدش .

وقال أبو دُوَاد[١] الإيادى [يصف فرسا][١] :

له ساقا ظليم خا[٢] * ضبٍ فُوجِئَ بالرُّعْب
حديدُ الطَّرف والمَنْكِ * ب والعُرْقوب والقلب

وقال آخر :

له صدرُ طاوُسٍ ونَخْذُ نعامةٍ * ووَثْبةُ نِمْرٍ وٱلتفاتُ غزالِ
وأعجب من ذا كلما حَطّ حافرًا * يَخُطُّ هلالا من وراء هلال

وقال البُحتريّ وكان وَصّافًا للخيل :

وأغرَّ فى الزمن البَهِيم مُحَجَّلٍ * قد رُحْتُ منه على أغرَّ مُحَجَّلِ
كالهَيْكل المَبْنىّ إلا أنه * فى الحسن جاء كصورة فى هيكل
ذَنَبٌ كما سُحِب الرِّداءُ يَذُبُّ عن * عُرفٍ، وعُرْفٌ كالقِناع المُسْبَلِ
جَذْلانَ يَنفُضُ عُذْرةً[٣] فى غُرَّةٍ * يَقَقٍ[٤] تَسيل حُجُولُها فى جَنْدَلِ
كالرائح النَّشْوانِ أكثرُ مَشْيه * عرضًا[٥] على السَّنَن البعيد الأطول
تَتوهَّمُ الجوزاءَ فى أرساغه * والبدرَ غُرّةَ وجهه المُتَهلِّلِ[٦]

(١) فى ب : « وقال زهير » . وقد سقط اسم الشاعر من أ . والتصويب والزيادة عن لسان العرب (مادة خضب) وشرح أدب الكاتب لأبى منصور موهوب بن أحمد الجواليقى (ج ١ ص ١٩٠ من النسخة الفتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٤٢٦ أدب) .

(٢) الخاضب : الظليم الذى اغتلم فاحمرت ساقاه . وقيل : هو الذى قد أكل الربيع فاحمر ظنبوباه أو اصفرا أو اخضرا .

(٣) العذرة : عرف الفرس وناصيته .

(٤) اليقق (محركة وككتف) : المتناهى فى البياض .

(٥) عرضا : يحتمل أن يكون بالفتح من قولهم : عرض الفرس يعرض عرضا اذا عدا عارضا صدره ورأسه مائلا من النخوة والنشاط ، وأن يكون بضمتين وهو السير فى جانب ، وهو محمود فى الخيل مذموم فى الإبل .

(٦) رواية الديوان (ج ٢ ص ٢١٨ طبع مطبعة الجوائب بالقسطنطينية) :
* والبدر فوق جبينه المتهلل *

صـافِى الأَديم كأنّمـا عُنِيَتْ به (١) * لِصَفاء نُقْبتِـه (٢) مَدَاوِسُ (٣) صَيْقَـلِ
وكأنمـا نَفَضَتْ عليـه صِبْغَها * صَهْباءُ للبَرَدانِ (٤) أو قُطْـرَبُّلِ (٥)
وتخالُه (٦) كُسِىَ الخدودَ نواعمًـا * مهما تواصِـلْها بلَحْـظٍ تَخْجَلِ
وتراه يَسْـطَع فى الغُبار لهيبُـه * لونًا وشَـدًّا (٧) كالحريق المُشْعَلِ
هَزِجُ الصَّهيـلِ كأنّ فى نَغَماتِه * نَبَراتِ مَعْبَـدَ (٨) فى الثَّقيل الأوّلِ
ملَكَ العيـونَ فإن بدا أعطينَه * نَظَرَ [المحبِّ] (٩) إلى الحبيب المُقْبِلِ

وكتب إلى محمد بن حُمَيْد [بن عبد الحميد] (١٠) الطُّوسِىّ (١٠) يَستهديه فرسا ، و وصف له أنواعا من الخيل؛ فقال من أبيات :

---

(١) كذا فى ديوانه . وفى الأصلين : « عنيت له * بصفاء .. الخ » .

(٢) النقبة : اللون .

(٣) المداوس : جمع مدوس وهو المصقلة . والصيقل شحاذ السيوف وجلاؤها .

(٤) البردان : قرية من قرى بغداد على شاطىء دجلة الشرقى و بينها و بين بغداد فراسخ .

(٥) اسم قرية بين بغداد وعكبرا تنسب اليها الخمر .

(٦) رواية الديوان : «وكأنما» .

(٧) شـدا : مصدر، وشـدّت النار ارتفعت . أى وترى لهيبه يسطع فى الغبار كالحريق المشـعل فى اللون والشدّ ، أى ارتفاع اللهب ، وقد أجمعت كل نسـخ الديوان المطبوعة والمخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية على هذه الرواية ، على أنه لا يبعد أن تكون الرواية فيـه : « يسطع فى الغبار إهابه » .

(٨) قال أبو العلاء المعرّى فى كتابه عبث الوليد عند كلامه على هذا البيت (ص ١٢٧) : «الذى يوجبه رأى أهل البصرة كسر الدال فى معبد ، و يجوز الفتح على مذهب أهل الكوفة» .

(٩) التكملة عن ديوانه .

(١٠) فى الأصلين : « سـعيد بن حميد الطوسى » والزيادة والتصويب عن الديوان . وقد ذكر فى الديوان جملة قصائد مدح بها محمد بن حميد هذا ، ومنها هـذه القصيدة التى اقتبس المؤلف بعض أبياتها ، و بين هذه القصائد قصيدة دالية صرح فيها باسم محمد هذا فى أحد أبياتها وهو :

محمد بن حميـد أى مكرمة * لم تحوها بيد بيضاء بعد يد

فاعِنْ على غزو العدوّ بمُنْطَوٍ * أحشاؤه طَىَّ (١) الرِّداءِ المُـدْرَجِ
إمّا بأشقرَ ساطعٍ أغشَى الوَغَى * منه بمثل الكوكب المُتَأَجِّجِ
مُتَسربِلٍ شِيَةً طَلَتْ أعطافَه * بدَمٍ فما تلقاه غيرَ مُضرَّجِ
أو أدهمٍ صافى الأَدِيمِ (٢) كأنه * تحتَ الكَمِىِّ مُظَهَّرٌ بيَرَنْدَجِ (٣)
ضَرِمٍ يَهِيج السَّوطُ من شُؤْبوبه (٤) * هَيْجَ الجَنائبِ (٥) من حَرِيقِ العَرْفَجِ (٦)
خَفَّتْ مَواقِعُ وَطْئِه فلَوَ انّه * يَجرى بِرَمْلَةِ عالجٍ (٧) لم يُرْهِجِ (٨)
أو أشهبٍ يَقَقٍ يُضىء وراءَه * مَتْنٌ كمَتن اللُّجَّةِ المُتَرَجْرِجِ
تَخْفَى الحُجُولُ ولو بَلَغْن لَبانَه (٩) * فى أبيضٍ مُتَأَلِّقٍ كالدُّمْلُجِ (١٠)

---

(١) رواية الديوان : «طىّ الكتّاب» .

(٢) فى ديوانه : « صافى السواد » .

(٣) كذا فى ديوانه ، واليرندج : السواد يسود به الخف أو هو الزاج يسود به . وفى الأصلين : « بالنبرح » .

(٤) الشؤبوب : شدّة العدو .

(٥) الجنائب : جمع جنوب وهى التى تقابل الشمال .

(٦) العرفج : ضرب من النبات سهلى طيب الريح . قال أبو حنيفة : وأخبرنى بعض الأعراب أن العرفجة أصلها واسع يأخذ قطعة من الأرض تنبت له قضبان كثيرة بقدر الأصل ، وليس لها ورق له بال إنما هى عيدان دقاق وفى أطرافها زغب يظهر فى رءوسها شىء كالشعر أصفر ولهبه شديد الحمرة و يبالغ بحمرته فيقال كأن لحيته ضرام عرفجة .

(٧) عالج : رمال بين فيد والقريات ينزلها بنو بحتر من طىء ، وهى متصلة بالثعلبية على طريق مكة لا ماء بها ولا يقدر أحد عليهم فيها .

(٨) لم يرهج : لم يثر الغبار من خفة وطئه .

(٩) اللبان : الصدر .

(١٠) الدملج : حلى يلبس فى المعصم .

أوْفَى بعُـرْفٍ أسودٍ متفــردٍ(١) * فيما يَليـــه وحافرٍ فَـيْرُوزَجِى
أو أبلقٍ ملأ العيـونَ إذا بدا * من كلّ لونٍ مُعْجِب بنَمُـوذَجِ
جَذْلَان تحسُده الجيادُ إذا مشى * عَنَقًا(٢) بأحسن حُلَّةٍ لم تُنْسَـجِ
وعريض أعْلَى المَتْن لو علَّيتَـه * بالزِّئْبَـق المُنْهال لمْ يتَـدَحْرَجِ(٣)
حاضتْ قوائمُــه الوَثِيقُ(٤) بناؤُها * أمواجَ تَحنيب(٥) بهنّ مُـدَرَّجِ
ولأنتَ أبعـدُ فى السماحةِ هِمّةً(٦) * من أن تَضَنّ بمُلْجَمٍ أو مُسْرَجِ(٧)

وقال أيضا يصف فرسًا أدهم :

بأدهمَ(٨) كالظلام أغرَّ يَجْـلُو * بغُـــرّته دَياجِيرَ الظَـــلامِ
ترى أَحْجَالَه يَصْعَدن فيــه * صعودَ البرق فى جَوْن(٩) الغَمامِ

(١) رواية الديوان : «متغربب» .

(٢) العنق (بفتحتين) : ضرب من السير فسيح سريع .

(٣) فى ديوانه : « يترجرج » .

(٤) فى الأصلين : « القويم » .

(٥) التحنيب : احديداب فى وظيفى يدى الفرس وليس ذلك بالاعوجاج الشديد، وهو مما يوصف صاحبه بالشدّة . وقيل : هو بعد ما بين الرجلين من غير فَحَج، وهو مدح .

(٦) رواية الديوان : « فى المكارم » .

(٧) رواية الديوان : «بموكف» والموكف : ما وضع عليــه الوكاف (ويقال فيه الإكاف على الإبدال) وهو : البرذعة .

(٨) كذا فى ديوانه : وهو متعلق ببيت قبله وهو :

أراجعــتى يداك بأعـوجى * كقدح النبع فى الريش اللؤام

(الأعوجى : نسبة الى الأعوج وهو فرس لبنى هلال تنسب اليه الأعوجيات . وليس فى العرب فحل أشهر ولا أكثر نسلا منه) . وفى الأصلين : «وأدهم» بالواو .

(٩) الجون : الأسود . ورواية الديوان : «فى الغيم الجهام» .

وقال أيضا فى أدهم :

أمّا الجَــوَادُ فقــد بَلَوْنا يومَه * وكفى بيــومٍ مخــبِرًا عن عامِه

جارَى الجيادَ فطار عن أوهامها * سَــبْقًا وكاد يطيرُ عن أوهامِه

جذلان تَلْطِمــه(١) جوانبُ غُرّةٍ * جاءتْ مَجِىءَ البدرِ عنــد تَمَامِه

وٱســودَّ ثم صفَتْ لعَيْنَىْ ناظرٍ * جَنَباتُهُ فأضاء فى إظــلامه

مالتْ نواحى عُرْفِه فكأنّهــا * عَذَباتُ أَثْلٍ مال تحتَ حَمامِه

ومقــدّم الأُذُنَــيْن تحسَب أنّه * بهما يرى الشخصَ الذى لأمامه (٦٢)

وكأنّ فارسَـــه وراء قَــذَاله * رِدْفٌ فلستَ تراه من قُــدّامه

لانَتْ معاطِفُــه فخيّــل أنه * للخَــيْزُران مَنَاسِبٌ لعظامــه

فى شُــعْلةٍ كالشَّيْب مرّ بمفرِقٍ * غَزِلٍ لهــا(٢) عن شَــيْبه بغرامه

وكأن صَهْلَتَه إذا ٱســتعلَى بهــا * رَعْدٌ يُقَعْقِــع فى ٱزدحام غَمَامه

مثل الغراب غَدا يُبارِى(٣) صَحْبَه * بســواد صِبْغته وحسنِ قَوامه

والطِّرْفُ أجلبُ زائرٍ لمــؤونةٍ * مالم تُــزِرْه بسرجه وبِلجامـــه

وقال علىّ بن الجَهْم :

فوق طِرْفٍ(٤) كالطَّرْف فى سرعة الطَّرْ * فِ وكالقلب قلبُــه فى الذكاءِ

لا تراه العيونُ إلّا خيــالًا * وهو مثــل الخيــالِ فى الانطواءِ

---

(١) لطمت الغرة الفرس : سالت فى أحد شق وجهه فهو لطيم ، الذكر والأنثى فيه سواء .

(٢) لهــا : من اللهو .

(٣) رواية الديوان : «تمشى يباهى» .

(٤) الطرف (بالكسر) من الخيل : الكريم العتيق . والطرف (بالفتح) : العين . والطرف الأخيرة (وهى بالفتح أيضا) : إطباق الجفن على الجفن . أى فوق جواد كريم يشبه فى جريه البصر فى سرعة الغمض .

١٢٥/١

وقال العباس بن مِرْداس :

جاء كلمع البرق سام ناظـرُهُ (١) * تَسْبَح أُولَاه ويَطْفو آخِرُهْ

* فما يَمَسّ الأرضَ منه حافِرُهْ *

وقال أبو الطيّب المتنبّي :

وجُرْدًا (٢) مَدَدْنا بين آذانِها القَنَا * فبِتْنَ خِفافًا يَتَّبِعن العَوالِيَا

تَمَاشَى بأيْدٍ كلّما وافتِ الصَّفَا (٣) * نَقَشْنَ به صدرَ البُزاةِ حوافِيَا

ويَنْظُرن من سُودٍ (٤) صوادقَ فى الدُّجى * يَرَيْنَ بعيـداتِ الشُّخوصِ كما هيا

وتَنْصِبُ للجَـرْسِ (٥) الخفىّ سوامعًا * يَخَلْنَ مُنَـاجاةَ الضـمير تَنَادِيا

تُجَـاذِبُ فُرْسانَ الصَّباحِ (٦) أعنّـةً (٧) * كأن على الأعناق منها أفاعيا

---

(١) كذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٦٤) . وفى الأصلين : « جاش ناطره » وفى ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى : «جاش ماطره» وجاش ماطره : اضطرب أو تدفق بالماء .

(٢) الجرد من الخيل : القصار الشعر . والقنا : الرماح . والعوالى : جمع عالية وهى صدر الرمح مما يلى السنان .

(٣) الصفا : الصخر، واحده صفاة . والبزاة : جمع باز . وحوافيا : جمع حاف نصب على الحال من فاعل «تماشى» . أى إن هذه الخيل تمشى بأيد اذا وطئت الصخر وهى حافية من غير نعال نقشت حوافرها فيه أثرا مثل صدور البزاة لشدّة وطئها .

(٤) من سود، أى من أعين سود . أى وتنظر هذه الجرد من عيون سود صوادق فيما تنظره فى ظلمة الليل، فترى الشخص البعيد عنها كهيئته اذا كان قريبا منها .

(٥) الجرس : الصوت أو الخفىّ منه . والسوامع : الآذان، واحدتها سامعة . ويخلن : يحسبن . وصفها بحدة السمع، فهى إذا سمعت الخفى نصبت آذانها فسمعته . وهذا من عاداتها أنها اذا سمعت أخفى ما يكون نصبت آذانها حتى إن ما يناجى به الضمير عندها كالمناداة لحدة سمعها .

(٦) المراد بالصباح هنا الغارة لأنهم كانوا أكثر ما يغيرون فى ذلك الوقت؛ فسميت الغارة به .

(٧) الأعنة : سيور اللجم . يصف هذه الخيـل بالقوّة والنشاط وأنها تجاذب فرسانها أعنتها . ثم شبه أعنتها فى طولها وامتدادها بالأفاعى .

وقال أيضا :

وجِيَادٍ (١) يَدْخلن فى الحرب أَعْرا (٢) * ءً ويَخْرجن من دمٍ فى جِلَالِ
واســـتعار الحديدُ لونًا وأَلْقى * لونَه فى ذوائب الأطفـالِ (٣)

وقال أبو الطَّيِّب أيضا :

ويومٍ (٤) كليلِ العاشقين كَمَنْتُـه * أُراقِبُ فيه الشمسَ أَيّانَ تغرُبُ
وعَيْـنِى على أُذْنَى (٥) أغرَّ كأنه * من الليل باقٍ بين عينيه كوكبُ
له فضلةٌ عن جسمه فى إهابِه (٦) * تَجِىء على صدرٍ رَحِيبٍ وتذهبُ
شَقَقْتُ به الظَّلْماءَ أُدْنى عِنانَه * فيَطْغَى (٧) وأُرْخِيــه مِرارًا فيلعبُ

---

(١) فى شرح العكبرى لديوان المتنبى : «بجياد» باللام الجارة؛ إذ هو متصل بالبيت الذى قبله وهو

واعتمار لو عيّر السخط منه * جعلت هامهم نعال النعال

وعلى هذا فالجار والمجرور متعلق بالبيت الذى قبله ، ويكون فيه تضمين ، وهو مما عيب على المتنبى .

(٢) أعراء : جمع عرى (بالضم) . يقال : دابة عرى ، وأفراس أعراء ، ولا يقال : رجل عرى ، وإنما يقال : رجل عريان وامرأة عريانة اذا عريا من ثيابهما . ورجل عار اذا أخلقت أثوابه . (عن اللسان مادّة عرا) . والجلال : ما يوضع على الدابة من غطاء . واحده جل . ويجمع جلال على أجلة .

(٣) يقول : إن السيوف والرماح اكتست الدم لما باشرت القتال فاستعارت لونا غير لونها ، وألقت لونها ، وهو البياض ، فى رءوس الأطفال؛ فانهم يشيبون من شدّة ما ينالهم من الفزع .

(٤) يقول : رب يوم طال علىّ كما يطول ليل العاشقين اختفيت فيه خوفا على نفسى أراقب حين تغرب الشمس حتى أسير اليكم .

(٥) يقول : إنه كان ينظر الى أذنى فرسه؛ وذلك أن الفرس يبصر شيء ، فاذا أحس بشخص من بعيد نصب أذنيه نحوه ، فيعلم الفارس أنه أبصر شيئا . ثم وصف فرسه بأنه أسود فى وجهه غرة؛ وذلك قوله : «... كأنه * من الليل باق بين عينيه كوكب» أى كأنه قطعة من الليل عمت نجومها ولم يبق فيها إلا كوكب .

(٦) الإهاب : الجلد ما لم يدبغ . يريد أن يصف الفرس باتساع الجـلد وأن له فضلة عن جسمه فى إهابه تجىء وتذهب على صدره الرحيب . واتساع الجلد مما ييسر للحيوان شدّة العدو .

(٧) يطغى ، أى ينشط ويمرح . يقول : شققت ظلام الليـل بهذا الفرس أجذب عنانه إلى فيطغى ويثب مرحا ونشاطا ، وأرخيه له فيلعب كما يشاء .

وأَصْرِعُ أىَّ الوحش قَفَّيتُه به * وأَنْزِلُ عنه مثـــلَه حين أركبُ (١)

وقال أيضا يصف فرسًا :

إن أدبرتْ قلتَ لا تَليلَ لهـــا (٢) * أو أقبلتْ قلتَ ما لهـــا كَفَلُ

وقال أبو الفَرَج البَبَّغاء :

إن لاحَ قلتَ أَدُمْيَةٌ أم هيكلُ * أو عَنّ قلتَ أســابحٌ أم أَجْدَلُ (٣)

تَتَخاذل الألحـــاظُ فى إدراكه * ويَحَـــار فيـــه الناظرُ المتأمِّلُ

فكأنه فى اللطف فَهْمٌ ثاقِبٌ * وكأنه فى الحسن حظٌّ مُقْبِـلُ (٤)

وقال أيضا من أبيات :

رماهم بألحـــاظ الجِيادِ ولم تكن * لِيَنْأى عليهــا المَنْزِلُ المتباعِـــدُ

مِنَ اللَّاءِ يَهْجُرن المياهَ لدى السُّرَى * ويَعْتَضْن شَمَّ الجوّ والجوُّ راكدُ

مَرَنَّ على لَذْعِ القَنـــا (٥) فكأنمـــا * عليهن من صِبْغ الدّماء مَجَاسِـــدُ (٦)

نَسَجْنَ مُلَاءَ النَّقْعِ ثم خَرَقْنَـــه (٧) * بكَـــرٍّ لهـــا منه إلى النصر قائدُ

عليهنّ مِن نَسْجِ الغُبار غلائلٌ * رِقاقٌ ومن نَضْحِ الدماء قلائدُ (٦٣)

(١) قفيته : أتبعته . يقول : إنه يلحق أى الوحش يتبعه به فيصرعه دون أن يناله تعب فهو حين ينزل عنه مثله حين يركبه .

(٢) التليل : العنق . يقول : إنها مشرفة الكاهل عريضة الصدر، فاذا أدبرت منع إشراف كفلها من رؤية عنقها، واذا أقبلت منع اتساع صدرها من رؤية كفلها . (راجع شرح الديوان لليازجى ص ١٣٦ طبع بيروت سنة ١٨٨٣ م) .

(٣) الأجدل : الصقر .

(٤) كذا فى يتيمة الدهر للثعالبى (ج ١ ص ٢٠٤ طبع بيروت) . وفى الأصلين : «خيط بفتل» .

(٥) فى الأصلين : «لدع» بالدال المهملة، وهو تصحيف .

(٦) المجاسد : الثياب المصبوغة بالزعفران .

(٧) فى أ : «حرفنه»، وفى ب «حرفته» وكلاهما تصحيف .

وقال أبو الفَتح كُشَاجِم :

ماءٌ تَدفَّق طاعةً وسَلاســـةً * فإذا آسْـتُدِرّ الحُضْرُ منه فنارُ
وإذا عَطَفْتَ به على نَاوَرْدِه (١) * لتُـــدِيره (٢) فكأنه بِرْكَارُ (٣)
قَصُرَتْ قلادةُ نحره وعِذارُه * والرُّسْغُ، وهي من العَتيق قِصارُ
يَرِدُ الضَّحَاضِحَ (٤) غيرَ ثانٍ سُنْبُكًا (٥) * ويَرُودُ طرفُك خَلْفَــه فيَحارُ
لو لم تكن للخيل نســبةُ خَلْقِه * خالَتْه من أشكالهــا الأطيارُ

وقال آخر :

وأقبَّ (٦) تحملُه رياحٌ أربعٌ * لولا اللِّجامُ لطار فى المَيْدان
من جُمْلة العِقْبان (٧) إلّا أنّه * من حُسْنه فى طلعة الغِزْلانِ
يمشى إلى مَيْدانه متبخترًا * من تِيهه كتَبَخْتُر النَّشْوانِ

وقال آبن المعتزّ :

وخَيلٍ طواها القَوْدُ (٨) حتى كأنّها * أنابيبُ سُمْرٌ من قَنَا الخَطّ ذُبَّلُ

---

(١) فى شفاء الغليل : «ناورد : لفظ فارسىّ هو فى لغتهم بمعنى القتال وجولان الخيل فى الميدان . وفى اللغة الجديدة ناورد جنك وجولان أسب . و بالمعنى الثانى استعمله المولدون كالبحترى وغيره» . واستشهد بهذا البيت ، وورد الشطر الثانى فيه هكذا : « فكأنه من لينه بركار » .

(٢) كذا فى ديوان كشاجم وفى الأصلين : «لتردّه» .

(٣) بركار (بالكسر) : آلة ذات ساقين ترسم بها الدوائر، وهو فارسىّ معرّب .

(٤) الضحاضح : جمع ضحضح وهو الماء القليل يكون فى الغدير وغيره .

(٥) السنبك : طرف الحافر وجانباه من قدم ، و جمعه سنابك .

(٦) الأقب من الخيل : الدقيق الخصر الضامر البطن .

(٧) العقبان : جمع عقاب وهو طائر من الجوارح تسميها العرب الكاسر. وقيل : تقع على الذكر والأنثى .

(٨) القود : نقيض السوق ، يقود الدابة من أمامها ويسوقها من خلفها ، أو لعله يريد مطلق السير . والأنابيب : الرماح ، واحدها أنبوب . والخط : موضع باليمامة تنسب اليه الرماح الخطيــة . وذبل : دقاق ، واحدها ذابل .

صَببْنا عليهـا ظالمين سِـياطَنا * فطارتْ بها أيْدٍ سِراعٌ وأرجُلُ (١)

وقال أبو بكر الصَّنَوْبَرِىّ :

طِرْفٌ نأتْ سمـاؤه عن أرضـه * وما نأى كاهلُه عن الكَفَلْ
ذو أربعٍ من أربعٍ من القَبُو * لِ والدَّبُورِ والجَنُوبِ والشَّـــمَلْ
وهْـــو إذا أعملهـا ألْفَى لهـا (٢) * فوق الذى يطلبـه من العملْ
كالبرقِ إن أوْمضَ أو كالرّعد إن * أجلبَ (٣) أو صوبِ الحَيَا (٤) إذا آحتملْ

وقال آخر :

يَجْرِى فَيبْعُد من مَدًى متقارِبٍ * أبدًا ويدنو من مدًى مُتَباعدِ
إن سار فهــو غديرُ ماءٍ مائجٍ * أو قام (٥) فهــو غديرُ ماءٍ جامدِ

وقال أبو الفضل المِيكَالى :

خيرُ ما آستطرف الفوارسُ طِرفٌ * كلُّ طَرْف بحسـنه مبهوتُ
هو فوق الجبال وَعْلٌ وفى السهـ * لِ نَعـامٌ وفى المَعَـابر حُوتُ

وقال آخر :

وطِرْفٍ إذا ما جرى خلتَـه * عُقَابًا من الوَكْر يبْـغِى المَزارا
ترى فى الجَبين له سَوْسَـنًا (٦) * وتَلْمَح فى اونه الجُلَّنَـارا (٧)

(١) ذكر أبو هلال العسكرى فى كتابه ديوان المعانى فى معنى هذا البيت ما نصه : «ذكر أنهم ضربوها من غير أن تمنع شيئا من مطلوب سيرها فكانوا ظالمين لها» .

(٢) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «العاءها» ، وهو تحريف .

(٣) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «أو كالبرق إن * أخلب ... الخ» بالخاء المعجمة ، وهو تحريف .

(٤) الحيا : المطر .

(٥) قام : وقف ولم يسر .

(٦) السوسن : نبات طيب الرائحة .

(٧) الجلنار : زهر الرمان .

ويمشى على المـاء من خفّـةٍ * ويَقْدَح فى الجَلْمَد الصخر نارا
فلو كان يَبْغِى به راكبٌ(١) * إلى مطلع الشمس سَيْرًا لطارا

وقال عبد الجبّار بن حَمْدِيس :

ومُجَرِّرٍ فى الأرض ذيلَ عسيبِه * حَمَل الزبرجدَ منه جسمُ عقيق
يَجـرى ولَمْعُ(٢) البرق فى آثاره * من كثرة الكَبَوات غيرُ مُفيـق
ويكادُ يَخْـرج سُرْعةً من ظلّه * لو كان يرغب فى فِراقِ رفيـق(٣)

وقال ابن طَبَاطَبا :

عجبًا لشمس أشرقتْ فى وجهه * لم تَمْحُ منه دُجَى الظلام المُطْبِق
وإذا تمطّر(٤) فى الرِّهان رأيتَـه * يَجْرِى أمام الريح مثـلَ مُطَرِّق(٥)

وقال تاج الملوك بن أيّوب :

وخيل كأمثالِ السَّعالِى(٦) شَوازِبٌ(٧) * تكاد بنا قبـل المَجـال تَجُـولُ
سوابق تَكْبو الريحُ قبل لَحَاقِها * لهـا مَرحٌ(٨) من تحتنا وصَهِيلُ

وقال إبراهيم بن خَفَاجة يصف فرسًا أشهبَ :

رُبَّ طِرْفٍ كالطَّرْف ساعةَ عَدْوٍ * ليس يَسْرِى سُراه طيفُ الخيالِ

---

(١) فى الأصلين : «راكبا» بالنصب .

(٢) كذا فى ديوانه . وفى الأصلين : «فلمع» .

(٣) هذه رواية الديوان . وفى الأصلين : «صديق» .

(٤) تمطرت الخيل : ذهبت مسرعة .

(٥) المطرّق : الذى يمهد الطريق ليسلك .

(٦) السعالى : الغيلان أو سحرة الجن .

(٧) الشوازب : الضوامر من الخيـل . وقد وردت فى الأصلين : «شوارب» بالراء المهملة ، وهو تصحيف .

(٨) المرح : التبختر والاختيال .

إن سَرى فى الدُّجَى فبعضُ الدَّرارِى * أو سَعَى فى الفَلَا فإحدى السَّعَالِى
لستُ أَدْرِى إن قِيدَ ليلةَ أَسْرِى * أو تَمطَّيتُه غداةَ قِتالِ
أجَنوبٌ تُقتادُ لى أم جَنِيبٌ(١) * أم شَمالٌ عِنانُها بشِمالى
أشهبُ اللَّونِ أثقلتْه حُلِيٌّ * خَبَّ(٢) فيهن وهو مُلْقَى الجِلالِ(٣)
فبدا الصبحُ مُلْجَمًا بالثُّرَيَّا * وجَرى البرقُ مُسْرَجًا بالهلالِ

وقال أيضا فى أشهب :

وظلامِ ليلٍ لا شِهابَ بأُفْقِه * إلّا لنَصْلِ مُهَنَّدٍ أو لَهْذَمِ
لاطَمتُ لُجَّتَه بموجَةِ أشهبٍ * يَرمى بها بحرَ الظلامِ فيَرْتمى
قد سال فى وجه الدُّجنَّةِ غُرَّةً * فالليلُ فى شِبْهِ الأَغرّ الأَدْهَمِ
أطلعتُ منه ومن سِنانٍ أزرقٍ * ومهنَّدٍ عَضْبٍ ثلاثةَ أَنْجُمِ

وقال أبو الصَّلْت يصف فرسًا أشهب :

وأشهبٍ كالشِّهاب أضحى * يَجُول فى مُذْهَبِ الجِلالِ
قال حسودى وقد رآه * يُجْنَبُ خَلْفى إلى القتالِ
من أَلْجَمَ الصبحَ بالثريّا * وأسرجَ البرقَ بالهلالِ

وقال ٱبن خَفَاجة وقد أَهدى مُهرًا بهيمًا :

تَقبَّلِ المُهْرَ من أخى ثِقةٍ * أرسلَ ريحًا به الى المَطَرِ
مُشتمِلًا بالظلام من شِيَةٍ * لم يَشْتمل ليلُها على سَحَرِ
مُنتسِبًا لونُه وغُرّتُه * الى سوادِ الفؤاد والبصرِ

---

(١) الجنيب : الفرس الذى يقاد الى جنب الراكب .

(٢) خب الفرس : راوح بين يديه ورجليه أى قام على إحداهما مرة وعلى الأخرى مرة .

(٣) الجلال (بالكسر) : جمع جل (بالضم) وهو ما تلبسه الدابة لتصان به .

تحسبه من علاك مسترقًا * بهجة مرأى وحسن مختبر
حنّ إلى راحة تفيض ندًى * فمال ظلٌّ به على نهر
ترى به والنشاطُ يحفزه * ما شئت من فخمة ومن شرر
لو حمّل الليلُ حسنَ دهمته(١) * أمتع طرف المحبّ بالسهر
أحمى من النجم يوم معركة * ظهرًا وأجرى به من القدر
اسودّ، وابيضّ فعله كرمًا * فالتفت الحسنُ فيه عن حور
فازدد سنا بهجة بدهمته * فالليلُ أذكى لغرة القمر
ومثل شكرى على تقبّله * يجمع بين النسيم والزهر (٦٥)

وقال فى فرس أشقر :

ومطهّم شرق الأديم كأنما * ألفت معاطفه النجيع(٢) خضابا
طربٌ إذا غنّى الحسامُ، ممزّق * ثوب العجاجة جيئة وذهابا
قدحت يد الهيجاء منه بارقًا * متلهبًا يزجى القتام سحابا
[ورمى الحفاظ به شياطين العدا * فانقضّ فى ليل الغبار شهابا(٣)]
بسّام ثغر الحلْى تحسب أنه * كأسٌ أثار بها المزاجُ حبابا

وقال(٤) فى أدهم أغرّ محجّل :

وكأنما لطم الصباحُ جبينه * فاقتصّ منه فخاض فى أحشائه

---

(١) كذا فى ديوانه (ص ٦٧ طبع مصر سنة ١٢٨٦ هـ) . وفى الأصلين : « لو وهب الليل جود همته » . (٢) النجيع : الدم، وقيل : هو دم الجوف خاصة، وفيه أقوال غير ذلك .
(٣) زيادة عن ديوانه . (٤) السياق يدل على أن هذا البيت لابن حماجة . والصواب أنه لابن نباتة السعدى كما سيذكره له المؤلف بعد أسطر ضمن أبيات . وقد وردت هذه الأبيات فى ديوانه (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٢ أدب ش) كما وردت له فى كتاب عنوان المرقصات والمطربات (ص ٥٠ طبع مصر) وابن خلكان واليتيمة، يمدح بها سيف الدولة وقد حمله على فرس أدهم أغرّ محجل .

وقال ابن نُبَاتة السَّعْدىّ (١) فى أدهم :

وأدهمَ يستمِدّ الليلُ منه * وتطلُع بين عينيه الثرّيا
سَرى خلفَ الصباح يطير مشيا * ويَطْوِى خَلْفَه الأفلاكَ طَيّا
فلمّا خاف وَشْكَ الفَوْتِ منه (٢) * تَعَلَّق بالقوائم والمُحَيَّا

وقال فى فرس أدهم أغرّ محجّل أُهدِى له :

قد جاءنا الطِّرْفُ الذى أَهديتَه * هادِيهِ يَعقِد أرضَه بسمائه (٣)
أوِلايةً ولّيتنا فبعثتَه * رُمْحًا سَبِيبُ العُرْفِ عقدُ لوائه
نختال منه على أغرَّ محجَّل * ماء الدَّيَاجى قطرةٌ من مائه
وكأنما لَطَم الصباحُ جبينَه * فاقتصّ منه نخاض فى أحشائه
مُتَمَهِّلًا والبرقُ من أسمائه * مُتَبرقِعًا والحسنُ من أكفائه
ما كانت النيران يكمُن حرُّها * لو أن للنيران بعضَ ذكائه
لا تَعْلَق الألحاظُ فى أعطافه * إلا إذا كفكفتَ من غُلَوائه

(١) قال ابن خلكان فى ترجمته (ج ١ ص ٤١٨ — ٤١٩) مانصه : « أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نباتة السعدى . كان شاعرا مجيدا جمع بين حسن السبك وجودة المعنى، طاف البلاد ومدح الملوك والوزراء والرؤساء، وله فى سيف الدولة بن حمدان غرر القصائد ونخب المدائح ... ومعظم شعره جيد وله ديوان كبير، وكان قد وصل الى الرىّ وامتدح أبا الفضل محمد بن العميد ... ولد سنة ٣٢٧ هـ وتوفى فى ثالث شوال سنة ٤٠٥ ببغداد ودفن فى مقبرة الخيزران من الجانب الشرقى » . وراجع ترجمته أيضا فى يتيمة الدهر (ج ٢ ص ١٤٣ — ١٥٧)

(٢) كذا فى الديوان . وفى الأصلين : « منها » .

(٣) ورد هذا البيت فى عنوان المرقصات والمطربات هكذا :

قد جاءنا المهر الذى أهديته * جذلان يخلط أرضه بسمائه

وقال محمد بن الحسين الفارسىّ النحوىّ (١) أحد شعراء اليتيمة فى فرس أدهمَ أغرّ :

ومطهّم ما كنت أحسَب قبله * أنّ السروجَ على (٢) البوارق تُوضَعُ
وكأنما الجوزاءُ حين تَصَوّبتْ * لَبَبٌ عليه والثريّا بُرْقُعُ

طرائف فى ذم الخيل

بالهُزال والعجز عن الحركة

كتب بعضهم إلى صديق له :

ما فعلتْ حجْرُك (٣) تلك التى * أفضلُ من فارسها الرّاجلُ
عَهْدِى بها تبكى وتشكو الضنَى * لما آحتشاه البدنُ الناحلُ
وهى تغنّينى غِنا صَبّةٍ * غايتُها وِجْدانُ ما تأكُلُ:
يارَبِّ لا أقوَى على كلّ ذا * موتٌ وإلّا فَرَجٌ عاجِلُ

وقال آخر :

يا نصرِ حجْرُك أبلَى الجوعُ جِدّتَها * وأصبحتْ شبحًا تشكو تجافِيكا

(١) هو أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسى النحوى أحد أفراد الدهر، وأعيان العلم، وأعلام الفضل، وهو الامام اليوم فى النحو بعد خاله أبى على الحسن بن أحمد الفارسى، ومنه أخذ، وعليه درس، حتى استغرق علمه، واستحق مكانه ... » وكان خاله أوفده على الصاحب بن عباد الى جهة الرى فارتضاه وأكرم مثواه وقد نزل نيسابور دفعات وأملى بها من الأدب والنحو ما سارت بذكره الركبان وآل أمره الى أن وزر للأمير شاد عرسى ستان ثم اختص بالأمير اسماعيل بن سبكتكين بغزنة ووزر له ثم توجه الى عدة جهات واستوطن جرجان الى أن مات وقرأ عليه أهلها، منهم الامام عبد القاهر الجرجانى وليس له أستاذ سواه . وللصاحب بن عباد مكاتبات اليه مدوّنة . مات سنة ٤٢١ هـ . (راجع يتيمة الدهر ج ٤ ص ٢٧٠ ومعجم الأدباء لياقوت ج ٧ ص ٣ و بغية الوعاة للسيوطى) . وفى الأصلين : «الحسن» وهو تحريف .

(٢) كذا فى اليتيمة . وفى الأصلين : «عن» وهو تحريف .

(٣) الحجر (بالكسر) : الأنثى من الخيل .

إذا رأتْ تِبنــةً قالت مُجـاهرةً * يا تِبنُ لى حسرةٌ ما تنقضى فيكا
ترجـوه طَوْرًا وتبكى منـه آيســـة * حـــتى إذا عرَضتْ باتت تغنّيكا:
(٦٦) هذِى ــ فديتُك ــ حالِى قد علمتَ بها * فلِمْ يكون الجفا أَفْـديك أَفْـديكا

وقال آخر :

أعطيتَنى شَـهْباءَ مَهْـلُوبةً(١) * تُـذْكِرُ نُمْـروذَ(٢) بنَ كَنْعانِ
سـفينةُ الحَشْرِ إلى عَدْوِها * أَسْـبقُ من أَشْـقَرِ(٣) مَرْوانِ
كأنى منهـا على زَوْرَقٍ * بـلا مَجَاديفَ وسُكّانِ(٤)
فٱنظر إلى مجْرِى ترى شهرةً * أخبـارُها جامعُ(٥) سُـفْيانِ

وقال آخر :

حملتَنى فوق مُقْرِفٍ زَمِنٍ * ليس لذى رِحلة بنَفّاعِ
جِلْدٌ على أعظُـمٍ محلّلةٍ * فليس يمشى إلّا بدَفّاعِ
كأنى إذ علوتُ صَهْوتَه * ركبتُ منه سريرَ فُقّاعِ(٦)

(١) يقال : فرس مهلوب : مستأصل شعر الذنب ، قد هلب ذنبه ، أى استؤصل جزا .

(٢) اسم ملك من الجبابرة معروف .

(٣) أشقر مروان فرس مشهور كان لمروان بن محمد آخر ملوك بنى مروان ، وكان يعدل شبديز أبرويز فى الحسن والكرم واستيفاء أقسام الجودة والعتق ثم فى اشتهار الذكر حتى صار مثلا لكل طرف عتيق وفرس كريم . ويريد به هنا السخرية (راجع ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليـه للحبى المحفوظ منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٨ أدب م) .

(٤) السكان : ذنب السفينة الذى به تعدّل .

(٥) هو جامع سـفيان الثورى وهو كتاب فى الفقه كبير يضرب به المثل للشىء الجامع كل شىء ، وكان أبو بكر الخوارزمى إذا رأى جامعا أو كتابا قال : ما هو إلا سفينة نوح ، وجامع سفيان ، ومخلط خراسان . (راجع ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه) .

(٦) الفقاع : نبات يابس .

وكتب زُهَير بن محمد الكاتب (١) :

وفـرسٍ على المَسَا * وِى كلّها مُحْتَـوِيَهْ
راكبُهـا فى خَجْـلة * كأنه فى مُخْـزِيَهْ
مُسْـتقبِحًا ركوبَها * مثلَ ركوبِ المَعْصِيَهْ
فـا مَسَاوِيها لِمَنْ * عدّدها مسـتوِيَهْ
يا قُبْحَها مُقْبِـلةً * وقبحَهـا مولّيَـهْ

وقال برهان الدين ابن الفقيه نصر :

لصاحبِ الديوانِ بِرْذَوْنَـةٌ (٢) * بعيـدةُ العهـدِ من القُرْطِ (٣)
إذا رأت خيلًا على مَرْبِطٍ * تقول سُـبْحانَك يا مُعْطِى
تمشِى إلى خَلْفٍ إذا ما مشتْ * كأنهـا تكتب بالقِبْـطِى

هذا ما اتّفق إيرادُه مما قيل فى أوصاف الخيل من النظم . فلنذكُرْ ما وُصِفتْ به فى الرسائل المنثورة، والفِقَر المسجوعة، والألفاظ المزدوجة؛ مع ما يتصل بذلك من الأبيات فى ضمنها .

(١) قال ابن خلكان فى ترجمته (ج ١ ص ٢٧٢ — ٢٧٥) ما نصه : «أبو الفضل زهير بن محمد ابن على الملقب بهاء الدين الكاتب، من فضلاء عصره وأحسنهم نظما ونثرا وخطا، ومن أكبرهم مروءة . كان قد اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح نجم الدين أبى الفتح أيوب بن الملك الكامل بالديار المصرية، وتوجه فى خدمته الى البلاد الشرقية ... أنشدنى شيئا كثيرا من شعره، وشعره كله لطيف، وهو كما يقال السهل الممتنع . وأجازنى رواية ديوانه، وهو كثير الوجود بأيدى الناس ... توفى رابع ذى القعدة سنة ٦٥٦ هـ ودفن بالقرافة الصغرى بتربته بالقرب من قبة الإمام الشافعى رضى الله عنه فى جهتها القبلية » .

(٢) فى الأصلين : « يوذونه» وهو تحريف .

(٣) القرط : نبات تألفه الدواب وهو شبيه بالرطبة إلا أنه أجل منها وأعظم ورقا .

فمن ذلك ما حُكى أن المهـدىّ سأل مَطَر بن دَرّاج عن أىّ الخيـل أفضلُ ؛ فقال : الذى إذا استقبلتَه قلتَ نافِر ، و إذا آستدبرتَه قلتَ زاخِر،(١) و إذا آستعرضتَه قلتَ زافِر.(٢) قال : فأىّ هذه أفضل؟ قال : الذى طَرْفه إمامُه، وسَـوْطُه عِنانُه .

ومن هذا أخذ المتنبي وعلىّ بن جبَلة والعسكرىّ . فقال المتنبى :

* إن أَدْبرتْ(٣) قلتَ لا تَلِيلَ لهـا *

وقد تقدّم .

وقال علىّ بن جَبَلة :

تحسَـــبُه أُقْعِـد فى آســتقبالِه * حتى إذا آستدبرتَه قلتَ أَ كَبّ

وقال أبو هلال العسكرىّ :

طِرْفٌ إذا آســتقبلتَه قلتَ حَبَا * حتى إذا آســتدبرتَه قلتَ كَبَا

ووصف أعرابىّ فرسا أُجْرِىَ فى حَلْبة فقال لمـا أُرْسِلت الخيــلُ : جاءوا بشيطان، فى أَشْطان،(٤) فأرسلوه فلمَــع لَمْعَ البرق، وآستهلّ آستهلالَ الوَدْق؛(٥) فكان أقربُ الخيلِ إليه، تقع عينُه من بُعْدٍ عليه .

---

(١) كذا فى العقـد الفريد (ج ١ ص ٥٨) . وفى ا : «ناجز» وفى ب : «ناجر» وكلاهما تحريف .

(٢) كذا فى ديوان المعانى . وفى الأصلين : «زاخر» بالخاء المعجمة .

(٣) كذا فى ديوانه شرح العكبرى وفيما تقدّم من هذا الكتاب . وفى الأصلين هنا : «أقبلت» وهو خطأ .

(٤) أشطان : جمع شعن، وهو الحبل الطويل الشديد الفتل يستقى به وتشدّ به الخيل .

(٥) الودق : المطر كله، شديده وهينه .

(٦٧) ووصف محمد بن الحسين بن الحَرُون فرسا فقال : هو حَسَن القميص ، جيِّدُ الفُصوص(١)، وَثِيقُ القَصَب ، نقىّ العَصَب ؛ يبصر بأذنيه ، ويتبوّع(٢) بيديه ، ويداخل رجليه .

ووصف أخرُ فرسا فقال : الريح أَسيرةُ يديه ، والظَّليم(٣) فَريسة رجليه ؛ إن حَرَّ(٤) ٱستعرَ فى ٱلتهابه ، وإن جَدّ مَرَق من إهَابه .

وكتب عبد الله بن طاهر إلى المأمون مع فرس أهداه اليه : قد بعثت إلى أمير المؤمنين فرسًا يَلْحَق الأرنبَ فى الصَّعْداء(٥) ، ويُجَاوِز الظباءَ فى الاستواء ، ويَسْبِق فى الحدُور جَرْىَ الماء ؛ إن عُطِف حار ، وإن أُرْسِل طار ، وإن حُبِس صَفَن(٦) ، وإن ٱستُوقِف فَطِن ؛ فهو كما قال تأبَّط شَرًّا :

ويَسْبِق وَفْدَ الريح من حيث يَنْتَحِى * بمُنْخَرِقٍ من شَدِّه المتتابِعِ

ووصف آخر فرسا فقال : كأنه إذا علا دعاء ، وإذا هبَط قضاء . كأنه محلولٌ من قول الشاعر فى صفة فرس :

مِثْلُ دعاء مُستجابٍ إن علا * أو كقضاءٍ نازلٍ إذا هبَطْ

ووصف أيّوب بن القِرِّيّة فرسا فقال : أَسِيل الخدّ ، حَسَن القَدّ ؛ يَسْبِق الطَّرْف ، ويَسْتغرِق الوصف .

---

(١) الفصوص من الفرس : مفاصل ركبتيه وأرساغه ، وفيها السلاميات وهى عظام الرسغين . (راجع لسان العرب مادة فصص) .

(٢) تبوّع الفرس فى جريه : أبعد الخطو بيديه . قال اللحيانى : والله لا تبلغون تبوّعه ، أى لا تلحقون شأوه فى خطاه .

(٣) الظليم : الذكر من النعام .

(٤) كذا فى ا وحرّ : اشتدّ . وفى ب : «حرك» .

(٥) يقال : أكمة ذات صعداء : يشتدّ صعودها على الراقى .

(٦) صفن الفرس : قلب أحد حوافره وقام على ثلاث قوائم .

وقال محمد بن عبد الملك لصديق له : ابْغِ لى فرسًا بِرْذَوْنًا، وَثيق اليدين، قائم الأذنين، ذَكَر العينين، يأنف من تحريك الرجلين .

ومن الكلام الجيِّد فى وصف الخيل ما أنشأه الشـيخ ضياء الدين بن القُرْطُبىّ من رسالته التى كتبها إلى الصاحب الوزير شرف الدين الفائِزِىّ ، وقد تقدّم ذكرها فى باب الكتّاب فى الرسائل، فلا فائدة فى إعادتها؛ وإنمـا أوردنا ذكر الخيل هناك لأن الرسالة تشتمل على أوصاف الخيل والعساكر والسلاح وغير ذلك، فأردنا بإيرادها بجملتها ثَمّ أن يكون الكلام فيها سياقُه يتلو بعضُه بعضا . وهذه الرسالة[1] فى السِّفْر السابع من هذه النسخة .

✤
✤ ✤

ومن إنشاء المولى الفاضـل العالم الأديب البليـغ شِهاب الدين أبى الثَّناء محمود ابن سليمان الحَلَبى الكاتب رسالةٌ[2] فى الخيل عمِلها تجربةً ورياضةً لخاطره، ولم يكتب بهـا[3]؛ سمعتُها من لفظه، ونقلنُها من خطّه؛ وهى :

أدام الله إحسان الجناب الفلانى، ولا زالت الآمال فى أمواله مُحَكَّمه، والأمانى كالمحامِدِ فى أبوابه مخيِّمه، والمعالى كالعوالى إليه دون غيره مسلَّمه، والمكارم تُغريه فى الندى حتى يبـذُل ما حُبِّب إليه من الخيـل المسوَّمه . المملوك يقبّل اليـد التى ما زالت بَسْـطتُها فى الكرم عَلِيّه ، وقَبْضتُها بتصريف أعِنَّة الزمن مَلِيّـه؛ ومواهبُها تتنوّع فى الندَى، ومذاهبُها فى الكرم تَهَب الأولياء ماتهابه العِـدا . ويُنْهِى وصولَ

(١) راجع هذه الرسالة ونسب منشئها فى الجزء الثامن من هذه الطبعة (ص ٦٣)

(٢) راجع هـذه الرسالة فى كتاب حسن التوسل الى صناعة الترسل لمنشئ هذه الرسالة (ص ٩٩ طبع المطبعة الوهبية بمصر سنة ١٨٨١ م) وصبح الأعشى للقلقشندى (ج ٨ ص ٣٨٦ طبع بولاق) .

(٣) فى العبارة نقص . والذى فى حسن التوسل « ... فمن ذلك كتاب أنشأته فى أوصاف الخيل، ولم يكتب به على وجه امتحان الخاطر وهو ... » .

ما أَنْعم به من الخيـل التى وُجِد الخيرُ فى نَوَاصِيها، وٱدُّخِرتْ صَهَواتُها حصونًا[١] يعتَصم فى الوَغَى بصَيَاصِيها :

فمن أشهبَ غَطّاه النهـار بحُلّته ، وأوطاه الليـلُ على أَهلّته؛ كأنّ أذنَه جِلْفَـة[٢] قَلَم، أو شَـقّةُ جَلَم؛ يُدْرِك بها الوَهْم، ويحقّق فى الليـل البَهِيم مواقعَ البهم؛ يتوّج أَدِيمُه رِيّا؛ ويتأرّج رَيّا ، ويقول مَن ٱستقبله فى حَلْىِ لجامه : هذا الفجر قد طلع بالثريّا ؛ إن ٱلتفّت المضَايِقُ ٱنساب ٱنْسِـيَابَ الأَيْم ، وإن ٱنفرجت المسالِكُ مَرّ مرورَ الغَيْم ؛ كم أبصر فارسُه يومًا أبيض بطلعته ، وكم عاين [طَرْفُ السِّنان][٣] مقاتِلَ العِدا فى ظلام النَّقْع بنور أشِـعّتِه ؛ لا يَسْتَنُّ داحِسٌ[٤] فى مِضْماره ، ولا تطمَع الغَـبْراءُ فى شَقّ غُباره ، ولا يظفَر لاحِقٌ من لَحاقه بِسوى آثارِه؛ تُسابِق يداه مَرامِىَ طَرْفِه، ويُدرِك شَوارِدَ البروق ثانيًا من عِطْفِه .

ومن أدهمَ حالى الشَّكِيم ، حالِكِ الأَدِيم ، له مقلةُ غانيةٍ وسالفةُ رِيم ؛ قد ألبسه الليلُ بُرْدَه ، وأطلع بين عينيه سعدَه ؛ يظنّ مَنْ نظر إلى سواد طُرّتِه ، وبياضِ تحجوله وغُرّته ؛ أنه توهّم النهارَ نهرًا فخاضه ، وألقى بين عينيه نقطةً من رَشَاش تلك المَخَاضه ؛ لينّ الأعطاف ، سريع الآنعطاف ؛ يُقْبِل كالليل ، ويكُرّ كجُلْمود صخرٍ حَطّه السَّـيْل ؛ (٦٨) يكاد يَسبِق ظِلَّه ، وإذا جارَى السهمَ إلى غَرَضٍ بلَغه قبله .

ومن أشـقرَ غَشّاه البرقُ بلَهَبِـه ، ووشّاه الأصيلُ بذَهَبِـه ؛ يتوجّس ما لديه برَقِيقتَـين ، وينفُضُ وَفْرَتيـه عن عَقِيقتين ، ويُنزل عذارَ لجامه من سالِفتَيْـه على

---

(١) كذا فى حسن التوسل وصبح الأعشى . وفى الأصلين : «حصنها حصونا» ، وهو تحريف .

(٢) الجلفة من القلم : من مبراه الى سنه .

(٣) الزيادة عن حسن التوسل وصبح الأعشى .

(٤) داحس والغبراء ولاحق : أسماء أفراس تقدّم الكلام عليها .

شَقِيقتين؛ له من الرّاحِ لونُها، ومن الرياح لِينُها؛ إن جرى فَبَرْقٌ خَفَق، و إن أسرع(١) فَهِلالٌ على شَفَق؛ لو أدرك أوائلَ حربِ ٱبنىْ وائلٍ لم يكن للنَّعامة(٢) نباهه، ولا للوَجِيهِ وجَاهــه، ولـكان(٣) تركُ إعارة سَكَابِ(٤) لؤماً وتحريمُ بيعها سَــفاهه؛ يركُض ما وجد أرضا، ولو ٱعترض [به](٥) راكبُه بحرًا وثَبه عَرْضا .

ومن كُمَيْتٍ نَهْد، كأنّ راكِبَه فى مَهْد؛ عَنْدَمِىّ الإهاب، شَمَالِىّ الذَّهاب؛ "يَزِلّ الغــلامُ الخِفُّ عن صَهَواتِه(٦)"، وكأنّ نَغَمَ الغَرِيضِ ومَعْبَدٍ فى لَهَواتِه؛ قصير المَطَا(٧)، فَسيح الخُطَا؛ إن رُكِب لصَيْدٍ قَيَّدَ الأوابِد، وأعجَلَ عن الوثوب الوَحْشَ اللّوابِد؛ و إن جُنِبَ إلى حربٍ لم يَزْوَرَّ من وَقْعِ القَنَا بلَبَانه، ولم يَشْكُ لو عُلِّمَ الكلامَ بلسانه، ولم يُرَ دون بُلوغ الغاية — وهى ظَفَرُ راكبِه — ثانياً من عِنَانه؛ و إن سار فى سَهْلٍ ٱختال براكبِه كالثَّمِل، و إن أُصْعِد فى جبل طار فى عِقَابِه كالعُقَابِ وٱنحطّ فى مجارِيه كالوَعِل؛ متى ما تَرَقَّ العينُ فيــه تَسهّل، ومتى أراد البرقُ مجـاراتَه قال له الوقوفُ عند قَدْرِه : ما أنت هناك فتَمَهّل .

(١) كذا فى حسن التوسل وصبح الأعشى . وفى الأصلين : «أسرح» بالحاء المهملة .

(٢) النعامة : فرس الحارث بن عباد . والوجيه : من خيل غنى بن أعصر .

(٣) فى الأصلين : « ولكن ترك إعارة ... »، وهو تحريف .

(٤) سكاب (كقطام) : فرس عبيدة بن ربيعة . وهو يشير الى قوله فيها :

أبيت اللعن إن سكاب ليست * بعــلق يسـتعار ولا يبـاع
سليلة سابقــين تناجلاها * يصـمهما اذا سـبا كراع
ولا تطمع أبيت اللعن فيها * ومنعكها بوجه يسـتطاع

(٥) الزيادة عن حسن التوسل وصبح الأعشى .

(٦) هذا شطر بيت من معلقة امرئ القيس، وهو :

يزل الغلام الخف عن صهواته * و يلوى بأثواب العنيف المثقل

(٧) المطا : الظهر .

ومن حبشيّ أصفر يروقُ العَيْن ، ويَشُوق القلبَ بمشابهته العَيْن[1]؛ كأنّ الشمس ألقتْ عليه من أشعّتها جلالا ، وكأنه نفَر من الدُّجَى فآعتنق منه عُرْفًا وآعتاق أحْجالا ؛ ذى كَفَلٍ يزين سَرْجَه ، وذَيلٍ يَسُدّ إذا آستدبرتَه منه فَرْجَه ؛ قد أطلعتْه الرياضةُ على مُراد فارِسه ، وأغناه نُضارُ لونه ونَضارتُه عن ترصيعِ قلائِده وتوشيعِ ملابِسه ؛ له من البَرْقِ خِفّةُ وطْئِه وخَطْفُه ؛ ومن النسيم لِينُ طُرُوقه[2] ولُطْفُه ، ومن الريح هَزيزُها إذا ما جرى شأوَين وآبتلّ عِطفُه ؛ يطير بالغَمْز ، ويُدْرِك بالرِّياضة مواقِعَ الرَّمْز ، ويغدو كألِف الوصل فى آستغنائه مِثلَها عن الهمْز .

ومن أخضَر له من الروض تَفْوِيفُه ، ومن الوَشْى تقسيمُه وتأليفُه ؛ قد كساه الليلُ والنهارُ حُلّتَىْ وَقارٍ وسَنَا ، وآجتمع فيه من البياض والسواد ضِدّان لمّا آستَجْمعا حَسُنَا ؛ ومنَحه البازِى حُلّةَ وَشْيِه ، وأعْطته نُفُوحُ[3] الرياحِ ونَسَماتُها قوّةَ رَكْضِه وخِفّةَ مَشْيِه ؛ يُعطِيك أفانِينَ الجرىِ قبل سُؤاله ، ولمّا لم يُسابِقه شيء من الخيل أغراه حبُّ الظَّفَر بمسابقة خَيالِه ؛ كأنه تعارِيقُ شيب فى سَوادِ عِذار ، أو طلائعُ فجرٍ خالط بياضُه الدُّجَى ، فما سَجَى ، ومازج ظلامُه النهار ، فما أنار ؛ يختال لمشاركة آسم الجرى بينه وبين الماء فى شدّة السَّيْر كالسيل ، ويَدُلّ بسَبْقه على المعنى المشترك بين البروق اللّوامِع وبين البَرْقِيّة من الخيل ، ويُكَذِّب المانَوِيّة[4] لتولُّد اليُمْن فيه بين إضاءةِ النهارِ وظُلْمة الليل .

ومن أبلَق ظَهْرُه حَرَم ، وجَرْيُه ضَرَم ؛ إن قَصَد غايةً فوجودُ الفضاء بينه وبينها عَدَم ، وإن صُرِّف فى حربٍ فعمَلُه ما يشاء البَنانُ والعِنانُ وفعلُه ما تريد الكَفُّ

(١) العين هنا : الذهب المضروب .
(٢) فى حسن التوسل وصبح الأعشى : «مروره» .
(٣) فى حسن التوسل وصبح الأعشى : «ونحلته الرياح ...» .
(٤) المانوية : قوم ينسبون الى مانى ، وهو رجل يقول : الخير من النهار والشرّ من الليل .

والقَدَم؛ قد طابَقَ الحسنُ البديعُ بين ضِدّىْ لونه، ودلّت على ٱجتماع النّقيضَيْن عِلّةُ كَوْنِه؛ وأشــبَهَ زَمَنَ الرَّبِيعِ باعتدال الليلِ فيه والنهار، وأخذ وَصْفَ حُلَتَى الدُّجَى فى حالَتَيِ الإبدارِ والسِّرار[1]؛ لا تَكِلُّ مَنَاكِبُه، ولا يَضِلّ فى مَجَرات[2] الجيوش راكِبُه، ولا يحتاج ليلُه المشرِقُ بمجاورة نهارِه إلى أن تُسترشَدَ فيه كواكِبُه؛ ولا يُجارِيه الخيال فضــلًا عن الخيــل، ولا يَمَلّ السُّرَى إلّا إذا ملّ مُشبِهاه: النهارُ والليل، ولا تَتَمَسّك البروق اللوامع من لَحَــاقِه بسوى الأثرِ فإنْ جهــدتْ فبالذّيْل؛ فهو الأَبْلَق الفَرْد، والجواد الذى لمُجَـاريه العكسُ وله الطَّرْد؛ قد أغنته شُهْرةُ نَوْعِهِ فى جِنْسه عن الأوصاف، وعدَلَ بالرياح عن مباراته سلوكُها[3] له فى الٱعتراف جادّةَ الإنصاف.

فَتَرَقَّ الملوكُ إلى رُتَب العِزّ من ظهورها، وأعدّها لخِطْبة الجنان إذ الجهادُ[4] على مثلها من أنفس مُهُورِها؛ وكلِّف بركوبها فكلّما أكمله عاد، وكلّما أمّله شَرِهَ إليــه فلو أنه زَيْدُ[5] الخيلِ لمَـا زاد؛ ورأى من آدابها مادل على أنها من أكرم الأصائل، وعَلِم أنها ليومَىْ سِلْمه وحَرْبِه حَنِيّة[6] الصائدِ وجُنّةُ الصائل؛ وقابِلَ إحسانَ مُهْــدِيها بثنائه ودُعائِه، وأعدّها [فى الجهاد][7] لمقارعة أعداء الله تعالى عليها وأعدائه؛ والله تعالى

(١) الابدار: امتلاء القمر وكماله، و يكون ذلك ليلة يكون القمر بدرا. والسرار: الليلة التى يستسر فيها القمر، أى يغيب، وهى آخر ليلة فى الشهر. (٢) المجرة (بالفتح): الناحية.

(٣) كذا فى حسن التوسل وصبح الأعشى. وفى الأصلين: «سلوكه فى الاعتراف له».

(٤) فى حسن التوسل وصبح الأعشى: «إذ الجهاد عليها».

(٥) هو زيد بن مهلهل بن يزيد، كان فارسا مغوارا مظفرا شجاعا بعيد الصوت فى الجاهليــة وأدرك الاسلام، ووفد الى النبى صلى الله عليه وسلم فلقيه ومرّ به وقرظه وسماه زيد الخير، وهو شاعر مقلّ مخضرم معدود فى الشعراء الفرسان. وسمى زيد الخيل لكثرة خيله (راجع ترجمته فى الأغانى ح ١٦ ص ٤٧ — ٦٢ طبع بولاق).

(٦) الحنية: القوس. وفى الأصلين: «حنة» بالحاء المهملة، ولعلها محرفة عما أثبتناه.

(٧) الزيادة عن حسن التوسل وصبح الأعشى.

يشكر بِرّه الذى أفرده فى الندى بمَذَاهِبِه، وجعل الصّافِناتِ الجِيادَ من بعض مواهبِه. والله أعلم بالصواب .

* * *

ومن إنشاء المولى الفاضـل تاج الدين عبد البـاقى (١) بن عبد المجيد اليمانى رسالةٌ (٦٩) فى مثل ذلك أنشأها فى سـنة ستٍّ أو خمسٍ وسبعمائة . وسمعتُها من لفظه، ونقلتها من إملائه؛ وهى :

يقبِّل اليد العاليـةَ الفلانيّة، لا زالت تُرْسِل إلى الأولياء سحائبَ كرمها، وتقلِّد الأَوِدّاءَ قلائدَ نِعَمِها، ولا بَرِح المُرْهَفانِ طِرازَىْ حاشيتِها وخَدَمِها، حتى ينُوب القلمُ عن صَـلِيل مُرْهَفِها والصَّمْصَامُ عن صَرِير قلمِها، لتتساوى فى الإنفاذ مواقِعُ كَلْمِها ومَرَاسِمُ كَلِمِها؛ ولا فتِئَ ظاهِرُها قِبْـلةَ القُبَل وغايةَ الآمال، و باطنُهَا مَوْرِد الكرمِ ومصدرَ الأموال .

و يُنْهِى أنه لمـا كانت العزائم الفلانيّة طامحةً إلى أَسْنَى المَعَالى، مُطْلِعةً من مناقبها أهلّةً تُخْجِل بدورَ الليالى؛ متيِّمةً بآكتساب المَفاخر، عميدةً بتشـييد المآثر؛ مائلةً الى ما يزيِّن المَقَانِب (٢)، ويطرِّز الكتائب؛ مُصْغِيةً إلى ما يرد جنابها من جنايتها لاغير (٣)،

---

(١) هو الأديب البارع تاج الدين أبو المحاسن عبد الباقى بن عبد المجيد بن عبد الله . ولد بمكة المشرفة فى رجب سنة ٦٨٠ هـ . وكان إماما فاضلا أديبا بليغا . قدم القاهرة ثم رحل إلى دمشق وأقام بها مدة سبع سـنين يقرئ الطلبة المقامات الحريرية والعروض وغير ذلك من علوم الأدب ، ثم سافر إلى اليمن وأقام بها مدة ، وولى الوزارة ثم عزل وصودر، ثم عاد إلى القاهرة وولى التدريس بالمشهد النفيسى وشهادة البيمارستان المنصورى ، ثم توجه إلى طرابلس ودمشق فلم تطل مدته وعاد إلى القاهرة ومات بها سنة ٧٤٣ ؛ وله عدة تآليف منها : مطرب السمع فى شرح حديث أم زرع ، ولقطة العجلان المختصر فى وفيات الأعيان . وعمل تاريخا للنحاة واختصر الصحاح . وسمع منـه البرازلى والدهبى — وذكراه فى معجميهما — وابن رافع وخلائق وكتب عنه الشيخ أبو حيان وأثنى عليه كثيرا (راجع شذرات الدهب والمنهل الصافى) .

(٢) المقانب : جمع مقنب ، وهو من الخيل مابين الثلاثين الى الأربعين ، وقيل : زهاء الثلاثمائة .

(٣) كذا بالأصلين .

وكيف لا تكون كذلك وحبُّ الخيـلِ من الخير ، ناظرةً إلى ما يصل من كرائمها ، مهتديةً بنجوم غُرَرها مشـغوفةً بتحجيل قوائمها ، عاشقةً لآتساع صدورها ، ورِقَّة نحورها .

خدَم المملوكُ الرِّكابَ العـالى بإنفاذ خيلٍ آتّحدتْ فى الصـفات ، وتباينت فى الشِّيات ، وصَدَرتْ كروضةٍ تفتَّحتْ أزهارُها ، وزها نُوَّارُها ، وأشرقتْ أنوارُها ، بل كعرائسَ تَخْتالُ فى بُرُودِها ، أو كجواهرَ تنافستْ فى عقودِها ، ملكتْها يمينُ المملوك فكانت كعدد أصابعها ، وأحرزتْها هِمّتُه فنزعتْ فى الحزم إلى مَنَازِعها ، لها من الظباء أعناقُها ، ومن النعام أسـواقُها (١) ، ومن البأس قوةُ جَنَانها ، ومن الظفر مَثْنَى عِنَانها ، ومن الإقبال غُرَر نَوَاصِيها ، ومن إدراك الغرض جُلُّ أمانيها ، ذَوَاتُ ضَـبْحٍ (٢) ، ومُورِياتُ قَدْحٍ (٣) ، تَكْبُو الريحُ فى غاياتها ، ويُقِرّ البرقُ بمُعْجِزاتها ، مداخَلةُ الخَلْق رَحْبة اللَّبَان (٤) ، مستغنيةٌ عن الهَمْز بتحريك العِنان ، تَقارَب ما بين قَطَاها (٥) ومَطَاها (٦) ، وتَباعَد ما بين قَذَالها (٧) وصَلاها (٨) ، سما عنقُها وأطرق جبينها (٩) ، وتنزّهتْ عن المعايب فلا صَكَكٌ (١٠) يَشِينُها ، يا حَبَّذا أَشْهَبُها وقد تجلَّتْ بالشُّهُب ذاتُه ، وآدّرعتْ أَشْهَبَ الصبحِ شِيَاتُه ، زَبَرْجدِىّ الحـافر لؤلؤىّ الأَدِيم ، له أَيْطَلا ظبى وساقا ظَلِيم (١١) ، كغمامةٍ بارِقُها قَـدْحُ سَنَابِكِه ، أو كسَيْلٍ طَمَّ مُفْعِمُه واسِعَ مسالِكِه ، استغنَى بجَوْهرِ شِيَاتِه عن كل مُذْهَب ،

(١) لم ينص فى كتب اللغة على هذا الجمع . والذى فيها سوق وسيقان وأسوق .

(٢) الضبح : صوت أنفاس الخيل عند عدوها . (٣) الايراء : إخراج النار . والقدح : الضرب ، أى التى تورى النار من صدم حوافرها للحجارة . (٤) اللبان : الصدر .

(٥) القطا : العجز ، وقيل : هو ما بين الوركين ، وقيل : هو مقعد الردف .

(٦) المطا : الظهر . (٧) القذال : جماع مؤخر الرأس . (٨) الصلا : وسط الظهر .

(٩) فى الأصلين : «أطرب حنينها» . (١٠) الصكك : اضطراب الركبتين والعرقوبين .

(١١) الظليم : ذكر النعام .

فما لمُذْهَب فى الانتساب عنه مَذْهب؛ إن امتطَى الفارسُ قَطَاتَه طار بِنَسْر حافِره، وإن أشار إلى غَرَضٍ أدركه بمجرّد الوَهْم لا بِالنظر إلى ناظره؛ أميالُ البَيْداء كمِيلٍ بين عينيه، وترادُفُ رمالِها كدُرُورٍ بين جفنيه؛ استولَى على السَّبَق(١) وأَحْرز خَصْلَه، وكيف لا وقد حاز اثنتَىْ عشرةَ خَصْلة .

يتلوها أشقرُها وقد نُجِّد(٢) عَقِيقا، أو آلتحَف شَقِيقا(٣)؛ أو كوَجْنة قد آحمرّتْ من الخجل، أو كوردة ناظرتْ بخَفَرِها نَرْجِسَ المُقَل؛ تناسبتْ أجزاؤه فى المَلَاحه، وتساوت مراتبُه فى الصَّبَاحه؛ وجاهةُ الوجه ناطقة من المُحَيَّا، ومسيلُ غُرّته كتصويب الثريّا؛ مُحجَّل بالجَوْزاء وأُسْرِج بالهِلال، وأُلْجِم بالمَجَرّة فما لابن ذُكاء(٤) فى الإشراق عليه مَجَال؛ إن أُطْلِق والريحَ فى سَنَن مَيْدان، رأيتَ الريحَ ككُمَيْتٍ خلّفته الجيادُ يومَ الرِّهان؛ تَنْهَب الفَلاةَ حوافرُه، وتحرز قَصَبَ السبقِ بوادرُه. يتْبعه كُمَيت كقطعة جمر، أو ككأس خمر؛ اسودّ ذَنَبُه وعُرْفُه، وآختال كالنَّشْوان فكأنما أسكره وصفُه؛ حكتْ أُذُناه قادِمَتَىْ حَمَامه، أو المحرَّف من أقلام قُدَامه؛ قصرتْ عن سعيه الخيول فسابَق الظِّلال، ونشأ مع النَّعَام فلا يألف غيرَ الرِّئال؛ كأنّ الصَّبا ألقتْ إليه عِنانَها قَسْرا، فتخُبّ بسَرْجه مرّةً وتُنافِل أُخرى. مقرونًا بأصفر كالدِّينار، قد أُفرغتْ عليه حُلّةُ نُورٍ لانار؛ طال منه الذيلُ واتّسع اللَّبَان، فكأنما هو نارٌ على يَفَاعٍ شُبّت للضِّيفان؛ جلّلته الشمس بأنوارها، وأهدتْ إليه الرِّياض آصفرارَ أزهارها؛ تُشهدك عند رؤيته يومَ العَرْض، فروجُ قوائمه سماءً على أرض؛ إن هَمْلَج لا ذتِ الريحُ بالشّجر، وإن عدا قَصُر عن إدراكه رؤيةُ

(١) السبق (محرّكة) : الخطر يوضع بين أهل السباق وهو ما يتراهنون عليه . وأحرز خصله : غلب على الرهان . (٢) نجد : زين . (٣) الشقيق : نور أحمر . (٤) ابن ذكاء : الصبح .

(٧٠) البصر، نَجاشيّ النِّجار(١)، وحَليف الوِجار(٢)، كأنما خُلق من الحَزْم شطرُه، ومن العِزّ ظهرُه، ومن الإقبال غُرّتُه، ومن كنوزِ المَفاخرِ سُرّتُه، يُقرّ أعوجُ(٣) بنى هِلالٍ بفضله، ويقفو حَرُونُ(٤) مُسْلِمٍ أثرَ ظِلّه. مختـومًا بأدهم كصَخْرةِ سَـيْل، أو كقِطْعةِ ليـل، خاض فى أحشاء الصَّباح فلطَم جَبِينَه، وسابَقَ الفلكَ فقيّد بالجَوْزاء رِجلَيْه ويسارَه وأطلَق يمينَـه، عَرِيضُ الكَفَل والمَنْخَرَيْن، دقيقُ القَـوائم والساقَيْن، كأنمـا أُشرِب لونُه سوادَ القلب والبصر، وكأنما النصرُ قيسٌ(٥) وهو ليلى يَحضُره حيث حضَر، لو كُتِب آسمُه على رايةٍ لم تَزَلْ تَقْدُم فتوحا، أو لمَعَتْ بوارقُ سَنابِكه رأيتَ زَنْجيًّا جَرِيحا، طابقتْ أخبارُه لمَخْبَرَه، وسبقتْ رِجلاه فى العَـدْوِ مَوَاقِـعَ نَظَره، لا يَعْلَق غُرَابٌ(٦) بغباره، ولا تَستنّ(٧) النَّعامة فى مضماره.

ولنختم هذا الباب بذكر فائدة، وهى دواء للخُلْد(٨): يؤخذ خمسون طائرًا من الذَّراريح تُسحَق بحجر ولا تُمَسّ باليد، وتجعل فى قِدْر صغيرة جديدة، ويُصَبّ عليها من المـاء والزيت مايغمُره، ويُغْلَى عليه حتّى ينعقد، ويُضاف إليه يسيرٌ من القَطِران الأسود، ويوضع على النار، فإذا فتَر فتُلَفّ مُشَاقةٌ على عُود ويُدْهَن به أثر الخُلْد قبل قطعه بالنار، ثم يدهن بعد ثلاثة أيام بالشَّيْرَج والصَّيْلَقون وماء الورد، فإنه مجرّب.

---

(١) النجار: اللون، ويطلق أيضا على الأصل والحسب.

(٢) كذا بالأصلين، والوجار: الجحر للضبع والأسد ونحوهما من الوحوش.

(٣) فرس انجبت منه خيول العرب، وعامة جيادها تنسب اليه. وقد تقدّم ذكره.

(٤) كذا فى أنسـاب الخيل لابن الكلبي والمخصص واللسان وتاج العروس، وهو فرس مسلم بن عمرو الباهلى (والد قتيبة بن مسلم) وقد سبق ذكره. وفى الأصلين: «آخرون»، وهو تحريف.

(٥) يريد قيس بن الملوح وهو مجنون بنى عامر صاحب ليلى. (٦) غراب: اسم فرس لغنىّ.

(٧) يقال: استن الفرس فى المضمار: اذا جرى فى نشاط.

(٨) الخلد: داء من أخطر الأدواء، وهو فى الفرس بمنزلة الجذام فى الإنسان.

الباب الثانى من القسم الثالث من الفن الثالث
فى البغـال والحمـــير

ذكـر ما قيـل فى البغـال

قال أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان: إنّ البغل لا يعيش له ولد، وليس بعَقِيم؛ ولا يبقى للبغلة ولد، وليست بعاقِر. وهو أطول عمرا من أبويه وأصبر. ويقال: إنّ أوّل من نَتَج (١) البغالَ "قارون"، وقيل: "أفرِيدُون" (٢) أحد ملوك الفرس الأُوَل. والبغل يوصف برداءة الأخلاق والتلوّن. ومن أخلاق البغال الإلْف لكل دابّة. ويقال: إنّ أبوال الإناث تنقيــة لأجسادها. والإناثُ أجملُ من الذكور. قال بعض الشعراء (٣):

عليكَ بالبغلةِ دون البَغْلِ * فإنهـا جامعةٌ للشَّـــمْلِ
مَرْكب قاضٍ وإمامٍ عدلِ * وعالِمٍ وســـيِّدٍ وكَهْـلِ
تصلُح للرَّحْل وغيرِ الرحل

والبغال من مراكب الرؤساء، والسادة النجباء، والقضاة والعلماء. وهم يُرَجِّحون إناثَها على ذكورها؛ حتى إن المغاربة لا يركبون البغال الذكورَ ألبتة وإنما

(١) فى الأصل: «اسحب» ولعلها محرفة عما أثبتناه. (راجع حياة الحيوان للدميرى ج ١ ص ١٧٣ طبع بولاق).

(٢) أفريدون هو سادس ملوك الطبقة الأولى من الفرس وهى الفيشدادية. وفى نسبه اختلاف. وهو الذى قتل الضحاك الظالم ونمرود بن يالش وشرّد النبط. وهو أوّل من ذلل الفيلة وامتطاها، وأنتج البغال واتخذ الاوز والحمام وعمل الترياق، وردّ المظالم، وأمر الناس بعبادة الله تعالى والإنصاف والاحسان، وردّ على النـاس ما كان الضحاك قد غصبه من الأرض، وجعل دار مملكته بابل. (راجع دائرة المعارف للبستانى ج ٤ ص ٢٦).

(٣) كان الأنسب أن يقال: «بعض الرجاز».

يجعلونها برسم حمـــل الزِّبْل . أخبرنى قاضى القضاة جمال الدين أبو محمـــد بن سليمان بذلك، وقال : وإذا طلب ولىّ الأمر البغـــل لأحدٍ كان ذلك دلالةً على إشهـــاره (١) وتجريسه عليه . قال : فلا يركب البغل الذكَرَ عندنا إلا زبّالٌ أو مُجَرَّس (٢) . وأعظم ما تُفضّل به إناثُ البغال على ذكورها أنّ رســـول الله صـــلى الله عليه وســـلم ركبها وملكها؛ وما ورد أنه ملك بغلًا ولا ركِبه .

ولنذكُرْ بَغَلاتِ رسول الله صلى الله عليه وســـلم تفضيلًا لهذا الحيوان وتشريفا، وتنويهًا بذكره وتعريفا؛ والله أعلم .

ذكر بَغَلات رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغلةٌ شَهْباء يقال لها "دُلْدُل"، أهداها له المُقَوْقِس . ذكر ذلك آبن قُتَيبة وآبن سعد؛ فقال آبن سعد ما هذا نصه : "وبعث رسول الله صـــلى الله عليه وسلم حاطِبَ بن أبى بَلْتَعَةَ اللَّخْمِى (٣)، وهو أحد الستة، إلى

---

(١) فى شرح القـــاموس (مادة شهر) : « ومن المجـــاز أشهرت فلانا استخففت به وفضحته وجعلته شهرة » اهـ . (٢) التجريس بالقوم : التسميع بهم والتشهير .

(٣) هم كما أوردهم البخشى فى رشحات المداد : عمرو بن أميـــة الضمرى بعثه إلى نجاشى الحبشة، ودحيـــة بن خليفة الكلبى بعثه إلى هرقل الروم ، وعبـــد الله بن حذافة السهمى بعثـــه إلى كسرى ملك فارس، وحاطب بن أبى بلتعة اللخمى بعثه إلى مقوقس مصر، وشجاع بن وهب الأســـدى بعثه إلى الحارث ابن أبى شمر الغسانى ملك دمشق ، وسليط بن عمرو العامرى بعثه إلى هوذة بن على الحنفى باليمامة . وزاد آبن هشام فى السيرة أنه بعث عمرو بن العاص السهمى إلى جيفر وعياذ ابنى الجلندى الأزديين ملكى عمان، وبعث العلاء بن الحضرمى الى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين ، وبعث المهاجر بن أبى أمية المخزومى الى الحارث بن عبد كلال الحميرى ملك اليمن .

قال البخشى : إن النبى صلى الله عليه وسلم لمـــا رجع من الحديبية سنة ست أراد أن يكتب الى الأطراف فاتخذ خاتما من فضة نقشه « محمد رسول الله » ثلاثة أسطر وختم به الكتب ووجه بها الرسل ، فخرج منهم ستة فى يوم واحد وذلك فى المحرم سنة سبع . وقد أورد من هذه الكتب كتابه الى النجاشى وكسرى والحـــارث الغسانى وهوذة بن على . فارجع اليها فيه (ص ١٢٩ — ١٣٣) .

المُقَوْقِس صاحب الإسكندريّة عظيمِ القِبط يدعوه إلى الإسـلام، وكتب معه كِتَابًا[(١)]، فأوصل إليه كتاب رسول الله صـلى الله عليه وسـلم، فقرأه وقال له خيرا؛ وأخذ الكتابَ فجعـله فى حُقٍّ من عاج وختَم عليـه ودفَعه إلى جاريته؛ وكتب إلى النبيّ صلى الله عليـه وسلم : « قد علمتُ أن نبيًّا قد بَقِيَ، وكنت أظن أنه يخرج (٧١) بالشام ، وقد أكرمت رسولك و بعثتُ إليك بجاريتين لهما مكان فى القِبْط عظيم ، وقد أهديت إليك كُسْوة و بغلة تركبها » . ولم يَزِدْ على هذا ولم يُسْلِم . فقبِل رسول الله صلى الله عليه وسلم هدِيّتَه ، وأخذ الجاريتيْن : مارِيَةَ أمَّ إبراهيمَ ابنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأختَها سِيرِينَ. و بغلةً بيضاءَ لم يكن فى العرب يومئـذ غيرُها وهى "دُلْدُل" . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ضَنّ الخبيثُ بمُلْكه ولا بقاءَ لمُلْكِه" .

وذكر ابن سعد أيضا قال: كانت "دُلْدُل" بغلةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أوّلَ بغـلة رُئِيتْ فى الإسـلام، أهداها له المُقَوقِس وأَهْـدى معها حمارًا يقال له "عُفَير"؛ فكانت البغـلة قد بقيت حتى كان زمنُ معاوية . وفى لفظ : وكانت

(١) نص هذا الكتاب : «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فعليك إثم كل القبط (يأهـل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم ألا نعبـد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)» . قال المرحوم حفنى بك ناصف فى كتابه تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية : وقد عثر الباحثون على الكتابين المرسلين إلى المقوقس والمنذر بن ساوى وأخذوا صورتيهما بالتصوير الشـمسى وطبعوهما . أما الكتابان أنفسهما فمحفوظان فى الآستانة وفينا ، فى الأولى كتاب المقوقس وفى الثانية كتاب المنـذر . ونسخة كتاب المقوقس محفوظة بدار الآثار النبوية وكان قد عثر عليها عالم فرنسى فى دير بمصر قرب إخميم فى زمن سعيد باشا والى مصر، وسمع بحديثها السلطان عبد المجيد فاستقدم ذلك العالم وعرضها على العلماء، فقرروا أنهـا هى بعينها كتاب النبى صلى الله عليه وسلم الى المقوقس ، فاشتراها منه بمـال عظيم .

شهباءَ، وكانت بينْبعُ حتى ماتت ثَمّ . وفى لفظ : وكانت قد كَبِرتْ حتى زالت أسنانها، وكان يُحَشّ لها الشعير .

وروى ابن سعد أيضا عن محمد بن عمر الأَسْلَمىّ قال: حدّثنا أبو بكر بن عبد الله ابن أبى سَـبْرة عن زامِل بن عمرو قال : أَهْـدى فَرْوة بن عمرو إلى النبىّ صـلى الله عليه وسلم بغلة يقال لهـا " فِضّة " فوهبها لأبى بكر . وكذلك قال البَـلَاذُرِىّ . وقد يقال: إن " دُلْدُل " من هديّة فَرْوة، وإن " فِضّة " من هدية المُقَوْقِس .

وعن آبن عباس رضى الله عنهما قال : أُهْدِى للنبىّ صلى الله عليـه وسلم بغلة أهداها له كِسْرَى، فركبها بجُلّ[1] من شعر ثم أَرْدفنِى خَلْفَه . رواه الثَّعَالِبِىّ فى تفسيره فى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ . قال الشيخ شرف الدين عبد المؤمن الدِّمياطى رحمه الله : قوله «أهداها له كسرى» بعيدٌ؛ لأنه مزّق كتاب النبىّ صلى الله عليه وسلم وأمر عاملَه باليمن بقتله وبعثِ رأسه إليه؛ فأهلكه [الله] بكفره وطغيانه .

وروى مسلم بن الحجّاج رحمه الله من حديث أبى حُمَيد الساعِدىّ قال : غزونا مع رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم تَبُوكَ ؛ فذكر الحديثَ؛ وقال فيـه : وجاء رسول آبن العَلْماء صاحب أَيْلةَ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب وأهدى له بغـلة بيضاء ؛ فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهـدى له بُرْدًا . رواه البخارىّ فى كتاب الجِزْية والمُوَادعةِ بعـد الجهاد ؛ ورواه أبو نُعَيم فى المستخرج . ولفظهما : "وأَهْدَى مَلِكُ أَيْلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء فكساه بُرْدًا"؛ وقال أبو نعيم : بُرْدَةً .

(١) كذا فى كتاب فضـل الخيل للدمياطى (ص ١٢٤ طبع حلب) . والجل (بالضم والفتح عن ابن دريد) : ما تلبسه الدابة لتصان به . وفى الأصلين : « بحبل » .

وقال ابن سعد : و بعث صاحب دُومةِ[١] الجَنَدَلِ[٢] لرسول الله صلى الله عليه وسلم ببغلة وجُبّة من سُنْدُس .

وروى إبراهيم الحَرْبىّ فى كتاب الهدايا عن علىّ رضى الله عنـه قال : وأَهْدى يُحَنَّةُ[٣] بنُ رُوبَةَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلته البيضاء .

و روى يوسف بن صُهَيب عن ابن بُرَيدة[٤] عن أبيـه قال : انكشف الناسُ عن النبىّ صلى الله عليـه وسلم يومَ حُنَين و رسول الله صلى الله عليـه وسلم على بغلته الشَّهْباء التى أهداها له النَّجَاشِىّ و زيدٌ آخذٌ بِركاب بغلتـه . وذكر علىّ بن محمد بن حنين[٥] بن عبْـدُوس الكُوفِىّ فى أسمـاء خيله وسـلاحه وأَثَاثه : وكان آسم بغلتـه " دُلْدُل " أهداها إليـه المُقَوْقِس صاحب الإسكندريّة وكانت شَهْباء ؛ وهى التى قال لهـا يوم حنين : « ارْبِضِى » فربَضَتْ . ويقال : إن عليًّا رِكبها بعد النبىّ صلى الله عليـه وسلم ثم ركبها الحسن ثم ركبها الحسين ثم ركبها محمـد بن الحنفيّة

(١) هو أكيدر بن عبد الملك ، كما فى شرح المواهب .

(٢) دومة الجندل (بضم أوله وفتحه وقد أنكر ابن دريد الفتح وعدّه من أغلاط المحدّثين) : على سبع مراحل من دمشق بينها و بين مدينـة الرسول صلى الله عليه وسلم . وسميت دومة الجندل لأن حصنها مبنىّ بالجنـدل .

(٣) ضبطه الزرقانى بالعبارة فقال : بضم التحتانيـة وفتح المهملة وتشديد النون . ورو بة بضم الراء وسكون الواو بعدها موحدة . وهو ابن «العلماء» صاحب أيلة المتقدم . قال فى فتح البارى : ولعل «العلماء» اسم أمه . وهو الذى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى الى تبوك وصالحه وأعطاه الجزية وأهدى له البيضاء ، وكانت طويلة محذفة حسنة السير ، فأعجبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهدى له بردا . (راجع شرح الزرقانى على المواهب ج ٣ ص ٤٦٥ طبع بولاق) . وقد ورد فى الأصلين : « يوحنا بن روزبة » ، وهو تحريف . (٤) هو عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمى ، كما فى الخلاصة وتهذيب التهذيب .

(٥) كذا فى المواهب (انظر الحاشية رقم ١ ص ٣٧ من هذا الجزء) . وفى الأصلين : «الحسين» ، وهو تحريف .

رضى الله عنهم؛ ثم كبِرتْ وعَميتْ، فوقعتْ فى مَبْطَخة[(١)] لبعض بنى مُدْلج فخبطتْ[(٢)] فيها، فرماها بسهم فقتلها .

وكانت له بغلة يقال لها " الأَيْلِيّة "، أهداها إليه ملِكُ أَيْلة، وكانت طويلة مُخَنْدِفَةً[(٣)] كأنمـا تقـوم على رِمال حسنةَ السـير، فأعجبتْه ووقعتْ منـه . وهى التى قال له فيها علىّ بن أبى طالب رضى الله عنـه حين خرج عليها : كأنّ هـذه البغلة قد أعجبتْك يا رسول الله؟ قال : " نعم " قال : لو شِئْنا لكان لك مثلُها ؛ قال : "وكيف"؛ قال : هذه أمّها فرس عربيّة وأبوها حمار، ولو أَنْزَيْنا حمارًا على فرس لجاءت بمثل هذه؛ فقال : " إنمـا يَفعل ذلك الذين لا يعلمون " .

وعن دِحْيـة بن خَليفة الكَلْبىّ رضى الله عنـه قال : قلت : يا رسول الله ، ألا أَحْمِل لك حمارًا على فرس فتُنْتَج لك بغـلة ؟ فقال : " إنمـا يفعل ذلك الذين لا يعقلون " . رواه ابن مَنْده فى كتاب الصحابة .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صـلى الله عليـه وسلم عبـدا مأمورا ، ما اختصّنا دونـ الناسِ بشىء إلا بثلاث : أَمَرَنا أن نُسْبِـغ الوُضوء ، وألّا نأكل الصّـدَقة ، وألا نُنْزِىَ حمـارًا على فرس . رواه التِّرْمذىّ فى الجهاد . وفى لفظ آخر عنـه رضى الله عنه : كان عبدا مأمورا بَلَّغ ما أُرْسل به، وما اختصّنا دونـ الناس بشىء إلا بثلاث خصال : أمرَنا أن نُسْبِـغ الوضوء، (٧٣) وألّا نأكلَ الصّـدَقة، وألا نُنْزِىَ الحمـارَ على الفرس . وهـذا على هذين الحديثين يختصّ بآل النبىّ صلى الله عليه وسلم دون غيرهم .

---

(١) المبطخة : منبت البطيخ . (٢) خبطت : مشت على غير هدى لا تتوقى شيئا .

(٣) كذا فى شرح المواهب . والخندفة : مشية كالهرولة . وفى الأصلين : «محذوفة» ، وهو تحريف .

والذى يظهر من مجموع هذه الأحاديث المَرْوِيّة التى أوردناها أن بَغَلات رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت سبعا، وهى: "الدُّلْدُل" التى أهداها له المُقَوْقِس، و"فِضّة" التى أهداها له فَرْوة بن عمرو، و بغلة أهداها له كِسْرَى، و بغلته الأَيْلِيّة التى أهداها له ابن العَلْماء صاحب أيلة، و بغلة بعثها له صاحب دومة الجَنْدَل، و بغلة أهداها له يُحَنَّة ابن رُوبَة، و بغلة أهداها له النَّجاشىّ صاحب الحَبَشة. والله تعالى أعلم بالصواب.

ذكر شىء مما وُصفت به البغال

قد ألّف الجاحظ كتابا فى البغال مفردًا عن كتاب الحيوان، قال فيه ما نصه:

« نبدأ إن شاء الله بما وصَف الأشرافُ من شأن البغلة فى حسن سِيرتها، وتمامِ خِلقتها، والأمورِ الدالّة على السرّ فى جوهرها، وعلى وجوه الارتفاق بها، وعلى تصرّفها فى منافعها، وعلى خفّة مؤُونتها فى التنقّل فى أمكنتها وأزمنتها، ولِمَ كَلِفَ الأشرافُ بارتباطها مع كثرة مايزعُمون من عيوبها، ولِمَ آثَرُوها على ماهو أدومُ طهارةَ خَلْقٍ منها، وكيف ظهر فضلها مع النقص الذى هو فيها، وكيف اغتفروا مكروهَ ما فيها لِمَا وجدوا من خصال المحبوبِ فيها.

قال: واقد كَلِفَ بارتباطها الأشرافُ حتى لُقِّب بعضهم من أجل اشتهاره بها بـ«رَوّاض البِغال»؛ ولقّبوا آخر بـ«عاشق البغل». فبسَط القول فى الترجمة ثم لم يأتِ من أخبار البغال بطائلٍ، بل اقتصر على حكاياتٍ واستطرد منها إلى غيرها، على عادته فى مصنّفاته. فكان مما حكاه من ذلك:

قال مَسْلَمةُ بن عبد الملك: ما ركِب الناسُ مثلَ بغلةٍ طويلة العِنان، قصيرة العِذار، سَفْواءِ[1] العُرْف، حَصّاءِ[2] الذَّنَب.

---

(١) السفا (مقصورا): خفة شعر الناصية، وهو يستحب فى البغال دون الخيل، والوصف للذكر منه أسفى. وفى استعمال «سمواء» منه للأنثى بهذا المعنى خلاف بين أئمة اللغة (راجع معاجم اللغة مادة سفى).

(٢) حصّاء الذنب: قليلة شعره.

قال : وكتب رَوْحُ بن عبـد الملك إلى وكِيل له : ابْغِنِي بغلةً حَصَّاءَ الذنَب، عظيمةَ المَحْزِم، طويلةَ العُنُق، سَوْطُها عِنانُها، وهواها إمامُها .

قال : وعاتب صَفْوان بن عبد الله بن الأَهْتَم عبدَ الرحمن بن عبّاس بن ربيعة آبن الحارث بن عبد المطّلب فى ركوب البغال، وكان ركّابا للبغلة، فقال له : مالك ولهذا المَرْكَب الذى لا يُدرَك عليه الثار، ولا يُنَجِّيك يومَ الفِرار؟! فقال : إنها نَزلتْ عن خُيَلاء الخيل، وارتفعتْ عن ذِلّة[1] العَيْر، وخيرُ الأمور أوساطُها. فقال صَفْوان : إنا نعلّمكم، فإذا عَلِمتُم تعلّمنا منكم . وهو الذى يلقّب "رَوَّاضَ البِغال"، لحِذْقه بركوبها، ولشَغَفه بها، وحُسْن قيامه عليها . وكان يقول : أُريدها واسعة الجُفْرة[2]، مُنْدَحَّةَ[3] السُّرّة، شديدة الغَلْوة[4]، بعيـدةَ الخَطْوة، لَيِّنَةَ الظهر، مَلْوِيّةَ الرُّسْغ، سَفْواء جَرْداء عَنْقاء، طويلةَ الأنقاء[5] .

قال : وقال آبن كُنَاسة : سمعتُ رجلا يقول : إذا آشتريتَ بغلةً، فاشْتَرِها طويلةَ العُنُق، تجده[6] فى نجائها؛ مُشْرِفةَ الهادِى، تجده[6] فى طباعها؛ ضَخْمة الجوف، تجده[6] فى صبرها .

قال : ولما خرج قَطَرِىّ بن الفُجَاءة أحبَّ أن يجمع إلى رأيه رأىَ غيره؛ فـدَسّ إلى الأَحْنَف بن قَيْس رجلًا يُجْرِى ذِكْرَه فى مجلسه ويحفظ عنـه ما يقول؛ فلمّا قعد قال الأحنف : أمَا إنهم إن جنبوا بَناتِ الصَّهّال، وركبوا بناتِ النَّهّاق[7]، وأمسَوْا بأرضٍ وأصبحوا بأرض، طال أمرُهم .

---

(١) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «دكة» ، وهو تحريف . (٢) الجفرة : وسط الفرس . وفى الأصلين : « الحفرة » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف . (٣) مندحة : متسعة . (٤) الغلوة : أمد جرى الفرس وشوطه . (٥) الأنقاء : العظام ذوات المخ ، مفردها نقو ونقى . (٦) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «نجدة» . (٧) يلاحظ أن المؤلف عقد هـذا الفصل للكلام فى البغال ، و بنات الصهال الخيل ، و بنات النهاق الحمير؛ وأما البغال فبنات الشَّحّاج .

قال الجاحظ : فلا ترى صاحبَ الحربِ يَسْتغنِي عن البغال ، كما لا ترى صاحبَ السّلْم يستغنى عنها ، وترى صاحبَ السفر كصاحب الحَضَر . انتهى كلام الجاحظ .

وحُكى أنّ عبد الحميد الكاتب سايَر مَرْوانَ بن محمد الجَعْدىّ على بغلة ؛ فقال له : لقد طالت صحبةُ هذه الدابّة لك ! ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، من بركة الدابّة طولُ صحبتها . فقال : صِفْها ؛ فقال : همُّها إمامُها ، وسَوْطُها زِمامُها ، وما ضُرِبتْ قطُّ إلّا ظلما .

وقال بعضُ الكتّاب من رسالة : " قد ٱخترتُ لسيّدى بغلةً وَثيقة الخَلْق ، لَطيفة الخَرْط ، رَشيقة القَدّ ، موصوفةَ(١) السير ، ميمونة الطير ، مُشْرِفةَ العُنُق ، كريمةَ النِّجار ، حميدةَ الآثار . (٧٣)

إن أَدبرتْ قلتَ لا تَليلَ لهـا * أو أقبلتْ قلتَ ما لها كَفَلُ

قد جمعتْ إلى حسن القميص ، سلامةَ الفُصُوص(٢) ؛ فسُمِّيتْ قَيْدَ الأَوابِد ، وقرّةَ عين الساهِد ، تُزْرِى فى ٱنطلاقها ، بالبروق فى ٱئتلاقها " .

قال البُحْتُرِىّ يصف بغلا :

وأقبَّ نَهْدٍ للصَّواهِل(٣) شَطْرُه * يومَ الفَخَار وشطرُه للشُّحَّجِ
خَرِق يَتِيهُ(٤) على أبيــه ويدَّعى * عصبِيّةً لبنى الضُّبَيْب(٥) وأَعْوَجِ

(١) يقال للهر إذا توجه لشىء من حسن السير : قد وصف ، معناه : أنه قد وصف المشى أى أجاده ، فالسير موصوف ، ومنه قول الشماخ :

إذا ما أدلجت وصفت يداها * لها الإدلاج ليلة لا هجوع

يريد : أجادت السير (راجع لسان العرب مادة وصف) .

(٢) الفصوص من الفرس : مفاصل ركبتيه وأرساغه . (٣) الصواهل : الخيل . والشحج : البغال .

(٤) كذا فى ديوانه (طبع مطبعة الجوائب ج ٢ ص ٢٠) . وفى الأصلين : « بنيه » وهو تحريف .

(٥) كذا فى ديوانه . والضبيب : فرس حسان بن حنظلة الطائى . وهو الذى كان حمل عليه كسرى أبرويز حين انهزم من بهرام جوبين يوم النهروان فنجا . وفيه يقول حسان : =

مثل المُذَرَّعِ(١) جاء بين عُمُومةٍ * فى غَافِقٍ(٢) وخُـؤولة للخَـزْرَج

وقال أبو الفرج الوَأْوَاء من قصيدة يشكر بعضَ أصحابه وقد أَهْدى له بغلةً :

قد جاءت البغلةُ السَّـفْواء يَجْنُبُها * للـبرق غيثٌ بدا ينهلُّ ماطِـــرُهُ
عَرِيقــــةٌ ناسبتْ أخوالَهـا(٣) فلها * بالعِتْق(٤) من أكرم الجنسين فاخرُهُ
ملءُ الحِـزامِ وملء العينِ مُسْـفِرةٌ * يُرِيك غائبَهـا فى الحســن حاضِرُهُ
أَهْدَى لها الرَّوْضُ من أوصافه شِيَةً * خَضْراء ناضرةً إن زال ناضرُهُ
ليســت بأوّل حُمْـلانٍ(٥) شَرَيْتَ به * حمدى ولا هى ياذا الجـودِ آخرُهُ
كم قد تقـدّمها من سابح بيـدِى * عِنـانُه وعلى الجَــوْزا حـــوافِرُهُ

وقال أبو المَكَارِم بن عبد السّلام :

كأنها النارُ فى الحَلْفاء إن رَكَضتْ * كأنها السيلُ إن وافتْكَ من جبلِ
كأنها الأرضُ إن قامت لمُعْتَلَفٍ * كأنها الريح إن مرّتْ على القُلَلِ
ما يعرِف الفكرُ منها منتهَى حُصُرٍ * ما صوّر الوهمُ فيها وصْمةَ الكَسَلِ
إذا اقتعدتَ مَطَاها وهى ماشــيةٌ * تُهلانُ تُبْصِره فى زِىّ مُنْتقِلِ

هذا ما ٱتّفق إيراده من صفات البغال التى تقتضى المدح .

= تلافيت كسرى أن يصام ولم أكن * لأتركه فى الخيـل يعثر راجلا
بدلت له صــدر الصبيب وقد ندت * مسوّمة من حيـل ترك وكابلا

(انظر أنساب الخيل لابن الكلبى ص ٩٥ طبع بولاق) وفى الأصلين : « الصيب » بالصاد المهملة ، وهو تصحيف .

(١) المذرّع : الذى أمه أشرف من أبيه .

(٢) عافق : قبيلة من الأزد .

(٣) فى الأصلين : «أحوالها » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .

(٤) فى الأصلين : «العنق» بالنون ، وهو تصحيف .

(٥) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب فى الهبة خاصة .

فأمّا ما جاء فى ذمها فالمثل المضروب فى بغلة أبى دُلَامة. وقال أبو دلامه فى بغلتـــه :

أبعدَ الخَيْـــلِ أركبُها وِرَادًا * وشُقْرًا فى الرَّعِيـــل(١) إلى القتـالِ
رُزِقتُ بُغَيــلةً فيهــا وَكَالٌ(٢) * وخـــيرُ خِصــالِها فَرْطُ الوَكَالِ
رأيتُ عيوبهــا كثُرتْ وعالتْ * ولــو أفنيتُ مجــتهِدًا مقــالِى
تقــوم فمــا تَرِيم(٣) إذا استُحِثّتْ * وترمَحُ باليمين و بالشِّــمالِ
رياضـــة جاهلٍ وعُلَيجِ سَـــوْءٍ * من الأكْرادِ أحْبنَ(٤) ذى سُعَالِ
شَـــتيمِ الوجهِ(٥) هِلْبَاجٍ(٦) هِدَانٍ(٧) * نَعُـــوسٍ يومَ حِلٍّ وٱرتِحالِ
فأدّبهــا بأخـــلاقٍ سِمَـــاجٍ * جزاه الله شرًّا عن عِيـالِى
فلمّـــا هَـــدّنى ونَفَى رُقَادى * وطــال لذاك همِّى واشـتغالى
أتيتُ بهــا الكُنَاســـةَ(٨) مسـتغيثًا * أفــكِّر دائبًـا كيف ٱحتِيَـالى
بعُهْـــدةِ سِـــلْعةٍ رُدّتْ(٩) قديمًـا * أطُمُّ بهـا على الداء العُضَـــالِ

(١) الرعيل : القطعة المتقدمة من الخيل. (٢) الوكال : البطء والبلادة . (٣) فما تريم : فما تبرح مكانها . (٤) الأحبن : المظيم البطن . وفى الأصلين : «أجبن» بالجيم ، وهو تصحيف .
(٥) شتيم الوجه : كريه الوجه قبيحه . (٦) الهلباج : الوخم الأكول الشروب .
(٧) الهدان : الوخم الثقيل فى الحرب . (٨) الكناسة : اسم موضع بالكوفة .
(٩) فى الأصلين : «ودت» بالواو ، وهو ظاهر التحريف والعهدة : الرجعة . وفى حديث عقبة ابن عامر : عهدة الرقيق ثلاثة أيام . هو أن يشترى الرقيق ولايشترط البائع البراءة من العيب ، فما أصاب المشترى من عيب فى الأيام الثلاثة (وهى مدّة الخيار فى البيع) فهو من مال البائع و يرد إن شاء بلا بينة ، فإن وجد به عيبا بعد الثلاثة فلا يرد إلا ببينة . وطم الركية : دفنها وسواها ، يريد به ستر هذا الداء و إخفاءه .
والمعنى كيف يحتال فى هذه السلعة التى ردت عليه قديما بعد تجربتها والتى كان يرجع بها عليه المشترى عند معاينة عيوبها ، فهو لذلك يودّ الخلاص منها بحيلة ليتخلص من هذا الداء العضال وهو ارتباط هذه البغلة وصحبتها .

فبينا فِكْرَتِى فى القوم تُسْدَى * إذا ما سُمْتُ أُرْخِصُ أم أُغَالِى
أتانِى خائِبٌ حَمِقٌ شَقِىٌّ * قَدِيمٌ فى الخَسَارة والضَّلَالِ (١)
وراوَغَنِى لِيَخْلُوَ بى خِداعاً * ولا يَدْرِى الشَّقِىُّ بمن يُخَالِى
فقلتُ بأربعين فقال أَحسِن * فإن البيع مرتخَصٌ وغالِى
فلما ابتاعها منِّى وبُتَّتْ * له فى البيع غير المستقالِ
أخذتُ بثوبه وبَرِئْتُ مما * أُعُدُّ عليك من شَنِعِ الخِصَالِ
بَرِئْتُ إليك من مَشَشٍ (٢) قديم * ومن جَرَدٍ (٣) وتخريقِ الجِلَالِ
ومن فَرْط الحِرَانِ ومن جِمَاحٍ * ومن ضعفِ الأسافلِ والأعالِى
ومن عَقْرِ اللسان ومن بياضٍ * بناظرها ومن حلِّ الحِبَالِ
وعُقَّالٍ (٤) يلازِمُها شديدٍ * ومن هَدْمِ المَعَالِفِ والرِّكَالِ (٥)
تُقَطِّع جِلْدَها جَرَباً وحَكّاً * إذا هُزِلتْ وفى غير الهُزَالِ
ومن شَدِّ العِضَاض (٦) ومن شِبَاب (٧) * إذا ما هَمَّ صَحْبُك بالرِّقَالِ

---

(١) ورد هذا البيت والخمسة الأبيات التى بعده فى الأغانى (ج ٩ ص ١٣٦ طبع بولاق) باختلاف فى بعض الكلمات . ولم يذكر صاحب الأغانى غيرها من هذه القصيدة، فرأينا إثباتها هنا إتماما للفائدة :

أتانى بغلة يستام منى * عريق فى الخسارة والضلال
فقال تبيعها قلت ارتبطها * بحكمك إن بيعى غير غالى
فأقبل ضاحكا نحوى سرورا * وقال أراك سمحا ذا جمال
هلم إلىّ يحلو بى خداعا * وما يدرى الشقىّ لمن يخالى
فقلت بأربعين فقال أحسن * إلىّ فإنّ مثلك ذو سجال
فأترك خمسة منها لعلمى * بما فيه يصير من الخبال

(٢) المشش : ورم يأخذ فى مقدّم عظم الوظيف أو باطن الساق فى إنسيّه .

(٣) الجرد فى الدواب : ورم فى مؤخر عرقوب الفرس يعظم حتى يمنعه المشى والسعى .

(٤) العقال : داء يأخذ فى قوائم الدابة . (٥) الركال : أن يضرب برجله الأرض .

(٦) يقال : برئت إليك من العضاض : إذا باع دابة و برئ الى مشتريها من عضها الناس .

(٧) الشباب (بالكسر) : رفع الفرس يديه جميعا من الأرض .

وأَقْطَفُ(١) من دَبِيبِ الذَّرِّ مَشيًا * وتَنْحِطُ(٢) من مُتابعةِ السُّعَالِ
وتكسِر سرجَها أبدًا شِمَاسًا(٣) * وتسقط فى الوُحول وفى الرمالِ
ويَهْزِلُها الجَمَام(٤) إذا خَصِبْنا * ويُدْبِرُ ظهرَها مَسُّ الجِلَالِ
تَظَلُّ لِرَكْبةٍ منها وَقِيذًا(٥) * يُخاف عليك من وَرَمِ الطِّحَالِ
وتَضْرِط أربعين إذا وَقَفنا * على أهلِ المجالس للسؤال
فتُخْرِس منطقى وتَحُول بينى * وبين كلامهم ممّا تُوالِى
وقد أعيتْ سياستُها المُكَارِى * وبَيْطارًا يُعَقِّل بالشِّكَالِ
حَرُونٌ حين تركبُها لحُضْرٍ * جَمُوحٌ حين تَعْزِم للنِّزَالِ
وذئبٌ حين تُدْنيها لسَرْجٍ * ولَيْثٌ عند خَشْخَشَةِ المَخَالِى
وفيلٌ إن أردتَ بها بُكُورًا * خَذُولٌ عند حاجاتِ الرِّجَالِ
وألفُ عصًا وسَوْطٍ أَصْبَحِيٍّ(٦) * ألذُّ لها من الشِّرْبِ الزُّلَالِ
وتُصْعَقُ من صِيَاحِ الدِّيك شهرًا * وتُذْعَر للصَّفير وللخَيَالِ
إذا آستعجلتَها راثتْ وبالتْ * وقامت ساعةً عند المَبَالِ(٧)
ومِثْفارٌ(٨) تقدِّمُ كلَّ سَرْجٍ * تصيِّرُ دَفَّتَيْهِ على القَذَالِ(٩)

(١) القطوف من الدواب : البطىء السير . (٢) النحط : صوت الخيل من الثقل والإعياء.
(٣) يقال : شمست الدابة اذا شردت وجمحت . (٤) الجمام (بالفتح) : الراحة . يقال : جم الفرس يجم : اذا ترك فلم يركب فعفا من تعبه وذهب إعياؤه . (٥) الوقيذ : الشديد المرض.
(٦) نسبة الى ذى أصبح : ملك من ملوك حمير، وإليه تنسب السياط الأصبحية .
(٧) كذا فى مباهج الفكر الذى أورد مؤلفه من هـذه القصيدة بعض أبيات اختارها . وقد ورد هذا البيت فى الأصلين هكذا :
اذا استعجلتها ىثرت وقامت * ساعة عند المبال
(٨) المثفار : الدابة ترمى بسرجها إلى الوراء . وفى الأصلين : «منقار» وهو تصحيف، و يريد الشاعر وصفها بأنها تقدم كل سرج التهكم . (٩) القذال : جماع مؤخر الرأس، وفيه معان أخرى .

وتَحْفَى فى الوقوف إذا أَقَمْنَا * كما تَحْفَى البغال من الكَلَال
ولو جُمِّعتَ من هنَّا وهنَّا * من الأَتْبَان أمثالَ الجبالِ
فإنك لستَ عالفَها ثلاثاً * وعندك منه عُودٌ للخِلَال
وكانت قارِحًا(١) أيَّامَ كِسْرَى * وتذكر تُبَّعًا قبلَ الفِصَال(٢)
وقد قَرَحتْ ولُقْمان فَطِيمٌ * وذو الأَكْتاف(٣) فى الحِجَجِ الخَوالِى
وقد أُبِلِى بها قَرْنٌ وقَرْنٌ * وآخِرُ يومِها لِهَلاكِ مالِى
فأَبْدِلْنِى بها يا رَبِّ بَغْلًا * يَزِين جَمَالُ مَرْكَبِه جَمَالِى
كريمٌ حين يُنْسَب والداه * إلى كَرَم المَنَاسِب فى البِغَال

وقال القاضى بهاء الدين زهير الكاتب :

لك ياصديق بغلةٌ * ليست تُساوى خَرْدَلَهْ
مقدار خُطْوتها الطويـ * ـلة حين تُسْرِع أَنْمُلَهْ
وتُخال مُدْبِرةً إذا * ما أقبلتْ مستعجلَهْ
تمشى فتحسَبها العيو * نُ على الطريق مشكَّلَهْ
تهتزُّ وهى مكانَها * فكأنما هى زَلْزَلَهْ

---

(١) القارح من ذى الحافر : الذى شق نابه وطلع ، وهو بمنزلة البازل من الإبل .

(٢) الفصال : الفطام من الرضاع .

(٣) ذو الأكتاف : ملك من ملوك الفرس وآسمه سابور بن هرمز ، مات أبوه وهو حمل ، فعقد التاج على بطن أمه يرتقبون ولادته رجاء أن يكون ذكرا ، وانما سمى ذا الأكتاف لأنه كان مشتهرا بعلم الكتف فيما يقال . وقيل : خرج عليه قوم من العرب فسار اليهم ونزع أكتافهم فسمى به . (راجع ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه) .

ذكر ما قيل فى الحمر الأهلية

قال المتكلمون فى طبائع الحيوان : إنّ الحمار لا يولد له قبل أن تتمّ له ثلاثُ سنين ونصف . قالوا: والحمار إذا شمّ رائحةَ الأسد رمى بنفسه عليه لشدّة خوفه منه . ولذلك قال أبو تمّام [يخاطب عبد الصمد بن المعذّل وقد هجاه](١) :

أقدمتَ و يلكَ من هَجْوِى على خَطَرٍ * والعَيْرُ يُقْـدِمُ من خوفٍ على الأَسَدِ

والحمار يُوصف بحدّة حاسّــة السمع . وهو إذا نَهَـق أضرّ بالكلب؛ قالوا : حتى إنّه يُحْـدِث له مَغْساً(٢)؛ فلذلك يطول نُباحه . والبرد يضرّ الحمارَ و يُؤذيه؛ ولهذا لا يوجد فى بلاد الصَّقَالبة. وقال الجاحظ : وحلف أحمد بن العزيز أن الحمار ما ينام. فقيل له : ولم ذلك؟ قال : لأنّى أجدُ صِيَاحَه ليس بِصياح من نام وآنتبَــه فى تلك الساعة، ولا هو صياحُ من يريد أن ينام بعد آنقضاء صياحه .

وأجود الحمـير المصريّةُ . وأهلُ مصر يعتنون بتربيتها ، ويحتفلون بأمرها ويُسابقون عليهـا ، و يسمّون مكانَ سِباقها " الطابق" . والجيِّـد منها يُباع بالثمن الكثير . نقل صاحب كتاب مَبَاهج الفِكَر ومناهج العِـبَر فى كتابه قال : لقد بيع منها حمارٌ بمائة دينار وعشرة دنانير . وأمّا الذى رأيناه نحن منها فأُبيع(٣) بألف درهم، وربما زاد بعضها على ألف . وكثيرٌ من أهل مصر يركبونها و يتركون الخيل والبغال . فَمَنْ رِكبها من الأعيان مع وجود القدرة والإمكان على ركوب الخيل والبغال، يَقصِد بذلك التواضعَ وعدمَ الكبرياء . ومَنْ ركبها من ذوى الأموال وترك الخيـلَ والبغالَ

(١) الزيادة عن حياة الحيوان للدميرى (ج ١ ص ١٩٧ طبع بولاق) .

(٢) المغس : لغة فى المعص بالصاد . (٣) من أباع بزيادة الألف وهى لغة فى باع وردت عن ابن القطاع كما فى المصباح المنير . وربما كان من أباعه اذا عرضه للبيع . قال الهمدانى :

فرضيت آلاء الكميت فمن يبع * فرسا فليس جوادنا بمباع

ربما يفعـل ذلك توفيرًا لمـاله وضِنّةً به . ومَنْ ركبها من الشباب والسُّوقة يقصِـد بذلك التنزّه عليها لفراهَتها وسرعة مشيتها .

وقد كان لرسول الله صلى الله عليـه وسلم حمارٌ من حمير مصر اسمه "يَعْفُور" وقيل : "عُفَير"؛ أهداه له المُقَوْقِس صاحب الإسكندريّة مع ما أهدى . وقد ورد أيضا فى الحديث أنه كان لرسـول الله صلى الله عليه وسلم حماران : "يَعْفُور" و "عُفَير" . فأمّا "عُفَيْر" فأهداه له المقوقس . وأمّا "يَعْفُور" فأهداه له فَرْوة ابن عمرو الجُذَامىّ . ويقال : إنّ حمار المقوقس "يَعْفُور" وحمار فَرْوة "عُفَيْر" .

قال الواقدىّ : مات "يعفور" عند مُنْصَرَف النبىّ صلى الله عليه وسلم من حِجّة الوَدَاع . وذكر السُّهَيْلىّ[1] : أن "يعفورا" طرح نفسه فى بئرٍ يوم مات النبىّ صلى الله عليه وسلم فمـات . وذكر ابن فُورَك[2] [فى كتاب الفصول][3] أنه كان فى مَغَانم خَيْبَر، وأنّه كلّم[4] النبىّ صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسولَ الله، أنا زِياد[5] بن شِهاب، وقد كان

(١) هو الامام أبو القاسم عبـد الرحمن بن عبـد الله بن الخطيب الخثعمى ثم السهيلى مؤلف كتاب «الروض الأنف» . ولد بمدينة مالقة سنة ٥٠٨ هـ وتوفى بمراكش فى شعبان سنة ٥٨١

(٢) هو الأستاذ أبو بكر محمـد بن الحسن بن فورك المتكلم الأصولى النحوى الواعظ الأصبهانى المتوفى سنة ٤٠٦ هـ . أقام بالعراق مدّة يدرّس العلم، ثم توجه الى الرىّ فسعت به المبتدعة، فراسله أهل نيسابور والتمسوا منه التوجه اليهم ففعل، وورد نيسابور فبنى له بها مدرسـة ودارا وأحيا الله تعالى به أنواعا من العلوم . (راجع ترجمته فى تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٦٨٧ طبع بولاق) .

(٣) الزيادة عن كتاب فضل الخيل للدمياطى . (٤) قال فى المواهب اللدنية وشرحها للزرقانى فى كتاب معجزات النبى صلى الله عليه وسلم وخصائصه (ج ٥ ص ١٧٥ طبع بولاق) بعد أن ذكر هذا الخبر بتفصيل : لكن هذا الحديث مطعون فيه . أخرجه ابن حبّان فى الضعفاء وقال : لا أصل له وليس سنده بشىء . وقال أبو موسى المدينى : هذا حديث منكر جدا إسنادا ومتنا لا أحلّ لأحد أن يرويه عنى إلا مع كلامى عليه . وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات . وتعقب بأنه شديد الضعف فقط كما قال فى الاصابة : إسناده واه لا موضوع . (٥) فى المواهب اللدنية : «يزيد» .

فى آبائى ستون حمارًا كلُّهم(١) ركبهم نبىٌّ، فاركبنى أنت . وزاد الجُوَينىّ(٢) فى كتاب الشامل : أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أحدًا من أصحابه أرسل هذا الحمارَ إليه ؛ فيذهب حتى يضرب برأسه الباب؛ فيخرج ذلك الرجل، فيعلم أنه أرسل اليه، فيأتى النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وفى الحمار منافعُ طبيّة(٣) ذكرها الشيخ الرئيس أبو علىّ بن سينا ، قال : رمادُ كَبِدِ الحمار بالزّيت ينفع من الخنازير(٤)؛ قال : ويُبرئُ من الجُذام . وهذا دواءٌ رخيص إن صحّ . قال : وكَبِدُه مَشْوِيّةً على الرِّيق تنفع من عِلّة الصَّرْع . قال : والمَكْزوز(٥) من اليُبُوسة يجلس فى مرقة لحمه . وقيل : إنّ بوله نافع من وَجَع الكُلَى . قال : وبولُ الحمار الوحشىّ يُفَتِّت الحصاةَ فى المَثَانة .

ذكر ما يتمثل به مما فيه ذكر الحمار

تقول العرب : "العَيْرُ أَوْقَى لِدَمِهِ(٦)" . وقالوا : "نَجّى عَيْرًا سِمَنُهُ(٧)" . وقالوا :

(١) قال فى شرح المواهب اللدنية : « عبر بكلهم بميم الجمع الموضوعة للعقلاء تشبيها لأصوله بالعقلاء لشرفهم بركوب الأنبياء لهم» اه .

(٢) هو إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجوينى المتوفى سنة ٤٧٨ هـ . كان أعلم المتأخرين من أصحاب الامام الشافعى على الاطلاق، مجمع على إمامته ، متفق على غزارة مادته وتفننه فى العلوم من الأصول والفروع والأدب وغير ذلك . وله عدة مؤلفات ، منها كتابه الشامل فى أصول الدين . والجوينى : نسبة الى جوين، وهى ناحية كبيرة من نواحى نيسابور .

(٣) فى الأصلين «طيبة» بتقديم الياء المثناة من تحت على الباء الموحدة وهو تصحيف .

(٤) الخنازير : علة معروفة وهى قروح صلبة تحدث فى الرقبة .

(٥) المكزوز: من أصابه الكزاز، وهو تشنج يصيب الانسان من البرد الشديد أو من خروج دم كثير.

(٦) كذا فى مجمع الأمثال للميدانى (ج ١ ص ٤٠١ طبع بولاق) . وقال : يضرب للموصوف بالحذر؛ وذلك أنه ليس شىء من الصيد يحذر حذر العير اذا طلب . ويقال : هذا المثل لزرقاء اليمامة، وذلك أنها نظرت جيش العدوّ على بعد مغيرا على قومها ، فحذرتهم فلم يستمعوا لها ، فنفر حمار، فقالت : « العير أوقى لدمه من راع فى غنمه » فذهبت مثلا . وفى الأصلين : « أوفى لدمة » وهو تصحيف .

(٧) فى مجمع الأمثال للميدانى (ج ٢ ص ٢٤٤) : «قال أبو زيد : زعموا أن حمرا كانت هزلى فهلكت فى جدب ونجا منها حمار كان سمينا فضرب به المثل فى الحزم قبل وقوع الأمر، أى انج قبل ألا تقدر على ذلك . ويضرب لمن خلصه ماله من مكروه » اه .

"الجحشَ إذا فاتك الأَعْيارُ"(١) . وقالوا : "أَصَحُّ من عَيْرِ أبى سَيّارة"(٢)؛ لأنه كان دفع بأهل المَوْسِم على ذلك العَيْر أربعين عاما . وقالوا : "إنْ ذهب عَيْرٌ فعَيْرٌ فى الرِّباط"(٣) .
(٧٦) وقالوا : "العَيْرُ يَضْرِط والمِكْواةُ فى النار"(٤) . وقالوا : "حمارٌ يحمل سِفْرا" .

ومن أنصاف الأبيات :

* وقد حِيل بين العَيْر والنَّزَوان(٥) *

---

(١) فى مجمع الأمثال للميدانى : « ... لما فاتك ... » يضرب فى قناعة الرجل ببعض حاجته دون بعض . ونصب الجحش بفعل مضمر، أى اطلب الجحش .

(٢) كذا فى مجمع الأمثال للميدانى . وفى الأصلين : «أصبر» . وأبو سيارة رجل من بنى عدوان اسمه عميلة بن خالد بن الأعزل ، وكان له حمار أسود ، أجاز الناس عليه من المزدلفة الى منى أربعين سنة .

(٣) الرباط هنا : حبالة الصائد . يقال للصائد : ان ذهب عير فلم يعلق فى الحبالة فاقتصر على ما علق . يضرب فى الرضا بالحاضر وترك الغائب .

(٤) الذى فى مجمع الأمثال : « قد يضرط العير ... ... الخ » قاله عرفطة بن عرفجة الهزانى سيد بنى هزان فى رجلين أمر بقتلهما من بنى عكل فى حرب كانت بينهما ، فلما تقدّم أحد الرجلين ليقتل جعل الآخر يضرط ، يضرب للرجل يخاف الأمر فيجزع قبل وقوعه فيه . (راجع الكلام عليه مفصلا فى مجمع الأمثال ج ٢ ص ٣٥) .

(٥) أوّل من قال ذلك صخر بن عمرو أخو الخنساء، حين ملته امرأته وكان يكرمها وقد لبث حولا مريضا . وهو من قصيدة مطلعها :

أرى أم صخر لا تمـل عيادتى * وملت سليمى مضجعى ومكانى

وصدر البيت : * أهم بأمر الحزم لو أستطيعه *

(راجع الكلام عليه مفصلا فى مجمع الأمثال للميدانى ج ٢ ص ٣٦) .

ذكر شيء مما وصفت به الحمير على طريق المدح والذم

قال أبو العَيْناء[1] لبعض سماسرة الحمير : اِشْتَرِ لى حمارًا لا بالطويل اللّاحق ، ولا بالقصير اللاصق ، إنْ خلا الطريقُ تدفّق ، وإن كثُر الزِّحامُ ترفّق ، لا يُصادِم بى السَّوارِى ، ولا يدخل تحت البَوارِى[2] ، إن كثّرتُ علفَه شكر ، وإن قلّلتُه صبر ، وإنْ ركِبتُه هام ، وإن ركِبه غيرى قام[3] . فقال له السمسار : إنْ مَسَخ الله بعضَ قُضاتنا حمارًا أصبتُ حاجتك ، وإلّا فليستْ موجودة .

قيل للفَضْل الرَّقَاشِيّ : إنك لَتُؤْثِر الحمير على جميع الدوابّ ، قال : لأنها أرفق وأوفق ، قيل : ولم ذاك ؟ قال : لأنها لا تَسْتبدِل بالمكان ، على طول الزمان ، ثم قال : هى أقلّ داءً ، وأيسرُ دواءً ، وأخفضُ مَهْوًى ، وأسلمُ صَرْعًا[4] ، وأقلّ جِماحًا ، وأشهرُ فَرَهًا ، وأقلّ نَظَرا ، يُزْهَى راكبُه وقد تَواضَع بركوبه ، ويُعَدّ مقتصِدًا وقد أسرف فى ثمنه .

وقال أحمد بن طاهر يصف حمارًا :

شِيَةٌ كأنّ الشمسَ فيها أشرقتْ * وأضاء فيها البدرُ عند تَمامِه
وكأنّه من تحت راكبه إذا * ما لاحَ ، بَرْقٌ لاحَ تحت غَمامِه
ظَهْرٌ كجَرْيِ الماءِ لِينُ ركُوبِه * فى حالتَيْ إتعابِه وجَمامِه
سَفِهَتْ يداه على الثَّرَى فتلاعبتْ * فى جَرْيِهِ بسُهُولِه وإِكامِه

(١) هو أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خلاد الضرير مولى أبى جعفر المنصور ، صاحب النوادر والشعر والأدب ، كان ظريفا ماجنا . انظر ترجمته فى ابن خلكان (ج ١ ص ٧١٩ طبع بولاق) .

(٢) البوارى : جمع بارية (فارسىّ معرّب) ، وهى الحصير المنسوج من القصب . ولعله يريد بالبوارى هنا مظلّات كانت تصنع من الحصر وتثبت الى وجوه الحوانيت أو أخرى تنشر على السوارى فى الأسواق . يريد حمارا يسلك به وسط الطريق ويتجنب السير تحت هذه البوارى حتى لا تصادمه وهو راكب عليه .

(٣) قام : وقف . (٤) فى الأصلين : «صريعا» .

عن حافرٍ كالصَّخْرِ إلّا أنّه * أقوى وأصلَبُ منه فى ٱستحكامِه
ما الخَيْزُرانُ إذا ٱنثنتْ أعطافُه * فى لِينِ مَعْطِفِه ولِينِ عظامِـــه
عنقٌ يطولُ بهـا فضولَ عِنـانِه * ومُحَـزَّمٌ يَغْتالُ فضـــلَ حِزَامِـه
وكأنّه بالـــرّيح مُتْـعِـلٌ، وما * جَرْىُ الرياحِ بجَـــرْيِه ودَوَامِه
أخذ المَحَاسنَ آمِنًا من عَيْبِـه(١) * وحوَى الكمالَ مُبرَّأً من ذَامِه(٢)

وقال آخر :

لا تَنْظُـرنّ إلى هُزَال حمـارِى * وٱنظُـرْ إلى مَجْراه فى الأَخْطارِ(٣)
مُتوقِّدٌ جعـل الذكاء إمامَـه * فكأنّمـا هو شُعْلةٌ من نارِ
عادتْ عليه الريحُ عند هُبُوبها * فـكأنه رِيحَ الدَّبُورِ يُبَـارِى

هذا ما ورد فى مدحها .

* * *

وأمّا ما جاء فيها على سبيل الذم — فمن ذلك قولهم : «أَضَلُّ من حمـارٍ أهلِه» . وقولهم : أخزَى(٤) الله الحمارَ مالًا، لا يُزَكِّى ولا يُذَكَّى . ومنـه قول جَرير(٥) بن عبد الله : لا تَركَبْ حمارًا ، فإنه إن كان حديدًا(٦) أتعب يَدَيْك(٧) ، وإن كان بليدًا أتعب رِجْلَيْك .

(١) فى الأصلين : «عيبه» بالنون، وهو تصحيف . (٢) الدام : العيب والذم . ولعله : دام يذيم .

(٣) كذا فى مباهج الفكر . والأخطار: جمع خطر وهو ما يتراهن عليه . وفى الأصلين : «الإحصار» .

(٤) ورد فى مباهج الفكر ما نصـه : «سئلت أعرابية عنه فقالت : لعنـه الله لا يذكى ولا يزكى، وإن أطلقته ولّى، وإن ربطته أدلى؛ عظيم الحرارة، بطىء العارة؛ لا ترقأ به الدماء، ولا تمهر به النساء، ولا يحلب فى الإناء» . (٥) فى مباهج الفكر : «جرير بن عبد الحميد» . (٦) فى مباهج الفكر: «فارها» . (٧) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «بدنك» ، وهو تصحيف .

والمثَـلُ مضروبٌ فى الحمـير المهزولة بحمار طَيّـاب (١) ، كما يُضْرَب المثـلُ ببغلة أبى دُلَامة .

قال شاعر :

وحمـارٍ بكتْ عليـه الحَمِـيرُ ❊ دَقّ حتى به الرياحُ تَطِـيرُ
كانَ فيما مَضَى يَسِيرُ بضعفٍ ❊ وَهْوَ اليـومَ واقِفٌ لا يَسِـيرُ
كيف يمشِى وليس شىءٌ يراه (٢) ❊ وهو شـيخٌ من الحمـير كبيرُ
لَمَـح القَتَّ (٣) مرّةً فتغَنَّـى ❊ بحَنِـينٍ وفى الفؤادِ زَفِـيرُ :
«ليس لى منك ياظلومُ نصيبٌ ❊ أنا عبـدُ الهوى وأنت أميرُ» (٧٧)

وقال خالد (٤) الكاتب :

وقائلٍ إنّ حمـارِى غَـدَا ❊ يمشِى إذا صَوّبَ أو أَصْعَدا
فقلتُ لكنّ حمـارى إذا ❊ أَحْثثتُـه لا يَلْحَق المُقْعَـدا
يَستعذِبُ الضربَ فإنْ زدْتُه ❊ كاد من اللّذّة أنْ يَرْقُدا

وقال أبو الحُسَين (٥) الجَزّار :

هذا حِمَارِى فى الحَمِير حمـارُ ❊ فى كلّ خَطْـوٍ كَبْوةٌ وعِثـارُ

(١) هو طياب السقاء ، شاعر . وله مقاطيع مشهورة فى حماره القديم الصحبة الشديد الهزال . (انظر شرح القاموس مادة طيب) . (٢) رواية مباهج الفكر : ❊ كيف يمشى وليس يعلف شيئا ❊
(٣) القت : علف الدواب . (٤) هو خالد بن يزيد ويكنى أبا الهيثم ، من أهل بغداد ، وأصله من خراسان . وكان أحد كتّاب الجيش ، ووسوس فى آخر عمره . (انظر ترجمته فى الأغانى ج ٢١ ص ٤٥ — ٥٤ طبع ليدن) . (٥) هو أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزار المصرى ، ختمت به دولة شعراء الفسطاط . كان فى أوّل أمره قصابا مثل أبيه وقومه ، ثم اشتغل بالأدب والشعر ففاق أهل عصره وكان ممتعا بالحياة فى سنة ٦٤٦ هـ . ونزل ضيفا عليه ابن سعيد المغربى المؤرّخ المشهور فأكرم مثواه ، وأفرد له ترجمة وافية وأثنى عليه ثناء جميلا فى كتابه «المشرق فى محاسن أهل المشرق» واختار له من شعره جملة صالحة مما أورده فى ديوانه المسمى : « تقطيف الجزار » وذكره أيضا ابن شاكر الكتبى فى الجزء الثانى من كتابه فوات الوفيات (ص ٣٩٨ طبع بولاق سنة ١٢٨٣ هـ) .

قنطارُ تِبنٍ فى حَشَاه شَعِيرةٌ * وشَعِيرةٌ فى ظَهْره قِنطارُ

ولمّا مات حمار هذا الشاعر داعبه شعراءُ عصره بمراثٍ وهَزْليّات ؛ فقال بعضهم :

مات حمارُ الأديبِ قلتُ قَضَى * وفات من أمره الذى فاتا
مات وقد خلّف الأديبَ ومَنْ * خَلَّف مثلَ الأديبِ ما ماتا

ونحو هذين البيتين قولُ الآخر :

قال حمارُ الحكيم تُوما (١) * لو أنْصفونى لكنتُ أَركبْ
لأننى جاهلٌ بسيطٌ * وصاحبى جاهلٌ (٢) مُرَكَّبْ

وكتب (٣) أبو الحسن بن نَصْر الكاتب إلى صديق له آشترى حمارًا، يُداعبه . قال من رسالة : «قد عرفتَ — أبقاك الله — حين وجدتَ من سَكْرة الأيّام إفاقه ، وآنستَ من وجهها العَبُوس طَلَاقه؛ [كيف] (٤) أجبتَ داعِىَ هِمّتك ، وأطعتَ أمرَ مُرُوءتك؛ فسُررتَ بكُمُونِ هذه المَنْقَبةِ التى أضمرها الإعدام ، ونَمّ على كريم سِرِّها الإمكان؛ وآستدللتُ (٥) منها على خَبَايا فَضْل، وتَنَبّهتُ منها على مَزَايا نُبْل؛ كانت مأسورةً فى قَبْضة الإعسار، وكاسِفةً عن سُدْفة (٦) الإقتار؛ وقلت : أىّ

(١) هو طبيب يتمثل بحماره فى الجهل . وقيل فيه :

إليه بالجهل راح يوما * مثل حمار الطبيب توما

(انظر المضاف والمصاف اليه فى حرف الحاء) . (٢) فى أ : « جهله » .

(٣) لم نوفق الى مصدر آخر لهذه الرسالة ، وقد صححنا ما صححناه منها اعتمادا على الذوق فيما يقتضيه السياق ونبهنا على ذلك فى مواضعه . (٤) هذه الكلمة ساقطة فى الأصلين والسياق يقتضيها .

(٥) فى الأصلين : «استدلك» . (٦) السدفة (بالفتح ويضم فى لغة بنى تميم) : الظلمة ، وفى لغة قيس الضوء . وحكى الجوهرىّ عن الأصمعىّ أنها فى لغة نجد الظلمة وفى لغة غيرهم الضوء، وهو من الأضداد . والمراد هنا الظلمة .

قَدَمٍ أحقُّ بوُلُوجِ الرَّكْب من قَدَمَيْه ، وحاذٍ(١) أولَى ببُطون القُبِّ(٢) من حاذَيه ؛ وأىُّ أنامِلَ أبهى من أنامله إذا تَصرَّفتْ فى الأعِنَّـةِ يسراها ، وتحتَّمتْ(٣) بالمَخَاصرِ يُمْناها ؛ وكيف يكون ذلك الخُلُق العظيم، والوجهُ الوسيم؛ وقد بهرَ جالسا، إذا طلَعَ فارسا! . ثم اتّهمتُ(٤) آمالى بالغلوّ فيك ، وآستبعدتُ مناقضـةَ الزمان بإنصـاف معاليـك ؛ فقبضتُ ما آنبسـط من عنانها ، وأخمدتُ ما آشتعل من نيرانها ؛ حتى وقفتُ على صحيحة الشك . أرجو عُلُوَّ همّتك بحسن آختيارِك ، وأخشَى منافسةَ الأيّام فى دَرْك أوطارِك ؛ فإنهـا كالظّاَنةِ فى ولدها ، والمجاذَبَةِ بالسُّـوء فى واحدها ؛ يُدنِى الأمُلُ مَسَارّها ، ويُرجِئ القَـلَقُ حِذارَها ؛ حتى أتتنا الأنباءُ تَنْعَى رأيك الفائل(٥) ، وتَفُـلّ(٦) عَزْمَك الآفِل ؛ بوقوع آختيارِك على فاضِحٍ(٧) صاحِبِه ، ومُسْلِمٍ راكِبِه ؛ الجامِدِ فى حَلْبة الجِياد ، والحاذِقِ بالحِران(٨) والكِياد(٩) ؛ السُّـوم(١٠) دِينُه ودأبه ، والبلادة طبيعتـه وشأنه ؛ لا يُصلحه التأديب ، ولا تُقْرَع له الظَّنابيب(١١) ؛ إن لَحَظ عَيْرًا نَهَق ، أو لَمَح أتانًا شَبِق ، أو وجدَ رَوْثًا شمّ وآنتشق ؛ فكم هَشَم سِنًّا لصاحبه ، وكم سَـعَطَ أنفَ راكبِه ؛ وكم آستردّه خائفًا فلم يَرْدُدْه ، وكم رامَه خاطبًا فلم يُسعِدْه ؛ يعجَل إن أحبَّ الأناةَ والإبطاء ،

---

(١) الحاذ : واحد الحاذين وهما لحمتان فى ظاهر الفخذين تكونان فى الانسان وغيره . وفى الأصلين : « حاد ... حاديه » وهو تصحيف . (٢) القب : جمع أقب وقباء وهو الدقيق الخصر الضامر البطن من الخيل . (٣) كذا فى الأصلين ولعله : « تحكمت » . (٤) فى الأصلين : « أبهمت » . (٥) الرأى الفائل : الخاطئ الضعيف . فعله : فال يفيل . (٦) فى الأصلين : « تثل » بالثاء المثلثة . (٧) فى الأصلين : « ناصح » بالنون ، وهو تحريف . (٨) الحران وكذلك الحرون : كلاهما مصدر لحرنت الدابة إذا وقفت ولم تنقد . وفى الأصلين : « بالحرن » ، وهو تحريف .

(٩) الكياد : المكر والخبث . وفى الأصلين : « الكباد » (بالباء الموحدة) وهو تصحيف .

(١٠) فى الأصلين : « الشؤم » . (١١) الظنابيب : جمع ظنبوب وهو حرف الساق من قدم ، وقيل : عظمه اليابس من قدم ، وقيل : حرف عظمه . وقرع الظنبوب : أن يقرع الرجل ظنبوب راحلته بعصاه إذا أناخها ليركبها ركوب الجادّ المسرع إلى الشىء .

ويرسَخ إن حاول الحثّ(١) والنّجاء، مطبوعٌ على الكَيْد والخلاف، موضوع للضّعَة والاستخفاف؛ عزيزٌ حتى تُهينَـه السِّياط، كسولٌ ولو أبطره(٢) النَّشـاط؛ ما عرَف فى النّجابة أبا، ولا أفاد من الوَعْيِ أدَبا؛ الطالبُ به محصور، والهاربُ عليه مأسور؛ والممتطِى له راجِل، والمستعلِي بذروتِه نازِل؛ له من الأخلاق أسوؤها، ومن الأسماء أشـنؤها، ومن الأذهان أصدؤها، ومن القُدود أحقرُها؛ تجحَده المَرَاكب، وتجهله المَوَاكب؛ وتعرفه ظهورُ السوابك(٣)، وتألفه سُبَاطات(٤) المَبَارك . والله الموفّق .

---

(١) فى الأصلين : «الحديث» ولا معنى له .

(٢) فى الأصلين : «بطره» .

(٣) كذا فى الأصلين ولم نتبين المراد منها .

(٤) السباطة : الموضع الذى يرمى فيه التراب والأوساخ وما يكنس من المنازل، وقيل : هى الكناسة نفسها . وفى الأصلين : « سياطات » بالياء المثناة من تحت، وهو تصحيف .

(٧٨)

الباب الثالث من القسم الثالث

من الفنّ الثالث فى الإبل والبقـــر والغـــنم

ذكر ما قيل فى الإبل

الإبل جمع لا واحدَ لها من لفظها . والذَّكَر منها جَمَل ، والأُنثى ناقة . والبعير يقع عليهما . ودليل ذلك قول بعض الشعراء :

لا نَشْتهِى لبنَ البعير وعنـــدنا * عَرَقُ الزُّجاجة[٣] واكفُ المِعصار

والإبل من منن الله الجسيمة على خلقه ، وممـا منحهم به من إرفاقه ورزقه . قال الله تعالى : ﴿وَالأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِـعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ . وَتَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ . وقال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّـا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ . وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ . وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِـعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ .

ولنذكر ما جاء من لغة العرب فى الإبل من تسميتها[٤] من حين تُولد إلى أن تتناهى سِنُّها ، وأسماء ما يُركب منها ويُحمل عليه ، وما آختصّت به النوقُ من الأسماء والصِّفات ؛ ونذكر ألوان الإبل وما قالوه فى ترتيب سَيْرها ، وفى المَسير عليها والنزول ؛ ثم نذكر بعد ذلك

---

(٣) عرق الزجاجة : ما نتح به من الشراب وغيره ممـا فيها . يريد به الخمر . وقد ورد هــذا البيت فى الأغانى (ج ٤ ص ٣٧٣ طبع دار الكتب المصرية) هكذا :

لا نبتــغى لبن البعير وعنــدنا * ماء الزبيب وناطف المعصار

(٤) فى الأصلين : «نسبتها» .

أصناف الإبل وما قيل فى عاداتها وطبائعها . فإذا [أوردنا](١) ذلك، ذكرنا ما ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم منهـا، وما جاء فى أوصاف الإبل من الشعر، فنقول وبالله التوفيق .

* * *

أمّا تسميتُها من حين(٢) تُولَدَ إلى أن تتناهى سِنُّها — فقـد قالت العرب : ولدُها حين يُسَلّ من أُمّه "سَلِيلٌ"(٣) ثم "سَقْب" و"حُوَار"(٤) إلى سـنة، وجمعه أَحْوِرة وحِيران . وهو "فصيل" إذا فُصِل عن أمّه . وهو فى السنة الثانية "آبنُ مَخاض" — لأن أمّه تَلْقَح فَتَلْحق بالمَخاض وهى الحوامل، وواحدتها من غير لفظها "خَلِفَة" — والأنثى "بنت مخاض" . فإذا دخل فى الثالثة فهو "آبنُ لَبُون"، والأنثى "بنت لَبُون"، لأن أُمّه صارت ذاتَ لبنٍ . وهو فى الرابعة "حِقٌّ"، لأنه آستحقّ أن يُحمل عليه . وهو فى السنة الخامسة "جَذَعٌ" . وفى السادسة ["ثَنِىٌّ" لأنّه يُلقى ثَنِيّته، والأنثى "ثَنِيّة"](٥) . و [هو فى](٥) السابعة "رَبَاعٌ" . وفى السنة الثامنة "سَدِيس"

(١) فى ب : « فادا أفو . ذلك ذكرنا ... » . وفى أ : « فاذا . ذلك دكرنا .. » . ولعـل الكلام محرّف عما أثبتناه .

(٢) فى الأصلين : «من حيث» .

(٣) اذا وضعت الناقة فولدها ساعة تضعه سليل قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى . فاذا علم، فان كان ذكرا فهو سقب . ولا يقال للأنثى سقبة، ولكن حائل . (راجع المخصص ج ٧ ص ١٩ واللسان مادّة سقب) .

(٤) فى المخصص : « ويسمى حوارا من حين يولد الى حين يفطم » .

(٥) التكلة عن المخصص (ج ٧ ص ٢٢) ومعاجم اللغة .

و "سَدَس" للذكر والأنثى(١) . وهو فى التاسعة "بازِلٌ" إذا فَطَر نابه، أى طلَع .
قال الشاعر(٢) :

وٱبنُ اللّبون إذا ما لُزّ فى قَرَنٍ(٣) * لم يستطع صولةَ البُزْل القَناعيسِ(٤)

ثم هو بعدها بسنة " مُخْلِفُ عامٍ " و "بازِلُ عامٍ" ثم " مُخلِفُ عامين " و " بازِلُ عامين"، ثم يُعَوِّد، أى يصير عَوْدا وهَرِمًا وماجًّا(٥) .

قالوا : والقَلُوص(٦) منها كالجارية من الناس ، والقَعُود كالغلام، والجمع قلائصُ وقِعْدانٌ(٧) . والبَكْر : الفَتِيُّ، والبِكَارَةُ جمع، والأنثى بَكْرَةٌ . ويقال : جملٌ رَاشٌ(٨) وناقة رَاشَةٌ(٨) إذا كَثُر الشّعر فى آذانهما .

⁂

وأمّا أسماءُ مايُرْكَبُ منها ويُحمل عليه — فقد قالوا : المطيّةُ اسمٌ جامع لكل ما يُمْتَطَى من الإبل . فإذا اختارها الرجلُ لمَرْكبه لتمام خِلْقتها ونجابتها فهى راحلة .

---

(١) المؤنث فى جميع أسنان الابل بالهاء الا السدس والسديس والبازل والمخلف فانها فى المؤنث بغير هاء . (راجع المخصص ج ٧ ص ٢٥) .

(٢) هو جرير بن عطية الخطفى الشاعر الإسلامى المشهور .

(٣) لز : قرن وشدّ . والقرن : حبل يجمع به البعيران .

(٤) القنعاس (والجمع قناعيس) : الناقة العظيمة الطويلة السنمة ، وقيل : الجمل العظيم .

(٥) المـاج : الذى سال لعابه من الكبر .

(٦) القلوص : أول ما يركب من إناث الابل الى أن تثنى ، فاذا أثنت فهى ناقة . والقعود : أول ما يركب من ذكور الابل الى أن يثنى ، فاذا أثنى فهو جمل . (راجع اللسان مادة قلص وثنى) .

(٧) ويجمع أيضا على قلاص وقلص ، وقلصان جمع الجمع . كما يجمع قعود أيضا على أقعدة وقعد وقعائد .

(٨) فى الأصلين : « راس ... راسة » بالسين المهملة فيهما ، وهو تصحيف . (راجع شرح القاموس مادة روش) .

وفى الحديث النبوىّ صلوات الله تعالى وسلامه على قائله : "الناس كإبلٍ[1] مائةٍ لا يكاد يوجد فيها راحلة". فإذا ٱستَظْهر[2] صاحبُها بها وحَمَل عليها فهى "زاملة" — والناس يقولون فى الرجل العـاقل الثابت فى أموره : رجل زاملةٌ، يريدون بذلك مدحه . و وصف ابنَ بشير رجل فقال : ليس ذلك من الرواحل إنمـا هو من الزَّوامِل — فإذا وجّهها مع قوم ليَمْتاروا عليها فهى "عَلِيقةٌ" .

✥

وأمّا ما ٱختُصّت به النوقُ من الاسماء والصِّفات — فإنهم يقولون فيها : "كَهَاةٌ" و "جُلَالَةٌ" وهى العظيمة، و "عُطْمُوس" و "دِعْبِلَة"[3] وهى الحسنة الخلقة التامّة الجسم، و "كَوْمَاء" وهى الطويلة السَّنام، و "وَجْنَاء" وهى الشديدة القويّةُ اللحم. وٱشتقاقُه من الوَجِين، وهى الحجارة. فإن ٱزدادت شدّتُها فهى "عِرْمِسٌ"[4]

(١) كذا فى الأصلين . وقد ورد هذا الحديث فى النهاية واللسان (مادتى أبل ورحل) بهاتين الروايتين : "الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة" و "تجدون الناس بعـــدى كإبل مائة ليس فيها راحلة" . وقيـــل فى شرحه : يعنى أن المرضىّ المنتخب من النـاس فى عزة و جوده كالنجيب من الإبل القوىّ على الأحمال والأسفار الذى لا يوجد فى كثير من الإبل . وقال الأزهرى : الذى عندى فيه أن الله ذم الدنيا وحذر العباد سوء مغبّتها وضرب لهم فيها الأمثال ليعتبروا و يحـــذروا ... وكان النبى عليه الصلاة والسلام يحذرهم ما حذرهم الله و يزهدهم فيها فرغب أصحابه بعـــده فيها وتنافسوا عليها حتى كان الزهد فى النادر القليل منهم ، فقال الرسول : « تجدون ... الخ » أى إن الكامل فى الزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة قليل كقلة الراحلة فى الإبل . والراحلة : البعير القوى على الأسفار والأعمال النجيب التام الخلق الحسن المنظر . و يقع على الذكر والأنثى . والهاء فيه للمبالغة . (٢) استظهر : استعان .

(٣) فى الأصلين : «دغلبة» (بالدال المهملة والغين المعجمة)، وهو تحريف . والتصويب عن اللسان (مادة دعبل) والمخصص (جـ ٧ ص ٦٢) . والشرح الذى ذكره المؤلف لهـــذه الكلمة يبعد أن تكون مصحفة عن ذعلبة بالذال المعجمة والعين المهملة ، وهى الناقة السريعة .

(٤) فى الأصلين : «عرسن» ، وهو تحريف .

و "عَيْرانَةٌ" . فإذا كانت شديدةً كثيرةَ اللحم فهى "عَنْتَرِيسٌ" و "عَرَنْدَسٌ" (٧٩) و "مُتَلاحِكَةٌ" . فإذا كانت ضخمةً شديدةً فهى "دَوْسَرةٌ" و "عُذَافِرةٌ". فإذا كانت حسنةً جميلةً فهى "شَمَرْدَلةٌ" . فإذا كانت عظيمةَ الجوف فهى "مُجْفِرةٌ" . فإذا كانت قليلةَ اللحم فهى "حُرْجُوجٌ"(١) و "حَرْفٌ" و "رَهْبٌ" .

✣ ✣ ✣

ومن أوصافها فى السَّيْر — إذا كانت ليِّنةَ اليدين فى سيرها فهى "خَنُوفٌ". فإذا كان بها هَوَجٌ من سرعتها فهى "هَوْجَاءُ" و "هَوْجَلٌ". فإذا كانت تُقارِبُ الخَطْو فهى "حاتِكةٌ" . فإذا كانت تَمشى وكأنها مقيَّدةُ الرِّجل وهى تضرب بيديها فهى "راتِكةٌ". فإذا كانت سريعة فهى "عَصُوفٌ" و "مُشْمَعِلَّةٌ" و "عَيْهَلٌ" و "شِمْلالٌ" و "يَعْمَلَةٌ" و "هَمَرْجَلَةٌ"(٢) و "شِمْذَارٌ"(٣) و "شِمِلَّةٌ" و "شَمَرْدَلَةٌ". فإذا كانت تجرّ رِجليها فى المشى فهى "مِزْحافٌ"(٤) و "زَحُوفٌ". فإذا كانت لا تقصد فى سيرها من نشاطها فهى "عَجْرَفِيَّة" . قال الأعشى :

وفيها إذا ما هَجَّرتْ(٥) عَجرفيـــة * إذا خِلْتَ حِرْباءَ الظَّهيرة أَصْيَدَا

(١) ومن معانى «الحرجوج» — كما ورد فى اللسان (مادة حرج) — الناقة الجسيمة الطويلة على وجه الأرض .

(٢) فى الأصلين : «هرجلة» ، وهو تحريف .

(٣) كذا فى اللسان والمخصص . وفى الأصلين : «سمدر» ، وهو تحريف .

(٤) كذا فى المخصص . وفى الأصلين : « مرحاف ورحوف » بالراء المهملة فى الكلمتين ، وهو تصحيف .

(٥) هجرت : سارت فى الهاجرة . والعجرفية كما تطلق على السرعة فى المشى تطلق أيضا على الناقة التى لا تقصد فى سيرها من نشاطها . والحرباء : دويبة أكبر من العظاءة شيئا ، يستقبل الشمس برأسه ويكون معها كيفما دارت . يقال : إنما يفعل ذلك ليقى جسده برأسه . ويتلون ألوانا بحر الشمس . والأصيد : الذى لا يستطيع الالتفات .

✦✦✦

وأمّا ألوانُ الإبلِ — فإنهم قالوا: إذا لم يُخالط حمرةَ البعير شىءٌ فهو "أحمرُ". فإن خالَطها السوادُ فهو "أَرْمَكُ". فإذا كان أسودَ يخالِط سوادَه بياضٌ كدُخانِ الرِّمْثِ[١] فهو "أَوْرَقُ[٢]". فإذا آشتدّ سوادُه فهو "جَوْنٌ". فإن كان [أبيضَ[٣]] فهو "آدَمُ". فإن خالط بياضَه حمرةٌ فهو "أَصْهَبُ". فإن خالطته شُقْرةٌ فهو "أَعْيَسُ[٤]". فإن خالطت خُضرتَه[٥] صفرةٌ وسوادٌ فهـو "أَحْوَى". فإذا كان أحمرَ يخالِط حمرتَه سوادٌ فهو "أَكْلَفُ".

✦✦✦

وأمّا ترتيبُ سَيْرِها — "فالعَنَقُ" وهو السير المُسْبَطِرّ[٦]. فإذا آرتفع عنه قليلا فهو "التَّزَيُّدُ". فإذا آرتفع عن ذلك فهو "الذَّمِيلُ". فإذا آرتفع فهو "الرَّسِيمُ". فإذا دارَكَ المشىَ وفيه قَرْمَطةٌ[٧] فهو "الحَفْدُ". فإذا آرتفع عن ذلك وضرب بقوائمه كلِّها فذاك "الارْتِباعُ" و"الانْتِباطُ". فإذا لم يَدَعْ جُهدًا فذاك "الاِدْرِنْفَاقُ".

---

(١) الرمث (من الحمض): شجر يشبه الغضى لا يطول ولكنه ينبسط ورقه، وله هدب طوال دقاق وله حطب وخشب، ووقوده حار، وينتفع بدخانه من الزكام.

(٢) كذا فى المخصص. وفى الأصلين: «أزرق»، وهو تحريف.

(٣) مكان هـذه الكلمة بياض بالأصلين. وقد وضعناها لاطرادها مع السـياق. وفى المخصص واللسان: «والآدم من الابل: الأبيض. فان خالطته حمرة فهو أصهب».

(٤) فى ب «أغبش» وفى ا: «أعبس»، وكلاهما تصحيف.

(٥) فى الأصلين «حمرته»، وهو تحريف. (راجع شرح القاموس واللسان والصحاح مادة حوى والمخصص ج ٧ ص ٥٦).

(٦) المسبطر: السريع، يقال: اسبطرت الابل فى سيرها اذا أسرعت وامتدت.

(٧) القرمطة: مقاربة الخطو.

***

وأما ما قيل فى المسير عليها والنزولِ للرّاحة والإراحةِ — فقد قالوا : إذا سار القومُ نهارا ونزلوا ليلا فذاك "التَّأْوِيبُ". فإذا ساروا ليلًا ونهارًا فذاك "الإِسْآدُ" . فإذا ساروا من أوّل الليل فهو "الإِدْلَاجُ". فإذا ساروا من آخر الليل فهو "الِادِّلَاجُ" . فإذا ساروا مع الصبح فهو "التَّغْلِيسُ" . فإذا نزلوا للاستراحة فى نصف النهار فهو "التَّغْوِيرُ" . فإذا نزلوا فى نصف الليل فهو "التَّعْرِيسُ" .

ذكر أصناف الإبل وعاداتها وما قيل فى طبائعها

والإبلُ ثلاثةُ أصنافٍ : يَمانىٌّ، وعِرابىٌّ، وبُخْتِىٌّ . فاليمانىُّ هو النَّجيبُ، ويُنَزَّل بمنزلة العتيق من الخيل . والعِرَابِىُّ كالبِرْذَون . والبُخْتِىُّ (١) كالبغل . ويقال : البُخْتُ (٢) ضأنُ الإبلِ . وهى متولِّدةٌ عن فساد منىّ العِراب . وحكى الجاحظُ أنّ منهم من يزعُم أنّ فى الإبل ما هو وَحْشِىٌّ وأنها تسكن أرضَ وَبَارٍ (٣)، وهى غير مسكونة بالناس . وقالوا : ربما نَدّ الجملُ منها فى الهِيَاجِ (٤) فيحمِلُه ما يَعْرِض له منه على أن يأتى أرض

---

(١) البختى : واحد البخت وهى الإبل الخراسانية تنتج من بين عربيــة وفالج (والفالج : الجمل الضخم ذو السنامين يحمل من السند للفحلة) .

(٢) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «النجيب» ، وهو تحريف .

(٣) وبار : أرض ما بين الشحر الى صنعاء ، مساحتها زهاء ثلثمائة فرسخ . ويزعم علماء العرب أن الله تعالى لما أهلك عادا وثمود أسكن الجن فى منازلهم ، وهى أرض وبار ، فحمتها من كل من يريدها ، وأنها أخصب بلاد الله وأكثرها شجرا ونخلا وخيرا .

(٤) هاج الفحل هياجا : هدر وأراد الضراب .

عُمَانَ، فَيضرِبَ فى أدنى هَجْمةٍ[١] من الإبل ؛ فالإبل المَهْرِيّةُ من ذلك النِّتاج . وتُسمّى الإبلُ الوحشيّةُ "الحُوشَ"[٢]. ويقولون : إنها بقايا إبلِ عادٍ وثمود ومَنْ أهلَكه اللهُ من العرب . والمَهْرِيّةُ منسوبة إلى مَهْرة[٣] (قبيلة باليمن)؛ وهى سريعة العَدْو . ويعلِفونها من قَديد سمكٍ يُصاد من بحر عُمَان .

وأمّا البُخْتُ — فمنها ما يُرَهْوِكُ[٤] مثلَ البَراذِين ، ومنها ما يَجْمِزُ[٥] جَمَزًا ويُرْقِلُ[٦] إرْقالًا . وفى البُخت ماله سَنامانِ فى طول ظهره كالسَّرْج، ولبعضها سَنامانِ فى العَرْض عن اليمين وعن الشمال، وتسمَّى "الخُراسانيةَ" .

قالوا : والجملُ لا يَنْزو إلّا مرّةً واحدةً يُقيم فيها النهار أجمع ويُنْزِل فيها مِرارًا كثيرة، فيجىء منها ولدٌ واحدٌ . وهو يخلو فى البرارى حالةَ النَّزْو، ولا يدنو منه أحدٌ من الناس إلا راعِيه المُلازِم له . وذَكَرُه صُلْبٌ جدًّا ؛ لأنه من عَصَبٍ . والأنثى تحمل سـنة كاملة؛ وتَلْقَح لِمُضِىّ ثلاثِ سنين، وكذلك الذكر يَنْزو فى هــذه المدّة، ولا ينزو عليها إلا بعد سـنةٍ من يوم وضْعها . وفيه من كرمِ الطِّباع أنه لا ينزو على أمّهاته ولا أخواته . ومتى حُمِل على أن يَفعل حقَد على من ألْزَمه ؛ وربمـا قتله . وليس فى الحيوان من يحقِد حِقدَه . وقد قالوا : إنّ العرب إنما ٱكتسبت الأحقادَ لأكلها لحوم الجمال ومداومتها . [٨٠]

(١) الهجمة من الابل : أولها أربعون الى مازادت، أو مابين السبعين الى المائة، أو الى دونها .

(٢) فى أ : « الجوش » بالجيم المعجمة . وفى ب : « الجوشى »، وكلاهما تحريف .

(٣) هو مهرة بن حيـدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة أبو قبيلة وهم حىّ عظيم، تنسب اليهم الابل المهرية، وهى نجائب تسبق الخيل . وقيل : لا يعدل بها شىء فى سرعة جريانها . ومن غريب ما ينسب اليها أنها تفهم ما يراد منها بأقل أدب تعلمه . ولها أسماء إذا دعيت بها أجابت سريعا .

(٤) الرهوكة : مشى الذى كأنه يموج فى مشيته .

(٥) جمز : عدا وأسرع . (٦) أرقل : أسرع .

وفى طبع الجمل ٱلِاهتـداءُ بالنَّجم، ومعرفةُ الطُّرُقِ، والغَيْرةُ، والصولةُ، والصبرُ على الحِمْـل الثقيل وعلى العطش . والإبلُ تَميل إلى شُرب الميـاه الكَدِرة الغليظةِ؛ وهى إذا وردت ماءَ الأنهار حرّكته بأرجُلِها حتى يتكدّر. وهى من عشّاق الشمس . وهى تتعرّف النباتَ المسمومَ بالشّمّ من مرّة واحدةٍ فتتجنّبه عنـد رَعْيه ولا تَغْلَط إلا فى اليَبِيس[1] خاصّةً . وزعم أرسطو : أنها تِعيش ثلاثين سـنة فى الغالب . وقال صاحبُ كتاب مباهج الفكر ومناهج العِبر ينقل عن غيره : وقد رُئِى منها ما عاش مائة سـنةٍ . وكانت للعرب عوائدُ فى إبلها أنها اذا أصاب إبلَهم العُرّ[2] كَوَوُا السـليمَ ليذهبَ العُرّ عن السقيم . وكانوا إذا كثُرت إبلهم فبلغتِ الألف فقـئوا عين الفحل؛ فإن زادت على الألف فقئوا عينه الأخرى . وقد ذكرنا ذلك فى أوابد العـرب، وهو فى الباب الثـانى من الفن الثانى من هذا الكتاب فى السفر الثالث من هذه النسخة . والله أعلم بالصواب .

ذكر ما ملَكه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإبل

كانت ناقةُ رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقال لها "القَصْواء" . ذكر ٱبن سعد عن محمد بن عمر قال حدثنى موسى بن محمد بن إبراهيم التَّيْمىّ عن أبيه قال : كانت القصواء من نَعَم بنى الحَرِيش، ابتاعها أبو بكر رضى الله عنه وأخرى معها بثمانمائة درهم فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه بأربعمائة، فكانت عنده حتى نَفَقَتْ[3]. وهى التى هاجر عليها صلى الله عليه وسـلم . وكانت حين قدِم المدينة رَبَاعِيةً، وكان ٱسمها "القَصْواء" و"الجَدْعاء" و"العَضْباء"، وكان فى طَرَف أُذُنها جَدْع[4]، وكانت لا تُسبَق

---

(١) اليبيس : ما يبس من العشب، والبقول التى تتناثر اذا يبست، وقيل : عام فى كل نبات يابس.

(٢) العر (بالضم) : الجرب . (٣) نفقت : هلكت .

(٤) الجدع : القطع البائن فى الأنف والأذن والشفة واليد .

كلما دُفعتْ فى سِباق . فلما كان فى سنة ستٍّ من الهجرة سابقَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين الرّواحل ، فسبق قَعُودٌ لأعرابىّ "القَصْواءَ"، ولم تكن تُسْبَق قبلها ؛ فشَقّ ذلك على المسلمين ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "حقٌّ على الله ألّا يرفعَ شيئا من الدنيا إلّا وضعه" . وعن قُدَامة بن عبد الله قال : رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حِجّته يرمى على ناقة صَهْباء . وعن سَلَمة بن نُبَيْط عن أبيه قال : رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حِجّته بعرفةَ على جمل أحمرَ . وذكر أبو إسحاق أحمد آبن محمد بن إبراهيم الثّعْلبىّ فى تفسيره : أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم بعث يوم الحدَيْبِيَة خِرَاش بن أُميّة الخُزَاعىّ قبْل عثمانَ (١) إلى قريش بمكة ، وحمَله على جمل له يقال له "الثَّعْلَب"؛ ليبلِّغ أشرافَهم عنه ما جاء له ؛ فعقَروا جملَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتلَه ؛ فمنعته الأَحَابِيشُ (٢)، فخلَّوْا سبيلَه . وكان للنبىّ صلى الله عليه وسلم عشرون لَقْحة (٣) بالغابة (وهى على بَريد من المدينة من طريق الشام) وكان فيها أبو ذَرٍّ، وكان فيها لقائحُ غُزْرٌ (٤) : "الحَنَّاء" و"السَّمْراء" و"العُرَيْس" (٥) و"السَّعْدِيّة" و"البُغُوم" (٦)

(١) يريد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائرا للبيت ومعظما لحرمته .

(٢) الأحابيش : جمع أحبوش (بضم الهمزة والباء) وهم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحارث بن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة ، كانوا تحالفوا مع قريش ، قيل تحت جبل يقال له الحبشى أسفل مكة ، وقيل : سموا بذلك لتحبشهم أى تجمعهم .

(٣) اللقحة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .

(٤) الغزر : (جمع غزيرة) ، وهى الكثيرة الدر من الإبل والشاء وغيرهما من ذوات اللبن .

(٥) كذا ورد مضبوطا بالعبارة فى شرح المواهب اللدنية للزرقانى (ج ٣ ص ٣٦٨) ، وضبط فى طبقات ابن سعد بالقلم (ج ١ ق ٢ ص ١٧٧) بفتح العين وكسر الراء المهملتين .

(٦) كذا وردت مضبوطة بالقلم فى تاريخ الطبرى (ص ١٧٨٥ من القسم الأول) وطبقات ابن سعد وشرح المناوى على ألفية العراقى (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٠٨ حديث) بفتح الموحدة وضم المعجمة . وضبطت بالعبارة فى شرح المواهب للزرقانى (بضم الموحدة والغين المعجمة) . ونحن نستبعد هذا الضبط .

و"اليُسَيْرَةُ"[١] و"الرَّيَّا"[٢] . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فرّقها على نسائه؛ فكانت "السَّمْراء" لقحةً غزيرة لعائشة؛ وكانت العُرَيِّس لأمّ "سَلَمة"؛ فأغار عليها عُيَيْنَةُ بنُ حِصْن فى أربعين فارسًا فآستاقوها وقتلوا آبنَ أبى ذَرٍّ[٣]؛ ثم ركب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابُه حتى آنتهَوْا إلى ذى قَرَد[٤] فاستنقذوا منها عَشْرًا وأفْلت القومُ بما بقى؛ وقيل : بل آستنقذها كلَّها منهم سَلَمَةُ بن الأكْوَع[٥] حين يقول : ما خلَق اللهُ شيئا من ظَهْر[٦] النبىّ صلى الله عليه وسلم إلا خلّفتُه وراء ظهرى وآستنقذتُه منهم؛ وذلك فى شهر ربيع الأوّل سنة ستّ .

وكانت لِقاحُه صلى الله عليه وسلم، التى كان يرعاها يَسارٌ مولاه بذى الجَدْر ناحية قُبَاءَ قريبًا من عَيْر[٧] على ستة أميال من المدينة ، خمسَ عشْرةَ لِقْحةً غِزَارًا آستاقها

(١) كذا وردت مضبوطة بالعبارة فى شرح المواهب للزرقانى (بياء مضمومة فى أوّله ، وقيل بالعين المهملة ، وفتح السين المهملة) و القلم فى شرح المناوى على ألفية العراق كذلك (بضم الياء وفتح السين المهملة) . وضبطت بالقلم فى طبقات ابن سعد والطبرى (بفتح الياء) .

(٢) كذا وردت فى تاريخ الطبرى مضبوطة بالقلم بدون مدّ . ووردت مضبوطة بالعبارة فى شرح الزرقانى (ج ٣ ص ٤٦٨ طبع بولاق) وبالقلم فى شرح المناوى على ألفية العراق بفتح الراء وتشديد الياء ومدّ . وضبطت بالقلم فى طبقات ابن سعد بالدال المهملة وتشديد الباء الموحدة ومدّ .

(٣) هو ذر بن أبى ذر الغفارى ، وكان هو وأبوه وزوجته (زوجة أبى ذر واسمها ليلى) يرعون اللقاح معا ، كما جاء فى شرح المواهب اللدنية (ج ٢ ص ١٧٩) .

(٤) ذو قرد (بالتحريك وقيل بضمتين) : ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر .

(٥) هو سلمة بن عمرو ، والأكوع لقب جدّه وآسمه سنان . وفى يوم ذى قرد هذا يقول سلمة وهو يرمى :

خذها وأنا ابن الأكوع * واليوم يوم الرضّع

(٦) الظهر : الابل والغنم .

(٧) كذا فى ياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى . وعير : جبل بناحية المدينة . وفى أ : « عيز » بالزاى . وفى ب : « غير » بالغين المعجمة والراء . وكلاهما تصحيف .

العُرَنِيّون(١) وقتلوا يَسارًا وقطعوا يدَه ورِجْلَه وغرَزوا الشوكَ فى لسانه وعينيه حتى مات . فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى إثْرهم كُرْزَ(٢) بن جابر الفِهْرىّ فى عشرين فارسا ؛ فأدركوهم وربطوهم وأرْدَفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينةَ ، فقُطِّعت أيديهم وأرجلهم وسُمِلَت(٣) أعينُهم وصُلِبوا . وفيهم نزل : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ الآية ؛ وذلك فى شوّال سنةَ ستّ . وفقَد النبىُّ صلى الله عليه وسلم منها لَقحةً تُدْعى "الحَنّاء"؛ فسأل عنها فقيل : نحروها .

(٨١) وقيل : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبع(٤) لقائحَ تكون بذى الجَدْر ؛ وتكون بالجَمّاء(٥) : لِقْحةٌ تدعى "مُهْرَة" وكانت غزيرةً ، أرسل بها سعدُ بن عُبادةَ من نَعَم بنى عُقَيل ، ولِقْحة تدعى "بُرْدَة" تَحْلُب كما تَحْلُب لِقْحتان غزيرتان ، أهداها له الضحّاك بن سُفْيان الكِلابىّ ، "والشَّقْراء" "والرَّيّا" "والسَّمْراء" "والعُرَيْس" "واليُسَيرة" "والحَنّاء" يُحْلَبن ويُراح إليه بلبنهنّ كلَّ ليلة .

وفى غَزاة بدر غَنِم رسول الله صلى الله عليه وسلم جَمَلَ(٦) أبى جَهْل وكان مَهْرِيًّا يغزو عليه ويضرب فى لِقاحه . ذكره الطبرىّ .

---

(١) العرنيون : قوم ارتدوا ، ينسبون إلى عرينة (كجهينة) قبيلة من العرب فى بجيلة .

(٢) كذا فى الطبرى والسيرة لابن هشام والاستيعاب والقاموس (مادة كرز) . وفى الأصلين : «كريز» ، وهو تحريف .

(٣) سمل عينه : فقأها .

(٤) كذا فى الأصلين وفى طبقات ابن سعد (القسم الثانى ج ١ ص ١٧٨) . ويلاحظ أن اللقائح التى ذكرت هنا وهناك ثمان لا سبع .

(٥) كذا فى سيرة ابن هشام (ص ٩٩٨) والطبرى (ص ١٧٨٥ من القسم الأوّل) وطبقات ابن سعد (ج ١ ق ٢ ص ١٧٧) . والجماء : اسم لمواضع كثيرة بجوار المدينة . وفى الأصلين : «بالحمى» وهو تحريف .

(٦) كان اسمه المكتسب (على صيغة اسم المفعول) . (راجع شرح المواهب للزرقانى) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى عام الحُدَيْبيــة فى هداياه (١) جملًا لأبى جهل فى رأسه بُرَةٌ (٢) من فضّة؛ ليغيظَ بذلك المشركين . ذكره ابن إسحاق .

وقيل : كانت للنبى صلى الله عليه وسلم لِقْحة اسمها "مَرْوَة" .

وقال ابن الكلبيّ : إن عِياض بن حَمّاد أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم نَجيبة، وكان صديقا له إذا قدِم عليه مكةَ لا يطوف إلا فى ثيابه؛ فقال له : "أسْلَمْتَ"؟ قال : لا؛ قال : "إن الله نهانى عن زَبْد (٣) المشركين" . فأسلم؛ فقبِلها .

ذكر شيء مما وُصِفت به الإبلُ نَظْماً وَنثرا

قال بعض من عظّم شأنَ الإبل : إن الله تعالى لم يخلق نَعَماً خيراً من الإبل؛ إن حَملت أثْقلَتْ، وإن سارت أبْعَدَتْ، وإن حُلِبت أرْوَتْ، وإن نُحِرتْ أشبعتْ .

وقال بَشَامَةُ (٤) يَصف ناقةً :

كأنّ يديها إذا أرْقَلَتْ * وقد حُرْنَ ثم اهتــدَيْنَ السَّبيلا
يَدَا سابحٍ خرّ فى غَمْــرةٍ * وقد شارَفَ الموتَ إلا قليــلا

(١) الهدى (بالتخفيف و بتشديد الياء، و يقال فيه هديّة): ما يقدّم الى البيت الحرام من النعم لتنحر .

(٢) البرة : حلقة تكون فى أنف البعير .

(٣) الزبد : الرفد والعطاء .

(٤) هو بشامة بن الغدير . وقد عدّه ابن سلّام الجمحى فى كتابه طبقات الشعراء فى الطبقة الثامنة من الشعراء الاسلاميين وذكر له شعرا . (راجع ص ١٤٦ — ١٤٨ من كتاب طبقات الشعراء طبع أوربا) .

إذا أقبلتْ قلتَ مشحونةٌ * أطاعت لها الرِّيحُ قِلْعًا جَفُولا
وإنْ أدْبَرتْ قلتَ مذعورةٌ * من الرُّبْد تَتْبَعُ هَيْقًا ذَمُولا (١)

وقال أبو تمّـام :

وبذّلهـا السُّرَى بالجهل حِلْمًا * وقَـــدّ أديمَها قـــدّ الأديم
بدَتْ كالبــــدر فى ليـلٍ بهيمٍ * وآبَتْ مثـــلَ عُرْجُونٍ قديم (٢)

وقال الحَطِيمُ الخَزْرَجِىُّ (٣) :

وقــد ضُمِرتْ حتى كأن وَضِـينَها (٤) * وِشاحُ عَروسٍ جالَ منها على خَصْرِ

وقال ابن دُرَيْد :

خُوصٌ كأشــباح الحَنَايَا ضُمَّــرٌ * يَرْعُفْنَ بالأَمْشَاجِ من جَذْب البُرَى (٥)
يَرْسُبْنَ فى بحر الدُّجَى، وفى الضُّحَى * يَطْفُون فى الآلِ إذا الآلُ طفا (٦)

وقال عبد الجبّار بن حَمْدِيس :

ومِن سُـفُنِ البَرّ سَــبّاحةٌ * من الآل بحـرًا إذا ما اعترَضْ

---

(١) الربد : النعام ، من الربدة وهى لون بين السواد والغبرة . والهيق : الظليم (ذكر النعام) . وفى الأصلين : «هيفا» بالفاء، وهو تصحيف . والذمول : السريع .

(٢) العرجون : أصل العذق الذى يعوج وتقطع منه الشماريخ . يريد أنها عادت مهزولة مقوّسة .

(٣) كذا فى مباهج الفكر وشرح القاموس (مادة خطم) . وفى الأصـلين : « الحطيم الجزرى » وهو تحريف . (٤) الوضين : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر، وهو للرحل بمنزلة الحزام للسرج .

(٥) خوص : غائرات العيون جمع خوصاء . والأشباح : الأشخاص ، واحدها شبح (بفتح الباء وسكونها) . والحنايا : جمع حنية ، وهى القوس لأنها محنية أى معطوفة . و يرعفن : من الرعاف وهو انبعاث الدم من الأنف . والأمشاج : ما يسيل من أنوفها من المخاط المتغير اللون . والبرى : جمع برة وهى حلقة تكون فى أنف البعير من فضة أو غيرها .

(٦) يرسبن : يغصن . و يطفون : يعلون . والآل : السراب .

لها شِرَّةٌ[1] لا تُبالى بها * أطالَ بها سَبْسَبٌ[2] أم عَرُضْ
إذا خفَق البُرْدُ بى خِلْتَنى[3] * على كُورِها طائرًا يَنْتفِضْ
وإن يَعرِضِ البعضُ[4] من سَيرِها * ترَى العِيسَ من خلفها تَنْقَرِضْ[5]
هى القوسُ إنّى لَسَهْمٌ لها * أُصيبُ بكل فلاة غَرَضْ

وقال الشريف البَياضِىّ :

نُوقٌ تَراها كالسَّفيـ * ـن إذا رأيتَ الآلَ بَحْرا
كَتَبَ الوَجا[6] بدمائها[7] * فى مُهْرَقِ[8] البَيْداء سَطْرا
لا تَستكِينُ من اللُّغو * ب إذًا ولا يَعْرِفن زَجْرا
وكأنّ أرْجُلَهن تطـ * ـلب عند أيديهنّ وِتْرا

---

(١) كذا فى ديوانه (المطبوع برومة ص ٢٥٦) . وفى الأصلين وهامش ديوانه : « سيرة » بالسين المهملة والياء المثناة .

(٢) السبسب : القفر والمفازة .

(٣) كذا فى الديوان . وفى الأصلين : «البردى» وهو تحريف .

(٤) كذا فى ديوانه . وفى ا : « نفض البعض » . وفى ب : « نفر البعض » ، وكلاهما تحريف . ولعله « وان تعرض البعض الخ » بتاء التأنيث .

(٥) كذا فى ديوانه . وفى الأصلين وهامش ديوانه : «تنفرض» بالفاء وهو تصحيف .

(٦) الوجا : الحفا وهو أن يشتكى البعير باطن خفه . وفى الأصلين : « الوحى » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .

(٧) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : « بزمامها » .

(٨) المهرق (بضم أوله وتسكين ثانيه وفتح ثالثه) : الصحيفة البيضاء يكتب فيها ، فارسى معرب . وفى ا : « المهرب » بالباء . وفى ب : «مهرات» ، وكلاهما تحريف .

٨٢ وقال أبو عُبَادة البُحْترىّ :

وخَدَانَ(١) القِلَاصِ حُـولًا إذا قا * بَلْنَ حُولًا من أَنْجُــمِ الأَسْحَارِ
يَتَرقْرقْنَ كالسَّراب(٢) وقـد خُضْـ * ـنَ غِمارًا من السَّراب الجَارِى
كالقِسِىّ المُعَطَّفَـات بل الأَسْـ * ـهُـمِ مَــبْرِيّةً بل الأوتارِ

وقال ذو الرُّمّة يصف ناقةً :

رَجيعــة أسفارٍ(٣) كأن زِمامَهــا * شُجاعٌ على(٤) يُسرى الذّراعين مُطْرِقُ

ومنه اخذ المتنبي فقال :

* كأنّ على الأعناق منها الأفَاعِيَا *

وقال أبو نُوَاس يصفها بالسرعة :

وتَجَشّمتْ بى هولَ كلِّ تَنُوفَةٍ(٥) * هوجاءُ فيهـا جُرْأَةٌ(٦) إقْــدامُ
تَذَرُ المَطِىَّ وراءَها(٧) وكأنهـا * صــفٌّ تَقَــدَّمُهُنّ وهى إمامُ

---

(١) وخد البعير وخدا ووخدانا : أسرع ووسع الخطو . وهذا البيت مرتبط ببيت قبله وهو :

وإذا ماتنكرت لى بلاد * أو خليــل فإننى بالخيار

(٢) كذا فى ديوانه (ج ٢ ص ٣٠ طبع مطبعة الجوائب) . وفى الأصلين : «بالسحاب» .

(٣) رجيعة أسفار : معاودة أسفار . والشجاع : الحية الذكر . ومطرق : ساكن لايتحرك .

(٤) رواية ديوانه المطبوع بأوربا : « لدى » .

(٥) التنوفة : الأرض القفر، وقيل : البعيدة الماء .

(٦) الذى ظهر لنا هو نصب « جرأة » على أن تكون مفعولا لأجله . ويكون المعنى : فيها إقدام لجرأتها .

(٧) كذا فى ديوانه . وفى الأصلين : « أمامها » وهو تحريف .

وقال الفرزدقُ منشدا :

تَنْفى يدَاها الحَصَى فى كلّ هاجرة (١) * نَفْىَ الدَّراهيم (٢) تَنْقادُ الصَّيارِيف (٣)

وقال آخر :

تطـيرُ مَناسمُها بالحَصَى * كما نَقَد الدرهمَ الصَّيْرَفُ

وقال الغَطَمَّشُ (٤) :

كأن يَدَيْها حين جَدّ نَجاؤها * يدَا سابح فى غَمْـرة يَتَبَوَّعُ (٥)

وقال آخر فى نُوق :

خُوصٌ نَواجٍ إذا حثّ الحُداةُ بها * حَسِبتَ أَرْجُلَهـا قُـدَّامَ أيدِيها

وقال القَطامىّ :

يَمْشِين رَهْواً (٦) فلا الأعجازُ خاذلةٌ * ولا الصـدورُ على الأعجاز تَتَّكِلُ

فهنّ مُعْتَرِضَاتٌ (٧) والحصى رَمِضٌ (٨) * والرّيحُ ساكِنةٌ والظِـلّ مُعْتَدِلُ

---

(١) فى الأصلين : « من كل » ، وهو تحريف .

(٢) كذا رواه سيبويه باثبات الياء فى « الدراهيم » ، على أنه جمع لدرهام لغة فى درهم أو جمع شاذ لدرهم . ويروى « نفى الدنانير » كما فى شواهد العينى لشروح الألفية .

(٣) كذا فى اللسان ، وقد جىء بهذا الجمع على الضرورة ، لأنه لما احتيج إلى تمام الوزن أشبعت الحركة ضرورة حتى صارت حرفا . وفى الأصلين : « التصاريف » ، وهو تحريف .

(٤) هو الغطمش بن عمرو بن عطية من بنى شقرة بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضبة . وقال ابن الكلبى : هو من بنى معاوية بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن كعب بن ضبة والغطمش يعنون به الظالم .

(٥) يتبوّع : يمد باعه .

(٦) الرهو : السير السهل المستقيم .

(٧) كذا فى الأصلين (بالضاد المعجمة) . والظاهر أنها مصحفة عن « معترصات » بالصاد المهملة . والاعتراص : الأرن والنشاط .

(٨) الرمض (بالتحريك) : حر الحجارة من شدة حر الشمس .

وقال أبو نُوَاس :

ولقد تَجوب بىَ الفــلاةَ إذا * صامَ النّهــارُ[1] وقالَتِ العُفْرُ[2]

شَـدَنِيّةٌ[3] رَعَتِ الحِمى فأتَتْ * مثـلَ الجبـالِ كأَنها قصرُ

وقال الأحمر[4] :

حمراءُ من نَسل المهارَى نَسْلُها * إذا ترامَت يَـدُها ورجلُهـا

حسبتَهـا غَيْرَى ٱستُفِزّ عقلُهـا * أَتْىَ[5] التى كانت تخاف بعلُهـا

ذكر ما قيل فى البَقَر الأَهْلية

عن أبى هُرَيرة رضى الله عنه عن النبىّ صلى الله عليــه وسلم قال : "بينا رجل يسوق بقرةً إذ ركبها فضربهــا فقالت إنّا لم نخلق لهــذا إنما خُلقنا للحرث"؛ فقال النــاس : سبحان الله بقرةٌ تكلَّمُ ! قال : "فإنى أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر" وما هما ثَمّ[6] .

---

(١) صام النهار : اعتدل وقام قائم الظهيرة .

(٢) قالت : سكنت وقت القائلة . والعفر من الظباء : ما يعلو بياضها حمرة ، وقيل : البيضاء التى ليست شديدة البياض . (٣) شدنية : نوق تنسب إلى شدن (موضع باليمن) .

(٥) فى ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى (ج ١ ص ٨٣ من النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٧٤ أدب) : «وقال الآخر» .

(٦) كذا فى ديوان المعانى . وفسر أبو هلال البيت بقوله : « أى كأنهــا من عملها بيديها ورجليها وسرعة تحريكها إياهما غيرى تخاصم وتشير بيديها لا تفتر » . وفى الأصلين : « أى » . وقد ضبطناه بهذا الضبط ، على أن يكون «أتى» مصدرا منصوبا على أنه مفعول له ، مضافا لمعموله ، وفاعله «بعلها» ، ويكون المعنى : استفز عقل هذه المرأة الغيرى من أجل إتيان بعلها ضرتها التى تخافها .

(٦) قوله : «وما هما ثم» يعنى أن العمرين لم يكونا حاضرين هناك . (انظر هامش صحيح الامام مسلم ج ٧ ص ١١١ طبع مصر) .

وقال أصحابُ الكلام فى طبائع الحيوان : إنّ الفحل من البقر ينزو إذا تمّت له سنةٌ من عمره، وقد ينزو لعشرة أشهرٍ . والبقرة إذا ولَدت تَحَدّر لبنُها من يومها، ولا يوجد لها لبنٌ قبل أن تضع . وهى تحمل تسعةَ أشهر وتَضَعُ فى العاشر؛ فإن (٨٣) وضعت قبل ذلك لا يعيش ولدها . وربما وضعت آثنين، وهو نادر . وهم يتشاءمون بها إذا وضعت آثنين . وإذا مات ولدها أو ذُبح لا يَسكُن خُوارُها ولا يدرّ لبنُها؛ ولذلك الرِّعاءُ يسلخون جلدَ ولَدِها ويحشونه لتدِرّ له وتسكُنَ، ويسمونه « البَوّ » . والبقر يُحبّ الماء الصافىَ، بضدّ الخيل والجمال . وقال المسعودىّ فى كتابه المترجم بمروج الذهب : رأيت بالرّىّ نوعًا من البقر تَبْرُكُ كما تبركُ الإبلُ وتحمِل فتثور بحملها، والغالب عليها حمرةُ الحَدَقِ . وحكى أُسامةُ(١) بن مُنْقِذ فى كتابه(٢) أن فى بعض البلدان(٣) بقرًا لها أعرافٌ كالخيل . ولعلّها الأبقار التى توجد فيها البَراجِم . والبَراجم فى أطراف أذنابها وفى أكتافها . ويقال : إنّ أبقار البراجم تخرج من بحر الصّين

(١) هو أسامة بن مرشد بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى، كان من مشهورى الكتّاب والشعراء. وقد ترجم له ابن خلكان فى تاريخه وقال: إنه من أكابر بنى منقذ أصحاب قلعة شيزر وعلمائهم وشجعانهم، له تصانيف عديدة فى فنون الأدب . وذكره العماد الكاتب فى الخريدة وقال بعد الثناء عليه : سكن دمشق ثم نبت به كما تنبو الدار بالكريم، فانتقل الى مصر فبقى بها مؤمّرا مشارا اليه بالتعظيم الى أيام الصالح بن رزيك، ثم عاد الى الشام وسكن دمشق، ثم رماه الزمان الى حصن كيفا فأقام به حتى ملك السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى دمشق فاستدعاه وهو شيخ قد جاوز الثمانين . وقال غير العماد : إن قدومه مصر كان فى أيام الظافر ابن الحافظ والوزير يومئذ العادل بن السلار فأحسن اليه . ولد سنة ٤٨٨ هـ وتوفى سنة ٥٨٤ بدمشق . (راجع تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٨٨ — ٩٠ طبع بولاق) .

(٢) اسمه : «أزهار الأنهار»، كما فى مباهج الفكر وكشف الظنون .

(٣) وردت هذه العبارة فى كتاب مباهج الفكر نقلا عن ابن منقذ هكذا : «أن فى بعض البلدان بقرا لها أعراف كأعراف الخيل؛ قال ابن منقذ: وأظنها الأبقار التى يوجد فيها البراجم، وسمعت من يقول: إنها أبقار عمالة فى بلاد يقال لها « جم وتانة وبلخشان» وهى ملونة : بيض وسود وبلق . والبراجم تكون فى رءوس أذنابها وهى الكبار وعلى كتفها وهى الصغار؛ وسمعت من يقول: إنها أبقار تخرج من بحر الصين» .

وهى تَلد وتُرْضِــع (١) ؛ ولذلك يقال البراجم البحريّة . و بأرض مصر بناحيتىْ دمْياط وتِنِّيس بقر تُسمى بقر الْخِيس (٢)، ضِخامٌ حسانُ الصُّوَر والشِّيات، ولها قرون كالأَهِلّة، وفيها نفورٌ وتوحّشٌ، لا ينتفع بهـا فى العمل و إنما يُنتفع بألبانها . وهى لا تُعْلَف الحَبَّ، ومأواها حيث يكون العُشْبُ والمـاءُ الدائمُ؛ ولها أسماء يدعونها بها إذا أرادوا حَلْبها، فتتقدّم إليهم .

وقد وصف الشــعراءُ البقرَ فى أشعارها ؛ فمن ذلك قولُ أحمد بن علّويه (٣) الأَصْبَهانىّ :

يا حبّــذا مَحْضُها (٤) ورائبُها * وحبّذا فى الرّجال صاحبُها
عِجَّــوْلةٌ (٥) سَمْحةٌ مبارَكــةٌ * ميمونةٌ طُفَّـــحٌ محالبُهـا
تُقبِل للحَلْب كلما دُعيتْ * ورامَهـا للحلاب حالِبُهـا
فتيــةٌ سِنُّهـا، مهــذّبةٌ * مُعَنَّفٌ فى النَّدِىّ (٦) عائبُهـا

---

(١) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «توضع» بالواو، وهو تحريف .

(٢) الخيس (بالفتح و يكسر) : من كور الحوف الغربى بمصر من فتوح خارجة بن حذافة، وكان أهلها ممن أعان على عمرو بن العاص فسباهم، ثم أمر عمر بردهم الى بلادهم على الجزية أسـوة بالقبط . (راجع معجم البلدان ج ٢ ص ٥٠٧) .

(٣) كان من شعراء أصبهان فى القرن الثالث للهجرة وكان له سنة ٣١٠ من العمر ٩٨ سنة، وقد عمر الى ما بعــد ذلك . وكان يقول الشـــعر الجيد . وله قصيدة على ألف قافية شيعية عرضت على أبى حاتم السجستانى فأعجب بها وقال : يأهل البصرة غلبكم أهل أصبهان . وأول هذه القصيدة :

ما بال عينك ثرة الانسان * عبرى اللحاظ سقيمة الأجفان

(راجع معجم الادباء لياقوت ج ٢ ص ٣) .

(٤) المحض : اللبن الخالص بلا رغوة .

(٥) العجولة : أنثى العجول، وهو ولد البقرة .

(٦) فى الأصلين : «الثدى» بالثاء المثلثة، وهو مصحف عما أثبتناه . وفى مباهج الفكر: «البذاء» .

كأنها لُعبةٌ مُزَيَّنةٌ * يَطير عُجْباً بها مُلاعِبُها
كأنّ ألبانَها جَنَى عَسَلٍ * يَلَذُّها فى الإناء شارِبُها
عَرُوس باقُورةٍ(١) إذا بَرَزَتْ * من بين أحبالها ترائبُها
كأنها هَضْبةٌ إذا ٱنتسبت(٢) * أو بَكْرةٌ قد أناف(٣) غارِبُها
تُزهى برَوْقين كالُّجَيْن إذا * مسَّهما بالبنان طالبُها
لو أنها مُهرَةٌ لما عَدِمت * من أن يَضُمّ السرورَ راكِبُها

وأنشدنى شمس الدين بن دانيال لنفسه :

لله عِجْلةُ خَيْسٍ * صفراءُ ذاتُ دلالِ
تُريك عَيْنَىْ مهاةٍ * من تحت قَرْنَىْ غزال
قد سُرْبِلَتْ بأصيلٍ * وتُوِّجت بهلال

وقال شاعر(٤) يصف صوت الحَلْب :

كأنّ صوت شَخْبِها(٥) المُرْفَضِّ * كَشِيشُ(٦) أفْعَى أجْمَعَتْ لعَضِّ
* وهى تَحُكّ بعضَها ببعض *

وقال :

كأن صوت شَخْبِها غُدَيَّه * هفيفُ ريح أو كَشيشُ حيّه

---

(١) الباقورة والباقور : جماعة البقر .
(٢) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : « ابتسمت » .
(٣) أناف : ارتفع وأشرف .
(٤) الأنسب للسياق أن يكون « وقال الراجز » وهو معتمر بن قطبة ، كما فى شرح القاموس مادة « كشش » .
(٥) الشخب (بفتح الشين وضمها) : ما يخرج من الضرع من اللبن اذا احتلب .
(٦) الكشيش صوت جلد الأفعى . وأما صوتها من فيها فيقال له الفحيح .

ذكر ما قيل فى الجاموس

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ :

والجواميسُ هى ضأنُ البقرِ . والجاموسُ أجزَعُ الحيوان من البعوض وأشدّها هرَباً منه إلى المـاء، وهو يمشى إلى الأسد رَخِىَّ البال، رابطَ الجأش، ثابتَ الجَنان. وقد حُكى عن المعتصم بالله العباسىّ أنه أبرز للأسد جاموسـتَيْن فغَلَبتاه، ثم أبرز له جاموسةً ومعها ولدُها فغلَبَتْه وحَمَتْ ولَدها ، ثم أبرز له جاموسا مفردا فواثبه ثم أدبر عنه . هـذا على ما فى الأسد من القوّة فى فمه وكَفِّه والجرأةِ العظيمة والوَثْبة وشدّة البطش والصبرِ والحُضْرِ والطَّلَب والهَرَبِ؛ وليس ذلك فى الجاموس، ولا يَستطيل بغير قرنه، وليس فى قرنه حِدّةُ قرنِ بقرِ الوحش؛ فإذا قوِى الجاموسُ مع ذلك حتى يقاوم الأسدَ دَلّ على قوّة عظيمة . ولذلك قدَّم الجاحظُ الجاموسَ على الأسد، وعلَّل تقديمَه عليه بهذه العِلّة . وليس ما حُكِى عن المعتصم فى أمر الجاموس وغَلَبته للأسد (٨٤) بعجيب؛ فإنّ الجواميس بالأغْوَار تُقاتِل الأسدَ وتُمانعه وتَدْفعُه فلا يقدِر على قهرها. وأصحابُ الجواميس هنالك منهم مَنْ يُغلِّف قُرونَها بالنُّحاس ويُحدِّدون أطرافَه ، يقصدون[(١)] بذلك إعانتَه على حرب الأسد وقتالِه .

والجاموسُ عنـدنا بالديار المصرية يقاتل التِّمساحَ الذى هو أسد البحر ويتمكّن منه ويَقْهَره فى المـاء ؛ فهو قـد جمع بين قِتال أسد البرّ وأسـد البحر . وله قُدرةٌ عظيمة على طول المُكث فى قعر البحر . والتماسيحُ لا تَكاد تأوِى مواردَ الجواميس من بحر النيل وتَتجنّبُ أماكنَها .

---

(١) فى الأصلين : «و يقصدون» بالواو .

والجواميسُ فى أرض الشأم من الأغوار والسواحل والأماكن الحارّة الكثيرة المياه يُنْتَفع بها فى الحرث والحُمُولة وجرِّ العَجَل وحَلْب ألبانها. وأمّا [فى][1] الدّيار المصرية فلا يستعملونها ٱلبتّةَ[2] ولا يَنتفعون بها إلا بما يَتَحَصَّل من ألبانها ونِتاجها .

وفُحُولُ الجواميس يكون بينها قتالٌ شديدٌ ومحاربةٌ ؛ فأيُّما فحلٍ غُلب وقهَره خَصْمُه، لا يأوِى ذلك المُراحَ ، بل ينفرد بنفسه فى الجزائر الكثيرة العُشْب شهورًا وهو يأكل من تلك الأعشاب ويشرب من ماء النيل ، وينفرد خصمُه بالإناث ؛ فإذا علم الهاربُ من نفسه القوّةَ والجَلَد، رجع إلى المُراح وقد توحّش وٱستطال، ويكون خَصمُه قد ضَعُفَتْ قواه فلا يقوم[3] بمحاربته ؛ ولكنه لا يُولِّى عنه إلا بعد محاربته . فإذا قهَره ترك الآخرُ المُراحَ وتوجّه إلى جزيرة وفعَل كما فعل الأوّلُ وعاد إلى خَصْمه .

ولبنُ الجاموس من ألَذّ الألبان وأَدْسَمِها . والرِّعاءُ يُسمُّون كلَّ جاموسة بٱسم تعرفه إذا دُعِيت به إلى الحَلْب، فتُجيب وتأتيه وتقِف حتى يَحْلُبَها .

ذكر ما قيل فى الغَنَم الضَّأْن والمَعَز

رُوِى عن أَنَس بن مالك وعَطَاء رضى الله عنهما : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : "الغَنَمُ بَرَكَةٌ موضوعةٌ" . وعن أبى سعيد الخُدْرِىّ رضى الله عنه

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) يلاحظ أن الحال فى مصر ليست الآن كما ذكر المؤلف ، إذ الجواميس تستعمل موق الاسفاع بألبانها ونتاجها فى الحرث كما تستعمل فى حمل الأثقال أحيانا .

(٣) يقال : ما قام فلان لهـذا الأمر ولا يقوم له ، إذا لم يطقه . و يقال أيضا : فلان لا يقوم بهذا الأمر أى لا يطيق عليه ، وإذا لم يطق الانسان شيئا قيل : ما قام به . (راجع اللسان مادة قام) .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يُوشِك أن يكون خيرُ مالِ المُسلم(١) غنمًا يتبع بها شَعَف(٢) الجبال ومواقِعَ القَطْر يَفِرّ بدينه من الفِتَن" . وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "رأسُ الكفر نحو المشرقِ والفخرُ والخُيَلاءُ فى أهل الخيلِ والإبلِ والفَدَّادِين(٣) أهل الوبر والسكينةُ فى أهل الغَنَم" .

ومن فضل الغنم مارواه أبو هريرة رضى الله عنه : أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "ما بعث اللهُ نبيًّا إلا وَرَعَى الغَنَم" . فقال له أصحابه : وأنت يارسولَ الله ؟ قال : "نعم [كنت أرْعاها على قَرارِيطَ لأهل مكة(٤)]" . وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنم مائةُ شاةٍ لا يريد أن تزيدَ كلّما وَلّد الراعى بَهْمَةً ذبح مكانها شاةً . وقال ابن الأثير فى تاريخه : وكان له شاةٌ تُسمى "غَوْثَة(٥)"، وقيل "غَيْثَة"، وعنزٌ

---

(١) كذا فى القسطلانى (ح ١ ص ١٣٦ طبع بولاق) . وفى الأصلين : «مال المرء» . (٢) شعف الجبال : رءوسها . (٣) أورد الجاحظ فى كتاب الحيوان فى كلامه على الماعز (ج ٥ ص ١٤٨) هذا الحديث ، ونصه فيه : « رأس الكفر قبل المشرق والفخر والخيلاء فى أهل الابل والخيل والفدادين أهل الوبر والسكينة فى أهل الغنم والايمان يمان والحكمة يمانية » . وفسر الفداد بالجافى الصوت والكلام ، وأنشد قول أبى الردينى العكلى :

* جاءت سليم ولها فديد *

وقال ثعلب : الفدادون : أصحاب الوبر لغلظ أصواتهم وجفائهم (يعنى بأصحاب الوبر أهل البادية) .

وقال الأصمعى فى تفسير قوله صلى الله عليه وسلم : " الجفاء والقسوة فى الفدادين" هم الذين تعلو أصواتهم فى حروثهم وأموالهم ومواشيهم وما يعالجون منها . وقال أبو العباس المبرد فى تفسيره له : « هم الجمالون والرعيان والبقارون والحمارون » . والفدادون أيضا : أصحاب الابل الكثيرة الذين يملك أحدهم المائتين من الابل الى الألف ، وهم جفاة أهل خيلاء ، كان أحدهم إذا بلغ ذلك قيل له : فدّاد . وهو فى معنى النسب كسراج وعوّاج لبائعى السروج والعاج .

(٤) الزيادة عن القسطلانى (ج ٤ ص ١٥٢) .

(٥) كذا فى ألفية العراقى والمواهب اللدنية وعيون الأثر . وفى الأصلين : «غوث» ولم يذكر ابن الأثير هذا الاسم فيما ذكره من منائحه صلى الله عليه وسلم (فى ح ٢ ص ٢٣٩ طبع أوربا) .

تسمى "اليَمَن" . وذكر بعض المتأخّرين من أهل الحديث أنّ مكحولًا سُئل عن جِلد المَيْتة، فقال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة تسمى "قَمَر"؛ ففقدها فقال : "ما فعلتْ قمرُ"؟ فقالوا : ماتت يا رسول الله؛ قال : "ما فعلتم بإهابها"؟ قالوا : مَيْتَة؛ قال : "دِباغُها طُهُورُها" .

قال الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدِّمياطى رحمه الله تعالى فى كتاب [فضل] الخيل : وكانت منائح رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنم سَبْعًا : "عَجْرَة" و "زَمْزَم"[1] و "سُقْيا" و "بَرَكَة" و "وَرْشَة" و "أَطْلَال" و "أَطْرَاف"[2] . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبعُ أَعْنُز مَنائح ترعاهُنّ أمُّ أَيْمن . قال : والمَنِيحةُ : الناقةُ والشاةُ تُعطيها غيرَك فيحلُبها ثم يردّها عليك . قال أبو عُبَيد : للعرب أربعةُ أسماء تَضَعُها مواضعَ العاريةِ، وهي : المَنِيحةُ، والعَرِيّةُ، والإفقارُ[3]، والإخبال[4] .

ذِكر ترتيب سِنّ الغنم

ولَدُ الشاةِ حين تَضَعُه ذكرًا كان أو أنثى "سَخْلَة" و "بَهْمَة" . فإذا فُصِل عن أمّه فهو "حَمَل" و "خَرُوف" . فإذا أكل واجترّ فهو "بَذَج"[5] و "فُرْفُور" . فإذا

(١) كذا فى الطبرى وابن الأثير . وفى أ : « رمزه » . وفى ب : « زنزه » وكلاهما تحريف .

(٢) كذا فى الطبرى وابن الأثير والمواهب اللدنية . وفى الأصلين : «أطواف» بالواو، وهو تحريف .

(٣) يقال : أفقر الرجل بعيره إذا أعاره غيره للحمل أو للركوب حتى إذا ما انتهى منه رده . مأخوذ من ركوب فقار الظهر . (٤) كذا فى لسان العرب (مادة منح) . والاخبال : أن تعطى الرجل البعير أو الناقة ليركبها ويجتزّ وبرها ثم يردّها . وفى الأصلين : « الإحبال » بالحاء المهملة، وهو تصحيف .

(٥) كذا فى المخصص (ج ٧ ص ١٨٩) واللسان (مادة بذج) . وفى أ : «بذح» بالحاء المهملة . وفى ب : «بدح» بالدال والحاء المهملتين، وكلاهما تصحيف .

بلغ النَّزْوَ فهو "عُمْروسٌ" . وكلّ أولاد الضأن والمعز فى السـنة الثانية "جَذَعٌ"؛ وفى الثالثة "ثَنِيٌّ"، وفى الرابعة "رَبَاع"، وفى الخامسة "سَدِيسٌ"، وفى السادسـة "سالِـغٌ"(١) . وليس له بعد هذا ٱسم . و يقال لولد المعز : " جَفْر " ثم "عَرِيضٌ" " وعَتُود " و "عَنَاقٌ" . والغنم، الضأن والمَعَز، تضع حملَها فى خمسة أشهر . وتَلِد
(٨٥) النعجةُ رأسًا إلى ثلاثة ، والعنز من الرأس إلى أربعة . و ينزو الذكَرُ بعد مضىّ ستة شهور من ميلاده . وتحمل الأنثى بعد مضىّ خمسة أشهر من يوم وُلِدَت . ويُجَزّ صوف الضأن عنهـا فى كل سنة . ولحومُ الضأن من أطيب اللُّحمانِ، وكذلك ألبانُهـا . وقد أطنب الجاحظُ فى المفاخرة بين الضأن والمعز وأطال وأتى بالغثّ والسَّمين .

وكتب أبو الخَطّاب الصابِى إلى الحسين بن صَبْرة جوابًا عن رقعة أرسلها إليه فى وصف حَمَلٍ أهداه إليه، جاء منها :

«وصلَتْ رقعتُك؛ ففضضتُها عن خَطٍّ مشرق، ولفظٍ مُؤنق؛ وعبارة مُصيبة، ومعانٍ غريبـة؛ وٱتّساع فى البلاغة يَعجِزُ عنه عبد الحميد فى كَتابته ، وسَحْبانُ فى خَطابته . وذكرتَ فيهـا حَمَلا ، جعلتَه بصفتك جَمَلا ؛ وكان كالمُعَيْدىّ أسمع به ولا أراه(٢) . وحضر، فرأيتُ كبشًا مُتَقادِمَ الميـلاد ، من نِتاج قوم عاد؛ قـد أفنَتْه الدهور، وتعاقبت عليه العصور؛ فظننتُه أحَدَ الزوجينِ اللذين(٣) حملهما نوح فى سفينته ، وحفِظ بهما جنسَ الغنم لذرّيته . صَغُر عن الكبر، ولَطُف فى القدر؛ فبانَت دَمَامتُه ،

(١) كذا فى اللسان والمخصص . وفى أ : «صالع» بالصاد والعين المهملتين . وفى ب : «صالغ» بالصاد المعجمة والعين المهملة ، وكلاهما تحريف .

(٢) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «اسمع به لا أن تراه» .

(٣) يشير بذلك الى قوله تعالى : (حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل) .

وتقاصرتْ قامتُــه، وعاد نحيفًا ضئيلا، باليًا هزيلا، بادِىَ السَّقام، عارِىَ العِظام، جامعًا للمعايب، مُشتمِلا على المثــالب، يَعْجَبُ العاقلُ من حلول الروح فيه؛ لأنه عظمٌ مُجلّد، وصوفٌ مُلبّد؛ لا تجِد فوق عظامه سَلَبا[1]، ولا تَلْقَ اليدُ منه إلا خَشَباَ؛ لو أُلْقِىَ للسَّبُع لأباه، أو طُرِح للذئب لعافه وقلاه؛ وقد طال للكلأ فَقْدُه، وبَعُد بالمرعى عَهْــدُه؛ لم يَرَ القَتَّ[2] إلّا نائمــا، ولا الشعيرَ إلا حالمــا. وقد خيّرتنى بين أن أَقْتَنِيَه فيكون فيه غِنَى الدهر، أو أذبحَه فيكون فيه خِصْب الشَّهر؛ فملتُ إلى ٱستبقائه؛ لِمَــا تعلمه من محبّتى فى التوفير، ورغبتى فى التَّثمير، وجَمْعى للولد، وٱدِّخارى لغد؛ فلم أجد فيــه مُسْتَمْتَعاً للبقاء، ولا مَدْفَعًا للفناء؛ لأنه ليس بأنثى فَيحمِل، ولا بِفَتِىٍّ فَيَنْسُل، ولا بصحيحٍ فيَرْعَى[3]، ولا بسـليم فيَبْقى؛ فملتُ إلى الثانى من رأييك، وعملت بالآخر من قوليك، وقلتُ: أذبحه فيكون وظيفة للعيال، وأُقيمه رَطْبًا مُقامَ قديدِ الغزال؛ فأنشدنى وقد أضرمت النار، وحُدِّدتِ الشِّفار، وشمَّر الجزّار:

أُعِيذُها نظراتٍ مـنك صادقةً * أن تَحْسَبَ الشَّحمَ فيمن شحمُه وَرَمُ

وما الفائدة لك فى ذبحى! وإنما أنا كما قيل:

لم يَبْقَ إلّا نَفَسٌ خافِتٌ * ومُقلةٌ إنسانُها باهِتُ

ليس لى لحم يَصلُح[4] للأكل، فإنّ الدهرَ أكلَ لحمى؛ ولا جِلْدٌ يصلُح للدَّبْغ، فإن الأيام مزّقتْ أديمى؛ ولا صــوفٌ يصلُح للغَزْل، فإن الحوادثَ حَصَّت[5] و بَرى.

---

(١) كذا فى مباهج الفكر. وفى أ: «لا يوجد فيها فوق عظامه سلبا». وفى ب: «لا يوحد فوق عظامه تسلبا»، وكلاهما تحريف. والسلب: ما على الرجل من اللباس. يريد به هنا اللحم لأنه يكسو العظم ويستره كما يستر اللباس الرجل.

(٢) القت: نبات رطب تعلفه الدواب.

(٣) فى الأصلين: «يرعى ... يبق» من غير فاء.

(٤) فى الأصلين: «فيصلح» بالفاء.

(٥) حصت وبرى: حلقته وأذهبته.

وإن أردتنى للوَقُود فكَفٌّ بَعَر أدْفأ من نارى، ولم تَفِ حرارةُ جَمْرى برائحة قُتَارى [(١)]. ولم يَبْقَ إلّا أن تُطالبنى بذَحْل [(٢)] أو بينى وبينك دَم. فوجدْته صادقاً فى مقالته، ناصحًا فى مشورته. ولم أعلم من أىّ أموره أعْجَب: أمِن مُماطَلَته الدّهرَ على البقاء، أم من صبره على الضُّر والبلاء، أم مِن قُدْرتِك عليه مع عَوَزِ مثله، أم من إتحافك الصديقَ به على خَسَاسة قَدْره. وياليت شعرى إذا [(٣)] كنتَ والىَ سوقِ الأغنام، وأمْرُك ينفُذُ فى المَعَز والضأن، وكلُّ حَمَلٍ سمين، وكَبْش بطين، مجلوبٌ [(٤)] إليك، وموقوفٌ عليك، تقول فيه فلا تُرَدّ، وتُريد فلا تُصَدّ، وكانت هديّتُك هذا الذى [كأنه] [(٥)] انْشِر من القبور، أو أُقيم عند النَّفخ فى الصُّور، فما كنتَ مُهْدِياً لو أنك رجل من عُرْض الكُتَّاب، كأبى علىّ وأبى الخطّاب! ما تُهدى إلّا كلبا أجرب، أو قردًا أحْدَب.

وقال شاعرٌ فى هذا المعنى:

ليت شِعْرى عن الخروفِ الهَزيلِ * ألكَ الذَّنْبُ فيــه أم للوَكيلِ
لم أجِدْ فيــه غيرَ جِــلْدٍ وعَظْمٍ * وذُنَيْبٍ له دَقيــقٍ طويـــلِ
ما أُرانى أَراه يَصــلُح إذ أصـ * ـبَح رَسْمًا على رسومِ الطُّلولِ
لا لِشَيٍّ ولا لِطَــبْخٍ ولا بيـ * ـع ولا بِرِّ صاحب وخليـــلِ
أعجَفُ [(٦)] لو مُطَفِّــلٌ نال منــه * لغـدا تائبًا عن التَّطْفِيـــلِ

(١) القتار (بالضم): الدخان من المطبوخ. (٢) الذحل: الثأر. (٣) فى الأصلين: «إذ». (٤) كذا فى مباهج الفكر. وفى أ هكذا: «بجلوت». وفى ب: «محلوب» بالحاء المهملة. وكلاهما تصحيف. (٥) التكملة عن مباهج الفكر.

(٦) الأعجف: المهزول. والمطفل: الطفيلىّ. يقال: طفّل الرجل أى صار طفيليا. وقد ورد هذا البيت فى الأصلين هكذا:

أعحف أو مطفل قال منه * لغدا تابيا عن التطفيــل

وفيه تحريف.

وقال شرفُ الدّين بن عَيْن وقد أهدى له بعضُ أصدقائه خروفا بعد ما مَطَلَه به :

أتانى خروفٌ ما تشكّكت أنّه * حليفُ جَوًى قد شَفَّه الهجرُ والمَطْلُ ٨٦

إذا قام فى شمس الظهيرةِ خلتَه * خيالًا سَرَى فى ظُلْمةٍ ما له ظِلُّ

فَناشدته : ما تَشتهى؟ قال : قَتّةً * وقاسمتُه(١) : ما شفَّه؟ قال لى : الأَكْلُ

فأحضرتُها خَضْراء مَجّاجَةَ الثرى * مُنَعَّمةً ما خَصّ أطرافَها فَتْلُ

وظَلّ يُراعيها بعينٍ ضعيفةٍ * ويُنْشدها والدّمعُ فى الخدّ مُنْهَلُّ :

«أتَت وحِياضُ الموت بينى و بينها * وجادت بوصلٍ حين لا ينفع الوصلُ»

وقال الحَمْدونىّ فى المِعْزَى :

أبا سعيدٍ لنا فى شَاتِك العِبَر * جاءت وما إن بها بَوْلٌ ولا بَعَرُ

وكيف تَبْعَرُ شاةٌ عندكم مَكَثَتْ * طَعامُها الأبيضان : الشمسُ والقمرُ

لو أنّها أبصرتْ فى نومها عَلَفًا * غنّت له ودموعُ العين تَنْحدرُ :

« يا مانعى لذّةَ الدنيا بما رَحُبَتْ * إنى لَيُقْنِعُنى من وجهك النظرُ »

وقال أيضا :

ما أَرَى إنْ ذبحتُ شاةَ سعيدٍ * حاصِلًا فى يَدَىّ غيرُ الإهاب

ليس إلّا عظامها ، لو تَراها * قلتَ هذى أَرازِنٌ(٢) فى جِراب

(١) قاسمته : أحلفته .

(٢) الأرزن : شجر صلب تتخذ منه عصىّ صلبة .

وقال فيها :

لِســعيدٍ شُوَيْهــةٌ * سَلّها الضُّرُّ والعَجَفْ

قــد تغنّتْ وأبصرتْ * رجــلا حامِلًا عَلَفْ :

نابِي مَنْ بكفّه * بُرْءُ دائى من الدَّنَفْ

فأتاهــا مُطَــمِّعًا * فأتَتْــه لتعتَــلِفْ

فتــولّى وأقبــلتْ * تتغنَّى من الأسَفْ :

ليتَه لم يكن وقَفْ * عذَّب القلبَ وآنصرفْ

القسم الرابع من الفن الثالث

فى ذوات السموم، وفيه بابان

البـاب الأوّل

من هذا القسم فى ذوات السموم القَوَاتل . ويَشتمل هذا البابُ على ما قيـل فى الحيّات والعقارِبِ .

ذكر ما قيل فى الحيّات

الحيّاتُ مختلفاتُ الجهات جِدًّا . وهى من الأمم التى يكثُر آختـلافُ أجناسها فى الصُّورِ والشِّيَم، والصِّغَرِ والعظَم، وفى التعرّض للناس وفى الهرب منهم(١) . فمنهـا ما لا يُؤذِى إلا أن تَطَأَها . ومنها ما يؤذى إذا وُطِئتْ فى حِماها . ومنها ما لا يؤذى فى تلك الحال إلا أن تكون على بَيْضها أو فراخِها . ومنها ما لا يؤذى إلّا أن يكون النـاسُ قد آذَوْها مرّة . فأمّا "الأسودُ" فإنه يَحقِدُ ويُطالِب ويَكْمُن فى المتـاع حتى يُدرِكَ؛ وله زمانٌ يقتُل فيه كلَّ شىء نَهَشه . وأما "الأفعى" فليس ذلك عندها، ولكنها تظهر فى الصيف مع أوائل الليـل إذا سكنَ وَهَجُ الرَّمل أو ظاهرُ الأرض، فتأتى قارعةَ الطريق حتى تَستديرَ كالرَّحى وتُشْخِص رأسَها؛ فمَنْ وَطِئ عليها أو مسَّها نَهَشَتْه . وهى من الحيّات التى تَرصُد؛ وهى تقتُل فى كل زمانٍ وعلى كل حال . و"الشُّجاع" يُواثِب و يقوم على ذَنَبـه . والحيّاتُ أصنافٌ كثيرة سنذكر ما أمكن ذكره منها إن شاء الله .

---

(١) فى الأصلين : « فيها » .

والعرب تضرب المثَل فى الظلم بالحيّة فيقولون : "أَظلَمُ من حَيَّةٍ" ، لأنهـا لا تتخذ لنفسها بيتا ، وكل بيت قَصدتْ نحوَه هرَب أهلُه منه وأخلَوْه لها .

والحيّةُ مشقوقةُ اللسان ، ولسانُها أسودُ . وزعم بعض المفسرين لكتاب الله عز وجل أنّ الله تعالى عاقَب الحيّةَ ، حين أدخلتْ إبليسَ فى فمها حتى خاطب آدمَ وحواءَ وخدعهما ، بعشرة أشياء : منها شَقُّ لسانها ؛ فلذلك تَرى الحيَّةَ إذا ضُربَتْ لِتُقْتَلَ كيف تُخرِج لسانَها لتُرِىَ الضاربَ لها عقوبةَ الله تعالى ، كأنها تَسترحِمُ . ويقال : إن من خصائص الحَيّة أنّ عينها إذا قُلِعتْ عادت ، وكذلك نابُها إذا قُلِـع أو قُطِع بالكاز[١] عاد بعد ثلاث ليالٍ ؛ وكذلك ذنَبُها إذا قُطع عاد . وفى طباعها أنها تهرب من الرجل العُرْيان ، وتَفرَح بالنار وتطلُبها وتُعْجَب بهـا ، وباللبن والبطيخ واللُّفَّاح[٢] والخَرْدل . (٨٧)
وهى لا تَضبِط نفسَها عن الشّراب إذا شمّته ؛ وإذا وجدَتْه شربت منه حتى تسكَرَ ؛ فربما كان السُّكرُ سببَ حتفها ؛ لأنها إذا سَكِرتْ خَدِرتْ . وتَكرَهُ الحيّةُ ريحَ السَّذاب[٣] ولا تملِكُ نفسَها [معه][٤] ، وربمـا اُصْطِيدَتْ به ؛ وتَكرهُ ريحَ الشّـيح . والحيةُ تُذبَح حتى تُفرَى أوداجُها فتبقى أيامًا لا تموت . ومتى ضُربت بالقَصَب الفارسىّ ماتت ، وإن ضُربت بسوط قد مسّه عَرَقُ الخيل ماتت . ويقال : إنها لا تموت حَتْفَ أنفها إلا أن تُقتَلَ .

---

(١) الكاز : المقص بالفارسية .

(٢) اللفاح : هو المعروف فى مصر بالشمام .

(٣) السذاب : نوعان : برّىّ وبستانى ، فالبستانى يفرّع فروعا تطلع من ساق له قصيرة تتشعب عليه شعب مثل الأغصان ويحمل فى أطراف أغصانه رءوسا تتفتح عن ورد صغار الورق أصفر واذا انتشر سقط منه الحب . وأما البرىّ فهو أصغر ورقا من البستانى وزهره مثل زهر البستانى .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

ومن أعجب ما شاهدتُه أنا من الأفاعى أنها قُطِّعت بحضورى بالبِيمارِستان[1] المنصورى بالقاهرة المُعِزِّيّة فى شهور سنة ستٍّ وسبعمائةٍ بسبب عمل الدِّرْياق الفَارُوق[2]؛ وقُطِع من رأسها وذنبها ما جرتِ العادةُ بقطعه، وسُلِختْ وشُقّ بطنُها ونُظِّفَتْ وهى تختلج، ثم سُلِقَتْ وجُرِّد لحمُها عن العظم، فنظرتُ إليـه فإذا هو يختلج؛ فعَجِبتُ لذلك، وذكرته لرئيس الأطبّـاء عَلَم الدِّين[3] المعروف با بن أبى حُلَيْقة وهو حاضر فى المجلس، فقال: ليس هـذا بأعجَبَ ممـا تراه الان، وقال لى: استَدْعِ أقراصَ الأفاعى التى عُمِلت من أكثرَ من سـنة؛ فاستدعيتُها، فأحضرها الخـازنُ وهى فى العسـل وقد دُقّ لحم الأفاعى بعـد سَلْقه وعُجِن بالسَّميذ وجُعل أقراصًا ووُضِع فى العسل من أكثر من سنة؛ فقال لى: تأمّل الأقراصَ؛ فتأملتُها فإذا هى تضطرب آضطرابا خفيفا[4].

وقال الجاحظ: وزعم صاحب المَنْطِق أنّ الحيّات تَنْسلخ عن جلودها فى كل عام فى أوّل فصـل الربيع أو الخريف؛ وتبتـدئ بالسَّلْخ من عيونها ويتمّ سَلْخُها فى يوم وليلة، ويصير داخلُ الجلد هو الخارج. وإذا هَرِمت وعَجَزَت عن السلخ

---

(١) هو بيمارستان الملك المنصور قلاوون الألفى الصالحى، وبعضه باق الى الآن ويعرف بمستشفى قلاوون، وهو تابع لوزارة الأوقاف المصرية. (راجع ما كتبه عنه المقريزى بتفصيل واف فى خططه ج ٢ ص ٤٠٦ وعلى باشا مبارك فى خططه ج ٥ ص ٩٩ — ١٠١).

(٢) الدرياق الفاروق أحدّ الدراييق وأجل المركبات، لأنه يفرق بين المرض والصحة.

(٣) هو علم الدين ابراهيم بن الرشـيد بن أبى الوحش المعروف بآبن أبى حليقة رئيس الأطباء بالديار المصرية والبلاد الشامية، كان بارعا فى الطب محظوظا عند الملوك والأمراء، ونالته السعادة من ذلك حتى إنه لمـا مات خلف ثلثمائة ألف دينار غير القماش والأثاث. وهو أوّل حكيم ركب بدمشق شراب الورد الطرى ولم يكن يعرف بدمشق قبل ذلك. رحمه الله. توفى بمصر سنة ٧٠٨ هـ. (راجع عيون التواريخ لابن شاكر والسلوك للقريزى وعقد الجمان للعينى والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى فيمن توفى سنة ٧٠٨ هـ).

(٤) كذا فى ب. وفى أ: «خفيا».

وآرتخى جسمُها أدخلت جسمَها بين عودين أو فى صَـدْعٍ ضيقٍ حتى تنسلخ، ثم تأتى إلى عين ماء فتنغمس فيها فيشتدّ لحمُها و يعود إلى قوّته وشدّته .

قال الجاحظ : وليس فى الأرض مثـل جسم الحيّة إلا والحيّة أقوى بدناً منه أضعافا . ومن قوّتها أنها إذا أدخلتْ صـدرَها فى جُحْر أو صَـدْع لم يستطع أقوى الناسِ وقد قبض على ذَنَبها بكلتا يديه أن يخرجها ، لشدّة آعتمادِها وتعاون أجزائها ؛ و ربما آنقطعت فى يد الجاذب لهـا . فإذا أراد أن يُخرِجها أرسلها بعضَ إرسالٍ ثم يجذِبها كالمُختَطِف لهـا . قال : ومن أصناف الحيّات ما هو أزْعَر ، وما هو أزَبّ (ذو شعر)، ومنها ذواتُ قرون. ومنها ما يسمى الأسود وهو ما إذا كان مع الأفاعى فى جُونةٍ[(١)] وجاع آبتَلعها من قِبَل رءوسها، ومتى رام ذلك من غير جِهة الرأس عضّته فقتلته. ومن أصنافها ما يسمى "الأَصَلَة"، وهو ثعبان عظيم جدّا، وله وجه كوجه الإنسان؛ و يقال : إنه يصير كذلك إذا مرّت عليه ألوف من السنين . وهو يقتل بالنظر و بالنفخ . ومنهم من يسمّى هذا النوعَ الصِّـلّ ، ويقول : إنّ أصل خِلْقته على هذه الصفة. قال : وفى البادية حيّة يقال لها "الحُفّاث" تأكل الفأرَ وأشباهَه. وهى عظيمةٌ، ولها وعيدٌ منكَرٌ ونفخٌ و إظهار للصولة، وليس وراء ذلك شيء؛ والجاهل ربما مات من الفزع منها .

قالوا : والثعبان والأفعى[(٢)] فإنه يقتل بما يُحدثه من الفزع؛ لأن الرجل إذا فزِع تفتّحت مَسَامُّه ومنافِسُه، فيتوغّل السمُّ فى موضع الصَّميم[(٣)] وأعماق البدن . فإن

(١) الجونة : سليلة مستديرة مغشاة أدما (الجراب) .

(٢) كذا فى الأصلين . والسياق يقتضى أن يكون : « قالوا : والثعبان والأفعى يقتلان بما يحدثانه من الفزع ... الخ» .

(٣) الصميم : العظم الذى به قوام العضو . وفى الأصلين : « الصمم »، وهو تحريف .

نَهَشت[1] النائمَ والمُغْمَى عليــه والمجنونَ والطفلَ الصغير لم تقتله البتّة[1] . وزعم صاحبُ المنطق أنّ بالحبشــة حيّاتٍ لهــا أجنحةً . وأخبرنى المولى شرفُ الدين أحمــد بن اليَزْدِىّ قال : كنت بمدينــة الرَّمْلة[2] فى شهور ســنة آثنتين وسبعمائة صحبةَ الصاحب شرف الدين بن الخليل ومعه القاضى الحاكم وجماعةٌ كثيرة من الناس وفيهم عَدَوْلى[3] وغيرهم ؛ فنظرنا نحو السماء فإذا نحن بحيّتين عظيمتين طائرتين فى الهــواء قاصدتين صوبَ البحر، كلّ منهما فى غِلَظ الثنيانة[4]، وإن إحداهما مستقيمة فى طيرانها والأخرى تتعوّج من قِبَل رأسها ووسَطِها وذَنَبها، وكانتا من الأرض بحيث لا يبلغهما السهم، قال : فسطّرنا بذلك محضرًا على عدّة نسخ .

وحكى بعضُ المؤرّخين : أنه وُجد فى خزائن المستنصر بالله العُبَيْدى[5] أحدِ خلفاء مصر بَيْضَةٌ محلاّةٌ بالذّهب ظنّوا أنها بيضةُ نعامة؛ فجعل الناس يتعجّبون من تَحْليتها

(١) كذا فى الأصلين . وعلى ما استدركناه فى حاشية رقم ٢ ص ١٣٦ يقتضى أن يكون السياق : «فان نهشا ... ... لم يقتلاه البتة» .

(٢) الرملة : مدينة عظيمة بفلسطين، نسب إليها قوم من أهل العلم .

(٣) العدولى : الملاحون، مفرده عدولىّ .

(٤) كذا فى الأصلين . والسياق يدل على أنه يريد أن يشبه هاتين الحيتين بشىء غليظ . ويحتمل أن تكون هذه الكلمة محرفة عن الثناء (بالكسر) وهو عقال البعير ونحوه من كل حبل مثنىّ .

(٥) هو أبو تميم معدّ بن الظاهر لإعزاز دين الله . ولد سنة ٤٢٠ هـ وبويع له بالخلافة سنة ٤٢٧ هـ وعمره يومئذ سبع سنين وأقام فى الخلافة ستين سنة وأشهرا وجرى فى أيامه مالم يجر فى أيام أحد من أهل بيته ممن تقدّمه ولا ممن تأخر عنه . وتوفى سنة ٤٨٧ هـ . (راجع ترجمته بتفصيل واف فى تاريخ ابن خلكان ج ٢ ص ١٥١ طبع بولاق والمقريزى ج ١ ص ٣٥٥) .

بالذّهب، فذكروا ذلك للُستكفى، فقال : إنها بيضةُ حيّة كان بعضُ الملوك أهداها لجدّى القائم بأمر الله[(١)] .

ومن كتاب نَشْوار المحاضرة قال حدّثنا أبو إسحاق إبرهيم بن الورّاق قال حدّثنى عمى أبو الحسين[(٢)] : أن الحُصَيْنِىّ حدّثه عن أبى العبّاس بن الفُرات قال حدّثنى أبى قال : قال لى جعفر الخيّاط[(٣)] : أمرنى المأمون ونحن بالروم أن أقْتَص[(٤)] (٨٨) الطريقَ لئلا يكون به جواسيس للعدوّ، فأخذتُ معى جماعةً من أصحابى فُرساناً ورَجّالةً وسلكتُ الطـريقَ، فعَنّ لى شِعْب فقصدتُه لئلا يكون فيه كمينٌ من الجواسيس، وتقدّمنى الرَّجّالة فرأيتهم قد وقفوا، فأسرعت اليهـم وسألتُهم عن خبرهم، فقالوا : انظر، فنظرتُ فإذا رجلٌ من الرجّالة قد قعد لقضاء حاجته، ومشى أصحابُه، فقصدتْه حيّةٌ من وراء ظهره فآبتلعته من رجليه إلى صدره وهو يستغيث ويصيح، فلم يكن لنا فيه حيلةٌ وخِفتُ أن آمُرَ الرجّالةَ برمى الحيّة بالنُّشّاب فيصيب الرجلَ فأكون أنا قتلتُه . فبسَط الرجلُ يديه وآنتهى بَلْعُ الحيّـة إلى إبْطَيْه، فرأيتُها وقد آنضمّت على

(١) هو القائم بأمر الله أبو القاسم محمد، ولى الأمر بعد موت أبيه المهدى عبيد الله بعهد منه اليه . سار الى مصر مرتين ووقع له مع أصحاب مصر حروب وخطوب . وكانت وفاته بالمهـدية من بلاد المغرب فى شوّال سـنة ٣٣٤ هـ . (راجع ترجمته فى النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٨٧ طبع دار الكتب المصرية والمقريزى ج ١ ص ٣٥١) .

(٢) كذا فى ا . وفى ب : « عمر أبو الحسين » . وقد بحثنا عن هـذا الاسم فى الجزء الأوّل المطبوع من كتاب نشوار المحاضرة (طبع مطبعة أمين هندية بمصر)، فلم نعثر عليه . فلعل هذه الحكاية التى ورد فيها هذا الاسم جاءت فى الأجزاء التالية التى لم تطبع بعد .

(٣) هو جعفـر بن دينار بن عبد الله الخياط، كان من كبار القوّاد فى عصر المأمون وابنه المعتصم . وجهه المأمون على رأس جيش فى سـنة ٢١٥ هـ الى صاحب حصن سنان فأخضعه؛ وكان مع الأفشين فى حرب بابك الخرّمى وأبلى معه بلاء حسنا .

(٤) الاقتصاص : تتبع الأثر .

ما ٱبتلعته منــه ضمّةً سمعنا تكسيرَ عظامه فى جوفها ، فمــات وسقطت يداه فٱبتلعته حينئذ بأسْرِه . فقلت : الآن أَقْصِدوها بالنُّشّاب ؛ فرشقْناها جميعا فأثبَتْناها فى موضعها حتى قتلناها ؛ فأمرتُ بشَق بطنها لأُعايِنَ جسمَ الرّجل ، فلم نجد فى بطنها من جِلْد ولا عَظْمٍ ولا غيرهما إلا شيئاً كالخيط الأسود ، فإذا هى قد أحرقته فى لحظةٍ واحدةٍ .

ويقال : إن بجزائر الصين حياتٍ تبتلع الإبلَ والبقرَ وشِبهها .

قال الجــاحظ : حدّثنى أبو جعفر المكفوف النحوىّ العَنــبرىّ وأخوه رَوْح الـكاتب ورجالٌ من بَنِى العنبر : أنّ عندهم فى رمال بَلْعَنْبَر حيّةً تصيد العصافيرَ وصغارَ الطير بأعجب حيلةٍ ؛ وزعموا أنها إذا ٱنتصف النهــارُ وٱشتدّ الحرُّ فى رمال بَلْعَنْبَر وٱمتنعت الأرضُ على الحافى والمُنْتَعِل ، غمَست هذه الحيّةُ ذَنَبها فى الأرض ثم ٱنتصبت كأنها عُودٌ مركوزٌ أو عودٌ ثابت[1] ، فَيَجىء الطائرُ الصغيرُ والجرادةُ ، فإذا رأى عودًا قائمــا وكرِه الوقوعَ على الرّمل لشــدّة حرّه وقع على رأس الحيّة على أنها عود ، فإذا وقع على رأسها قبَضَتْ عليه . فإن كان جرادةً أو جُعَلًا أو بعضَ ما لا يُشبعها ٱبتلعتْــه وبقيتْ على ٱنتصابها ؛ وإن كان طائرًا يُشبِعُها أكلتْه وٱنصرفتْ ؛ وإن ذلك دأبُها مامنع الرملُ جانبَه فى الصيف والقيظ .

قال : وزعم لى رجالٌ من الصَّقَالبة خِصْيانٌ وفحولٌ أنّ الحيّةَ فى بلادهم تأتى البقرةَ المُحَفَّلةَ[2] فتنطوِى على فَخِذَيها وركبتيها إلى عَراقيبها ثم تَشْخَصُ صدرَها نحو أخلافِ ضَرْعها حتى تلتقمَ الخِلْفَ ، فلا تستطيع البقرةُ مع قوّتها أن تَتَرمرمَ[3] ؛ فلا تزال الحيّةُ

(١) فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٤ ص ٣٨) : «ثابت» بالثاء المثلثة .

(٢) المحفلة : الممتلئة الضرع التى تركت أياما من غير حلب ليتجمع لبنها . وفى الحديث "من اشترى شاة محفلة فلم يرضها ردّها وردّ معها صاعا من تمر" .

(٣) تترمرم : تتحرك .

تَمُصّ اللبنَ ، وكلما مَصّت آسترختْ ؛ فإذا كادت تَتْلَف أرسلتها . وزعموا أنّ تلك البقرةَ إما أن تَتلَف، و إما أن يُصيبها داءٌ فى ضرعها وفسادٌ شـديد يعسُر دواؤه .

وهذا البـاب طو يل؛ وقد أوردنا منه ما فيه غُنْيَةٌ . فلنذكر ما قيل فى أصناف الحيّات وأوصافها .

ذِكرُ أسماء الحيّات وأوصافها — يقال : "الجانّ"[1] و"الشيطان" هى الحيّة الخبيثة . و"الحَنَش" : ما يصاد من الحيّات . و"الحَيُّوتُ" : الذكر منها . و" الحُفّاثُ " و " الحِضْبُ "[2] : الضخم منها . و"الأسود": العظيم وفيه سواد؛ ويقال : الأسود هو الداهية؛ وله خُصْيتانِ كخُصْيتى الجَدْى، وشعر أسود، وعُرفٌ طو يل، وصُنانٌ كصُنانِ التّيْس. و"الشُّجاعُ" : أسود أملس يضرب إلى البياض، خبيث؛ و يقال : إنه دقيق لطيف . و"الأُعَيْرِج" : حيّــةٌ صَمّاءُ لا تقبَـلُ الرُّقَى وتَطفِر كما تَطفِر الأفعى . و يقال : الأُعَيْرِجُ : حيّـةٌ أُرَيْقِط نحوٌ من ذراع ، وهو أخبثُ من الأسود . وقال آبن الأعرابىّ : الأعيرِجُ أخبثُ الحيّات ، يقفِـز على الفارس حتى يصيرَ معــه فى سَرْجه . وقال الليث عن الخليل : الأفعى التى لا تنفع معها رُقْيَةٌ ولا دِرْياقٌ، وهى دقيقة العنق عريضة الرأس. وقال غيره : هى التى إذا مشت مُنْثَنِيةً جَرَشَتْ بعضَ أسنانها ببعض. وقال غيره : هى التى لها رأس عريضٌ ولها قَرْنانِ . والأُفْعُوانُ": الذكر من الأفاعى . و"العِرْبِدُّ" و "العِسْوَدُّ" حية تَنْفخ ولا تُؤذى . و" الأَرْقَم " : الذى فيــه سواد و بياض ، و" الأَرْقَش " نحوه . و"ذو الطُّفْيَتَيْن" : الذى له خَطّان أسودان . و" الأَبْتَرُ" : القصـير الذنب . و" الخَشْخَاشُ " : الحيّة الخفيفة . و" الثعبان " : العظيم منها، وكذلك "الأَيْم"

(١) فى الأصلين : «الحيات» . والتصويب عن المخصص .

(٢) كذا فى اللسان والمخصص . وفى الأصلين : «الحصب» بالصاد المهملة، وهو تصحيف .

و "الأَيْنُ". و "ٱبن قِتْرة": حيَّة شبيهة بالقضيب من الفضّة فى قَدْر الشِّبْر والفِتْرِ، وهى أخبثُ الحيّات، فإذا قَرُبَ من الانسان تَراءَى فى الهواء فوقَع عليه من أعلاه. و "ٱبنُ طَبَق": حيّةٌ صفراءُ، ومن طبعها أن تَنام ستةَ أيام ثم تنتبه فى اليوم السابع. ولا تَنْفُخُ شيئا إلا أهلكتْه قبل أن يتحرّك. وربما مرّ بها الرجلُ وهى نائمة فيأخذها كأنها سِوار من ذهب، فإن ٱستيقظت وهى فى كفِّه خرّميتًا. ومن أمثال (٨٩) العرب "أصابته إحدى بناتِ طَبَق". قال الليث: "السُّفُّ"(١): الحيّةُ التى تطير فى الهواء. وأنشد:

وحتى لَوَ ٱنّ السُّفَّ ذا الرِيش عَضَّنى * لما ضَرَّنى من فِيه نابٌ ولا ثُغُرُ(٢)

و "النَّضْنَاضُ"(٣): الذى لا يسكن فى مكان.

ومن أسمائها "القُزَة"(٤) و "الهِلال" و "الرَّعَاصةُ"(٥).

ذكر ما فى لحوم الحيّات من المنافع والأدوية

قال الشيخ الرئيس أبو علىّ بن سينا: والحيّة يُستعمل مطبوخُها بالماء والملح والشِّبْث، وقد يُزاد عليها الزّيت. قال: وأجودُ لحمه لحمُ الأُنثى، وأجودُ سِلْخِه(٦) سلخُ

(١) كذا فى اللسان والمخصص. وفى الأصلين فى الموضعين: «السيف» بزيادة الياء، وهو تحريف.

(٢) كذا فى اللسان مادة (سفف)، والثعر: السم. وفى الأصلين: «ثغــر» بالغين المعجمة، وهو تصحيف.

(٣) كذا فى اللسان والمخصص. وفى أ: «المضماض». وفى ب: «الفضاص»، وكلاهما تحريف.

(٤) كذا فى اللسان والمخصص. وفى الأصلين: «الغرة»، وهو تحريف.

(٥) فى الأصلين: «الرعامة» بالميم. ولم نجدها فى كتب اللغة ولا فى المخصص (فى الكلام على الحيات) فلعلها محرفة عما أثبتناه. يقال: ارتعصت الحية إذا التوت.

(٦) السلخ (بالكسر): الجلد.

الذَّكَر . وطبع الحيّـة (١) إلى التجفيف فى لحمها قوىّ ؛ وأما التسخين فليس بشديد؛ وسِلْخُه شـديد التجفيف أيضا . وخاصيّةُ لحمه أنه يُنْفِذ الفضولَ إلى الجلد، سيّما إذا كان الإنسانُ غيرَ نَقِىّ . قال : ولحمه إذا آستُعْمِل أطال العمرَ ، وقوّى القوّة ، وحفظ الحواسّ (٢) والشباب — أمّا قولُه : « أطال العمر » فيَرُدّ هذا القولَ ما ورد فى الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " فرغ ربُّك من أرْبَع خَلْقٍ وخُلُقٍ ورزقٍ وأجَلٍ (٣)". وأما ماعدا ذلك فغيرُ مردودٍ عليه — . قال : وأكْلُه ينفع من الجُذَام نفعًا عظيما؛ وإذا آستُعمل على داء الثعلب (٤) نفع نفعًا عظيمًا . ولحمها ومرقُها بعد إسـقاط طرفها يمنع تزيُّدَ الخنازير (٥)، وكذلك سِلخها . ومرقتها إذا تُحُسِّيت (٦) وأُكِل لحمها نفع من أوجاع العصب ، وكذلك سِـلخها . قال : وسِلْخُها إذا طُبِخ فى شراب وقُطِّر منه فى الأُذُن سكَن وجعُها؛ ويُتَمَضْمَضُ بخلٍّ طُبِخ فيه السِّلْخ لوجَع السِّن . قال : وزعم جالِينوس أنه إذا أُخِذت خيوط كثيرة، وخصوصا المصبوغة بالأُرْجُوان، وخُنِق بها أفعى ولُفّ واحدٌ منها على عنق صاحب أورام اللَّهاة والحَلْق ظهر نفْعٌ عجيبٌ . ومرقتُه ولحمُه يقوّيان البصرَ. قال : وآتفقوا على أنّ شحم الأفعى يمنع نزول المـاء إلى العين، ولكنّ الإنسان لا يجسُر على ذلك . وإذا شُقّت الحيّـةُ ووُضِعت على نهش الأفاعى سكَن الوجعُ .

(١) يريد أن لحم الحية يجفف البدن ويسخنه ، إلا أنه فى التجفيف أقوى منه فى التسخين .

(٢) كذا فى كتاب القانون . وفى الأصلين : «الجواشر» ، وهو تحريف .

(٣) الذى ورد فى كتاب الجامع الصغير (ج ٢ ص ١٢٠) : "فرغ إلى ابن آدم من أربع الخلق والخلق والرزق والأجل" .

(٤) داء الثعلب : علة معروفة يتناثر منها الشعر. وسمى داء الثعلب لأن الثعلب يتساقط شعره كل سنة .

(٥) الخنازير : قروح صلبة تحدث فى الرقبة وهى علة معروفة .

(٦) كذا فى كتاب القانون . وفى الاصلين : «إذا نحست» ، وهو تحريف .

ذكر شىء ممّا وُصِفَت به الأفاعى

قال بعضُ الشعراء يصف حيّةً :

لا يَنْبُتُ العُشْبُ فى وادٍ تكون به * ولا يُجاوِرُها وَحْشٌ ولا شَجَرُ
جَرْداءُ شابِكَةُ (١) الأنيابِ ذابِلَةٌ * ينبو من اليُبْسِ عن يافُوخِها (٢) الحَجَرُ
لو شُرِّحَتْ بالمُدَى ما مَسَّها بَلَلٌ * ولو تَكَنَّفَها (٣) الحاوُونَ ما قَدَرُوا
قد جاهدوها فما قام الرُّقاةُ (٤) لها * وخاتَلُوها (٥) فما نالوا (٦) ولا ظَفِروا
يكبو لها الوَرَلُ (٧) العادى إذا نفَخَتْ * جُبْناً (٨) ويهرُبُ منها الحيّةُ الذَّكَرُ

وقال خَلَفٌ الأحمر :

وكأنّما لَبِسَتْ بأعلَى جِسْمِها * بُرْدًا من الأثواب أَنْهَجَهُ (٩) البِلَى
فى عينها قَبَلٌ (١٠) وفى خَيْشُومِها * فَطَسٌ وفى أنيابها مثلُ المُدَى

---

(١) كذا فى مباهج الفكر (القسم الثانى المجلد الثانى ص ١٥٧) والحيوان للجاحظ (ج ٤ ص ١٠٢). يقال : أسد شابك أى مشتبك الأنياب . وفى الأصلين : «شابكة الأذناب» . على أنه يحتمل أن تكون «شائكة» .

(٢) اليافوخ : الموضع الذى يتحرك من رأس الطفل ، يهمز ولا يهمز .

(٣) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «تكيفها» .

(٤) كذا فى مباهج الفكر والحيوان للجاحظ . وفى الأصلين : «فما قام الرقى بها» . والرقى : كالرقية .

(٥) كذا فى الحيوان . وفى مباهج الفكر : «حايلوها» . وفى الأصلين : «حاولوها» .

(٦) كذا فى الحيوان . وفى الأصلين ومباهج الفكر : « آبوا» .

(٧) الورل (بالتحريك) : دابة على خلقة الضب إلا أنه أعظم منه ، يكون فى الرمال والصحارى ، يأكل العقارب والحيات والحرابى والخنافس .

(٨) فى الأصلين ومباهج الفكر : «حينا» . ورواية البيت فى الحيوان :

تقصر الورل العادى بضربتها نكزا و يهرب منها الحية الذكر

ونكز الحية : طعنها بأنفها ، وخص بعضهم به الثعبان والدساسة . ومنه قيل لضرب من الحيات النكاز ، لأنه ينكز بأنفه ولا يعض بفيه ، ولا يعرف رأسه من ذنبه لدقة رأسه .

(٩) كذا فى مباهج الفكر . وأنهجه : أخلقه وأبلاه . وفى الأصلين : « أبهجه » بالباء الموحدة ، وهو تصحيف .

(١٠) القبل فى العين : إقبال السواد على الأنف ، وقيل : هو مثل الحول ، وقيل : إقبال إحدى الحدقتين على الأخرى ، وقيل غير ذلك .

وقال آخر :

أَرْقَمُ كالدِّرع فيـــه وَشْمٌ * مُنَمْــنَمُ الظَّهْـرِ واللَّبَـانِ(١)

يَزْحَفُ كالسَّيْل من تِلاعٍ * كأن عينيـه كوكبانِ

يَهشِم ما مسَّ من نَبَـاتٍ * ويَجـذِبُ النّفسَ بالعِنانِ

وقال آبن المعتزّ :

أنْعَتُ رَقْشَـاءَ لا تَحيـا لَديغـتُها * لو قَـدَّها السـيفُ لم يَعْلَقْ به بَلَلُ

تُلْقِى إذا آنسلختْ فى الأرض جلدتَها * كأنهـا كُمُّ دِرْعٍ قـدّه بطـلُ (٩٠)

وقال الظاهر(٢) البصرىّ شاعر اليتيمة :

سِرْتُ وصَحْبِي وسط قاعٍ صَفْصَفِ * إذ أشْرَفَتْ من فوق طَوْدٍ(٣) مُشْرِفِ

رَقْشَاءُ تَرْنو من قَلِيبٍ أجْوفِ * تُومِي(٤) برأس مثـلِ رأسِ المِجْرَفِ

وذَنَبٍ مُنْـــدَمِجٍ(٥) مُعَـــقَّفِ * حـتى إذا أبصرتُهـا لا تَنْكَفِى(٦)

علوتُهـا بحـدّ سـيفٍ مُرْهَفِ * [فظـلّ(٧) يجـرى دَمُها كالقَرْقَفِ(٨)]

* أتلفتُها لمـا أرادتْ تَلَفِى *

(١) اللبان : الصدر . (٢) كذا فى كتاب اليتيمـة (ح ٢ ص ١٣٥ طبع الشـام) فى ذكر شعراء البصرة . وكنيته « أبو الحسين » . وفى أ : « الطاهر المصرى » بالميم . وفى ب : « الطاهر المصرى » بالطاء المهملة والميم . وكلتاهما تحريف .

(٣) فى الأصلين : «... من كل طود... ...» . والتصويب عن اليتيمة .

(٤) كذا فى اليتيمة . وفى الأصلين : «ترمى» بالراء، وهو تحريف .

(٥) كذا فى اليتيمة . وفى الأصلين : «مدبج» ، وهو تحريف .

(٦) لا تنكفى : لا ترجع . (٧) التكملة عن اليتيمة .

(٨) القرقف : الخمر .

وقال خَلَفٌ الأَحْمر :

لهُ عُنُقٌ مُخضرّةٌ مدّ ظهـرِه * وشُـومٌ كتحبيرِ اليَمانِي المُرَقَّمِ

إلى هامةٍ مثلِ الرَّحى مستديرةٍ * بها نُقَطٌ سُودٌ وعينانِ كالدَّمِ

وقال آخر (١) :

وحَنَشٍ كَحَلْقةِ السِّـوارِ * غايتُه شِـبْرٌ من الأشْبارِ

كأنه قضيبُ ماءٍ جارِى * يفْتَرّ عن مِثْل تَلَظِّى النّارِ

وقال خلف الأحمر (٢) :

صِلٌّ صَفًا لا تَنْطوِى من القِصَرْ * طويلةُ الإطْرافِ من غير حَسِرْ (٣)

داهِيــةٌ قد صَغُــرَتْ من الكِبَرْ (٤) * مَهْروتَةُ الشِّـدْقَيْن حولاءُ النَّظَرْ

* تَفْـتَرّ عن عُوجٍ حِدادٍ كالإبَرْ *

---

(١) هو أشجع السلمى، كما فى مباهج الفكر. (٢) فى الأصلين : «النابغة» وهو تحريف. والتصويب عن كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٤ ص ٩٥). وفيه يقول الجاحظ : «وما علمت أن أحدا وصف عين الأفعى على معرفة واختبار غيره». ثم أورد هذه الأبيات بزيادة عليها وعلى غير هذا الترتيب وهى :

أفعى زحوف العين مطراق البكر * داهـــية قد صـغرت من الكبر

صــل صفا لا ينطوى من القصر * طويلة الإطراف من غير حسر

(الإطراف : مصدر أطرف وهو أن يطابق ما بين الجفنين. والحسر : الإعياء والكلال)

كأنما قـد ذهبت به الفكر * شقت له العينان طولا فى شتر

(الشتر : أن يكون جفن العين منقلبا من أعلى وأسفل ومنشقا، أو أسفله مسترخيا، أو انقلب جفنه الأسفل فلا يلاقى الأعلى وظهرت حماليقه).

مهـروتة الشـدقين حولاء النظر * جاء بها الطوفان أيام زخر

(الهرت : سعة الشدقين).

كأن صوت جلدها إذا استدر * نشيش جمر عنـــد طاه مقتـــدر

(٣) فى الأصلين : «الحصر» بالفاء، وهو تحريف.

(٤) فى المخصص (ج ٨ ص ١٠٩) بعد أن ذكر رواية الأصل هنا : «قال أبو علىّ : روايته * حارية قد صغرت من الكبر * ».

والحارية : الأفعى التى كبرت ونقص جسمها ولم يبق الا رأسها ونفسها وسمها، وهى أخبث ما تكون.

وقال أبو هلال العسكرىّ :

وخفيفة الحركات تفترِعُ الرُّبَى * كالـبرق يلمَـعُ فى الغمام الرّائح
منقوطةٌ تحكى صدورَ صحائف * إبّانَ تبـدو من بطـون صفائح
ترضَى من الدنيا بِظـلّ صُخَيرةٍ * ومن المعيشـة بٱشتمامِ روائح (١)

وقال ٱبن المعتز :

كأنى ساوَرَتْنِي يـوم بينِهـمُ * رقشاءُ مجـدولةٌ فى لونهـا برقُ
[كأنها حين تبدو من مكامنها * غصن تفتح فيه النُّورُ والورق] (٢)
ينسـل منها لسان تستغيثُ به * كما تعـوّذ بالسـبّابة الفَـرِقُ (٣)

وقال الهذلىّ فى مَزَاحِف الحيّات :

كأنّ مزاحفَ الحيّاتِ وَهْناً (٤) * قُبيلَ الصبح آثارُ السِّـياط

وقال آخرُ :

كأنّ مزاحِفَــه أَنْسُــعٌ (٥) * جُرِرنَ فُرَادَى ومنها ثُنَى (٦)

---

(١) ذكر أبو هلال العسكرى فى كتابه (ديوان المعانى) بعد ذكر هــذه الأبيات ما نصه : «وهذا من قولهم : إن الحية إذا هرمت لم تحتج إلى الطعم واكتفت بالنسيم» .

(٢) الزيادة عن ديوان المعانى . (٣) الظاهر أنه يريد بالفرق : المصلى الخاشع ؛ أى إنها تحرك لسانها كما يحرك المصلى الخاشع سبابته فى الصلاة .

(٤) فى اللسان (مادة زحف) : « ... الحيات فيه» . وفى الحيوان : «فيها» . والوهن : جزء من الليل ، واختلف فيه : أهو نحو من نصفه أو بعد ساعة منه أو هو حين يدبر الليل أو هو ساعة تمضى منه .

(٥) الأنسع : جمع نسع وهو سير مضفور يجعل زماما للبعير وغيره .

(٦) كذا بالأصلين . ولعل « ثنى » مقصور ثناء بالمد . يقال : جاء القوم ثناء ومثنى أى اثنين اثنين . وروايته فى الحيوان :

كأن مزاحفه أنسع * جررن فرادى ومثناتها

ذكر ما قيل فى العقارب

قال الجاحظ : والعقاربُ أصنافٌ : منها الجرارة، والطيَّارةُ، وماله ذَنبٌ كالحربة، وماله ذنب معقَّفٌ؛ وفيها السُّودُ، والخُضر، والصُّفْر . وهى من ذوات الدَّرْو[(١)] . ويقال : إنّ الأنثى من هـذا النوع إذا حَمَلتْ يكون حتفُها فى ولادتها ؛ لأن أولادَها إذا آستوى خَلْقُها أكَلَتْ بطونَ الأُمّهات حتى تَنْقُبَها، وتكون الولادة من ذلك النَّقب، فتخرجُ والأمهاتُ ميتةٌ . وفى ذلك يقول الشاعرُ :

وحاملةٍ لا تحمِـل الدَّهرَ حمَلَها * تموت ويحيا[(٢)] حملُها حين تعطَبُ

وقال أيضا : إنها تلِدُ من فيها مرّتين ، وتحمل أولادَها على ظهرها وهى فى قَدْرِ القمل كثيرة العدد . قال : والعقرب شرُّ ما تكون إذا كانت حبلى؛ ولها ثمانُ أرجلٍ لها أظلافٌ مثل أظلافِ الثور ، وعيناها فى ظهرها . ومن عجيب أمرِها أنهـا لا تضرِبُ الميتَ ولا المغشيَّ عليه ولا النائمَ ، إلا أن يَتحرّكَ شيء من بدنه ؛ فإنهـا عند ذلك تَضرِبه ؛ وضربُها له إنمـا هو من خوفها منه . وهى تأوِى إلى الخنافس وتُسالِمها ، وتُصادِق من الحيّات كلَّ أسودَ سالخ . وربما لسَعتِ الأفعى فتموت . (٩١)
وفيها ما يلسع بعضُـه بعضًا فيموتُ الملسوعُ . ويقال : إنها تُسـتَخرجُ من بيوتها بالجراد ؛ لأنها تحرِص على أكله . ومتى أُدخِل الكُرّاثُ فى جُحْرها وأخرِج تبِعتـه وما معها من نوعها. وهى إذا خرجت من جُحرها تضرِب كلَّ ما لقِيتْه من حيـوانٍ أو نباتٍ أو جمادٍ .

(١) كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٥ ص ١٠٧ من النسخة الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٨٥ أدب) . وفيها يقول الجاحظ : « وفى العقارب أعجوبة أخرى لأنه يقال : إنها مائية الطباع وإنها من ذوات الدرو والإنسال وكثرة الولد » . والدرو: كالذرية، وقيل: الدرو عدد الذرية . وفى الأصلين : « الدور » وهو تحريف .

(٢) كذا فى كتاب الحيوان (ج ٥ ص ١٠٩) . وفى الأصلين : «وينمى» .

وقيـل لبعض الأطبّاء : إنّ فلانًا يقول : إنمـا أنا مثـلُ العقربِ أضرُّ ولا أنفـعُ ؛ فقال : ما أقلّ علمـه بها ! إنها تنفـع إذا شُقَّ بطنُها ووُضِعَتْ على مكان اللَّسعة . وقد تُجعَلُ فى جوفِ فخّـارٍ مسدودِ الرأس مُطيَّنِ الجوانب، ثم توضع الفَخّارةُ فى تنّـورٍ ؛ فإذا صارت العقربُ رمادًا سُـقِىَ من ذلك الرمادِ مَن به حصاةٌ نصفَ دانِقٍ فَتُفتِّتُها من غير أن تَضُرَّ شيئا من الأعضاء . وقد تلسَـعُ مَنْ به حُمَّى عتيقةٌ فتُقلِـعُ عنه . وقد تلسع المفلوجَ فيذهبُ عنه الفالجُ . وقد تُلقَى العقربُ فى الدُّهْنِ وتترك فيه حتى يأخذَ منها ويَجتذِبَ قُواها ، فيكون ذلك الدُّهن مُصَرِّفًا للأورام الغليظة . وقال الشيخ الرئيس : زَيتُ العقارب نافعٌ من أوجاع الأذن . فهذه منافعها .

وقال الجاحظ : ومن أعاجيب العقرب أنها لا تَسبَحُ ولا تتحركُ إذا أُلقيت فى المـاء، كان المـاء جاريا أو ساكنا . قال : وهى تطلُب الإنسان وتَقصِـده ؛ فإذا قصدها فرّتْ منه . وهى إذا ضربتِ الإنسانَ هربَتْ هَرَبَ مَنْ قد أساء . قال : ومن أعاجيب ما فى العقرب أنا وجدنا عقارب القاطول(١) يموت بعضُها من لَسْع بعضٍ، ثم لا يموتُ عن لسعتها شىء [غير العقارب](٢)، ونجدُ العقربَ تلسعُ إنسانا فيموتُ وتلسعُ آخرَ فتموتُ هى ؛ فدلّ ذلك على أنها كما تعطِى تأخُذ . ويقال : إن الذى تموت هى إذا لَسَعَتْه تكون أمّه قد لُسِعَتْ وهى حاملٌ به . قال: ومن أعاجيبها أنها تَضرِبُ الطَّسْتَ والقُمْقُمَ النُّحاسَ فتَخرِقُه، وربمـا ضربتْه فثبتَتْ إبرتُها فيه . قال : والعقاربُ القاتلةُ تكون فى موضعين : بشَهْرَزُور من بلاد الجبل ، وعَسْكَرِ مُكْرَم(٣) من بلاد الأهواز، وهى جرّاراتٌ ؛ وإذا لَسَعَت قتلَت؛ وربمـا تناثر لحمُ من

(١) القاطول : اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة ، وكان الرشيد أوّل من حفر هذا النهر وبنى على فوهته قصرا سماه أبا الجند .

(٢) الزيادة عن كتاب الحيوان (ج ٥ ص ١١٠) .

(٣) عسكر مكرم : بلد مشهور بنواحى خوزستان ، منسوب إلى مكرم بن معزاء .

لسعته أو تعفّن و يسترخى حتى لا يدنو منه أحدٌ إلا وهو يُمسكُ أنفه مخافة إعدائه . وهى فى غاية الصغر ؛ فإن أ كبرَ ما يُوجد منها تكون زِنتــه دانِقًا واحدا ؛ والذى يوجد منها كبيرا تكون زِنته ثلاثَ حبّاتِ أرزٍ ؛ فإن وُزِنت بشعيرةٍ رجَحت الشعيرةُ عنها . وهى مع نزارتها تقتل الفيلَ والبعيرَ بلسعتها . قال : وبِنَصيبينَ عقاربُ قتّالةٌ يقال : إن أصلَها من شَهْرَزُورَ، و إن بعضَ الملوك حاصر نَصيبينَ فأتى بالعقارب من شهرزور و رمى بها فى كيزانٍ بالمجانيق إلى البلد ، فأعطى القومُ بأيديهم (١) .

وقد وصف الشعراء العقرب وشبّهوها فى أشعارهم ؛ فمِن ذلك قولُ السَّرِىّ الرفَّاء :

سارِيةٌ فى الظَّــلام مُهــدِيَةٌ * إلى النفوس الرَّدَى بلا حَرَجِ
شائــلَةٌ (٢) ، فى ذُنَيْبِها حُمَــةٌ * كأنهــا سَــبْجَةٌ من السَّــبَجِ (٣)

وقال آخر :

ونِضــوةٍ (٤) تُعــرَفُ بآسم ولَقَبْ * ما بين عينيها هِــلالٌ مُنتَصِبْ
موجودةٌ معدومةٌ عند الطلبْ * تَطعَنُ مَن لاقتْه من غير سبَبْ
بِخَنجَرٍ تَسُــلُّه عنــد الغضبْ * كأنــه شُــعلةُ نارٍ تَلتهِبْ

وقال آخر :

تحمِــلُ رمحًا ذا كُعوبٍ مُشْــتَهِرْ * فيــه سِنانٌ بالحريق مُســتَعِرْ
أُنِّفَ (٥) تأنيــفًا على حينَ قُــدِرْ * تأنيفَ أنفِ القوسِ شُدَّتْ بالوتَرْ

---

(١) أعطى القوم بأيديهم : ذلوا وخضعوا . (٢) شائلة : رافعة ذنبها .

(٣) كذا فى ديوانه . والسبج : خرز أسود . وفى الأصلين : «سبحة من السبح» بالحاء المهملة فى الكلمتين ، وهو تصحيف . (٤) نضوة : مهزولة ضعيفة . (٥) أنف : حدد وسوّى . وأنف القوس : حدها الذى فى باطن سيتها (ما عطف من طرف القوس) وهما أنفان .

وقال عبد الصمد بن المعذَّل : [يدعو بها على عدوٍّ له](١) .

يارُبَّ ذى إفــكٍ كثيرٍ خُــدَعُهْ(٢) * مُستجهِلِ الحِلم(٣) خبيثٍ مَرتَعُــهْ
[يَسْرِى إلى عِرْضِ الصديق قَذَعُه * صُبَّتْ عليــه حين جَمَّتْ بِــدَعُه](١)
ذاتُ ذُنَابَى مُتْلِفٍ مَنْ يلســعه * تَخفِضُــه طــوراً وطوراً ترفَعُــه
أســـوَدُ كالسَّــبْجة فيــهِ مِبضَعُهْ * يَنطُفُ منـــه سُمُّـــه وسَلَعُــهْ(٤)
تُسرِعُ فيــه الحَتفَ حين [تشرَعه * يَــبرُزُ كالقَرْنين حين](١) تُطلِعُــه
فى مثل صدر السِّبت(٥) حين تَقطعُه * لا تَصــنَع الرقشاءُ ما قد تصــنعُه

وقال ٱبن حَمْدِيس :

(٩٢)

ومُشرِعَةٍ بالموت للطعن صَعْدَةٌ(٦) * فلا قِــرنَ إن نادتْه يوماً يجيبها
تُذيقُك حرَّ السّمّ من وَخزِ إبرةٍ * إذا لَسَبتْ(٧) ماذا يــلاقى لسيبُها
إذا لم يكن لونَ البَهارَةِ لونُهــا * فمن يَرَقانٍ(٨) دَبّ فيهــا شُحوبُها
لها سَوْرةٌ خُصَّتْ بمُنكَرِ صُورةٍ * ترى العينُ فيها كلَّ شىء يَرِيبُها
لهــا طَعنةٌ لا تَستبِينُ لناظرٍ * ولا يُرسِل المِسْــبارَ(٩) فيها طبيبُها

---

(١) الزيادة عن مباهج الفكر .
(٢) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «جدعه» بالجيم المعجمة ، وهو تصحيف .
(٣) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «الحكم» بالكاف ، وهو تحريف .
(٤) كذا أ . ولعله محرف عن « سلعه » والسلع : ضرب من السم . وفى ب و مباهج الفكر : « لسعه » .
(٥) السبت : الجلد المدبوغ .
(٦) الصعدة : الرمح .
(٧) لسبت : لدغت .
(٨) فى الأصلين : « فمن زبرقان » والتصويب عن ديوانه ومباهج الفكر .
(٩) المسبار : ما يسبر به الجرح . وفى أ : « المستار » وفى ب : « المسار » ، وكلتاهما تحريف .

نَسِيتُ بها قَيْسًا (١) وذِكْرَى طَعِينِهِ (٢) * وقــد دقّ معناها وجلّ نُدوبُها (٣)
تجِيء كأُمّ الشِّبْلِ غَضْبَى تَوَقَّدتْ * وقــد تَوّج اليأفوخَ (٤) منها عَسِيبُها (٥)
عدوٌّ مع الإنسان يعمُر بيتَــــه * فكيف يُوالِي رقــدةً يَستطِيبها
ولو لا دِفاعُ الله عنّــا بلُطفــه * لصُبّتْ من الدنيا علينا خطوبُها

---

(١) لعله يريد قيس بن عاصم المنقرى وطعينه الحارث بن شريك الشيبانى ، وذلك أنه هاجت الحرب بين قبيلتيهما يوم جَدُود ، فظاهرت بنو منقر (قبيـلة قيس) على بكر بن وائل (قبيلة الحارث بن شريك)، فهزمت بكر بن وائل وتبعهم بنو منقر ، فقصـد قيس بن عاصم الحارث بن شريك والحارث على فرس قارح وقيس على مهر ، فخاف قيس أن يسبقه الحارث فحفزه بالرمح فى آسته فتحفزبه فرسه فنجا ، فسمى الحوفزان ؛ ثم انتقصت طعنـة قيس على الحوفزان بعد سنة فمـات . (راجع الأغانى ج ١٢ ص ١٥٢ — ١٥٣ طبع بولاق) .

(٢) فى الأصلين : «وذكر طعينة» . والتصويب عن الديوان .

(٣) الندوب : آثار الجرح . وفى الديوان : «وجلت خطوبها» .

(٤) اليأفوخ : الموضع الذى يتحرك من رأس الطفل ، يهمز ولا يهمز .

(٥) العسيب : عظم الذنب ، وقيل : منبت الشعر منه .

البـاب الثـانى من القسم الرابع من الفن الثالث

فيما هو ليس قاتلا بفعله من دوابّ السموم

ويشتمل هـذا الباب على ما قيل فى الخنافس، والوَزَغ، والضبّ، وابن عِرْس، والحِرْباء، والقَنَافذ، والفيران، والقُرَاد، والنمل، والذرّ، والقَمْل، والصُّؤاب .

فأمّا الخنافس وما قيل فيها — قالوا: والخنافس تتولّد من عفونة الأرض. وهى أصناف، منها الخُنْفُس المعروف؛ ومنها "الجُعَل" ويسمّى "الكَبَرْتَل" . وهو يتولّد من أَخْثاء البقر، وهو يموت إذا شمّ رائحـة الطِّيب، وإذا دُفِن فى الورد مات، وإذا أُخرِج منـه ودُفِن فى الرَّوْث عاش . والغالبُ أنه لا يموت حقيقـةً وإنما يَخْدَر وتبطُل حركته؛ فإذا عُولج بما نشأ منه قَوِى. والله أعلم. وله سِتُّ أرجلٍ، وسَـنامٌ مرتفع . وهو لا يصـير كَبَرْتَلًا حتى يصير له جناحان . وجناحاه يظهران إذا أراد الطيران ويَخفَيان إذا مشى. ومن عادة الجُعَل أن يحرُس النِّيام؛ فمن قام منهم لقضاء الحاجةِ تَبِعه طمعًا أنه إنما يُريد الغائط؛ والغائطُ قوت الجُعَل .

وقال أبو عثمان عمرو بن بحر : وزعم الأعراب أنّ بين ذُكور الخنافِس وإناثِ الجِعْلان تَسافُدًا ، وأنهما يُنتِجان خَلْقًا يَنزِع إليهما جميعًا . قال : وأنشـد سيبويه لبعض الأعراب يهجو عدوًّا له :

عَادَيتنـا يا خُنْفُسا أمّ الجُعَـلْ * عداوةَ الأوعالِ حَيّاتِ الجَبَـلْ

ويقال : إنّ الجُعَل يظلّ دهرًا لا جَناحَ له، ثم ينبُت له جناحان . والعرب تقول فى أمثالها : «أَلَجّ من خنفساء» و «أفحش من فاسِيةٍ» وهى الخنفساء . وفى لجاجةِ الخنفساء يقول الأحمر[1] :

لنا صاحِبٌ مُولَعٌ بالخِلافِ * كثيرُ الخَطَاءِ[2] قليل الصوابِ
أَلَجُّ لَجَاجًا مِن الخنفساءِ * وأزهَى إذا ما مشى من غُرابِ

ومن أصناف الخَنَافِس صِنفٌ يقال له "حِمَارُ قَبَّان"[3] . وهو يتولّد فى الأماكن النديّة [على ظهره شِبْهُ المِجَنّ . ومنها صنفٌ يسمَّى "بَنَاتِ وَرْدان" . وهى أيضا تتولّد فى الأماكن النديّة[4]] ، وأكثر ما تكون فى الحمّامات والسِّقَايات . وفيها من الألوان الأسودُ، والأصهب، والأبيض . قال بعض الشعراء يصف بناتِ وَرْدان :

بناتُ وَرْدانَ جنسٌ ليس يَنْعَته * خَلْقٌ كنعتِيَ فى وصفى وتشبِيهى
كمثْل أنصافِ بُسْرٍ أحمرٍ تُرِكتْ * من بعـد تشقِيقه أقماعُه فِيـهِ

⁂

ومنها " الصَّرَاصِر والجَنَادِب[5] " . ولها صوتٌ لا يفترّ بالليل، فإذا طلَع الفجر فُقِد . وفيـه من الألوان الأسـودُ وهو جُنْدَبُ[5] الجبال والآكام السُّـود، والأبرق[6] وهو جندب الطلح والسَّمُر والغضا، والأبيض وهو جندب الصحارَى . قال السّرِىّ الرّفّاء يصف جُنْدَبةً :

---

(١) فى لسان العرب (مادة زها) : «قال الأحمر النحوى يهجو العتبىّ والفيض بن عبد الحميد» .

(٢) كذا فى لسان العرب وفرائد اللآل (ج ٢ ص ٢١٤) وكتاب الحيوان (ج ٣ ص ١٥٧) . وفى الأصلين : « الخلاف » .

(٣) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : « من » .

(٤) التكلة عن مباهج الفكر .

(٥) فى الأصلين : « الجنابذ ... جنبذ » ، وهو تحريف .

(٦) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : « ... والبرق » ، وهو تحريف .

وجُنْـــدَبةٍ تمشى بساقٍ كأنّهـا * على نَخِـذ كالعُود مِنشارُ عَرْعَرِ[1]
مُمَسَّـكَةٌ[2] تجلو الجَنَـاحَ[3] كـأنّها * عَرُوسٌ تَجَلَّتْ فى عِطَافِ[4] مُعَنْبَرِ

* * *

(٩٣) وأمّا الوَزَغ وما قيل فيه — والوَزَغ يسمّى "سامّ أَبْرَص" . وزعموا أنه أصمّ ، وأنّ السبب فى صَمَمه وبَرَصه أن الدوابّ كلّهـا حين أُلقِى إبراهيمُ عليه السلام فى نار النُّمْرود كانت تُطْفِئُ عنه ، وأنّ هذا كان ينفُخ عليه ، فصَمّ وبَرِص . ورُوِى عن عائشة أُمّ المؤمنين رضى الله عنها أنّهـا قالت : دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يدى عُكّاز فيه زُجٌّ[5] ، فقال : "ياعائشةُ ما تصنعين بهذا"؟ قلتُ : أقتل به الوَزَغ فى بيتى ، قال : "إنْ تَفْعلى فإنّ الدوابّ كلّها حين أُلقِى إبراهيمُ فى النار كانت تُطْفِئُ عنه و إنّ هذا كان ينفُخ عليه فصَمّ و بَرِص" . وفى حديث آخر عنها رضى الله عنها : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للوَزَغ الفُوَيْسِق .

قالوا : وفى طبع الوَزَغ أنه لا يدخل إلى بيتٍ فيه زَعْفران . والحيّات تألف الوزَغ ، كما تألف العقاربُ الخنافِسَ . وهو يُطاعِم الحيّاتِ و يُزَاقُّهـا . وهو يَقْبَـل

---

(١) كذا فى ديوانه . والعرعر : شجر السرو . وفى الأصلين :

* على نخذ من عود ميسان عرعر *

(٢) كذا فى الأصلين ومباهج الفكر . والممسكة : المطيبة بالمسك . ولعله يريد أنها سوداء كالمسك . وفى ديوانه : « مكتبـة » . والمكتبة : المحزمة ؛ وفى حديث المغيرة : « وقد تكتّب يزُفّ فى قومه » أى تحزم وجمع ثيابه .

(٣) كذا فى ديوانه . وفى الأصلين ومباهج الفكر : « الصباح » ، وهو تحريف .

(٤) العطاف : الرداء . (٥) الزج : الحديدة فى أسفل الرمح .

اللِّقاحَ بفيه، ويبيض كما تبيض الحيّة . وقيل: إنّ نصيبه من السمّ نصيبٌ متوسّط، لا يكمُل أن يقتل، ومتى دبَر[١] جاء منه سمٌّ قاتل . ومتى قُتل ووُضع على جُحْر حيّة هَرَبت منه . وهو يُقيم فى جُحْره أربعةَ أشهر الشتاء .

وقال الشيخ الرئيس : إذا ضُمِد به على الشوك والسُّلّاء[٢] جذَبه، وعلى التآليل[٣] يقلَعها . قال : وقيل : إنّ المجفَّف منه إذا خُلِط بالزيت أنبت الشعرَ على القَرَع . وبولُه ودمه عجيب النّفعِ من فَتْقِ الصِّبيانِ إذا جلسوا[٤] فى طبيخه . وقد يُجعل فى بوله أو دمه شيء من المسك ويُجعل فى إحْليل الصبىّ فيكون بالغَ النفع فى الفتق . وقيل : إنّ كبِده تُسَكِّن وجعَ الضِّرْس ، وتُشَقّ وتوضع على لَسْع العقرب فيسكُن .

✤ ✤ ✤

وأمّا الضبّ وما قيل فيه — قال الجاحظ فى كتاب الحيوان :

إنّ من أعاجيب الضبّ أنّ له أيرين وللضبّةِ حِرَيْن ؛ قال : وهذا شيء لا يُعرف إلّا لها . هذا قول الأعراب فى تخصيصهما بذلك . وقالت الحكماء : إنّ السَّقَنْقُور[٥]

---

(١) دبر : شاخ وولى .

(٢) السلاء (بضم السين وتشديد اللام) : شوك النخل .

(٣) التآليل : جمع ثؤلول وهو خراج يكون بجسم الانسان ناتئ صلب .

(٤) كذا فى كتاب القانون (ج ١ ص ٣٨٩ طبع بولاق) . وفى الأصلين : « وإذا جلسوا... الخ » . وظاهر أن الواو زيادة من الناسخ .

(٥) السقنقور : حيوان شديد الشبه بالورل، وهو مما يسعى فى البر ويدخل فى الماء؛ ولذلك قيل له الورل المائىّ . وهو يغتذى فى الماء بالسمك وفى البر بحيوان آخر كالعظايات . وهو مما يتولد من ذكر وأنثى . ويوجد للذكور بالتشريح خصيتان كخصيتى الديوك فى خلقتهما ومقدارهما وموضعهما . وإناثه تبيض فوق العشرين بيضة وتدفنه فى الرمل فيكمل كونه بحرارته . (راجع مفردات ابن البيطار ج ٣ ص ٢٠ ، وحياة الحيوان ج ٢ ص ٢٨) .

له أيْرانِ، والحِرْذَوْن كذلك . قال: وقال جالينوس: الضب الذى له لسانان يصلُح لحمه لكذا وكذا . ومما يستدلّ به على أنّ للضبّ أيرين قولُ الفَزَارِىّ :

سِبَحْلٌ (٢) له نِزْكانِ كانا فَضِيلةً * على كل حافٍ فى البلاد وناعلِ

وآسم أيرِ الضبّ: النِّزْكُ . وسئل أبو حَيَّة النُّمَيرِىّ عن ذلك، فزعم (٣) أنّ أيرَ الضبّ كلسان الحيّـة، الأصلُ واحد والفرع آثنان . وللأُنثى مَدْخلان . وعلى ذلك أنشد الكِسائىّ رحمه الله تعالى :

تَفَـرَّقتمُ لازِلتمُ قِرْنَ واحدٍ * تَفرُّقَ أيرِ الضبِّ والأصلُ واحدُ

ويقال : إنّ الضبّة إذا أرادت أن تبيض حَفَرتْ فى الأرض حفرةً ثم رمتْ بالبيض فيها وطَمّته بالتراب، وتتعاهده كل يوم حتى يخرج، وذلك فى أربعين يوما . وهى تبيض سبعين بيضــةً وأكثر . وبيضها يُشْـبه بيضَ الحمام . ويخرُج الحِسْلُ وهو مُطِيقٌ للكسب .

قالوا: والضبّ يخرج مِنْ جُحْره كَلِيلَ البصر، فيجلوه بالتحدُّق فى الشمس . وهو يغتذِى بالنسيم، ويعيش ببرد الهواء، وذلك عند الهَرَم .

قال الجاحظ : وزعم عمرو بن مُسَافِر : أنّ الضبّة تبيض ستين بيضــةً وتَسُدّ عليهنّ باب الجُحْر ثم تَدَعهنّ أربعين يومًا، فيتفقّص (٤) البيضُ ويظهر ما فيــه، فتَحْفِر عنهن عنــد ذلك . فإذا كشفتْ عنهن أَحْضرنَ (٥) وأَحْضرتْ فى أثَرِهنّ ، فتأ كل

(١) الحرذون : دويبة تشبه الضب .

(٢) السبحل (وزان قمطر) : الضخم من الضب والبعير والسقاء والجارية .

(٣) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : « يزعم » .

(٤) كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج٦ ص ٣٦) . وتفقصت البيضة عن الفرخ : انفلقت عنه . وفى الأصلين : « فيتفضض » . (٥) أحضرن : عدون .

ما أدركتْ منهنّ . ويحفِر المُنفلِتُ منها لنفسه جُحْرًا ، ويرعَى من البَقْل . فلذلك توصف بالعقوق . ويُضرب به المثَل فى أكل حُسُولِه . وفى ذلك يقول الشاعر :

أكلت بَنِيك أكْلَ الضبّ حتى * تركت بَنِيـك ليس لهم عَـدِيدُ

قالوا : وفى ذَنَب الضبّ من القوّة ما يَضرِب به الحيّةَ فربما قطعها . والضبّ طويل العمر . وفى طبعه أنه يَرجِع فى قَيْئه . وهو شديد الإعجاب بالتمر . ويقال : إنه يمكث ليلةً بعد الذَّبْح ثم يُقَرَّب إلى النار فيتحرّك .

قال الجاحظ : وزعمت العرب أنّ الضبّ يُعِـدّ العقربَ فى جُحْـره ؛ فإذا سمع صوتَ الحَرْش(١) آستثفرها(٢) فألزقها بأصل عَجْب(٣) ذنبه وضمّه عليها ، فإذا أدخل الحارش يَده ليقبض على أصل ذنبه لسعتْه . وقيـل : بل العقارب تألَف الضِّباب وتُسالمها وتأوِى إليها . قال التَّميمىّ :

(٩٤) أتأنَس بى ونَجْرُكَ غيرُ نَجْرِى * كما أَنِسَ(٤) العَقَاربُ والضِّبابُ

والضبّ من الحيوان المأكول؛ إلّا أنّ العرب تعيِّر بنى تميم بأكل لحم الضبّ . والدليل على إباحته ما جاء فى الحديث الصحيح : أنّ رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم كان فى بيت ميمونةَ(٥) رضى الله عنها ، فقُدِّمتْ له مائدةٌ وعليها ضبٌّ مَشْـوِىٌّ ، فأَهْوَى بيده ليأكل منه ؛ فقيل له : يارسول الله ، إنه ضبّ ؛ فرفع يده . فقال له

---

(١) حرش الضب : صيده ، وذلك أن الصائد يحك الجحر الذى هو فيـه ويتحرش به ، فاذا أحسه الضب حسبه ثعبانا فأخرج اليه ذنبه ، فيصطاده .

(٢) كذا فى كتاب الحيوان . واستثفرها : جعلها بين فخذيه . وفى الأصلين : «استنفرها» بالنون ، وهو تصحيف .

(٣) العجب (بالفتح والضم) : أصل الذنب وعظمه ، وهو العصعص .

(٤) رواية كتاب الحيوان : « كما بين ... الخ » .

(٥) كذا فى صحيحى البخارى ومسلم (فى كتاب الذبائح) . وفى الأصلين : « بيت أم حبيبة » .

خالد بن الوليد : يارسول الله ، أحرامٌ هو ؟ قال : "لا ولكنه ليس فى بلاد قومى فأنا لا آكله"؛ فأكله خالد بن الوليد بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يَنْهَه؛ ولو كان حراما لنهاه صلى الله عليه وسلم عن أكله ولأخبر بتحريمه لمّا سُئل عنه .

وقال أبو نُوَاس يعيِّر بأكل الضبّ :

إذا ما تميمىٌّ أتاك مُفاخِـــرًا * فقلْ عدِّ عن ذا[1] كيف أكلُكَ للضَّبِّ

وقال عمرو بن الأَهْتم[2] من أبياتٍ :

ورَدَدْناهـــمُ إلى حَرَّتِهِـــم[3] * حيث لا يأكلون غيرَ الضِّبابِ

وقال الشيخ الرئيس أبو علىّ بن سينا : زِبْلُ الضبِّ نافع لبياض العين، وينفع من نزول المـاء .

وقد وصفه الحِمّانىّ فقال وذكر أرضًا :

ترى ضَبَّها مُطْلِعًا رأسَه * كما مدّ ساعِدَه الأقطعُ
له ظاهرٌ مثل بُرْدٍ مُوَشًّى[4] * وبطنٌ كما حَسَرَ الأصلعُ
هو الضبّ ما مدّ سُكَّانَه * وإن ضمّه فهو الضِّنْدِعُ

---

(١) كذا فى ديوانه . وفى الأصلين : « عدّ عنى ... » .

(٢) هو عمرو بن سنان بن سمىّ من بنى تميم . وسمى أبوه سنان الأهتم لأن قيس بن عاصم المنقرى ضربه بقوس فهتم فمه . وأخوه عبـد الله بن الأهتم جدّ خالد بن صفوان . وهو جاهلى إسلامى ، وكان فى الجاهلية يدعى المكحل لجمـاله ، ووفد على رسول الله صـلى الله عليه وسـلم . (انظر الشعر والشعراء ص ٤٠١ طبع أوربا) .

(٣) الحرّة : أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار .

(٤) فى الأصلين : « برد الوشى » .

وأما الحِرْباء وما قيل فيها — والحِرْباء لها أصابع، وأظنها لنبش التراب. ولونها أسود وأصفر ومختلط الألوان كالفهد. وهذه التسمية تقع على ذكورها وإناثها[(١)]. والحرباء إذا كان فى الشمس كان كثير التلون، فإذا انتقل إلى الظل كان أقل تلوّنا. وإذا قارب الموت أو مات اصفرّ. وهو أبدًا يطلُب الشمس، فإذا طلعتْ وجّه وجهَه نحوَها. فمتى غاب عنه جِرْمُها فلا يراها أصابه نوع من الجنون. وإذا غابت الشمس ذهب ليطلب معاشَه ليلَه كلَّه حتى يُصبح. ولسانه طويل جدًّا، يقال: إنه مِقدار ذراع، فهو يبلُغ به ما بَعُد عنه من الذُّباب. والأنثى منه تُكنى أمّ حُبَيْن. وهو يُوصف بالحزم لأنه حيث ينظر إلى الشمس يَقْبض بيده على خُوطٍ[(٢)]، فإذا تقلّب نحوَ الشمس حيث مامالت [لا][(٣)] يُرسل ذلك الخُوط من يده حتى يَقْبِض بيده الأخرى خُوطًا آخر. وفيه يقول الشاعر[(٤)]:

أَنَّى أُتِيحَ له[(٥)] حِرْباءُ تَنْضُبَةٍ[(٦)] * لا يُرسِلُ السّاقَ إلا مُمْسِكًا ساقا

---

(١) ذهب المؤلف هنا الى أن الحرباء يطلق على الذكر والأنثى من هذا النوع من الحيوان. ولهذا صح له أن يرجع الضمير اليه مؤنثا مرة ومذكرا أخرى. والذى فى اللسان: أن الحرباء ذكر أم حبين، وأنه يقال للأنثى حرباءة.

(٢) الخوط: الغصن الناعم. (٣) التكملة عن مباهج الفكر.

(٤) هو أبو دواد الإيادى، كما فى لسان العرب (مادة حرب).

(٥) ذكر صاحب لسان العرب (مادة حرب) بعد أن استشهد بهذا البيت مانصه: «قال ابن برى: هكذا أنشده الجوهرى، وصواب إنشاده: أنى أتيح لها ... لأنه وصف ظعنا سافها وأزعجها سائق مجدّ. فتعجب كيف أتيح لها هذا السائق المجدّ الحازم» اهـ. ورواية المخصص: «لكم».

(٦) التنضب: شجر له شوك قصار، وليس من شجر الشواهق، تألفه الحرابى.

وكتب بعض الفضلاء إلى بعض أصدقائه يلومه على مُقامه بوطنه حين نبا به (١)؛ فقال من رسالة :

«أعجَزتَ فى الإباء، عن خُلق الحِرْباء؛ أدْلَى لسانًا كالرِّشاء، يبلغ به ما يشاء؛ وناطَ همّته بالشمس، مع بُعدها عن اللمس؛ وأَنِف من ضِيق الوِجَار، ففَرَّخ فى الأشجار؛ وسئم العيشَ المسخوط، فآستبدل خُوطًا بخُوط؛ فهو كالخطيب، على الغصن الرِّطيب .

و إنّ صوابَ الرَّأيِ والحَزْمِ لامرئٍ * إذا بلغته الشمسُ أن يتحوّلا

وقال ذو الرُّمّة :

كأنّ يَدَىْ حِرْبائِها مُتَشَمِّسًا * يَدَا مُذْنِبٍ (٢) يَستغفِرُ اللهَ تائِبِ

وقال فيه أيضا :

وقد جعل الحِرْباءُ يصفرّ لونُه (٣) * وتَخْضرّ من لَفْحِ الهَجير غَباغِبُه (٤)

ويَشْبَح (٥) بالكَفَّيْن شَبْحًا كأنه * أخو فَجْرةٍ عَالَى به الجِذْعَ صالِبُه

---

(١) فى الأصلين : « حيث » . (٢) كذا فى ديوانه (ص ٥٩ طبع أوربا) واللسان (مادة شمس) . وفى الأصلين : ومباهج الفكر « محرم » بالحاء المهملة . وفى الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ١٢١) : « مجرم » بالجيم المعجمة .

(٣) فى ديوانه (ص ٤٧) واللسان (مادة عسب) : « يبيض رأسه » .

(٤) الغباغب : جمع غبغب ، وهو ما تغضن من جلد منبت العثنون (الذقن) الأسفل ، وخص بعضهم به الديكة والشاء والبقر ، واستعاره العجاج فى الفحل فقال :

* بذات أثناء تمس الغبغبا *

(يعنى شقشقة البعير) كما استعير هنا للحرباء .

(٥) كذا فى ديوانه . وشبح يديه يشبحهما : مدّهما . وتشبح الحرباء على العود : امتدّ . وفى الأصلين : « ويسبح ... سبحا » بالسين المهملة فى الكلمتين ، وهو تصحيف .

(٩٥)

وقال فيه أيضا :

يُصلِّى[(١)] بها الحـرباءُ للشمس ماثِلًا * على الجِــذْع إلّا أنّه لا يُكَبِّر

إذا حوّل[(٢)] الظِّـلَّ العشىَّ رأيتَــه * حَنِيفًا وفى وقت[(٣)] الضُّـحَى يَتَنَصَّرُ

✧

وأمّا آبن عِرس وما قيل فيه — وآبن عِرْس من حيوان البيوت، وهو حديد النفْس شجيعٌ فَطِنٌ . وأكثرُ ما يكون بمصر فى المنـازل . وله صـوت قوِىٌّ يدُلّ على شجاعته. وقيل : إنه الحيوان المسمَّى "بالدَّلَق"[(٤)]، وإنما يختلف وَبَرُه ولونُه بحَسَب البلاد. وفى طبعه أنه يَسرِق ما يظفَر به من الذَّهب والفِضّة، وأنه متى وجد حبوبًا متفرّقةً خلَطها . وهو عدوّ الفأر يَصيده ويقتله، والفأرُ يخافه .

وقال الجاحظ : وآبنُ عِرْس يُقاتل الحيّةَ ، وإذا قاتَلها بدأ بأكل السَّذَاب ؛ لأنّ الحَيّة تؤلمها رائحةُ السَّـذَاب ؛ كما قدّمنا . وآبنُ عِرس يفعل فى الطير ما يفعل الذئبُ فى الغنم من الذَّبح . وهو إذا عَجَز عن الوصول إليها آستدار بعَجُزه وفسا إلى جهتها، فربما قتل الفراريجَ رائحةُ فُسائِه .

(١) كذا فى الأصلين ومباهج الفكر . وفى ديوانه (ص ٢٢٩ طبع أوربا) واللسان (مادة حول) والحيوان للجاحظ (ح ٦ ص ١٢٠) : « يظل ... * على الجذل » .

(٢) قال فى اللسان (مادة حول) : « يعنى تحوّل . هذا اذا رفعت الظل على أنه الفاعل وفتحت العشىّ على الظرف . ويروى الظل العشىّ (بنصب الظل ورفع العشى) على أن يكون العشى هو الفاعل والظل مفعولا به . قال ابن برى : يقول : اذا حوّل الظل العشى وذلك عند ميل الشمس الى جهة المغرب صار الحرباء متوجها للقبلة فهو حنيف ؛ فاذا كان فى أوّل النهار فهو متوجه للشرق لأن الشمس تكون فى جهة المشرق فيصير متنصرا ؛ لأن النصارى تتوجه فى صلاتها جهة المشرق » .

(٣) كذا فى الأصلين ومباهج الفكر . وفى ديوانه واللسان (مادة حول) والحيوان للجاحظ : «وفى قرن الضحى» .

(٤) هو معرب « دله » بالفارسية .

ومن ذكائه وفطنته ما حُكِى : أنّ رجلا صاد فرخًا منها فجعله فى قفص؛ فرأته أُمُّه فذهبتْ وعادتْ بدينار فى فمِها فألقتْه بين يَدَىِ الرجل كأنهـا تريد فِداءَ ولدِها منه به، فتركه ولم يَتناوله، فذهبت وأتت بدينارٍ آخَر فلم يأخذه، فلم تزل تذهب وتعود فى كل مرّة بدينار إلى خمسة دنانير وهو لا يُمسك الذهبَ ، فذهبتْ وعادت بصُرّة فارغةٍ وألقتها بين يديه كأنهـا تقول : إنه لم يبـق شىء ؛ فلم يُطلق ولدَها ولا ضَمّ الدنانيرَ . فلمّا رأته على ذلك عَمَدتْ إلى دينار منها فأخذته وعادت به إلى جحرها؛ فخشِى أن تفعل ذلك ببقيّة الدنانير، فأخذها وأطلق فرخَها؛ فأعادت إليه الدينار .

وقالت الحكماءُ : لحمُ آبن عرس نافعٌ من الصَّرْع . والله أعلم (١) .

* * *

وأمّا القَنافِذ وما قيل فيها — وواحدُها قُنفُذٌ . وهى صِنفانِ : قنفذٌ ودُلْدُلٌ . فالقنفذ يكون بأرض مصر فى قَدْر الفأر . والدلدل يكون بالشأم والعراق وخُرَاسان فى قَدْر الكلب القَلَطِىّ (٢) . ويقال : إنه يَسْفِد (٣) قائمًـا وبطنُ الأنثى لاصِقٌ ببطن الذكر . والأنثى تَبيض خمسَ بيضـاتٍ ؛ وليس هو كالبيض الذى له قِشر يابسٌ بل هو شبيه باللّحم . وتَصَرُّفُ القنافِذ بالليـل أكثرُ من تصرّفها بالنهار . قال أيمَنُ بن خُرَيم :

كقُنْفُذِ الرَّملِ لا تَخْفَى مَدارِجُه * حتى إذا نام عنـه النـاسُ لم يَنمِ

---

(١) هذه العبارة ساقطة من « ب » . (٢) القلطى (كعربى) : القصير .

(٣) كذا فى الأصلين . وفى مباهج الفكر : « يسفد قائمـا وظهر الأنثى لاصق بظهر الذكر » . وفى حيـاة الحيوان للدميرى (ح ٢ ص ٣١٣) : « تسفد قائمة وظهر الذكر لاصق ببطن الأنثى » . والظاهر أن جميع الروايات محتملة .

والقُنفُذ يَستأنِس فى البيوت، ويَختفى أياماً ثم يظهر . وهو إذا جاع صعِد إلى الكروم وقطَع العناقيدَ ورَمى بها ثم ينزل فيأكل منها ما أطاق ؛ فإن كان له فراخ تمرّغ على ما بَقِى فيشتَبِك فى شوكه، وذلك بعد تفريطه من عُمْشُوشه(١)، ويذهب به إلى فراخه. وهو مولَعٌ بأكل الأفاعى، ولا يُبالى قَبَض على رأسها أو غيره من بَدَنها، فإنه إن قبض على رأسها أكلَها بغير كُلْفة عليه ولا مَشَقّةٍ ؛ وإن قبض على وسطها أو ذنبها آستدار وتجمّع ونفَخ بدنَه ، فمتى ضربتْه أصابها شوكُه، فهى تهرُب منه ؛ وطلبُه لها بقدْر هَرَبها منه .

والدُّلْدُل إذا رأى مايكرهه آنقبض فيخرج منه شوكٌ كالمَدَارى فى طول الشِّبْر، فيجرَح ما يُصيبه من الحيوان . ويقال : إنّ شوكَه شَعَرٌ، وإنما لمّا غَلُظ وغلَب عليه اليُبْس صار شوكاً .

وقال آبنُ سينا : فى رماد القُنفُذِ جِلاءٌ وتَحليلٌ . ومِلْحه(٢) ينفع من داءِ الفِيل . ولحمُه ينفع من الجُذام ؛ لشدّة تحليله وتجفيفه . ولحمه المُملّح ينفع من الفالج والتّشنّج (٩٦) وأمراض العَصَب كلّها وداءِ الفيل، وينفع من السّلّ ومن سوء المِزاج . ومملوحُه مع السَّكْبِينَج(٣) جيّدٌ للآستِسْقَاء ووجعِ الكُلَى، وينفع مَنْ يبول من الصبيان فى الفراش؛ حتى إنّ إدمانَ أكله ربما عسَّر البولَ . ولحمه ينفع من الحُمَّيَات المزمنة ومن نهش الهوامّ . والله أعلم .

---

(١) كذا فى اللسان (مادة عمش) . والعمشوش : العنقود يؤكل ماعليه و يترك بعضه . وفى الأصلين : « عرموشه » ، وهو تحريف .

(٢) لعله يريد أن لحمه المملح ينفع من داء الفيل ، وسيصرح بذلك فى السطرين التاليين .

(٣) السكبينج (بفتح السين والنون معرب سكبينه) : نبات شبيه بالخيار له صمغ ، وهو دواء .

وقد وصفَه البلغاءُ والشعراءُ فى رسائلها وأشعارِها — فمن ذلك ما قاله الأميرُ شمس المَعــالى(١) من رسالة كتبها إلى بعض أصــدقائه وقد أهدى له دُلْدُلًا : « قد أتحفتُك يا سـيِّدى بِعلْقٍ نفيس ، وتُحْفــةِ رئيس ؛ يتعجّب المتأمِّلُ من أحواله ، ويَحار الناعتُ فى أوصافه وأعمــاله ؛ ويتبلّد المُعتَــبِر فى آياته ، ويكِلّ الناظر فى معجزاته ؛ فمــا يَدرِى ببديهــة النظر والفؤاد ، أمِن الحيوانِ هو أم من الجَمــاد ؛ حتى إذا أعطى مُتَدبِّرُه النّظــرَ أَوْفَى حقوقِــه ، والفحصَ أكمل شروطه، علِم أنه كَمِيٌّ سلاحُه فى حِضْـنِه ، ورامٍ سهامُه فى ضِمْنه ؛ ومقاتِلٌ رِماحُه على ظهره، ومخاتِلٌ سِرُّه خلافُ جَهْره، ومحارِبٌ حِصنُه من نفسه؛ يَلقاك بأخشنَ من حدّ السيف ، ويستتِر بألْيَن من وَبَرِ الخَيْف(٢) . متى جمّع أطرافَه، وضمّ إليه أصوافَه؛ حسبتَه رابيةً ناتيَهْ، أو تَلْعةً باديَهْ . وهو أمضَى من الأجَل ، وأرْمَى من بنى ثُعَــل(٣) . إن رأتْه الأراقمُ رأتْ حتفَ نفسها ، أو عاينتــه الأساودُ أيقنَتْ بفناء جنسها؛ صعلوكُ ليــلٍ لا يُحجِم عن دَامِسِه، وفارسُ ظلامٍ لا يَخاف من حنادِسِه؛ فيه من الضَّبّ مِثْل، ومن الفأر شَكْل ؛ ومن الوَرَل نَسَب، ومن الدُّلْدُل سبَب . ومن أوابده أنه يَسودّ إذا هَرِم وشاب، ويصير كأكبر ما يكون من الكلاب .

(١) هو الأمير شمس المعالى أبو الحسن قابوس بن أبى طاهر وشمكير بن زياد بن وردان شاه الجيلى، كان أميرا لجرجان وبلاد الجبل وطبرستان . توفى مقتولا فى سنة ٤٠٣ هـ ودفن بظاهر جرجان . جمع رسائله العلامة عبد الرحمن بن على اليزدادى، وقد طبعت بمصر سـنة ١٣٤١ هـ مع ترجمة المؤلف وسيرته وترجمة جامعهـا .

(٢) الخيف : جلد الضرع .

(٣) بنو ثعل : حى من طيِّئ، وهو ثعل بن عمرو بن الغوث، وهم الذين عناهم امرؤ القيس بقوله :

رب رام من بنى ثعــل ✱ مخرج كفيه من ستره

وقال أبو محمد اليزيدىّ (١) [يذكر قنفذًا (٢) رآه، فأطعمه وسقاه] :

وطارقِ ليــلٍ جاءنا بعد هَجْعة * من ٱلليل إلّا ما تحدّث سامرُ
قَرَيْناه صَــفْوَ الزاد حين رأيتُه * وقد جاء خَفّاقَ الحَشَى وهو سادِرُ (٣)
جميــلُ المُحَيّا فى الرِّضا فاذا أَبَى (٤) * حَمَتْه من الضَّيْم الرِّماحُ الشَّواجِرُ
ولستَ تراه واضِــعًا لســلاحِه * مَدَى الدّهرِ موتورًا ولاهو واترُ

وقال [آخر] (٢) من أبيات يرثيه فيها و يصفه :

عجبتُ له من شَــيْهَمٍ (٥) مُتَحَصِّنٍ * بِنَبْــلٍ من السَّرْد (٦) المُضَاعَفِ تَبْرُق
وأنّى آهتــدَى سهمُ المنيّةِ نحــوَه * وفى كلّ عُضْــوٍ منــه سَهمٌ مُفَوَّقُ
ولوكان كفُّ الدهرِ تَسْتَخشِنُ الرّدَى * لكان بكفّ الدّهرِ لا يتعــلّق

وقال أبو بكرٍ الخُوَارَزْمِىّ (٧) يصفه :

ومُدَجَّج وســلاحُه مِن نفسه * شاكى الدَّوابرِ أعْزَل الأقْبَــالِ

---

(١) هو يحيى بن المبارك بن المغيرة أبو محمد مولى بنى عدى بن عبد مناة . قيــل له اليزيدى لأنه صحب يزيد بن منصور خال المهدى مؤدّبا لولده فنسب اليه ، ثم اتصل بالرشيد فجعله مؤدّبا للمأمون . وكان صحيح الرواية ثقة صدوقا ، من أكابر القرّاء وأديبا شاعرا مجيدا . مات بخراسان سنة ٢٠٢ هـ عن أربع وستين سنة . (راجع ترجمته فى معجم الأدباء لياقوت ج ٧ ص ٢٨٩ ، و بغيــة الوعاة للسيوطى ص ٤١٤ طبع مصر وتاريخ ابن خلكان ج ٢ ص ٣٤١ طبع بولاق) . (٢) الزيادة عن مباهج الفكر .

(٣) السادر : المتحير . (٤) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : « أتى » بالتاء المثناة من فوق وهو تصحيف . (٥) الشيهم : ذكر القنفذ . (٦) كذا فى مباهج الفكر . والسرد : اسم جامع للدروع . و فى الأصلين : « السود » بالواو ، وهو تحريف .

(٧) هو أبو بكر محمــد بن العباس الخوارزمى أحد الشعراء المجيدين . كان يجمع بين الفصاحة العجيبة والبلاغة المفيدة ، و يحاضر بأخبار العرب وأيامها ودواو ينها ، و يدرس كتب اللغة والنحو والشعر ، و يتكلم بكل نادرة ، و يأتى بكل فقرة ودرّة . أقام بالشام مدّة ، وسكن بنواحى حلب ، وكان يشار اليه فى عصره . ومن الملح والنوادر التى تحكى عنه : أنه قصد الصاحب بن عباد وهو بأرّجان ، فلما وصل الى بابه قال لأحد =

يُمسِى و يُصبح لم يُفـارِق بيتَــه * ولقـد سَرَى عددًا من الأميـالِ
وتراه يكمُنُ بعضُــه فى بعضــه * فتَطِيش عنــه أسهمُ الأهـــوالِ
عينـاه مثل النقطتين وخَطْمُه * يَحكِى ثُــدِىَّ رِضاعةِ الأطفـالِ
وكأنّ أفلامًا غُرِزْنَ بظهـره * مَسّ المِــدادُ رُءوسَها بِبِــلالِ
تَتَهاربُ الحيّـاتُ حين يَرَيْنَــه * هَرَبَ اللصوصِ رأتْ سوادَ الوالى
وكأنّه الخــنزيرُ إلّا جِــلْدَه * وصِــياحَه وتقـارُبَ الأوصال

وأمّا الفِئرانُ وما قيل فيها — قد سمّاها رسول الله صلى الله عليه وسلم
(٩٧) الفُوَيْسِـقةَ . والفار ضروب تقـع على جميعها هــذه التّسمِيةُ وهى " الجُـرَذ "
و " الفأر " معروفان — وهما كالجواميس والبقر — و " الزَّبَاب " و " الخُلْد "
و "اليَرْبوع" و "فأرة البِيشِ"(١) و "فأرة المِسْك" و "فأرة الإبل" .

فأمّا الجُرَذُ والفأرُ — وهما من حيوان البيوت والبرّ. قال المتكلمون فى طبائع الحيـوان : إنّ الفأرَ ممـا جُمِـع له بين حاسّــة السمع والبصر . وليس فى الحيوان أفسدُ منه . ومن فساده أنه يجـد قارورةَ الدُّهن وهى ضيّقة الفَمِ فيُدخِل ذَنَبه فيها

= بجابه : قل للصاحب : على الباب أحد الأدباء وهو يستأذن فى الدخول ؛ فدخل الحاجب وأعلمه ؛ فقال الصاحب : قل له : قد ألزمت نفسى ألا يدخل علىّ من الأدباء إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب ؛ فخرج اليه الحاجب وأعلمه بذلك . فقال له أبو بكر : ارجع اليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء؟ فدخل الحاجب فأعاد عليه ما قال ؛ فقال الصاحب : هذا يكون أبا بكر الخوارزمى ؛ فأذن له فى الدخول فدخل عليه فعرفه وانبسط له . وأبو بكر هذا له ديوان رسائل وديوان شعر . ولد سنة ٣٢٣ هـ وتوفى فى شوّال سنة ٣٨٣ هـ . (راجع يتيمة الدهر ج ٤ ص ١١٤ — ١٥٤ وتاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٧٤٦) .

(١) البيش : نبات سام تأكله هذه الفأرة ولا يضرها .

وَيَمتصُّه . فإن قَصُر ذنبُه عن بلوغ الدُّهْن عَمَد إلى النَّوى والأحجار الصِّغار فيُلقيهما فيها، فيطفو ما فيها فيمتصُّه بذَنَبه، ولا يزال يتعاهد ذلك حتى يَنْفَد جميعُ ما فيها . وهو إذا سرقَ البيضَ يَعجِز عن كَسْره بِسنّه ، فيُدحرج البيضةَ إلى أن تسقُطَ من مكان مرتفع إلى مُسْتَفِلٍ فتنكسر؛ فإن عجَّزه ذلك استعان بفأر آخر فيعتنقها أحدُهما بيديه ورجليه وينقلِب على قفاه؛ ويَقبِض الآخرُ على ذنَبِه ويتسلّق به فى حائط؛ فإذا ارتفع به عن الأرض ألقاها الحاملُ لها فتنكسِر فيأكلانها جميعا . أخبرنى بذلك من شاهدَه . والمثل يُضرب به فى الفساد والسَّرقة والنسيان والحذَر. وفى طبع الجُرَذ البَرِّىّ وعادته أنه لا يحفِر بيتَه على قارعة الطريق خوفاً من الحافر(١) [أن يهدِم عليه بيته](٢) . ويقال : إنه يُخْلَق من الطِّين، وإنه يتولّد بأرض مصر إذا نَضَب ماءُ النيل عنها(٣) . وقال صاحب كتاب مباهج الفِكر(٤): إنه رأى ذلك عِيانا فى سَفْط مَيْدُوم(٥) من جيزة مصر .

وقال الجاحظ: لعمرى إن جِرْذانَ أنْطَاكِيَة لتُسَاجِل السَّنانيرَ فى الحرب، ولا تقوم لها ولا تَقْوَى عليها إلا الواحدَ بعد الواحد . قال : وهى بخُراسان قويّةٌ جدًّا، وربما قطعت أُذُنَ النائمِ . قال : ومن الفأر ما إذا عضّ قتل . قال : ومن الأعاجيب

(١) الحافر من الفرس والبغل والحمار : كالقدم من الإنسان . (٢) الزيادة عن مباهج الفكر .

(٣) هذه العبارة نقلها المؤلف عن مباهج الفكر، وهى عبارة الجاحظ فى الحيوان ونصها : «وقد أنكرنا أن تكون الفأر تخلق إلا فى أرحام إناثها من أصلاب ذكورها ومن أرحام بعض الأرضين كطينة القاطول فان أهلها يزعمون أنهم رأوا الفأرة لم يتم خلقها بعد وإن عينيها تباصّان ثم لا يريمون حتى يتم خلقها وتشتد حركتها» . (٤) يلاحظ أنا لم نجد فى مباهج الفكر فى كلامه عن الفأر شيئا من ذلك .

(٥) سفط ميدوم : قرية من مديرية بنى سويف بقسم الزاوية (وهى الآن إحدى قرى مركز الواسطة) واقعة غربى النيل بالقرب من الجبل الغربى وفى الجنوب الغربى لناحية الرقة بنحو ألفين وستمائة متر. وأكثر مبانيها بالآجر وبها جامع، وهى على تلول قديمة . وفى غربيها على بعد سبعمائة متر بالجبل الغربى هرم عظيم يضاف الى اسمها . (راجع الخطط التوفيقية ج ١٢ ص ٣٩) .

فى قرض الفأر أنّ قوماً من أهل الفِراسة ينظرون إلى قَرْضه و يتفرّسون منه أحوالا . و يزعمون أنّ أبا جعفر المنصور نزل فى بعض القُرَى فقرَض الفأرُ مِسْحًا له كان يجلس عليــه ، فبعث به ليُرفأ ؛ فقال لهم الرَّفّاء : إنّ هاهنا أهلَ بيت يَعْرِفون بقرض الفأر ما ينال صاحبَ المتاع من خير وشرّ ، فمــا عليكم أن تعرِضوه عليهم قبل إصلاحه ؟ فبعث المنصور إلى شيخهم ؛ فلما نظر إلى موضع القَرْض وثَب قائمــا ثم قال : من صاحبُ هــذا المِسْح ؟ فقال المنصور : أنا ؛ فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله و بركاته ؛ والله لَتَلِيَنّ الخلافةَ أو أكون جاهلا أو كذّاباً .

و فى الفأر منافعُ ذكرها الشيخ الرئيس ٱبن سينا ، فقال : دَمُ الفأر يقلع الثآلِيلَ ، وزِبلُه نافع على داء الثعلب وخصوصا لَطْخاً بالعســل ، وخصوصا المحْرَق . قال : و إذا شُوِى الفأرُ وجُفِّف وأُطعِم الصبيّ ٱنقطع سَيَلانُ اللُّعَاب من فمه . قال : وٱتّفق الناسُ أنّ الفأر إذا شُقّ ووضع على لَدْغ العقرب نفع . والله أعلم .

وقد وصف الشعراء الفأر وشبّهوه فى أشعارهم وذكروا ســوءَ فعله . فمن ذلك قولُ أعرابىّ [وقد دخل البصرة فٱشترى خبزا فأكله الفأر](١) :

عَجَّــلَ ربُّ الناسِ بالعِقابِ * لعامِراتِ البيتِ بالخــرابِ
حتى يُعَجِّلْــن إلى التَّبابِ * كُحْلَ العيونِ وُقُصِ(٢) الرِّقابِ
مُجَرَّراتٍ فُضُــلَ الأذنابِ * مثل مَدَارَى(٣) الطَّفْلةِ الكَعَابِ

(١) الزيادة عن ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى (ص ١٨٤ من الجزء الثانى المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٦٤ أدب) .

(٢) وقص : جمع أوقص . والوقص (بالتحريك) : قصر العنق .

(٣) المدارى : جمع مدراة ، وهى شىء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه ، يسرح به الشعر المتلبد .

كيف لها بأَنْمَـــرٍ وَثَّاب(١) * مُنْهَرِتِ الشِّدْقِ حَدِيدِ النَّابِ
كأنما يَكْشِرُ عن حِرابِ * يَفْرِسُها كالأسـد الوَثَّابِ

وقال أبو بكر الصَّنَوْبَرِىّ(٢) :

يالَحُدْبِ الظُّهورِ قُعْسِ(٣) الرِّقابِ * لِدقَاقِ الخُــرْطومِ والأذنابِ
لِلطافٍ آذانُهـا(٤) والخــراطيـ * ـمُ حدَادِ الأظفارِ والأنيابِ
خُلِقتْ للفساد مُذْخُلِق الخَلْـ * ـقُ وللعَيْثِ والأذى والخراب
ناقباتٍ فى الأرض والسقفِ والحا * ئِطِ نَقْبًا أعيا على النَّقَّابِ
آكلاتٍ كلَّ المآكل لا تَسْـ * ـأَمُها شارباتٍ كلَّ الشَّرابِ
آلفاتٍ قرضَ الثياب وقد يَعْـ * ـدِلُ قرضَ القلوبِ قرضُ الثياب

وقال فى فأرة بيضاء :

وفأرةٍ بيضاءَ لم تُبْتَـذَلْ * يومًا لإطعام السَّـنَانير
إذ فأرةُ المسك سمِعنا بها * وهــذه فأرةُ كافورِ (٩٨)

---

(١) فى كتاب الحيوان (ج ٥ ص ٨٠) :

* أهوى لهن أنمر إهاب *

وقد فسر الجاحظ «أنمر الإهاب» بالسنور .

(٢) هو أحمد بن محمــد بن الحسن بن مرار أبو بكر الضبى المعروف بالصنوبرى الحلبى ، شاعر محسن أكثر أشعاره فى وصف الرياض والأنوار . قدم دمشق وله أشعار فى وصفها و وصف متنزهاتها . وسئل عن السبب الذى نسب جدّه الى الصنوبر حتى صار معروفا به فقال : كان جدى صاحب بيت حكمة من بيوت حكم المأمون ؛ فجرت له بين يديه مناظرة فاستحسن كلامه وحدّة ذكائه وقال له : إنك لصنوبرى الشكل ، يريد بذلك الذكاء وحدّة المزاج . (راجع تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٤٥٦ طبع الشام) .

(٣) قعس الرقاب : مائلتها نحو الظهر .

(٤) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : « أذنابها » .

*
* *

وأمّا الزَّبَابُ — فإنه فأرٌ أصمٌّ، يكون فى الرمل . والعرب تضرب به المثلَ فى السرقة . يقولون : «أسرقُ من زَبَابة» .

*
* *

وأمّا الخُلْد — فهو أعمى لا يُدرِك شيئًا إلّا بالشَّمِّ(١)، [إلا أن](٢) عينيه كاملتان، لكن الجفن مُلتَحِمٌ على الناظر لا يَنْشَق . وهو تُرابِىٌّ مستقِرٌّ فى باطن الأرض؛ وهى له كالمـاء للسمك . وليس له على ظهر الأرض قوّةٌ ولا نشاط؛ بل يَبْقَى مطروحًا كالميّت فتخطَفه الجوارحُ أو يموت . وهو حديدُ حاسّةِ الشمّ . ومتى شمّ رائحةً طيّبةً هَرَب . وهو يحبّ رائحةَ الكُرّاث والبصل؛ وربمـا صِيد بهما . ومن دأبه طولُ الكدّ ودوامُ الحَفر . وفى تركيبه أنه لا يُفرِط فى الطّلَب ولا يقصِّر عنه . وله وقت يظهر فيه لا يُخطئه ولا يَغْلَط(٣) فى المِقـدار . ويُضرب به المثـلُ فى حدّة السمع؛ فيقال : «أسمع من خُلْدٍ» .

*
* *

وأما اليَرْبُوع — فهو حيوان طويلُ الرِّجْلين، قصـيرُ اليدين جدًا . وله ذَنَبٌ كذنب الجُرَذ، يرفعه صُعُدًا، فى طَرَفه شبهُ النُّوارة . ولونُه لونُ الغزال . ويقال لولده "دِرْصٌ"، والجمع أَدْراص . قال أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان : كلّ دابة حشاها الله خُبثًا فهى قصيرةُ اليدين . وهو يسكن بطنَ الأرض لتقوم رطوبتُها

(١) فى ب : «بالسمع» . (٢) التكملة عن مباهج الفكر .

(٣) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «ولا يعلب» بالباء الموحدة . ولعلها «يغلت» بالتاء المثناة . والغلت كالغلط، وقيل : الغلت فى الحساب والغلط فى القول .

له مقامَ المـاء . وهو يُؤْثِر النسيمَ و يكره البخارَ(١) . وهو يَتّخذ جُحْره على نَشَزٍ من الأرض ويحفِره ، ويفتح له أبوابا على مَهَبّ الرياح وتُسمّى "النّافِقَاء(٢)" و "القَاصِـعَاء" و "الدَّامّاء" و "الرَّاهِطَاء" . فإذا طُلِب من أحد هذه الأبواب خرج من الآخر . وهو يَجْتَرّ ويَبْعَر . وله كَرِشٌ وأسنان وأضراس . وهو من الحيوان الذى ينقاد إلى رئيس منـه . والرئيسُ منها إذا كان فيها يرتفع عنها فيكون فى مكان مُشْرِف أو على صخرة ينظر منه إلى الطريق . فإن رأى ما يَخاف، عليها صَرّ بأسنانه وصوّتَ ، فتسمَعه فتنصرف إلى جِحَرَتها ، و إن أغفل ذلك ورأتْ ما تخافه قبل أن يراه قتلتْه ، لتضييعه الحزمَ وغَفْلتِه ، ونصبت غيرَه لرياستها . وإذا أرادتِ اليرابيعُ الخروجَ من جِحَرَتها لطلب المعاش خرج الرئيسُ قبلها وأشرف؛ فإذا لم ير مايخافُه عليها صَرّ لها وصوّت فتخرج . قالوا : ويتـولّد من اليربوع والفأرة ولدٌ يسمى "القَرْنَب" .

⁂

وأما فأرةُ المسك — فقـال الجاحظ : إنهـا دُوَيبّةٌ تكون فى بلاد تُبّت(٣) تصاد لِنَوَافِجها وسُرَرِها . فإذا آصْطِيدتْ عُصِبَتْ سُرّتُها بعِصابٍ وهى مُدَلّاة فيجتمع فيها دَمُها ، فإذا آجتمع ذُبِحتْ ، ثم تُقَوَّر السُّرّة المعصوبةُ وتدفَن فى الشَّـعير حيناً

(١) فى كتاب حياة الحيوان للدميرى (ج ٢ ص ٤٨٠) : « البحار » بالحـاء المهملة . وكلتاهـما غير واضحة .

(٢) ورد فى المخصص (ج ٨ ص ٩٢) فى الكلام على جحرة اليرابيع : «قال أبو حاتم : هى سبعة : القاصعاء، والنافقاء، والداماء، والراهطاء، والعانقاء، والحاثياء، واللغز» . ثم جاء فيه بعد ذلك تفسير لها جميعها . فانظره هناك . وانظر لسان العرب أيضا (مادة نفق) .

(٣) تبت (كسكر وفيها روايات أخرى) : إقليم ضمن الجمهورية الصينية متاخم للهند يقع منها فى شمالها والى الجنوب الغربى من الصين الأصلية . وهى هضبة تخترقها الجبال تعتبر أعلى صقع فى العالم . ومن أشهر نباتها الكلأ وترعاه الوعول البرية والمعز والأغنام . ومن صادراتها الصوف والمسك .

فيستحيلُ ذلك الدّمُ المختنقُ الجامد مِسْكًا ذكِيًّا بعد أن كان مُنْتِنًا . و يقال : إن هذه الفأرةَ تُوجد فى بلاد الزّابج[1] وتُحمَل إلى السِّند ، و إن المسك يَخرج من خُصْيَتَىْ ذكورها بالعصر ، ومن ضُروع إناثها بالحَلْب . و يقال : إن الفأرَ الفارسىّ أطيبُ رِيحًا من كل طِيبٍ ، و ربما ضاهى ريحَ المسك . وهو أجْرَدُ أشقرُ ، شَعَرُه إلى الصُّفْرة ، شديدُ كَحَل العينين ، طويلُ الأذنين ، قصيرُ الذَّنَب .

*
* *

وأما فأرة الإبل — فليست بحيوان ، وإنمـا هى رائحةٌ تسطَع من الإبل عند صدورها من الوِرْدِ يُنتِجها طِيبُ الرِّعْى . قال الشاعر[2] :

لهـا فأرةٌ ذَفْراء[3] كلَّ عَشِـيّةٍ * كما فتَق الكافورَ بالمسك فاتِقُهْ

*
* *

وأمّا القُراد وما قيل فيه — فقد قالوا : أوّل ما يكون "قَمْقَامَةً"[4] وهو الذى لا يكاد يُرَى من صِغَرِه ، ثم يصير "حَمْنَانَةً" ثم يصير "قُرَادًا" ثم يصير "حَلَمًا" . و يقال للقراد : "العَلّ" و "الطِّلْح" و "القِتينُ" و "البُرَام" و "القِرْشَامُ" .

---

(١) كذا فى مباهج الفكر و ياقوت . والزابج : جزيرة فى أقصى بلاد الهند و راء بحر هركند فى حدود الصين ، يوجد بها فأر المسك والزباد (دابة شبه الهر) . وفى ا « الراع » . وفى ب : « الرابح » ، وكلتاهما تصحيف . (٢) هو الراعى ، كما فى اللسان (مادة فأر) . واسمه عبيد بن حصين بن معاوية من بنى نمير . وسبب تسميته بالراعى أنه كان يصف رعاة الإبل فى شعره ولم يكن راعيا ، بل كان سيدا من سادات العرب ومن وجوه قومه . (٣) ذفر الشىء (كفرح) : ظهرت رائحته واشـتدّت ، طيبة كانت أو خبيثة ، فهو دفر وأذفر وهى ذفرة وذفراء . (٤) كذا فى اللسان (مادة قم) والمخصص (ج ٨ ص ١٢٢) . وفى الأصلين : « قنقامة » ، وهو تحريف .

والقـراد يُخلَق من عَرَقِ البعيرِ ومن الوَسَخ والتَّلَطُّخ بالثَّلْط(١) والأبْوَال، كما يُخلق القمل من عَرَق الإنسان . وفى طبـع القُراد أنه يسمع رُغاءَ الإبل من فراسخ فيقصِـدُها ، حتى إنّ أصحاب الإبل يبعثون إلى المـاء من يُصْلح لإبلهم الأرْشِـيةَ(٢) وآلاتِ السَّقْى، فتَبِيتُ الرجالُ عنـد البئر تنتظر مجىءَ الإبلِ، فيعرفون قربهـا من القُرَاد بانبعاثِه فى جوف الليـل وسُرعةِ حركته ومروره، فإذا رأَوْا ذلك منه تهيّئوا للعمل .

و يقول من اعتنى بالحيوان وتكلّم فى طبائعـه : إنّ لكل حيوانٍ قُراداً يناسب مِزاجَــه .

(٩٩) وهم يَضرِبون المثل بالقراد فى أشياء، فيقولون : "أسمعُ من قُرادٍ"، و "ألزقُ(٣) من قرادٍ" ، وما هو إلا قراد ثُفْرٍ(٤) . وأنشد الجاحظُ لبعض الشعراء فى القراد :

ألَا يا عبـادَ الله هـــل لقبيـــلةٍ * إذا ظهرتْ فى الأرض شَدّ مُغِيرُها

فلا الدِّينُ يَنهاها ولا هى تَنْتَهِى * ولا ذو سـلاحٍ من مَعَدٍّ يَضِيرُها

* * *

وأمّا النَّمْلُ والذَّرّ وما قيل فيهما — قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّـيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْـلِ قَالَتْ نَمْـلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْـلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُـودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ . وجاء فى الحديث أنّ رسول الله صـلى الله عليـه وسـلّم نزل منزلًا

---

(١) الثلط : الرقيق من الرجيع . (٢) الأرشية : (جمع رشاء) ، وهو حبل الدلو .

(٣) الذى فى مجمع الأمثال : «ألزق من عل» و «ألزق من برام» . وهما من أسماء القراد كما تقدّم .

(٤) الثفر (بالضم و بالفتح أيضا) لضروب السباع ولكل ذات مخلب : كالحياء للناقة .

فآنطلق لحاجةٍ بخِـاء من حاجتــه وقد أوقد رجلٌ على قَرْيةِ نملٍ إمّا فى شجرةٍ و إمّا فى الأرض؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ فَعَـل هذا أطْفِئْها أطفئها أطفئها" . وعن أبى هُرَيرة رضى الله عنــه عن النبىّ صــلى الله عليه وســلّم قال : "نزل نبىٌّ من الأنبياء تحت شجرةٍ فعضّــته نملةٌ فقام إلى نملٍ كثيرٍ تحت الشــجرةِ فقتلهنّ فقيل له : أَفَلَا نملةً واحدةً" . وعنه رضى الله عنه قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وســلّم يقول : "نزل نبىٌّ من الأنبياء تحت شجــرةٍ فقرَصَتْه نملةٌ فأمر بجَهازه فأُخرِج من تحتها ثم أمر بقرية النّمل فأُحْرِقت فأوحى الله إليــه أَنْ قَرَصَتْك نملةٌ أهلكتَ أُمّةً من الأمم يُسبِّحن اللهَ فهــلّا نملةً واحدةً" . وجاء فى الأثر : أنّ سليمان بن داود عليهما السلام خرج يَسْتَسْقِى ، فرأى نملةً مُستلقيةً على ظهرها رافعةً قوائمَها إلى السماء وهى تقول: اللهم إنّا خَلْقٌ من خَلْقك، ليس لنا غِنًى عن سَقْيك؛ فإما أن تَسْــقِينا وترزُقَنا، و إما أن تُميتَنا وتُهلِكنا . فقــال للناس : ارجِعوا ، فقد سُقِيتم بدُعاء غيركم .

وقال الجاحظ : وكان ثُمَـامةُ يزعُم أنّ النمل ضأنُ الذّرّ . قال : والذى عندى أنّ النمل والذرّ مثــلُ الفأر والجُرَذ، والبقرِ والجواميس . قال : والذّرّ أجودُ فَهْــمًا وأصغرُ جثّةً .

و زعم آبن أبى الأشعث أنّ النملَ لا يتزاوجُ ولا يتوالَد ولا يتلاقَح، و إنما يسقط منه شىءٌ حقير فى الأرض فينمو حتى يصير بيظًا(١) فيتكوّن منه .

والنمل من الحيوان المحتال فى طلب المعاش يتفرّق لذلك؛ فإذا وجد شيئاً أنذر الباقين فيأتِين إليــه و يأخذن منــه . وكلّ واحد مجتهــد فى إصــلاح شأن العامّة

(١) كذا فى حياة الحيوان للدميرى . وفى الأصلين : «بيضا» بالصاد . والبيض كله بالضاد إلا بيظ النمل فإنه بالظاء، لاغير .

غيرُ مختاسٍ لشيء من الرزق دون صحبه . ويقال : إنما يفعل ذلك منها رؤساؤها ومن تحيّله فى طلب الرزق أنه ربما وُضِع بينه وبين ما يُخاف عليه منه ما يمنعه من الوصول إليه من ماءٍ أو شَعْر، فيتسلّق فى الحائط ويمشى على جِذْع من السَّقف حتى يُسامِتَ ما حُفِظ منه ثم يُلقِى نفسه عليه . وفى طبعه وعادته أن يحتكر فى زمن الصيف لزمنِ الشتاء. وهو إذا خاف على ما يدَّخِره من الحبوب من العَفَن والسُّوس أو التَّندّى من مجاورةِ بطن الأرض، أخرجها إلى ظاهر الأرض حتى تيْبَس ثم يُعيدها . وإن خاف على الحبّ أن يَنْبُتَ من نَداوةِ الأرض نقر فى موضع القِطْمير من وَسَط الحبّة (وهو الموضع الذى يبتدئ منه النَّباتُ)، ويَفْلِق جميعَ الحبّ أنصافًا؛ فإن كان من حبّ الكُزْبُرة فَلَقه أرْباعًا ، لأن أنصاف حبّ الكُزْبُرة تَنْبُت . فالنملُ من هذا الوجه فى غاية الحزم . فسبحان المُلهِم لا إله غيرُه .

وليس شىءٌ من الحيوان يَقْوَى على حَمْل ما يكون ضِعْفَ وزْنه مرارًا غير النملة . والنّملُ يَشمّ ما ليس له ريحٌ ممّا لو وضعه الإنسانُ عند أنفه لما وجد له ريحًا. ومن أسباب هلاك النملة نباتُ الأجنحةِ لها ؛ فإذا صار النمل كذلك صادته العصافيرُ وأكلته . وفى ذلك يقول أبو العَتاهِيَة :

وإذا آستوت للنَّمْلِ أجنحةٌ * حتّى يطيرَ فقد دنا عَطَبُهْ

ومن أصناف النّمل صِنفٌ يسمّى « نملَ الأسد »؛ سمّى بذلك لأن مُقَدَّمَ النملة يُشبه وجهَ الأسد ومؤخّرها كالنّمل . وزعم بعضُ من تكلّم فى طبائع الحيوان أنه متولِّد، وأن أباه أكل لحما، وأمّه أكلت نباتا، فَنُتِج بينهما على هذه الصفة .

وقد وصَفه الشعراءُ؛ فمن ذلك قول شاعر[1] :

غُزَاةٌ يولّى الليثُ عنهنّ هاربًا * وليست لها نَبْلٌ حدادٌ ولا عَمَدْ

(١) هو إبراهيم بن سناه، كما فى مباهج الفكر .

قِصارُ الخُطا حُمْشُ القوائم ضُمَّرٌ * مُشَمَّرةٌ لا تَشْتكى الأيْنَ والحَرْدْ (١)
وتعدو على الأقران فى حَوْمة الوَغَى * نشاطًا كما يعدو على صَيْده الأَسَدْ
إذا ذَكَرتْ طِيبَ الهِياج تنفّستْ * تَنَفُّسَ ثَكْلَى قد أُصِيبَ لها وَلَدْ
كأكرادِ زَنْجانٍ (٢) تريد قضاضةً * وتلك الصَّعَاليك الغرائب فى البلدْ (٣)
وفيهن أجناسٌ تَشابَهْنَ صورةً * وبايَنَّ فى الهِمّاتِ واللون والجسدْ (٤)
فمنهن كُمْتٌ كالعَناكيب أرْجُلًا * وِسَاعُ الخُطا قد زان أجيادَها الغَيَدْ
إذا ٱنْتُهِرت طارتْ وإن هِىَ خَلَّدتْ * رأتْ وِرْدَ أحواضِ المنايا من الرَّشَدْ
وسودٌ خِفافُ الجسم لو عَضَّتِ الصَّفَا * رأيتَ الصَّفا من وقع أسنانها قِدَدْ (٥)
يَفِدْنَ علينا مُفْسِداتٍ جِفانَنا * وأزوادَنا أبغضْ إلينا بما وَفَدْ

وقال أبو هلال العسكرىّ :

وحىٍّ أناخوا فى المنازِل باللِّوَى * فصاروا به بعد القَطِين قَطِينا
إذا ٱختلفوا فى الدار ظَلّتْ كأنها * تُبَدِّد فيها الريحُ بِزْرَ قَطُونا
إذا طرقوا قِدْرِى مع الليل أصبحتْ * بواطنُها مثلَ الظواهر جُونا
لهم نظرةٌ يُسْرَى ويُمْنَى إذا مَشَوْا (٦) * كما مَرّ مرعوبٌ يَخاف كَمِينا
ويمشون صفًّا فى الديار كأنما * يَجُرّون خيطًا فى التراب مَنِينا (٧)

(١) حمش القوائم : دقيقها . والحرد : داء يصيب عصب يدى الدابة .
(٢) زنجان : بلد كبير مشهور بنواحى الجبال بين أذربيجان وبينها ، وهى قريبة من أبهر وقزوين والعجم . (٣) ورد هذا البيت هكذا بالأصلين ، ولم نتبين المراد منه .
(٤) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : « الجلد » ، وهو تحريف .
(٥) القدد : جمع قدّة وهى القطعة من الشىء .
(٦) كذا فى ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى . وفى الأصلين : « مشت » .
(٧) المنين : الحبل الضعيف ، وقيل : القوى ، فهو من الأضداد . وفى ا : « متينا » . وفى ب وديوان المعانى : « مبينا » . ولعل الكلمتين مصحفتان عما أثبتناه .

وفى كل بيتٍ من بيوتى قَرْيَةٌ * تَضُمّ صنوفاً منهُم وفنونا
فيا مَنْ رأى بيتًا يَضيق بخمسةٍ * وفيه قُرَيَّاتٌ يسَعْن مِئينا

* * *

وأمّا القَمْل والصُّؤاب وما قيل فيهما — قال الجاحظ : ذكروا عن إياس بن معاوية أنه يزعُم أنّ الصِّئبان ذُكُورةُ القمل، وأنّ القمل من الشكل الذى تكون إناثُه أعظمَ من ذُكُورته .

قال الجاحظ : والقملُ يَعْترِى من العَرَق والوَسَخ إذا علاهما ثوبٌ أو ريشٌ أو شعَر، حتى يكون لذلك المكانِ عَفَنٌ وخُمُوم . والقملةُ يكون لونُها بحسب لون الشعر فى السَّوَادِ والبياض والشَّمَط وفى لون الخِضاب، ويَنْصُل إذا نَصَل . قال: والقمل يَعْرِض لثياب كل إنسانٍ إذا عرَض لها الوسَخُ أو العرقُ أوالخُمُوم، إلا ثيابَ المُجَذَّمين فإنهم لا يَقْمَلُون . و إذا قمِل إنسانٌ وأفرط عليه القملُ زَأْبَق رأسَه فيتناثر القملُ . قال : وربما كان الإنسانُ قَمِلَ الطِّباع و إن تنظّف وتعطّر وبدّل أثوابه؛ كما عرَض لعبد الرحمن بن عوف والزُّبير بن العوّام رضى الله عنهما ، حتى آستأذنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى لِباس الحرير؛ فأذِن لهما فيه لهذه الضرورةِ ولدَفْع هذا الضرر .

وقد وصف الشعراءُ القملَ فى أشعارهم؛ فمن ذلك قولُ بعضِ العُقَيْلِيِّين وقد مرّ بأبى العَلَاء العُقَيلِىّ وهو يَتَفلَّى، فقال :

و إذا مررتَ به مررتَ بقانِص * مُتَصَيِّدٍ فى شَرْقَةٍ مقْرورِ[1]
للقمل حولَ أبى العَلَاءِ مَصارِعٌ * ما بين مقتولٍ وبين عقِيرِ[2]

(١) الشرقة : الشمس . والمقرور : من أصابه القر، وهو البرد . (٢) كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٥ ص ١١٤) . وفى الأصلين : «عفير» بالفاء، وهو تصحيف .

فكأنهنّ إذا عَلَوْن قميصَـــه * فَـــذٌّ وتَوْءَمُ سِمْسِمٍ مَقْشُـــورِ
ضَرَجَ الأناملَ من دماء قَتِيلِهـا * حَنِقٌ على أُخرى بِعَــدْوٍ(١) مُغِـير

وقال الحسن بن هانئ فى رجل ٱسمه أيّوب :

مَنْ يَنْأَ عنـه مَصَادُه * فَمَصَادُ أيُّوب ثيـابُهْ(٢)
يكفيه منها نظرةٌ * فتَعُــلّ من عَلَقٍ(٣) حِرابُهْ
يا رُبَّ مُحـــترِزٍ(٤) بجَيْـ * ـبِ الرُّدْنِ تَكْنُفُه صُؤابُهْ (١٠١ ا)
فاشِى النِّــكاية(٥) غيرِ معـ * ـلومٍ إذا دَبّ ٱنسيابُهْ
أو طـامِرِىٍّ(٦) واثبٍ * لم يُنْجِــه عنـه وَثابُهْ
أهــوى له بمُزَلَّقِ الـ * ـعِرْنِين(٧) إصـبعه نِصابُهْ
لله درّك مِن أخى * قَنَصٍ أصابِعُــه كلابُهْ

---

(١) كذا فى كتاب الحيوان . وفى الأصلين : « لعدو ... » .

(٢) لم نجد هذه الأبيات فى ديوانه .

(٣) كذا فى كتاب الحيوان . والعلق : الدم . وقد وردت هذه الشطرة فى الأصلين محرفة .

(٤) كذا فى كتاب الحيوان . وقد ورد هذا البيت فى الأصلين محرفا .

(٥) كذا فى الحيوان . وفى ا : «النكاية» . وفى ب : «الحناية» ، وكلاهما تحريف .

(٦) كذا فى الحيوان . وطامر بن طامر : البرغوث ، سمى بذلك لكثرة وثو . فى الأصــلين : «أو ضامرى» بالضاد المعجمة ، وهو تحريف .

(٧) مزلق : محـدّد . يريد الظفر . والعرنين : الأنف . وعرنين كل شىء : أوله . وهو المراد هنا . والنصاب : المقبض .

القسم الخامس من الفن الثالث
فى أجنـاس الطـير وأنـواع السـمك

وفيه سبعة أبواب : ستة منها فى الطير، وباب فى السمك . وذيّلتُ عليه بباب ثامنٍ أوردتُ فيه ذكرَ شىء ممـا قيل فى آلات صيد البرّ والبحر .

قال الجاحظ فى كتاب الحيوان : إنّ الحيوان على أربعة أقسام : شىءٌ يطير، وشىء يعوم، وشىء يَنْساح ، وشىء يمشى؛ إلّا أنّ كل طائر يمشى ، وليس كلّ شىء يمشى طائرا . قال : وآسم طائر يقع على ثلاثةِ أشياء : صورةٍ ، وطبيعةٍ، وجَناحٍ ؛ وليس بالرِّيش والقَوادم والأَبَاهِر (١) والخَوَافى يسمى طائرًا ولا بعَدَمه يسـقُط ذلك عنـه . ألَا تَرى أنّ الخُفَّاشَ والوَطْواط من الطـير وإن كانا أمْرَطَيْن ليس لهما ريشٌ ولا زَغَب ولا شَكِير .

قال : والطيرُ كلُّه سَبُعٌ وبَهيمةٌ وهَمَجٌ . والسِّباع من الطير على ضربين : فمنها العِتاق ، والأحرارُ ، والجوارحُ . ومنها البُغاث ، وهو كلّ ما عَظُم من الطير سَـبُعًا كانـ أو بهيمة إذا لم يكن من ذوات السِّلاح والمخالب المُعَقَّفة كالنّسور والرَّخَم والغِرْبَانِ وما أشبهها من لئام السّباع . ثم الخِشَاشُ وهو ما لَطُف جِرْمُه وصغُر شخصُه وكان عديمَ السلاح .

وقال : إذا باض الطائرُ بيضًا لم تخرج البيضـةُ من حدّ التحديد والتلطيف بل يكون الجانبُ الذى يبدأ بالخروج الجانبَ الأعظمَ . وما كان من البيض مستطيلًا

---

(١) الأباهر : ما يلى الكلى من ريش الطائر . وأول الريش : القوادم ، ثم المناكب ، ثم الخوافى ، ثم الأباهر ، ثم الكلى .

محـدَّدَ الأطراف فهو للإناث، وما كان مستديرا عريضَ الأطراف فهو للذكور . والبيضةُ عنـد خروجها تكون لَيِّنَةَ القشر غير جاسئةٍ ولا يابسةٍ ولا جامدةٍ . قال : والبيض الذى يتولّد من الريح والتراب أصغرُ وألطفُ ، وهو فى الطِّيب دون الآخر . و يكون بيضُ الريح من الدّجاج والقَبج(١) والحمام والطاوس والإوَزّ . قال : وحَضْنُ الطائر وجُثومه على البيض يكون صلاحًا لبدن الطائر كما يكون صلاحًا لبدن البيض . قال : وزعم ناسٌ أنّ بيض الرِّيح إنمـا يكون عن سِفادٍ مُتقدِّمٍ . وذلك خطأ من وجهين : أمّا أحدُهما ، فإن ذلك قد عُرِف من فراريج لم تَرَ ديكًا قطُّ . والآخرُ أن بيض الرِّيح لم يكن منـه فُرُوخٌ قطّ . و بيضُ الصَّنْبِف المحضونُ أسرعُ خروجًا منه فى الشـــتاء .

فهذه جمـلٌ من أحوال الطير فرّقها الجاحظ فى كتابه فى عدّة مواضـع جمعناها وألّفنا بعضَها إلى بعض . ولنذكر كلّ جنسٍ من الطير، ونشرح ما يخصّه من الكلام وما قيل فيـه . وغيرُ الجاحظ قسّم الطيرَ إلى أقسام ، فجعـل منها سِباعًا ، وكلابا ، وبهائمَ ، وبُغاثًا ، ولَيْلِيًّا ، وهَمَجا ، وعلى ذلك بوّبنا هذا القسمَ ، على ما تقف عليه إن شاء الله تعالى .

---

(١) ضبط فى القاموس واللسان بفتح فسكون . ونقـل شارح القاموس عن شيخه إنكار هذا الضبط وقال : بل هو محرك كالجحل وزنا ومعنى . وهو فارسى معرب ، أصله فى الفارسية كبج ، وواحده قبجة . وفراخ القبج تخرج كما تخرج الفراريج . و إناثه تبيض خمس عشرة بيضة . و يوصف الذكر بقوّته على السفاد ، وهو لهـذا يكسر البيض لئلا تشتغل الأنثى بحضنه عنه ، كما أن الأنثى تهرب وتختفى إذا جاء أوان بيضها . والقبج يغير أصواته بأنواع شتى ، و يعمر خمس عشرة سنة . (راجع حياة الحيوان للدميرى ج٢ ص ٢٨٢ طبع بولاق) .

الباب الأوّل من القسم الخامس

من الفن الثالث فى سباع الطير

ويشتمل هـذا البابُ على ما قيـل فى العُقاب والبُزاة والصقور والشَّواهين، وأصناف ذلك، وما يتّصف به كلُّ طير منها ومافيه من الطبائع والعادة، وما يَصيد، (١٠٢) وما فيه من الأمارات الدّالّة على نجابته وفَراهته، وغير ذلك ممـا تقف عليه إن شاء الله تعـالى .

ذكر ما قيل فى العُقَاب

يقال : إنّ العُقَاب جميعه أُنْثى وليس فيه ذكر . ويُسمى عند أهل اللغة "العَنْقاء" . وهى "عُقَابٌ" و "زُمَّجٌ" . فأما العُقاب فيقال: إنّ ذكورها من طيرٍ آخر لطيفِ الجِرْم . وهى تبيض فى الغالب ثلاث بيضاتٍ فيخرج لهـا فرخان . قال الجاحظ : ثم آختلفوا، فقال بعضهم : لأنها لا تحضُن إلّا بيضتين؛ وقال آخرون : قد تحضُن ويخرج لها ثلاثة أفراخ ولكنها ترمى بالواحد آستثقالًا للتكليف على ثلاثة؛ وقال آخرون: ليس ذلك إلّا لمـا يعتريها من الضعف عند الصيد، كما يعترى النُّفَسَاءَ من الوَهْن والضعف . وهى تحضُن ثلاثين يوما . وما عداها من الجوارح تبيض بيضتين فى كل سنة وتحضُن عشرين يوما .

قالوا : وفى طبع الذكر أنه يمتحن أُنْثاه هل هى محافظة له أو مؤاتية لغيره من غير جنسه، بأن يصوّب نظر فرخيه إلى شُعَاع الشمس ، فإن ثبت عليه تحقّق أنها فراخه وأمسكها، و إن نبا بصرُه عن شعاع الشمس ضرب الأنثى كما يضرب الرجلُ المرأة الزانيةَ وطردها من وَكْره ورمى بالفرخين .

والعُقاب خفيفة الجَناح ، سريعةُ الطيران ، فهى إن شاءت ٱرتفعت على كل شيء وإن شاءت كانت بقربه . يقال : إنها تتغدّى بالعراق وتتعشّى باليمن. وربما صادت حُمُرَ الوحش، وذلك أنها إذا نظرت الحمارَ رمتْ نفسها فى الماء حتى يبتلّ جناحاها، ثم تتمرّغ فى التراب وتطير حتى تقع على هامة الحمار، ثم تصفِّق على عينيه بجناحيها فتملؤهما ترابًا، فلا يرى الحمـارُ أين يذهب فيؤخذ . وهى مُولَعة بصيد الحيّات. وفى طبعها قبل أن تتدرّب أنها لا تراوغُ صيدًا ولا تَعْنَى فى طلبه، ولا تزال مُوفيـةً على شَرَف عالٍ ؛ فإذا رأت سِباعَ الطير قد صادت شيئا ٱنقضّتْ عليـه، فتتركه لها وتنجو بنفسها . ومتى جاعت لم يمتنع عليها الذئبُ . وهى شديدة الخوف من الإنسان . ويقال : إنها إذا هَرِمت وثَقُل جَناحُها وأظلم بصرُها التمستْ غديرا؛ فإذا وجدتْه حلّقتْ طائرةً فى الهواء ثم تقع من حالِقٍ فى ذلك الغدير فتنغَمِس فيه مرارًا، فيَصِحّ جسمُها ويَقْوَى بصرُها ويعود ريشُها ناشئًا إلى حالته الأولى . وهى متى ثَقُلت عن النهوض أو عَمِيتْ حملتْها الفِراخُ على ظهورها ونقلتْها من مكان إلى آخرَ لطلب الصيد وتعولها إلى أن تموتَ . ومن عجيب ما أُلْهِمتْ أنها إذا ٱشتكت كَبِدَها رفعت[1] الأرانبَ والثعالبَ فى الهواء وأكلت أكبادَها فتبرأ . وهى تأكل الحيّاتِ إلّا رُءوسَها، والطيرَ إلا قلوبَها . قال ٱمرؤ القيس :

كأنّ قلوبَ الطيرِ رَطْبًا ويابِسًا * لَدَى وَكْرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالِي

ومَنْسِرُها الأعلى يعظُم ويتعقّفُ حتى يكون ذلك سببَ هلاكها ؛ لأنها لاتنال به الطُّعْم إذا كان كذلك . وأوّلُ مَنْ صاد بها أهلُ المَغْرِب . وحُكِى أنّ قيصر أهدَى إلى كِسْرَى عُقَابًا، وكتب إليه : علّمها فإنها تعمَلُ عَمَلًا أكثر من الصقور

(١) فى الأصلين : « من رفع ... فى الهواء أكلت ... الخ » وهو غير واضح .

التى أعجبتْك . فأمر بها فأُرسلتْ على ظَبْيٍ عرَض لهـا فقدَّتْه ، فأعجبه ما رأى منها ؛ ثم جوّعها لِيَصيدَ بها ، فوثَبتْ على صبيّ من حاشيته فقتلتْه ؛ فقال كسرى : غَزَانا قيصر فى بلادنا بغير جيش . ثم أهدى له نَمِرًا وكتب إليه : قد بعثتُ إليك بما تقتل به الظِّبَاءَ[(١)] وما قَرُبَ منها من الوحش ؛ وكتَم عنـه ما صنعتِ العقابُ . فأُعْجِب به قيصرُ . فغفَل عنه يومًا فٱفترس بعضَ فِتْيانه ؛ فقـال : صادنا كسرى ؛ فإن كنّا صِدناه فلا بأس . فلمّـا ٱتّصل ذلك بكسرى قال : أنا أبو سَاسَان .

وأجودُ العُقاب ما جُلِب من سُرت[(٢)] و بلادِ المغرب . (١٠٣)

وقد وصفها الشعراءُ فمن ذلك ما قاله أبو الفَرَج البَبَّغاء :

ما كلُّ ذاتِ مِخْلَبٍ ونابِ * من سائر الجارِحِ والكلابِ
بمُدْرِكٍ فى الجِدّ وٱلطِّلَابِ[(٣)] * أيسرَ ما يُدْرِك بالعُقَـابِ
شريفةُ الصِّبغةِ والأنسـابِ * تطير من جَناحها فى غابِ
وتستُرُ الأرضَ عن السَّحَابِ * وتحجُبُ الشمسَ بلا حِجَاب
يظَلُّ منهـا الجوُّ فى ٱغترابِ * مُسْتَوْحِشًا للطير كالْمُرْتابِ
ذكيّـــةٌ تنظر من شِهـاب * ذاتُ جِرانٍ[(٤)] واسع الجِلْبابِ
ومَنْكِبٍ ضَخْمٍ أَثِيثٍ[(٥)] رابِى * ومَنْسِرٍ مُـوَثَّقِ النِّصـابِ

---

(١) كذا فى حياة الحيوان للدّميرى (ح ٢ ص ١٥٣) . وفى الأصلين : «الطى» .

(٢) سرت : مدينة على ساحل بحر الروم بين برقة وطرابلس الغرب .

(٣) كذا فى مباهج الفكر . وفى ا : « فى الحذق الطلاب» . وفى ب : « فى الحـذق الطالب » وكلاهما تحريف .

(٤) الجران : باطن العنق ، وقيل : مقدّم العنق .

(٥) الأثيث : الكثير والعظيم من كل شىء .

وراحتَىْ ليثِ شَرًى غَلّابِ * نِيطتْ إلى بَرَاثِنٍ صِلابِ
[مُرْهَفَةٍ أمضى من الحِرابِ * وكلُّ ما حلّق فى الضَّبابِ](١)
* لِمُلْكِها خاضعةُ الرِّقاب *

***

وأمّا الزُّمَّج — فهو الصِّنف الثانى من العُقَاب، ويُعَدّ من خِفَاف الجوارح. وهو سريعُ الحركةِ شديدُ الوَثْبة . ويُوصف بالغدر . ومن عادته أنه يتلقّف الطائرَ كما يتلقّفه البازى، ويَصِيد على وجه الأرض كما تصيد العقابُ . ويُحمد من خَلْقه أن يكون أحمرَ اللون، ولا يُحمد ما قُرْنِص(٢) منه وَحْشيًّا .

وقد وصفه أبو الفَرَج البَبَّغاء فقال :

يارُبَّ سِرْبٍ آمنٍ لم يُزْعَجِ * غاديتُه قبلَ الصَّباح الأَبْلَجِ
بِزُمَّجٍ أَدْلَقَ(٣) حُوشٍ(٤) أَهْوَجِ * مُضَبَّرِ(٥) المَنكِبِ صُلْبِ المَنْسِجِ(٦)

(١) التكملة عن مباهج الفكر .

(٢) المقرنص : المقتنى للاصطياد .

(٣) كذا بالأصلين . ولعله يريد أن يصفه بالسرعة وشدّة الدفعة والهجوم، على أن يكون مأخوذا من الدلق وهو خروج الشىء من مخرجه سريعا . يقال : اندلق السيل على القوم أى هجم، واندلقت الخيل فهى دُلُق ومندلقة، أى شديدة الدفعة سريعة السير . قال طرفة :

دُلُقٌ فى غارة مسفوحة * كرعال الطير أسرابا تمرّ

وفى مباهج الفكر : « أولق » من « الولق » وهو السرعة أيضا . يقال : جاءت الخيل تلق أى تسرع . ويحتمل أن يكون : «أذلق» بالذال المعجمة، أى حديد ماض .

(٤) الحوش : القوىّ .

(٥) كذا فى كتب اللغة . والضبر والتضبير : شدّة تلزيز (تلصيق) العظام واكتناز اللحم . يقال : جمل مضبور ومضبّر . وفى الأصلين : «مصبر» بالصاد المهملة، وهو تصحيف .

(٦) منسج الدابة : ما بين العرف وموضع اللبد .

ذى قَصَبٍ عَبْلٍ(١) أصمَّ مُدْمَجِ * وجُؤْجُؤٍ(٢) كالجَوْشَنِ(٣) المُدَرَّجِ
وعُنُقٍ سامٍ طويلٍ أعوجِ * ومَنْسِرٍ أقْنَى فسيحٍ مُسْرَجِ
مُنْخَرِقِ المَدْخَلِ رَحْبِ المَخْرَجِ * ومقلةٍ تَشِفُّ عن فَيْرُوزَجِ
ناظرةٍ من لَهَبٍ مؤَجَّجِ * وهامةٍ كالحَجَرِ المُدَمْلَجِ
ومِخْلَبٍ كالمِعْوَلِ المُعَوَّجِ

(١) كذا فى مباهج الفكر . والعبل : الضخم الغليظ . يقال : رجل عبل الذراعين أى ضخمهما ، وفرس عبل الشوى أى غليظ القوائم . والأصم : القوى الصلب . يريد أن يصف ساقيه بالغلظ والقوة . وفى الأصلين : « ذى قصب على أصم ... » ، وهو تحريف .

(٢) الجؤجؤ : الصدر .

(٣) الجوشن : الدرع .

ذكر ما قيل فى البازى

قالوا : والبازى خمسة أصناف، وهى البازى، والزُّرَّق، والباشَق، والعَفْصِىُّ، والبَيْدَقُ .

فأمّا البازى — فهو الثانى من الجوارح، وهو أحَرّ هذه الأصناف الخمسة مِزاجًا، لأنه قليلُ الصبر على العطش . ومأواه مَساقِطُ الشجرِ العاديّةِ الملتفّة والظلُّ الظَّليل ومُطَّرَدُ المياه . وهو لا يتّخذ وَكْرًا إلّا فى شجرة لها شَوْك . وإذا أراد أن يُفرِّخ بَنَى لنفسه بيتًا وسقّفه تسقيفًا جيِّدًا يقيه من المطر ويدفع عنه وَهَجَ الحـرّ . وسبيله[(١)] فى البرد أن يُدْفأ بالنار ويُجعَل تحت كَفَّيْه وبُرُ الثعالب واللُّبودُ؛ وفى الصيف أن يُجعل فى بيت كَنِينٍ[(٢)] باردِ النّسيم ويُفرشَ له الرَّيْحانُ والخِلافُ[(٣)] . وهو خفيف الجَناح، سريع الطيران، يَلُفُّ طيرانَه كالتفافِ الفَواخِتِ[(٤)]؛ ويَسهل عليـه أن يَزُجّ[(٥)] بنفسـه صاعدًا

(١) هذه العبارة منقولة عن مباهج الفكر، ونصها فيه : « وهو لا يطيق البرد ولا الحرّ لرقة جوانحه . فسبيله فى البرد أن تقرب منه النار ليدفأ ويجعل تحت كفيه فى الشتاء وبر الثعالب واللبود، وسبيله فى الحرّ... الخ » .

(٢) كذا فى مباهج الفكر . والكنين : المستور . وقد وردت هذه الكلمة فى الأصلين محرّفة .

(٣) الخلاف : صنف من شجر الصفصاف .

(٤) الفواخت : جمع فاختة، وهى من ذوات الأطواق، ويقال لها الصلصل أيضا (بضم الصادين المهملتين) . يقال : إن الحيات تهرب من أصواتها . وهى عراقية وليست حجازية، وهى حسنة الصوت . وفى طبعها الأنس بالناس، وتعيش فى الدور . والعرب تصفها بالكذب فإن صوتها عندهم : « هذا أوان الرطب » وتقول ذلك والنخل لم يطلع . قال الشاعر :

أكذب من فاختة * تقول وسط الكرب

والطلع لم يبد لها * هذا أوان الرطب

(راجع حياة الحيوان للدميرى ح ٢ ص ٢٣٢ طبع بولاق) .

(٥) فى الأصلين : « يزج نفسه » . وهذا الفعل لا يتعدّى إلا بالباء .

وهابطًا وينقلبَ على ظهــره حتى يلتفِفَ فربســتَه . والإناثُ منه أجرأ على عِظام الطير من الذُّكور . ويقال : إن الإناث إذا كان وقتُ سِفَادِها يغشاها جميعُ أنواع الضَّوَارى : الزُّرّق والشاهين والصَّــقْر ، وإنها تبيض من كل طائر يغشاها ؛ ولهذا تجيء مختلفةَ الأخلاقِ[1] . والبازى يصيد ما بين العصفور والكُرْكِيّ[2] . ومن عادته أنه إذا أخطأ صيدَه وفاتَه وكان فى بَرِّيّةٍ لا شجر فيها ولّى مُمْعِنًا حتى يجدَ كهفًا أو جِدارًا يأوِى اليه؛ ولهذا عُلِّق عليه الجرسُ ليَدُلَّ على مكانه إذا خَفِى .

وصفةُ الجيّد منه المحمودِ فى فعاله أن يكون قليلَ الريش ، أحمرَ العينيْن حادَّهما ، وأن تكونا مُقْبِلتين على مِنْسَره وحِجَاجَاهما[3] مُطِلَّين عليهما ، ولا يكون وضعهما فى جنبيْ رأســه كوضع عينِى الحمــام . والأزرقُ منه دون الأحمر العينِ ؛ والأصفرُ دونهما . وسَعَةُ أشداقه تدلُّ على قوّة الافتراس . ومن صفاته المحمودة أن يكون طويلَ العنق ، عريضَ الصدر ، بعيدَ مابين المَنْكِبين ، شديدَ الانخراط الى ذَنَبه ، وأن تكون فخِذاه طويلَتين مُسَرْوَلَتين بريش ، وذراعاه قصيرتَين غليظتَين ، وأشاجِــعُ[4] كفّيْه عاريةً ، وأصابعُه متفرّقةً [ولا تكون مجتمعةً ككفِّ الغراب[5]] ، ومِخْلَبُه أسود ، ويكون طويل المِنْسَر دقيقــه . وأفخرُ ألوانه الأبيضُ ثم الأشهبُ ؛ وهما لونان يدُلّان على الفراهة والكرم . وأما الأسود الظهرِ المُنَقَّش الصدرِ بالبياض والسواد فهو يدلّ على الشدّة والصَّلَابة . وإن اتّفق أن يكون هــذا أحمرَ العين كان نِهايةً . وهذا اللونُ فى البُزاة

---

(١) عبارة مباهج الفكر : « ولهذا تجىء مختلفة الأخلاق من الجبن والجرأة والجبن والغدر والذكاء والقوّة والضعف والحسن والقبح والشراهة » .

(٢) الكركىّ : طائر يقرب من الوز أبتر الذنب رمادىّ اللون فى خدّه لمعات سود قليــل اللحم صلب العظم يأوى الماء أحيانا .

(٣) الحجاج : العظم المستدير حول العين . وفى الأصلين : «حجاجهما» . وهو تحريف .

(٤) الأشاجع : رءوس الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف .

(٥) الزيادة عن مباهج الفكر .

كالكُمَيْت فى الخيـل . والأحمرُ فى البُزاة أخبثُها . و بعضُ النـاس يقول : أشرفُ البُزاة الطُّغْرُل، ثم البَازى التامّ وهو الذى وصفناه آنِفًا . والطُّغْرُل : طائرٌ عزيزٌ نادرُ الوقوع لا يعرِفه غيرُ التُّركِ ، لأنه يكون فى بلاد الخَزَر وما والاها وما بين خُـوارَزْم إلى إرْمِينِيَة ، وهو يَجمع صيدَ البازى والشاهين . وقيـل : إنه لا يَعْقِر شيئا بِمخْلبه إلّا سمّه .

وأولُ من صاد البـازى "لُذَرِيقُ" أحدُ ملوك الروم الأُوَل، وذلك أنه رأى بازيًا إذا علا كَتَفَ(١)، وإذا سـفَل خفَق ، وإذا أراد أن يسموَ دَرَق(٢)، فاتّبعه حتى اقتحم شجرةً ملتفّةً كثيرةَ الدَّغَل ، فأعجبته صورتُه، فقال : هذا طائرٌ له سلاحٌ تتزيّن بمثله الملوك، فأمر بجمع عدّة من البُزاة جُمِعت وجُعِلت فى مجالسه . فعرَض لبعضها أَيْمٌ(٣) فوثَب عليه ، فقال : مَلِكٌ يغضَب كما تغضب الملوكُ . ثم أمَر به فنُصِب على كُنْدُرةٍ(٤) بين يديه، وكان هناك ثعلبٌ فمرّ به مجتازًا ، فوثَب عليه فما أفلتَ منه إلّا جريحًا ، فقال لُذَرِيقُ : هـذا جَبّارٌ يمنع حِمَاه . ثم أَمر به فضُرِّىَ على الصيد، واتخذته الملوكُ بعده .

وقد وصفته الشعراءُ والأدباء، فمن ذلك قولُ الناشى :

لمـا تعرّى الليـلُ عن أَنْسَاجِه * وآرتاح ضوءُ الصبح لآنْبِلَاجِهِ
غَدَوْتُ أبغى الصيدَ من مِنْهاجِه * بأقْمَــرٍ أَبْـدِع فى نِتاجِــه
أَلبَسه الخالقُ مِن دِيباجِه * ثوبًا كفى الصانعَ من نِسَاجِه

(١) الكتف والكتفان : ضرب من الطيران، كأنه يردّ جناحيه و يضمهما الى ما وراءه .
(٢) درق : أسرع . (٣) الأيم : الحية .
(٤) كندرة البازى : مجثمه الذى يهيأ له من خشب أو مدر؛ وهو دخيل ليس بعربى .

حالٍ من الساق إلى أَوْداجِه[1] * وَشْيًا يَحار الطَّرْف فى آندرَاجه
فى نَسَقٍ منه وفى آنعراجِه * وزانَ فَوْدَيْه إلى حِجَاجِه[2]
بزينةٍ كَفَتْه عِزّ تاجه * مَنْسِرُه يُثْنى على خِلاجِه
وظُفْره يُخبر عن عِلاجه * لو آستضاء المرء فى إدلاجِه
* بعينه كفتْه عن سِرَاجِه *

وقال آبنُ المعتزّ يصف عينَ البازى :

ومقلةٍ تَصْدُقُه إذا رَمَقْ[3] * كأنها نَرْجِسةٌ بلا وَرَقْ

وقال أيضا فيه :

وفتيانٍ غَدَوْا والليلُ داجٍ * وضوءُ الصبح مُتَّهَمُ الطلوعِ
كأن بُزاتَهم أمراءُ جيشٍ * على أكتافها صدأُ الدُّروعِ

وقال أيضا :

ومَنْسِرٍ عَضْبِ الشباةِ دامى[4] * كعَقْدِك الخمسين بالإبهامِ
وخافقٍ للصّيد ذى آصْطِلامِ * ينشرُه للنَّهْض والإقدامِ
* كنَشْرِكَ البُرْدَ على المُسْتامِ *

(١) كذا فى ب ومباهج الفكر . وفى أ : « أدراجه » ، وهو تحريف .

(٢) الحجاج : العظم المستدير حول العين .

(٣) كذا فى ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى . وفى أ : «زيق» . وفى ب : «رنق» ، وكلاهما تحريف .

(٤) كان للعرب حساب غير ما هو معهود اليوم وهو حساب عقود الأصابع وقد وضعوا كلا منها بإزاء عدد مخصوص ثم رتبوا لأوضاع الأصابع آحادا وعشرات ومئات وألوفا . وقد ألفت فى ذلك عدّة رسائل . وقد ذكر بعض الفضلاء فى بيان مراتب الأعداد فى العقد ما نصه : عند العشرة تجعل السبابة حلقة ، والعشرين تجعل الإبهام بين السبابة والوسطى ، والثلاثين تجعل رأس السبابة على رأس الإبهام ، والأربعين تجعل رأس الإبهام خلف السبابة ، والخمسين تجعل الإبهام جالسا ، والستين تجعل ظهر رأس الإبهام =

ووصفه أبو إسحاق إبراهيم بن خَفَاجة الأندلسيّ فقال من رسالة :

«طائرٌ يُستدلّ بظاهر صِفاته، على كرم ذاته؛ طوراً ينظر نظرَ الخُيَلاء فى عِطْفه كأنما يُزْهى جبّار، وتارةً يَرمِى نحوَ السماء بِطَرْفه(١) كأنما له هناك آعتبار. وأخلِقْ به أن ينقضّ على قَنِيصه شِهابا، ويَلْوِى به ذَهابا، ويُحْرِقه تَوَقُّدا وآلتهابا. وقد أقيم له سابِغُ الذَّنَابى والجَناح، كَفِيلَيْن فى مطالبه بالنّجاح. جيّد العين والأَثَر، حديدُ السمع والبصر. يكاد يُحِسّ بما يجرى ببال، ويَسْرِى من خيال. قد جمع بين عزّة مليك، وطاعةِ مملوك. فهو بما يَشتمل عليه من علو الهمه، ويَرجع إليه بمقتضى الخدمه؛ مُؤَهَّل لإحراز ما تقتضيه شمائلُه، وإنجازِ ما تَعِدُ به مَخَايِلُه. وخليق بمُحْكَم تأديبه، وجَوْدةِ تركيبه؛ أن لو مَثَل له النجمُ قَنَصا، أو جرى [بذكره](٢) البرقُ قَصَصا؛ لآختطفه أسرعَ من لَحْظه، وأطوعَ من لَفْظه، وآنتسفه(٣) أمضى من سهم، وأجرى من وَهْم. وقد أقسم بشرف جوهره، وكريم عُنْصره؛ لا يُوجَّه مُسَفَّرا، إلا غادر قَنِيصَه مُعَفَّرا، وآبَ إلى يد من أرسله مُظَفَّرا؛ مُوَرَّد المِخْلَب والمِنقار، كأنما آختضب بحِنّاء أو كَرَع فى عُقَار».

[وله من أبيات يمدح بها](٢) :

طَرَدَ القنيصَ بكلّ(٤) قَيْدِ طريدةٍ * زَجِلَ(٥) الجَنَاح مورَّدَ الأظفارِ

— على المفصل الأعلى من باطن السبابة، والسبعين تجعل رأس الإبهام على المفصل الأسفل من باطن السبابة، والثمانين تجعل رأس السبابة على ظفر الإبهام والتسعين تجعل السبابة حلقة غير محوّقة، والمائة تجعل رأس السبابة اليسرى كما جعلت اليمنى فى العشرة . الخ . (انظر بلوغ الأرب فى أحوال العرب للألوسى ج ٣ ص ٣٩٦ — ٣٩٩ ففيه بيان تام لعلامات الأعداد من الواحد الى الألوف) .

(١) كذا فى مناهج الفكر . وفى الأصلين : « ... نحو السماء وطرفه » ، وهو تحريف .

(٢) الزيادة عن مناهج الفكر . (٣) انتسف الطائر الشىء عن وجه الأرض : قلعه .

(٤) كذا فى ديوانه (ص ٥٣) ومناهج الفكر . وفى الأصلين : «فكل» — بالفاء .

(٥) الزجل . رفع الصوت والجلبة .

مُلتفَّــة أعطافُــه بحَبِــيرةٍ(١) * مكحولة أجفانُه بنُضَــارِ
يَرمى به الأمــدَ البعيدَ فينْثنى * مخضــوبَ راءِ الظُّفْــرِ والمنقارِ

وأما الزُّرّقُ — وهو الصِّنف الثانى من البازى . هو بازٌ لطيفٌ، إلا أن مِزَاجَه أحرُّ وأيْبَس، وهو لذلك أشــدُّ جَناحا وأسرعُ طَيرَانًا وأقوى إقدامًا . وفيه خَتْلٌ وخُبْثٌ؛ وذلك أنه إذا أُرسل على طائر طار فى غير مَطَاره ثم عطَف عليه وأظهر الشدّةَ بعد اللين . وخيرُ ألوانه الأسودُ الظهرِ الأبيضُ الصدرِ الأحمرُ العين . و وصفُه المحمود منه أن يكون أعدلَهــا حلْقا، وأقلَّها رِيشا، وأثقلَها مَحْمِلا، وأملأَها فخذا، وأرحبَها شِدْقا ، وأوسعَها عينا ، وأصغرَها رأسًا، وأصفاها حَدَقةً، وأطولَها عُنُقًا، وأقصرَها خافِيةً، وأشدَّها لحما، وأن يكون أخضرَ الرجلين، وسيعَ المخالب ، مُتعرِّيا(٢) من اللحم . والله أعلم .

وأمّا الباشَق — وهو الصنف الثالث من البازى . وهو أحرّ وأيْبَس من الزُّرّق، وهو هَلِــعٌ قَلِقٌ ذَعِر، يأنَس وقتًا ويَستوحِش وقتاً . ونفْسُه قويّة جافيةٌ(٣). فإذا أنِس منه الصغيرُ بلَــغ منــه كلَّ المراد . وأجودُ الباشَق ما أُخذ فرخًا لم يُلْقِ من قوادِمه رِيشة . وهو متى تمّ تأنيسُه وُجِد منه بازٍ خفيفُ المحْمِل ظريفُ الشمائل .

ومن صفاته المحمودةِ أن يكون صغيرَ المَنْظَر، ثقيــلَ المَحْمِل، طويلَ الساقين والفخِذين، عظيمَ السِّلاح بالنسبة إلى جسمه .

(١) الحبير من البرود : الموشّى المخطط .
(٢) فى الأصلين : «متعر» ، وهو تحريف .
(٣) فى ا ومباهج الفكر : «حائنة» . وفى ب : «حافية» . ولعل كليهما محرف عما أثبتناه .

وقال بعضُ الشعراء يصفه :

إذا بارك اللهُ فى طـائرٍ * فخصّ من الطـير إسْبَهْرَقى

له هامــةٌ كُلِّلت بالُّلجَيْنِ * فسال اللُّجَيْنُ على المَفْــرِقِ

يُقلِّب عينين فى رأســهِ * كأنهما نقطتا زِئبَــقِ

واشْرِبَ لوناً له مُذْهَبًا * كلون الغَــزالة فى المَشْرِق

حِمامُ الحَمَـامِ وحَتْفُ القَطا * وصاعِقــةُ القَبْـجِ والمَقْعَقِ

وأحنى عليك إلى أن يعود * إليـك من الوالد(١) المُشْـفِقِ

وأ كرِمْ به وبكفِّ الأمير * وبالدَّسْتَبَانِ(٢) إذا يَلْتقِى

وقال أبو الفتح كُشَاجِم :

يسمو فيَخْفَى فى الهــواء ويَنْكَفِى * عَجِلاً فينقضُّ انقضــاضَ الطارق

وكأنّ جُؤْجُؤَه وريش جناحِه * خُضبا(٣) بنَقْش يدِ الفتــاةِ العــانِقِ(٤)

وكأنما سكَن الهوى أعضــاءَه * فأعارهنّ نحــولَ جسمِ العاشـــقِ

ذا مقــلةٍ ذهبيّــةٍ فى هامــةٍ * محفوفةٍ من ريشها بحــدائقِ

ومخالبٍ مثـلِ الأهــلّةِ طالمـا * أدْمَيْنَ كفَّ البَـازِيارِ الحاذقِ (١٠٦)

وإذا انبرى نحـوَ الطريدةِ خِلْتَـه * كالرِّيح فى الأسمـاع أو كالبـارق

---

(١) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «الولد» .

(٢) الدستبان : الضارب بالدستان ، وهو من اصطلاحات أصحاب الموسيقى ، ومعناها : النغمة بالفارسية . كذا ذكر فى كتاب الألفاظ الفارسية (ص ٦٤ طبع بيروت) . وكان من عادتهم إذا أرادوا أن يصطادوا بالجوارح ضربوا لها الطبول وهيجوها بذلك .

(٣) كذا فى ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٩٧ أدب . وفى أ : «حصا» بالخاء المعجمة والصاد المهملة . وقد سقطت هذه الكلمة من الناسخ فى ب .

(٤) العاتق : الجارية أول ما أدركت والتى لم تتزوج ، وقيل : التى بين الادراك والتعنيس .

وإذا دعاه البَـازِيارُ رأيتَــه * أَدْنَى وأطوعَ من محبٍّ وامِقِ
وإذا القَطَـاةُ تخالَفتْ من خـوفه * لم يَعْـدُ أن يهوِى بهـا من حالِقِ

ومن رسالة لبعض فضلاء الأندلس، جاء منها :

« كأنمـا آكتحلَ بلَهَب، أو آنتعل بذهب. ملتفٌ فى سِـبْرِه[(١)]، وملتحفٌ بحِبْرِه. من سيوفه مِنقارُه، ومن رماحه أظفارُه. ومن اللواتى تَتنافس الملوكُ فيها، تُمسكها عُجْبا بها وتِيها. فهى على أيديها آيةٌ باديه، ونعمةٌ من الله ناميه. تَبذُل لك الجهدَ صُراحا، وتُعيرك فى نَيْل بُغْيتك جَناحا. وتَتّفق معك فى طلب الأرزاق، وتأتَلِف بك على آختِلاف الخَلْق والأخلاق. ثم تلوذ بك لِيـاذَ من يَرْجوك، وتفِى لك وفاءً لا يلتزمه لك آبنُك ولا أخوك ». ثم ذكَرَ حمامةً صادها، فقال :

« اِختطفَها أسرعَ من اللّحظ، ولا مَحِيدَ لها عنـه، وآنحـدر بها أعجلَ من اللَّفظ، وكأنها هى منه؛ ثم جعل يتناولها بعَقْد السبعين، ويُدْخلها فى أضيقَ من التسعين[(٢)]. وكان لها موتاً عاجلا، وكانت له قُوتا حاصِلا ». والله الهادى للصواب.

***

وأمّا العَفْصِىُّ — وهو الصنف الرابع من البازى. وهو من الباشَق كالزُّرّق من البازى، إلا أنه أصغرُ الجوارح نَفْسًا، وأضعفُها حِيلةً، وأشدُّها ذُعرًا، وأَيْبَسها مِزاجًا. وربمـا صاد العصفورَ وتركه لخوفه وحَذَره. ومن عادته أنه يَرْصُد الطيرَ

(١) كذا فى مباهج الفكر. والسبر: حسن الهيئة، ومنه الحديث: "يخرج رجل من النار وقد ذهب حبره وسبره". والحبر: البهاء والحسن والوشى. وفى الأصلين: «شرره».

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٨٩ من هذا الجزء.

أيام حِضَانه [(١)]، فإذا طار عن وَكْره خلَفه فيه وكَسَر بيضَه ورماه وباض مكانَه وطار عنه فيحضُنه صاحبُ الوكر؛ فهو أبدًا لا يحضُن ولا يُرَبِّى .

* * *

وأمّا البَيْدَق — وهو الصنف الخامس من البازى ، وهو لا يصـيد غيرَ العصافير . وقد وصفه كُشَاجِمُ فقال :

حَسْبِي من البُزاةِ والزَّرَارِقِ * بِبَيْدَقٍ [(٢)] يصيد صيدَ الباشَقِ

مُؤَدَّبٍ مُـدَرَّبِ الخَـلائِق * أَصْيَد من معشوقةٍ لعاشِقِ

يَسْبِق فى السُّرعة كلَّ سابِقِ * ليس له عن صيده [(٣)] من عائقِ

رَبَّيْتُــه وكنتُ عين الواثِق [(٤)] * أنّ الفَـرَازِينَ [(٥)] من البَيَادق

---

(١) الحضان (بالكسر) : مصدر من قولك : حضن الطائر بيضه حضنا وحضانا إذا ضمه تحت جناحيه .

(٢) فى حياة الحيوان (ج ١ ص ١٣٧) : «والبيادق» .

(٣) فى حياة الحيوان : « فى صيده » .

(٤) فى ديوانه وحياة الحيوان : « غير واثق » .

(٥) الفرازين : جمع فرزان ، معرب فرزين بالفارسية وهو الملكة فى لعبة الشطرنج . تقول : تفرزن البيدق ، أى صار فرزانا .

ذكر ما قيل فى الصقر

والصقر ثلاثة أصناف، وهى صقرٌ، وكَوْنَجٌ، ويُؤْيُؤٌ .

فأمّا الصقر — فهو النوع الثالث من الجوارح. والعرب تُسمّى كل طائرٍ يصيد صقرًا، ما خلا النّسر والعُقَاب، وتسمّيه "الأكدر" و"الأجدل". وهو من الجوارح بمنزلة البِغال من الدّوابّ، لأنه أصبر على الشدّة وأشدُّ إقداما على جلّة الطير كالكَرَاكىّ والحَبَارِج (١) . قالوا : ومِزاجُه أبردُ من سائر ما تقدّم ذِكْرُه من الجوارح وأرطب . وهو يُضَرَّى على الغزال والأرنب ولا يُضَرَّى على الطير لأنها تفوتُه . وفعلُه فى صيده الأنْقِضاض (٢) والصَّدْمُ . وهو غير صافٍّ (٣) بجناحه ولا خافقٍ به . ومتى خفَق بجَناحه كانت حركتُه بطيئةً بخلاف البازى . ويقال : إنه أَهْدأُ نفسًا من البازى ، وأسرع أُنْسًا بالناس (٤)، وأكثر رِضًا وقناعةً . وهو يَغْتذى بلحوم ذواتِ الأَرْبَع . وهو يَعاف المياهَ ولا يَقْرَبُها ، وذلك لبَرْد مِزاجِه . وفى طبعه أنه لا يركب الأشجارَ ولا الشوامخَ من الجبال ، ولا يأوى إلّا المقابرَ والكهوفَ وصدوعَ الجبال . وهو يَنْقَى بالتَّمَعّك (٥) فى الرّمل والتراب .

ومن صفاته المحمودة الدّالّة على نجابته وفراهتِه : أن يكون أحمرَ اللّون ، عظيمَ الهامة، واسعَ العينين، تامَّ المنسر، طويلَ العنق والجناحين، رَحْبَ الصدر، ممتلئَ (١٠٧)

(١) الحبارج : جمع حبرج (بالضم)، وهو من طير الماء .

(٢) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «الانقباص» وهو تحريف .

(٣) صف الطائر جناحيه فى السماء : بسطهما ولم يحركهما .

(٤) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «أسرع إيناسا من الناس» .

(٥) التمعك : التمرغ . وفى الأصلين : «باليعمل» ، وهو تحريف .

الزَّوْر، عريضَ الوسط، جليلَ الفخذين، قصيرَ الساقين والذَّنَب، قريبَ القَفْدَة[(١)] من الفَقَار، سَبْطَ الكفّ، غليظَ الأصابع فَيْرُوزَجَها، أسودَ اللسان. والله الموفّق.

وأوّلُ مَنْ صاد بالصقر وضَرَّاه الحارثُ بن معاوية بن ثَوْر بن كِنْدَة. وسببُ ذلك أنه وقف فى بعض الأيّام على صيّاد قد نَصَب شبكةً للعصافير، فانقضّ أَكْدَرُ على عصفور قد عَلِق فى الشبكة فجعل يأكله وقد عَلِق الأكدر وآندقّ جناحاه، والحارثُ ينظر إليه ويَتعجّبُ من فعله؛ فأمر به فَحُمِـل فرُمِى به فى كِسْرِ بيتٍ ووُكِّل به من يُطْعمه؛ وأنِس الصقرُ بالموكَّل به، حتى صار إذا جاءه باللحم ودعاه أجاب؛ ثم صار يُطْعِمه على يده وصار يحمله. فبينما هو يومًا حاملُه إذ رأى حمامةً، فطار عن يده إليها فأخذها وأكلها. فأمر الحارثُ عند ذلك بآتّخاذها وتَدْريبها والتصيّد بهـا. فبينا هو يسير يومًا إذ لاحت أَرْنَبٌ فطار الصقرُ إليها وأخذها؛ فلما رآه يصيد الطيرَ والأرانبَ آزداد به إعجابا وآغتباطا. وآتخذتْه العرب بعده.

ووصفه الشعراء؛ فمن ذلك ما قاله كُشَاجِم يصفه:

غَدَوْنا وطَرْفُ النجمِ وَسْنانُ غائرُ ✻ وقد نزل الإصباحُ والليل سائرُ[(٢)]
بأجْدَلَ من حُمْرِ الصقور مؤدَّبٍ ✻ وأكرمُ ما قَرَبْتَ منهـا[(٣)] الأحامِرُ[(٤)]
جرىءٍ على قتـل الظِّبـاء وإنّنى ✻ لَيُعْجِبنى أن يَكْسِرَ الوحشَ طائرُ
قصيرُ الذُّنَابَى والقُـدَامَى كأنّها ✻ قَـوَادِمُ نَسْرٍ أو سـيوفٌ بواترُ

(١) الذى يستنبط من معاجم اللغـة (مادة قفد) أن القفد جزء من جانب الرأس الخلفى. ولم يفسره أحد من الأئمة أو يحدّد موضعه. (راجع اللسان مادة قفد).

(٢) فى مباهج الفكر: «والليل ساتر» بالتاء المثناة من فوق.

(٣) كذا فى مباهج الفكر. وفى الأصلين: «منه».

(٤) جمع أحمر على أحامر لأنه أخرج مخرج الأسماء، كما جمع أجدل، وهو الصقر، على أجادل.

ورُقِّشَ منــه جُؤْجُؤٌ فكأنّه * أعارتْه إعجامَ الحروف الدّفاترُ
فما زلتُ بالإضمارِ حتى صنعتُه * وليس يحوز السبقَ إلّا الضّوامرُ
وتحملُه منّا أكفٌّ كريمةٌ * كما زُهِيتْ (١) بالخاطبين المنابرُ
وعَنّ لنا من جانب السَّفحِ رَبْرَبٌ * على سَنَنٍ تَسْتَنّ منه الجآذرُ
بُحِلّي (٢) وحُلّت عُقْدةُ السير فانتحى (٣) * لأولها إذ أمكنته الأواخرُ
يَحُثّ جناحيــه على حُرّ وجهها (٤) * كما فُصِّلَتْ فوق الخدود المَعَاجِرُ (٥)
وما تمّ رَجْعُ الطَّرْفِ حتى رأيتُها * مُصَرَّعةً تَهْــوِى إليها الخناجرُ

وقال عبد الله بن المعتزّ :

وأجدلٍ يفهم نُطْقَ الناطقِ * مُلَمْلَمِ (٦) الهامةِ فَخْمِ العاتِقِ
أقنى المَخَاليبِ طلوبٍ مارقِ * كأنها نُونَاتُ كفِّ ماشِقِ
ذى جُؤجُؤٍ لابِسٍ وَشْيٍ رائقِ * كَمُبْتَدا اللّاماتِ فى المَهَارِقِ (٧)
أو كامتدادِ الكحلِ فى الحَمَالِقِ * ونَجَّمَتْ باللّحظ عينُ الرامقِ
عَشْرًا من الإوَزِّ فى غَلافِقِ (٨) * فــرّ كالرّيحِ بعَــزْمٍ صادقِ

---

(١) فى الأصلين : « رهبت » .

(٢) حلى البازى : أبصر الصيد فرفع رأسه وطرفه . وفى الأصلين : « بحلى » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .

(٣) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : « فامحى » بالميم ، وهو تحريف .

(٤) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : « وجهه » .

(٥) المعاجر : جمع معجر وهو ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها ، ثم تجلبب فوقه بجلبابها .

(٦) الململم : المجتمع المدوّر المصموم .

(٧) المهارق : جمع مهرق (بالضم) وهى الصحيفة البيضاء يكتب فيها .

(٨) الغلافق : جمع غلفق وهو الطحلب أو هو نبت ينبت فى الماء ورقه عراض .

حتى دنا منهنّ مثــلَ السارقِ * ثم علاها بجَنـاح خافِــقِ
* فطَفِقَتْ من هالكٍ أو فائِقِ (١) *

وقال أيضا :

وأجدلٍ لم يَخْــلُ من تأديبِ * يَرى بعيــد الشيء كالقريبِ
يَهْوِى هُــوِىَّ الدَّلْوِ فى القليبِ * بنـاظرٍ مُسْتَعْجِمٍ مقــلوبِ
كناظِرِ الأقبَــلِ (٢) ذى التَّقْطِيبِ * رأى إوَزًّا فى ثَرًى رَطِيبِ (٣)
فطار كالمُسْــتَوْهِلِ المرعوبِ * ينفُــذ فى الشمال والجَنـوبِ

✣ ✣ ✣

وأمّا الكَوْنَجُ — وهو الصنف الثـانى من الصقر . ويُسمَّى بمصر والشام (١٠٨) السّقاوِيّة (٤) . ونسبتُه من الصقر كنسبة الزُّرَّقِ من البازى ، إلا أنه أحَرُّ منه ، ولذلك هو أخفُّ منه جَناحا . وهو يصيد الأرنبَ ، و يعجز عن الغزال لصغره ، و يصيد أشياء من طير المـاء . وشدّةُ نَفْسه أقلُّ من شدّة بدنه ، ولأجل ذلك هو أطول فى البيوت لُبْثًا ، وأصبرُ على مقاساة الشقاء من الصقر . وفى وصفه يقول بعضُ الشعراء :

إن لم يكن صقرٌ فعندى كَوْنَجْ * كأنّ نَقْشَ ريشه المُــدَرَّجْ
بُرْدٌ من المَوْشىِّ أو مُــدَبَّجْ * فكم به للطــير قلبٌ مُزْعَجْ
ممــزَّقٌ بدَمِــه مُضَرَّجْ * بمثــله عمّا الهمــوم تُفرَجْ

---

(١) يقال : فاق الرجل فواقا اذا كانت نفسه على الخروج .

(٢) الأقبل : الذى أقبلت حدقتاه على أنفه . وقال الليث : القبل فى العين : إقبال السواد على المحجر .

(٣) كذا فى ديوانه (ص ٩٧ طبع مصر) . وفى الأصلين : « وطيب » وهو تحريف .

(٤) فى مباهج الفكر : « السقاوة » .

*
* *

وأمّا اليُؤْيُؤ — وهو الصِّنف الثالث من الصقر . ويسمّيه أهل مصر والشأم "الجَلَم" لخفّة جناحَيه وسرعتهما . وهو طائر قصير الذَّنَب . ومِزاجُه بالإضافة الى الباشَق باردٌ رَطْبٌ ، لأنه أصبرُ منه نَفَسًا وأثقلُ حركةً . ويشرب المـاءَ شربا ضروريًّا كما يشرب به الباشَق . ومِزاجُه بالنسبة الى الصقر حارٌّ يابس، ولذلك هو أشجع منه، لأنه يتعلّق بما يفترسه، ويصيد ما هو أجلّ منه كالدُّرَّاج . ويقال : إنّ أوّل من صاد به واتّخذه لِلَّعب بَهْرام جُور[(١)]؛ وذلك أنه شاهد يُؤْيُؤًا يُطارد قُبَّرَةً ويُرَاوِغها ويرتفع معها إلى أن صادها، فأعجبه واتّخذه وصاد به .

وقال عبد الله النّاشي يصفه :

ويؤيؤٍ مهـذَّبٍ رشـيقِ * كأنّ عينيه على[(٢)] التحقيق
* فَصّانِ مخروطـانِ من عَقِيقِ *

وقال أبو نُوَاس :

قَدْ[(٣)] أغتدِى والصبحُ فى دجاه * كطُرّة البـدْر[(٤)] على مَثْنـاهُ
بيؤيؤٍ يُعجِب مَن رآه * ما فى اليـآيِى يؤيؤٌ شَرواه[(٥)]

---

(١) راجع ترجمته بتفصيل واف فى تاريخ الطبرى (ص ٨٥٤ — ٨٧١ من القسم الأوّل) .

(٢) فى مباهج الفكر وحياة الحيوان للدميرى (ج ٢ ص ٨٠) : «لدى» .

(٣) وردت هـذه القصـيدة فى ديوان أبى نواس المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم (د ٢ أدب م ص ٧٨) على غير هذا الترتيب وبزيادة أبيات عليها .

(٤) كذا فى الأصلين وديوانه . وفى حياة الحيوان للدميرى : « كطرة البـدر لدى مثناه » . والطرة : الجبهة . وقد تكون هذه الرواية الأخيرة أقرب الروايات الى الصحة اذا صح أن كلمة « مثناه » يراد بها ميل القمر وانعطافه الى مغيبه ، ويكون المراد تشبيه الصبح فى علسه بصفحة البدر عند مغيبه .

(٥) كذا فى ديوانه ومباهج الفكر . وشروى الشىء : نظيره . وفى الأصلين : «يؤيؤسواه» .

أزرقُ لا تكذِبه عينـاه * فلو يرى القـانصُ ما يراه
[* فدّاه بالأمّ وقـد فدّاه *][(١)]

وقال أبو إسحاق الصّابى يصفه من رسالة :

«وكم من قُبَّرٍ[(٢)] أطلقنا عليه يؤيؤًا[(٣)] لنا فعَرَج إلى السماء عُروجا ، ولجّج فى أثَرِه تلجيجا ؛ فكان[(٤)] ذلك يعتصم منـه بالخلّاق ، وهذا يَستطعمه من الرّزّاق ؛ حتى غابا عن النُّظّـار ، واحتجبا عن الأبصار ؛ وصارا كالغَيْب[(٥)] المُرَجَّم ، والظنّ المتوهَّم ؛ ثم خطِفه ووقع[(٦)] به وهما كهيئة الطائر الواحد ؛ فأعجَبنا أمرُهما ، وأطربَنا منظرُهما» .

ذكر ما قيل فى الشاهين

والشاهين ثلاثة أصناف ، وهى شاهين ، وأنيق ، وقَطَامِىّ .

فأما الشاهين — واسمه بالفارسية شَوْذانه ، فعرّبته العربُ على ألفاظ شتّى منها : شُوذانِق وشَوْذَق وشَوْذَنيق وشَيْذَنُوق[(٧)] . ويقال : إنه من جنس الصقر إلا أنه أبردُ منه وأيبس ؛ ولذلك تكون حركتُه من العُلْو إلى السُّفْل شـديدةً . وليس يحلّق

(١) زيادة عن ديوانه ومباهج الفكر وحياة الحيوان للدميرى .

(٢) كذا فى يتيمة الدهر (ج ٢ ص ٣٥) . وفى الأصلين : «وطار منه قبرا» .

(٣) فى اليتيمة : «بازيا» .

(٤) كذا فى اليتيمة . وفى الأصلين : «كان» .

(٥) كذا فى اليتيمة . وفى الاصلين : «كالغيث المرجم والظن الموهم» ، وهو تحريف .

(٦) كذا فى اليتيمة . وفى الأصلين : «ورفع» وهو تحريف .

(٧) قد وردت هذه المترادفات فى إحدى روايات المخصص بالسين المهملة . والسين والشين كلتاهما لغة فيها . راجع القاموس وشرحه واللسان (مادتى سذق وشذق) والمخصص (ج ٨ ص ١٥٠) .

فى طلب الصّيد على خطّ مستقيم إنمـا يحوم لِثقَل(١) جَناحه،حتى إذا سامتَ الفريسة آنقضّ عليها هاويًا من عُلْوٍ فضربها وفارقها صاعدًا، فإن سقطتْ على الأرض أخذها، وإن لم تسقُط أعاد ضربَها [لتسقط](٢)؛ وذلك دليلٌ على جُبْنه وفتورِ نَفْسه وبَرْد مِزاج قلبـه . ومع ذلك كلّه فهو أسرعُ الجوارح وأخفُّها وأشدُّها ضَرَاوةً على الصـيد . إلّا أنهـم عابوه بالإِبَاق وبمـا يعتريه من الحِرْص؛ حتى إنه ربمـا ضرب بنفسـه الأرضَ فمات . ويزعمون أنّ عظامَه أصلبُ من عظام سائر الجوارح؛ ولذلك هو يضرِب بصدره ويعلَق بكفِّه .

وقال بعضُ من تكلّم فى هذا النوع : الشاهين كآسمه . يريد [شاهين](٣) الميزان؛ (١٠٩) [لأنه](٤) لا يحتمل أدنى حال من الشِّبَع ولا أيسرَ حالٍ من الجوع .

والمحمودُ من صـفاته : أن يكون عظيمَ الهامَة، واسـعَ العينين حادَّهما ، تامَّ المِنْسَر، طويلَ العنق، رَحْبَ الصدر، ممتلِئَ الزَّوْر، عريضَ الوسط، جليلَ(٥) الفخذين، قصيرَ الساقين، قريبَ القَفْـدة(٦) من الظهر، قليلَ الرِّيش لَيِّنَـه، تامَّ الخوافى، دقيقَ الذَّنَب، إذا صَلَّب(٧) عليه جناحيه لم يفضُل عنهما شىءٌ منه . فإذا كان كذلك فهو يقتل الكُرْكىَّ [ولا يفوته](٢) . وزعم بعضُهم(٨) أنّ السُّودَ من الشواهين هى المحمودة؛ وأن السواد أصل لونها، وإنمـا أحالته التُّرْبة . ويكون فى الشواهين المُلَمَّع . والله أعلم .

(١) كذا فى مباهج الفكر، وفى الأصلين : «بثقل» .

(٢) زيادة عن مباهج الفكر .

(٣) هذه التكلة عن كتاب شفاء العليل فيا فى كلام العرب من الدخيل . وشاهين الميزان : لسانه .

(٤) زيادة عن شفاء العليل وحياة الحيوان للدميرى (ج ٢ ص ٥٨) ومباهج الفكر .

(٥) فى حياة الحيوان للدميرى : «جليد» .

(٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٩٦ من هذا الجزء .

(٧) عبارة حياة الحيوان للدميرى (ج ٢ ص ٥٨) : «إذا صلب عليه جناحيه لم يفضل عنه منهما شىء» .

(٨) فى مباهج الفكر : «وزعم أهل الاسكندرية» .

وأوّل من صاد بالشَّوَاهِين قسطنطين [ملك عَمُّورِيَّة][١] . حُكِى أنه خرج يومًا يتصـيَّد ، حتى إذا أتى إلى مَرْج فَسِـيح نظر إلى شاهين ينْكفِئُ على طير المـاء، فأعجبه ما رأى من سرعته وضَرَاوته و إلحاحه على صيده ، فأخذه وضَرّاه ، ثم رِيضتْ له الشَّوَاهين بعــد ذلك وعُلِّمت أن تَحُوم على رأسه إذا ركِب فتُظِلّه من الشمس ، فكانت تنحدِر مرّة وترتفِع أخرى ، فإذا نزل وقعتْ حوله .

وقد وصف الشعراءُ الشواهينَ وشبّهوها ، فمن ذلك قولُ النَّاشى :

هل لك يا قَنّاصُ فى شاهينِ * شُـــوذَانِقٍ مؤدَّبٍ أمينِ
جاء به السائسُ من رَزِينِ[٢] * ضَـــرّاه بالتَّخشــين والتَّليِينِ
حتى لأغْنَـاه عن التلقينِ * يكـاد للتثقيف والتَّمْـرينِ
يَعـرِف معنى الوَحْى بالجفونِ * يَظَلّ من جَنـاحِه المَزِينِ
فى قُرْطَقٍ[٣] من خَزِّه الثمينِ * يُشــبه من طِرَازه المَصُونِ
بُرْدَ أنُوشِرْوانَ أو شِـــيرِينِ[٤] * أحْوَى مجارِى الدَّمع والشؤون
ذى مِنسَـــرٍ مُؤَلَّلٍ مَسْنون * وافٍ كشَطْر الحاجب المَقْرونِ
مُنْعَطِفٍ مثـلَ انعطافِ النون * يُبــدِى اسمُه معناه للعيونِ

وقال أبو الفتح كُشَاجِم و بدأ بالكُرْكِىّ :

يارُبَّ أسراب من الكَرَاكِى * مُطْمِعة السكون فى الحَرَاكِ
بعيــدةِ المَنَـالِ والإدْراكِ * كُدْرٍ و بيضِ اللّون كالأفْنَـاكِ[٥]

(١) زيادة عن مناهج الفكر . وعمورية (بفتح أوله وتشـديد ثانيه) : بلد فى بلاد الروم غزاه المعتصم فى سنة ٢٢٣ هـ وكانت من أعظم فتوح الإسلام .

(٢) كذا بالأصلين ولم نجد فى معاجم البلدان موضعا بهذا الاسم .

(٣) القرطق : قباء ذو طاق واحد ، تعريب كرته بالفارسية .

(٤) شيرين : اسم حظية كسرى أبرويز ، وتطلق أيضا على أسماء فارسية كثيرة .

(٥) الأفناك : جمع فنك ، وهو دويبة يؤخذ منه الفرو ، يجلب من بلاد الصقالبة .

تَقْصُـــر عنها أسهُمُ الأتراكِ * ذُعِرْن (١) قبـــل لَغَطِ المَكَّاكى (٢)
وقبلَ تغريد الحمامِ البـاكى * بفـاتك يُرْبِى على الفُتَّـاك
مؤدَّبِ الإطلاق والإمسـاكِ * مُلَمْـلَمِ الهـامَة كالمَـداك (٣)
مثل الكَمِىّ فى السّلاح الشّاكى * ذى مِنْسَرٍ ضخـمٍ له شَكَّاك
ومِخْـلَبٍ بحـدّه بَتَّـاك (٤) * للحُجْبِ عن قلوبهـا هتّاك
حـتى إذا قلتُ له دَرَاكِ * وحَلَّقَتْ تسمو إلى الأفلاكِ
مُمْتَـدَّةَ الأعنـاق والأوْراك * مُوقَنـةً بعـاجلِ الهَـلاك
غادرها تهْـوِى على الدّكاكِ (٥) * أسْـرَى بكفَّيْه بلا فَكاك
ياغدوات الصـيد ما أحلاك * ومُنّـةَ الشاهين ما أقواك
لم تَكْذِبى فِراسَـةَ الأمـلاكِ * إيّاك أعـنى مادحًا إيّاك

✦
✦ ✦

وأمّا الأنيقىّ — وهو الصِّنف الثّـانى من الشاهين. وتسميه أهلُ العراق الكترك . وهو دون الشاهين فى القوّة، إلا أنّ فيه سرعة . وهو يصيد العصافيرَ . وفيه يقول الشاعر :

غَنِيتُ عن الجَـوَارح بالأنيقِى * بمثْـلِ الرّيح أولمعِ البُـرُوقِ
أَصُبُّ به على العُصْـفور حَتْفًا * فأرميـه بصـخرة مَنْجَنِيقِ

(١) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : « دعوت » .

(٢) المكاكى : جمع مكاء (بضم الميم وتشديد الكاف) وهو طائر فى ضرب القبرة إلا أن فى جناحيه بلقا، وهو يألف الريف، سمى بذلك لأنه يمكو أى يصفر .

(٣) المداك : حجر يسحق عليه الطيب .

(٤) بتاك : قطاع .

(٥) الدكاك : جمع دكة وهى ما استوى من الرمال وسهل .

وأمّا القُطَامىّ — وهو الصِّنف الثالث من الشاهين ، وتسميه أهل العراق "البَهْرَجَة" . يقال : إنه فى طبع الشاهين ، والعرب تُخالف ذلك ، وتسمّى بعضَ الصقور القُطامِىّ ، والمُمْتَنُون بالجوارح يخالفونهم فى ذلك .

فصــــل

وممّا ناسَب الجوارحَ فى الافتراس وأكل اللحم الحىّ "الصُّرَدُ" ، ويُسَمَّى "الشَّقِرَّاق"(١) و "الأَخْطَب" و "الأَخْيَل" . وقيل : إنّ من أسمائه "الواق"(٢) وبعضُهم يسمّيه "بازى العصافير" . [وهو طائر مُوَلَّعٌ بسواد وبياضٍ ، ضخمُ المِنقار](٣) . وفى طبعه شَرَّةٌ وشراسة وسرقةٌ لفراخ غيره ونفورٌ من الناس . وهو [يصيد الحيّات و](٣) يغتذِى بالنَّجم ، ويأوِى الأشجارَ ذواتِ الشَّوْك وفى رءوس التِّلاع ، حَذَرًا على نفسه [ممن يَصيده](٤) . وهو يتحيّل فى صيد ما دونه من الطير كالعصفور .

هذا ما ظَفِرت به فى أثناء المطالعة من سِباع الطير ممّا تكلّم عليه أربابُ هذا الفن . وقد أهملوا أصنافًا ، منها ما هو أجلّ من جميع ما ذكرناه ، وهو "السُّنْقُر" .

(١) كذا فى مباهج الفكر والمخصص (ج ٨ ص ١٥١) . وفى الأصلين « الشـقران » بالنون بدل القاف ، وهو تحريف .

(٢) الواق بكسر القاف بلا ياء ، سمى بذلك لحكاية صوته . ويقال فيه أيضا « الواقى » كالقاضى بإثبات الياء .

(٣) زيادة عن مباهج الفكر .

(٤) وردت هـذه العبارة فى مباهج الفكر كما يأتى : « وله من التحيـل فى صـيده ما دونه من الطير كالعصفور والصعو وغير ذلك من تغيير صوته وحكاية كل صوت لدى جثة صغيرة ، فيدعوها ما تسمع منه الى التقرب منه طمعا منها أنه من جنسها ، فاذا اجتمعت اليه شدّ على بعضهنّ وأخذه وأكله ، وله نقر شـديد واذا نقر شيئا منها أكله من ساعته » .

والسّنقر — طائر شريف ، حسنُ الشَّكْل، أبيضُ اللّون بنقط سود . والملوك تَتغالى فيه وتَشْتَريه بالثمن الكثير. وكان فيما مضى من السنين القريبة يُشْتَرى من التّجار بألف دينار ، ثم تناقَص ثمنُه حتى ٱستقرّ الآن بخمسةِ آلافِ درهم . ولهم عادةٌ : أنّ التّجار إذا حملوه وأتَوْا به من بلاد الفِرِنْج فمات منهم فى الطريق قبل وصولهم أحضروا ريشَه إلى أبواب الملوك، فيُعْطَوْن نصفَ ثمنه إذا أتَوْا به حيًّا؛ كل ذلك ترغيبًا لهم فى حملها ونقلها إلى الديار المصريّة . وهذا الطيرُ لا يشتريه غير السلطان ولا يلعَب به غيرُه من الأمراء إلا من أنعم السلطان عليه به . والله أعلم .

ومّما أهملوا الكلام فيه "الكوهيّة" و"الصيفيّة" و"الزغزغى"، وهو يُعَدّ من أصناف الصقر . ولم أجد مَنْ أثق بنقله وعلمه بهذه الأصناف فأنقل عنه أخلاقَها وطبائعها وعاداتها .

*
* *

وقال أبو إسحاق الصابى فى وصف الجوارح من رسالةٍ طَرْدِيّة جاء منها :

«وعلى أيدينا جوارحُ مؤلّلةُ المخالب والمَناسر، مُذَرَّبةُ(١) النِّصال والخناجر، طامحةُ الألحاظ والمناظر، بعيدةُ المَرامى والمَطارح، ذكيّة القلوب والنفوس، قليلة القُطُوب والعُبُوس، سابغةُ الأذناب، كريمةُ الأنساب، صُلْبَةُ(٢) الأعواد، قويّةُ الأوصال، تزيد إذا أُلْحِمَتْ(٣) شرهًا وقَرَمًا، وتتضاعف إذا أُشْبِعتْ كَلَبًا ونَهَمًا . ثم خرج إلى وصف الحمام فقال : «فلما أوفينا عليها، أرسلنا الجوارحَ إليها، كأنها رسلُ المنايا، أو سهام القضايا، فلم نَسْمَع إلا مُسمِّيًا، ولم نَر إلا مُذَكِّيًا» .

(١) ذرّب السيف ونحوه (بالتضعيف) وذربه (بالتخفيف) وأذربه : أحدّه .
(٢) فى الأصلين : « طيبة الأعواد » .
(٣) ألحمت : أطعمت اللحم .

البـاب الثـانى من القسم الخامس
من الفن الثالث فى كلاب الطَّيْر

ويشتمل هذا البابُ على ما قيل فى النَّسر، والرَّخَم، والحِدَأة، والغراب .

وإنمـا سمّيت هـذه الأصناف بالكلاب لأنها تأكل المَيْتَةَ والجِيَفَ وتقصِدها وتقع عليها، فهى فى ذلك شبيهة بالكلاب .

ذكر ما قيل فى النَّسْر

والنَّسْر ذو مِنْسَر وليس بذى مِخْلَب، وإنما له أظفار حِدادٌ [كالمَخالب . وهو يَسْفَد كما يسفَد الديكُ][(١)] . وزعم من تكلّم فى طبائع الحيوان أنّ الأُنثى من هذا النوع تَبِيضُ من نظر الذَّكَر إليها، وأنهـا لا تحضُن [بيضها][(٢)] وإنمـا تبيضُ فى الأماكن العاليـة التى يَقرَعُها حرُّ الشمس وهَجيرُها، فيقوم ذلك للبيض مقامَ الحَضْن .

والنَّسر يُوصف بحدّة حاسّـة البصر، حتى إنه يقال : إنه يرى الجِيفـةَ عن مسافة أربعمائةِ فرسخ . وكذلك حاسّـة الشّمّ، إلا أنّه إذا شمّ الطِّيبَ مات . وهو أشـدُّ الطيرِ طيَرانًا وأقواها جَناحًا، حتى زعموا أنه يطير ما بين المَشرق والمَغـرب فى يوم واحد . وهـذا القولُ أراه من التّغالِى فيـه . وسائرُ الجوارح تخافُه . وهو [شَرِهٌ نَهِمٌ رَغِيبٌ][(٣)]، إذا سقط على الجِيفة وآمتلأ منها لم يَستطع عنـد ذلك الطيرانَ

(١) زيادة عن مباهج الفكر وحياة الحيوان للدميرى (ج ٢ ص ٤١٠) .

(٢) التكملة عن كتاب صبح الأعشى للقلقشندى (ج ٢ ص ٦٥)

(٣) زيادة عن مباهج الفكر .

حتى يثب عِدّةَ وَثَبات يرفع فيها نفسَه فى الهواء طبقةً بعد طبقةٍ حتى تدخل تحته الرِّيحُ . ومَنْ أصابه بعد ٱمتلائه وأعجلَه عن الوثوب أمكنه ضربُه(١) إن شاء بعصا وإن شاء بغيرها . قالوا : والأنثى تخاف على بيضها وفراخها من الخُفّاش فتَفْرِش فى وَكْرِها وَرَق الدُّلْب(٢) لِيَفِرّ منه . والنّسرُ أشدّ الطير حُزنًا على [فِراق](٣) إلْفه؛ يقال : إن الأنثى إذا فقدتِ الذَّكَرَ ٱمتنعت عن الطُّعْم أيامًا ولَزِمتِ الوكر؛ وربما قتلها الحزنُ . وهو طويل العمر؛ يقال : إنهُ يُعَمَّر ألف سنة . وفيه ألوان : منها الأسودُ البهيم ، والأَرْبَد وهو لون الرَّماد ، والأَكْدر مثله . وهو يتبع الجيوش طمعًا فى الوقوع على جِيف القَتْلى والدَّوابّ .

ذكر ما قيل فى الرَّخَم

يقال : إنّ لئام الطير ثلاثة : الغِربانُ ، والبُومُ ، والرَّخَمُ .

والرخمة تلتمس لبيضها المواضعَ البعيدةَ والأماكنَ الوحشيّةَ والجبال الشامخةَ وصُدُوعَ الصخر؛ ولذلك يُضرب المثل ببيْض الأَنُوق . قال الشاعر :

طلَب الأَبْلَقَ(٤) العَقُوق فلمّا * لم ينَلْه أرادَ بيْضَ الأَنُوقِ

والرَّخَم من أحبّ الحيوان فى العَذِرة ، لا شيءَ يحبّها كحبّه إلّا الجُعَل . وقال المفضَّل لمحمد بن سَهْل : إنّا لا نعرف طائرًا ألأمَ لؤمًا ولا أقذرَ طُعمةً ولا أظهرَ

---

(١) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : « أمكنه صرنه السلاح العصا وغيرها » .

(٢) الدلب : شجر الصنار وهو عريض الورق واسعه شبيه بورق الكرم ، مثل كف الانسان ، ولا نورله ولا ثمر .

(٣) زيادة عن مباهج الفكر .

(٤) يضرب هذا لطلب المستحيل ، ويقال : « أعز من الأبلق العقوق » ، وذلك أن الأبلق من صفات الذكور ، والعقوق : الحامل ، والذكر لا يكون حاملا . وكذلك يضرب المثل ببيض الأنوق لما لا يظفر به لصعوبة الوصول اليه . والأنوق : الرخم .

مُوقًّا من الزّخمة . فقال محمد بن سهل : وما حُمُقُها وهى تحضُن بيضَها، وتحمِى فراخَها، وتُحِبّ ولَدَها، ولا تمكّن إلّا زوجَها، وتقطع فى أوّل القَواطِـع(١)، وترجِـع فى أوّل الرّواجع ، ولا تطير فى التّحسير(٢)، ولا تغـترّ بالشّكِير ، ولا تُرِب(٣) بالوُكُور، ولا تسقط على الجَفير ! .

قال الجاحظ : أمّا قوله : «تقطع فى أوّل القواطع وترجِـع فى أوّل الرّواجع» ، فإنّ الرُّماةَ وأصحابَ الحبائل والقُنّاصَ إنمـا يطلبون الطيرَ بعد أن يعلموا أنّ القواطعَ قد قطعت ، فبقَطْع الرخمة يستدلّون، فلا بدّ للرّخمة من أن تنجو سالمةً إذ كانت أوّل طالع عليهـم . وأمّا قولُه : « ولا تطير فى التّحسير ولا تغترّ بالشّكير » ؛ فإنها تدعُ الطيرانَ أيامَ التحسير، فإذا نبَتَ الشّكيرُ وهو أوّل ما ينبت من الريش فإنها لا تنهض حتى يصير الشكيرُ قَصَبًا . وأما قوله : « ولا تُرِبّ بالوكور » ، فإن الوكور لا تكون إلا فى عُرْض الجبـل ، وهى لا ترضى إلا بأعالى الهِضاب ثم بمواضع الصُّـدوع وخِلالِ الصخور حيث يمتنِـع على جميع الخَلْق المصـيرُ إلى أفراخها ؛ ولذلك قال الكُمَيْت :

ولا تجعـــلونى فى رجائىَ وُدَّكم * كَرَاجٍ على بَيْض الأنُوق آحتبالَها(٤)

وأمّا قولُه : « ولا تسقط على الجَفير » ، فإنما يعنى جَعْبةَ السهام . يقول : إذا رأته علمتْ أنّ هناك سهامًا فلا تسقُط فى موضع تخاف فيه وقْعَ السّهام .

(١) قطعت الطير تقطع قطوعا : اذا جاءت من بلد الى بلد فى وقت حر أو برد ، فهى قواطع .

(٢) حسّرت الطير : سقط ريشها .

(٣) ربّ بالمكان وأربّ إربابا : لزمه وأقام به .

(٤) احتبل الصيد : أخذه بالحبالة .

قال : والرَّخَمُ من الطير التى تتبع الجيوشَ والحُجّاجَ لِمَا يسقُط من كَسْرى[(١)] الدّوابّ . وإذا فقدت المَيْتةَ عَمَدَت إلى العَظْم فحَمَلَتْه وآرتفعتْ به فى الهواء ثم تُلقِيه فيقع على الصخور فينكسر فتأكل ما فيه . والله أعلم بالصواب .

ذكر ما قيل فى الحِدَأة

قالوا : والحِدَأةُ تَبيض بيضتين، وربما باضت ثلاثًا وخرج منها ثلاثةُ أفرخ. وهى تحضُن عشرين يوما . ومن ألوانها الأسودُ والأَرْبَدُ . ويقال : إنها لا تَصيد وإنما تخطَف . وهى تَقِف فى الطيران، وليس ذلك لغيرها من الكواسر . وزعم آبنُ وحشيّة : أنّ العُقَاب والحِدَأة يَتبدّلان، فتصير الحِدَأةُ عُقابًا والعقابُ حِدأةً . وهذا أراه من الخُرافات . ويقال : إنّ الحِدَأة من جوارح سليمان عليه السلام وإنها امتنعت من أن تُؤلَّف أو تُمْلَك لغيره، لأنها من الملك الذى لا ينبغى لأحد من بعده . وهى لا تَخْتطف إلا من يمين مَنْ تختطِف منه دون شماله . وليس فيها لحمٌ ، وإنما عظامٌ وعَصَبٌ وجِلْدٌ وريشٌ . ولم أقف على شعر فيها فأضعه .

ذكر ما قيل فى الغراب

(١١٢) قالوا : والغراب أصنافٌ، وهى "الغُدَافُ" و"الزّاغُ الأكحل" و"الزاغ الأورق" . والغراب يَحْكى جميعَ ما يسمعه، وهو فى ذلك أعجبُ من البَبَّغاء . ويقال : إنّ متولّى ثغر الإسكندريّة أهدى إلى السلطان الملك الظاهر رُكْنِ الدين بِيبَرس غُرَابًا أبيض ؛ وهو غريبٌ نادر الوقوع . ويقال فى صوت الغراب : نَغَقَ يَنْغِق نَغِيقا، ونعَب يَنْعِب نَعِيبا . فإذا مرّت عليه السنون الكثيرة وغَلُظ صوتُه

(١) كسرى : جمع كسير .

قيل فيه: شَحَج يَشْحِج شَحِيجا . وفى طبعه الاستتارُ عند السِّفاد وهو يَسْفِد مُوَاجَهةً[1]، ولا يعود إلى الأُنثى إذا سفِدها أبدا، وذلك لقلّة وفائه .

قال الجاحظ : واذا خرج الفرخُ حضَنته الأنثى دون الذكر، و يأتيها الذَّكَر بالطُّعم . قال : والغراب من لِئام الطير وليس من كِرامها ، ومن بُغَاثِها وليس من أحرارها، ومن ذوات المخالب المعقَّفَة والأظفار الجارحة، ومن ذوات المناقير وليس من ذوات المَنَاسر؛ وهو مع ذلك قوىُّ البدن، لا يَتعاطى الصيدَ، وربما راوغ العُصفورَ . ولا يصيد الجرادةَ إلا أن يلقاها فى سُدٍّ[2] من جراد . وهو إن أصاب جِيفةً نال منها وإلا مات هُزَالا . ويتقمّم كما تتقمّم بهائمُ الطير وضِعافُها . وليس ببهيمة لمكان أكله الجِيَف؛ وليس بسبُع لعجزه عن الصيد .

قال: وهو إمّا أن يكون حالكَ السواد شديدَ الاحتراق، ويكون مثله من الناس الزِّنْجُ لأنهم شِرار الناس وأردأُ الخَلْق تركيبا ومِزاجًا، فلا تكون له معرفة ولاجمال؛ وإما أن يكون أبقعَ فيكون اختلافُ تركيبه وتضادُّ أعضائه دليلًا على فساد أمره . والبُقْعُ ألأمُ من السُّود وأضعف .

قال : ومن الغِربان غرابُ الليل ، وهو الذى ترك أخلاقَ الغِربان وتشبّه بأخلاق البوم . وقد رأيتُ أنا ببُلُنْياس[3] — وهى على ساحل البحر الرومىّ — غِربانًا كثيرة جدّا، فإذا كان وقتُ الفجر صاحت كلّها صِياحًا عظيما مُزْعِجًا؛ فهم يعرفون طلوعَ الفجر بصياحها .

---

(١) قال الجاحظ : «وناس يزعمون أن تسافدها على غير تسافد الطير وأنها تزاق وتلقح من هناك» . (راجع الحيوان للجاحظ ج ٣ ص ٢١٤ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٨٥ أدب) .

(٢) السّدّ : القطعة من الجراد، تسدّ الأفق . يقال : جاءنا سدّ من جراد، وجراد سدّ .

(٣) بلنياس : مدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر .

قال : ومنها غراب البَيْن، وهو نوعان : أحدُهما غِربان صغار معروفة بالضَّعْف واللؤم . والآخرُ إنما لزِمه هـذا الاسم لأنّ الغُرابَ إذا بان أهلُ الدار للنُّجْعةِ وقع فى مواضع بيوتهم يتلمّس ويَتَقَمَّم، فتشاءموا به وتَطَيَّروا منه، إذ كان لا يُلِمّ بمنازلهم إلا إذا بانوا منها؛ فسمَّوْه غرابَ البين . ثم كَرِهوا إطلاقَ ذلك الاسم مخافةَ الزَّجْر والطِّيَرة، وعلموا أنه نافذُ البصر صافى العين، فسمَّوْه الأعورَ؛ من أسماء الأضداد .

قال : والغِدْفانُ جِنسٌ من الغِربان؛ وهى لئام جدًّا . ومن أجل تشاؤمهم بالغراب آشتقّوا من آسمه الغُرْبة والآغترابَ والغريبَ . والعرب يتعايَرُون بأكل لحوم الغِربان . وفى ذلك يقول وَعْلَةُ الجَرْمِىّ (١) :

فما بالعار ما عيَّرتُمونا * شِواءُ النّاهِضَاتِ مع الخَبِيص (٢)
فما لحمُ الغرابِ لنا بزادٍ * ولا سَرَطان (٣) أنهار البَرِيص (٤)

والغربانُ من الأجناس التى تُقتَل فى الحِلّ والحَرَم، وسُمِّيت بالفسقِ .

قال الجاحظ : وبالبصرة من شأن الغِربان ضروبٌ من العجب، لو كان ذلك بمصر أو ببعض الشامات كان عندهم من أجود الطِّلَّسْمات؛ وذلك أنّ الغربان تَقْطَع إلينا فى الخريف فترى النخيلَ وبعضُها مصرومٌ وعلى كل نخلة عددٌ كثير من الغربان؛

---

(١) هو وعلة بن عبد الله الجرمى الشاعر، أحد فرسان قضاعة . (راجع الكلام عليه وعلى ابنه الحارث بن وعلة فى الأغانى ج ١٥ ص ١٣٩ طبع بولاق) .

(٢) الناهضة : أنثى فرخ العقاب . والخبيص : ضرب من الحلواء .

(٣) السرطان : حيوان من خلق الماء ذو فكين ومخالب وأظفار حداد، يمشى على جنب واحد، ويسمى عقرب الماء .

(٤) البريص : نهر دمشق . ذكر ذلك ياقوت، ثم ساق أبياتا لحسان بن ثابت وذكر الشطر الأخير من قول وعلة هـذا، وقال : «وهذان الشعران يدلان على أن البريص اسم الغوطة بأجمعها، ألا تراه نسب الأنهار الى البريص» .

وليس فيها شىء يقرَب نخلةً واحدةً من النخيل التى لم تُصْرَم ولو لم يبق عليها إلا عِذْق واحد . قال : فلو أنّ الله تعالى أذِن للغراب أن يسقُط على النخلة وعليها التمرُ لذهب جميعُه . فإذا صرَموا ما على النخلة تسابقَ الغِربانُ إلى ما سقَط من التمر فى جوف القُلْب (١) وأصول الكَرَب (٢) تستخرجه وتأكله .

ومما يُمثّل به فى الغراب : يقولون : « أحْذَرُ من غراب » . و « أصحُّ من غراب » . و «أصفى نظرًا من غراب» . و «أسودُ من غراب» .

وممـا وُصِفَتْ به الغِربانُ — فمن ذلك قولُ عنترة :

حَرِقُ (٣) الجَناح كأن لَحْيَىْ رأسِه * جَلَمـان بالأخبـار هَشٌّ مُولَعُ

وقال الطِّرِمَّاح بن حَكِيم :

وجرى ببينِهمُ غَـداةَ تحمّـلوا * من ذى الأَثارِب (٤) شاحِجٌ يتعبّدُ

شَنِجُ (٥) النَّسـا أَدْفَى (٦) الجَناح كأنه * فى الدار إثْرَ الظاعنين مُقَيَّـدُ (١١٣)

(١) قلب النخلة (مثلث القاف) : الخوص الذى يلى أعلاها . وفى كتاب الحيوان للجاحظ (ح ٣ ص ١٤١) : «فى جوف الليف» .

(٢) الكرب : أصول السعف العلاظ العراض التى تقطع معها .

(٣) كذا فى ديوان عنترة المخطوط بخط المرحوم الشنقيطى المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٣٧ أدب واللسان (مادة حرق) . وحرق الجناح : انحص ريشه ونسل . وفى الأصلين : «زرق الجناح» بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف .

(٤) الأثارب : قلعة معروفة بين حلب وأنطاكية ، وتحت جبلها قرية تسمى باسمها . ويريد بوصفه بالتعبد أن الغراب اذا صاح أخذ يرفع رأسه ويخفضه ، شأن المتعبد .

(٥) الشنج : تقبض الجلد والأصابع وغيرهما . والنسا (بالفتح) : عرق من الورك الى الكعب .

(٦) كذا فى اللسان (مادة دفا) . وأدفى الجناح : طويله . وفى الأصلين : « أوفى الجناح » . وقد روى فى اللسان (مادتى حرق وشنج) : «شنج النسا حرق الجناح ... الخ» .

وقال أبو يوسف بن هارون الرّيادىّ الأندلسىّ :

أبا حاتم ما أنت حاتمُ طــيِّئٍ * وما أنتَ إلا حاتِمُ الحَــدَثانِ
خطَبتَ ففرّقتَ الجميعَ بلُكْنةٍ * فما الظنُّ لو تُعْطَى بيانَ لِسانِ
كأنّهمُ من سُرعةِ البين أُودِعوا * جَناحَيْك وٱسْتُحْثِثتَ للطيرانِ (١)

وقال أحمد بن فرج الجُبّانى :

أمّا الغرابُ فمؤذِنٌ بتَغَرُّب * وَشْكًا (٢) فصدِّقْ بالنَّوَى أو كَذِّبِ
داجى القِنــاع كأن فى إظلامه * إظلامَ يوم تفــرّقٍ وتغـرّبِ

(١) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «استحييت» ، وهو تصحيف .
(٢) وشك الفراق : سرعته .

البـاب الثـالث من القسم الخامس

من الفن الثالث فى بهائم الطير

ويَشتمل هذا الباب على ما قيل فى "الدُّرّاج" و"الحُبَارَى" و"الطاوُس" و"الدِّيك" و"الدَّجاج" و"الحَجَل" و"الكُرْكِىّ" و"الإوَزّ" و"البَطّ" و"النُّحَام"(١) و"الأَنيس" و"القَاوَنْد" و"الخُطّاف" و"القِيق" و"الزُّرْزُور" و"السُّمَانَى" و"الهُدْهُد" و"العَقْعَق" و"العَصَافِير".

قال الجاحظ: والبهيمةُ من الطير ما أكل الحبَّ خالصا.

* * *

فأمّا الدُّرّاج وماقيل فيـه — قال الجاحظ: إنه يبيض بين العُشْب، ولا سيما فيما طال منه وآلتوى.

وقال الشيخ الرئيس أبو علىّ بن سينا: لحمُ الدُّرّاج أفضلُ من الفواخِت وأعدلُ وألطف وأيبس. قال: وهو يزيد فى الدِّماغ والفهم، ويزيد فى المَنِىّ.

وقال أبو طالب المأمونىّ:

قد بعثنا بذاتِ حُسْـنٍ بَديعٍ * كَنَباتِ الرَّبيع بل هى أحسنْ
فى رِدَاءٍ من جُلَّنَارٍ وآسٍ * وقَميص من يَاسَمِينٍ وسَوْسَـنْ

وقال آخر:

صدورٌ من الدُّرَّاج نُمِّق وَشْيُها * وُصِلْنَ بأطراف الُّلجَيْنِ السَّواذِجِ
وأحداقُ تِبْرٍ فى خدود شقائِقٍ * تَلَألَأُ حُسناً كاشتعال المَسارِجِ

---

(١) النحام (بالضم): طائر أحمر على خلقة الإوز، واحدته نحامة.

وأذنابُ طَلْع فى ظهورِ مَلاعِقٍ * مُجَزَّعة الأعطاف صُهْب الدَّمالِج
فإن نَفَــر الطاوُس يومًا بحسنه * فلاحُسْنَ إلّا دون حسن الدَّرارِج

✤

وأمّا الحُبَارَى وما قيل فيه — وتسمّيه أهلُ مصر الحُبْرُج.[١]

قال الجاحظ: والحُبَارَى أشدُّ الطير طَيَرانًا وأبعدُها[٢] سقطا وأطولها شوطا وأقلُّها عَرْجةً[٣]؛ وذلك أنه يُصاد بالبصرة فيُشَقّ عن حَوْصَلته بعد الذَّبْح فتُوجَد فيها الحبّة الخضراء لم تتغيّر ولم تَفْسد؛ والحبّةُ الخضراءُ من شجر البُطْم[٤] ومنابتُها جبال الثغور الشاميّة. والحُبَارى له خِزَانة بين دُبُرِه وأمعائه، لا يزال فيها سَلْحٌ رقيق لَزِجٌ؛ فمتى ألَحّ عليه جارِحٌ ذَرَق عليه فتمعّط[٥] رِيشُه. ولذلك يقال: الحُبَارى سِلاحُه سُلاحُه.

قال الشاعر:

وهم تركوك أَسْلَحَ من حُبَارَى * رأى صَقْرًا وأشْرَدَ من نَعَـامِ

وهو يغتذِى بِسَلْحه إذا جاع. ويقال: الحُبَارى دجاجةُ البرّ تأكل كل ما دَبّ حتى الخنافس؛ فلذلك يُعاف أكلُه.

ووصف أبو نُوَاس الحُبَارَيات فقال:

يَخْطِـرن فى بَرانِسٍ قُشُوبِ * من حِبَرٍ ظُوهِرْنَ بالتَّذْهيبِ
* فهنّ أمثالُ النّصارى الشِّيبِ *

---

(١) فى اللسان (مادة حبرج): «الحبرج والحبارح: ذكر الحبارى».

(٢) لعلها: «وأنفذها سقطا». والسقط (بالكسر): الجناح.

(٣) العرجة: المقام.

(٤) البطم: (بالضم و بضمتين): شجر كالفستق جوما سبط الأوراق وله حب مفرطح فى عناقيد كالفلفل. ويسمى الأخضر منه بالحبة الخضراء.

(٥) تمعط: تساقط.

* * *

(١١٤) وأما الطاوُس وما قيل فيه — فهو ألوان منها الأخضرُ، والأرقطُ، والأبيضُ؛ ويوجد فى كلها الخُيَلاء . ولا تُعْرَف هذه الألوان إلا فى بلاد الزَّابج . وفى طبع الطاوُس الخيلاء وٱلإعجاب بريشه . والأُنثى تبيض بعد أن يمضى من عمرها ثلاث سنين . ولا يحصُل التلوّنُ فى ريش الذّكر إلا بعد مضىّ هذه المدّة . وتبيض الأُنثى مرتين فى السنة، فى كل مرّة ٱثنتى عشرة بيضة (١) .

وقال الجاحظ : أوّلُ ما تبيضُ ثمانى بيضات، وتبيض أيضا بيضَ الرِّيح . ويَنْسِلُ الذّكرُ فى أوان الربيع . ويُلْقِى ريشَه فى فصل الخريف، كما يُلقِى الشجرُ ورقَه فيه؛ فإذا بدأتِ الأشجارُ تَكْتسِى الأوراقَ بدأ الطاوس فٱكتسى ريشًا . والذكرُ كثير العَبَث بالأُنثى . والفرخُ يخرج من البيضة [كاسيا] (٢) كاسبا .

وزعم أرسطو أن الطاوس يُعمَّر خمسًا وعشرين سنة . وقال أبو الصَّلْت [امية بن عبد العزيز الأندلسىّ] (٣) يصفه :

أبدى لنا الطاوُسُ عن مَنْظَرٍ * لم تَرَعيْنى مثلَه مَنْظَرا
متوَّجُ المَفْرِق إلّا يكن * كِسْرَى بنَ ساسان يكن قيصرا
فى كل عُضْو ذَهَبٌ مُفْرَغٌ * فى سُنْدُس من ريشه أخضرا
نُزهةُ من أبصر، فى طَيِّها * عِبْرَةُ من فكّر وٱستبصرا
تبارك الخالقُ فى كلِّ ما * أَبدعه منه وما صَوَّرا

(١) فى حياة الحيوان للدميرى (ج ٢ ص ١٠٦ طبع بولاق) : «وتبيض الأنثى مرة واحدة فى السنة اثنتى عشرة بيضة وأقل وأكثر ولا تبيض متتابعا» .

(٢) الزيادة عن حياة الحيوان للدميرى عند الكلام على الطاوس .

(٣) الزيادة عن مباهج الفكر .

وقال فيه أيضا :

أهلًا به لمّـا بدا فى مَشْيِهِ * يَخْتال فى حُلَلٍ من الخُيَـلاءِ
كالرّوضةِ الغنّاء أشرف فوقه * ذَنَبٌ لـــه كالدَّوْحةِ الغَنّاءِ
ناديتُــه لو كان يفهم مَنْطِقى * أو يسـتطيع إجابةً لِنِـدائِى
يا رافعًا قوسَ السماء ولابِسًا * للحسن روضَ الحَزْنِ غِبَّ سماءِ
أيقنتُ أنك فى الطيور مملَّك * لمّـا رأيتُك منـه تحت لِوَاءِ

وقال أبو الفتح كُشَاجِم من قصيدة ذكر فيها طاوسًا :

[وأىّ عُذْر لُمقْلة بَعْـــدَ الـطّـاوُسُ عنها إن لم تَفِض بدَمِ][1]
رُزِئْتُــه روضـــةً تروق ولم * أَسْمَعْ برَوْضٍ سَعى على قَدَمِ
مُتَوَّجًا خِلْعَـــةً[2] حباه بهـا * ذو الفِطَر المعجزاتِ والحِكَمِ
كأنه يَزْدِجَرْدُ مُنْتَصِـــبا * يَبْنِى فَيُعْـــلِى مآثرَ العـجمِ
يُطْبِــق أجفانَه ويحسُرُ عن * فَصَّيْنِ يُستصحبان[3] فى الظُّلَمِ
أَدَلَّ بالحسن فاســتذال له * ذيلًا من الكبر غير محتَشِمِ
ثم مشى مِشْيَةَ العروسِ فَمِن * مستظرِفٍ مُعْجَبٍ ومبتَسِمِ

❊

وأما الدِّيك والدَّجاجُ وما قيـــل فيهما — قالوا : والدَّجاجُ ثلاثة أصناف : "نَبَطِى" وهو ما يُتَّخَـذ فى القُرى والبيوت ، "وهِنْدى" وهو عظم

---

(١) زيادة عن ديوانه ومباهج الفكر .

(٢) كذا فى ديوانه . وفى مباهج الفكر : «حلية» . وفى الأصلين : «خلقة» بالقاف وهو تحريف .

(٣) لعله «يستصبحان» أى يستضاء بهما .

الخَلْق يُتّخذ لحسن شكله، و"حَبَشِىّ" وهو نوعٌ بديع الحسن أرقط : نقطةٌ سوداء ونقطةٌ بيضاء، وله قُرطانِ أخضرانِ .

قالوا : والدَّجاجة تجمع البيضَ بعد السِّفاد فى أحدَ عَشَرَ يومًا؛ وهى تبيض فى السنة كلها ما خلا شهرين شتويين . والذى عرَفناه نحن بديار مصر أنّ البيض لا ينقطِع أبدًا فى الفصول الأربعة ، فيدلّ على أنها تبيض دائمًا . ومن الدَّجاج مايبيض فى اليوم مرّتين. والبيضةُ تكون عند خروجها ليِّنةَ القِشْر جدًّا؛ فإذا أصابها الهواء يَبِستْ . وربما وُجِد فى البيضة مُحّانِ . وقال أرسطو : باضت دجاجةٌ فيما مضى ثمانىَ عَشْرةَ بيضةً لكل بيضة مُحّان ، ثم حضنتِ البيضَ فخرج من كل بيضة فرخان، أحدُهما أعظمُ جثّةً من الآخر .

والدّجاجةُ تحضُن عشرين يوما . وخَلْق الفَرُّوج يتبيّن إذا مضت عليه ثلاثةُ أيام . ويُعرَف الذَّكَرُ من الأُنثى بأن يُعلَّق الفَرّوجُ برأسه(1) فان تحرّك فذَكَرٌ، وإن ١١٥
سكَن فأُنثى .

قال الجاحظ : والفرخُ يُخْلَق من البياض ويَغْتذِى بالصُّفْرة ويتمّ خلقُه لعشرة أيام؛ والرأس وحدَه يكون أكبرَ من سائر جسده . والدّجاجةُ إذا هَرِمَتْ لم يكن لبيضها مُحّ، وإذا لم يكن له مُحّ لا يُخلَق منه فرّوجٌ .

والدّجاجةُ تَخشى ٱبنَ آوى دون سائر السِّباع؛ وذلك أنه يمرّ عليها فى القُرى ما يمرّ من السباع وغيرِها فلا تَخْشاه؛ فإذا مرّ عليها ٱبنُ آوى وهى على سطحٍ نالها

---

(1) الذى فى حياة الحيوان للدميرى (ج ١ ص ٤١١ طبع بولاق) : «بأن يعلق بمنقاره فان تحرك فذكر الخ ...» .

من الفَزَع منه ما تُلقِي [به](١) نفسها إليـه . وهى إذا قابلتِ الدِّيكَ تشهّتـه(٢) ورامت السِّفادَ . والدَّجاجةُ تُوصف بقلّة النوم . والفَرُّوجُ يخرج من البيضة كاسِيًا كاسِبًا، سريعَ الحركةِ ، يُدْعَى فيُجيب و يَتبع من يُطْعِمه؛ ثم هو كلّما كَبِر ماق وحَمُق وزال كَيْسُه . وهو مشترَكُ الطبيعة : يأكل اللحمَ، ويَحْسو الدَّمَ، و يصيد الذُّبَابَ، وذلك من طباع الجوارح، ويَلْقُط الحبوبَ، ويأكل البقولَ، وذلك من طباع بهائم الطير. والله أعلم بالصواب .

ذكر ما جاء فى الدِّيكةِ من الأحاديث
وما عُدّ من فضائلها وعاداتها ومنافعها

جاء فى الحديث عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة : أنّ ديكًا صرَخ عند النبيّ صلى الله عليه وسلم، فسبّه بعضُ أصحابه، فقال : "لا تَسُبَّه فإنّه يدعو إلى الصلاة". وعن زيد بن خالد الجُهَنِيّ : أن النبيّ صلى الله عليـه وسلم نَهى عن سبّ الدّيك وقال : « إنّه يؤذِّن للصلاة » . وعن سالم بن أبى الجَعْد يرفعه : أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : " إنّ مما خَلَق اللهُ لَدِيكًا عُرْفُه تحت العرش و بَرَاثِنُه فى الأرض السُّفْلَى وَجناحاه فى الهواء فإذا ذهب ثُلُثـا الليل و بقى ثُلُثٌ ضَرَب بجناحيه ثم قال سبّحوا الملكَ القُدُّوس سُبُّوح قُدُّوس لا شريك له فعنـد ذلك تضرب الطيرُ بأجنحتهـا وتَصيح الدِّيَكَة" . وعن كعب : "إنّ لله دِيكا عُنُقُه تحت العرش و براثنُه فى أسفل الأرض فإذا صاح صاحت الدِّيَكَةُ يقول سبحان القُدُّوس الملك الرحمن لا إله غيره" . ورُوى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إنّ الدِّيك الأبيض صـديق

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) فى الأصلين : « تشهت به » .

وعدوٌّ عدوّ الله يحرُس دارَ صاحبه وسبعَ دور" . وكان النبيّ صلى الله عليـه وسلم يبيّته معه فى البيت . ورُوى أنّ أصحاب النبيّ صلى الله عليـه وسلم كانوا يسافرون بالدِّيَكة .

قال الجاحظ : وزعم أصحابُ التَّجْرِبة أن كثيرًا ما يَرَوْن الرجلَ إذا ذَبَح الدّيكَ الأبيض الأفْرَق(١) إنه لا يزال يُنكَب فى أهله وماله .

وقال فى كتاب الحيوان فى المناظرة بين الدِّيك والكلب : وفى الديك الشّجاعة والصبرُ والجَوَلانُ والثّقافة والتّسـديدُ؛ وذلك أنه يقدِّر إيقاعَ صِيصِيَتِه(٢) بعين الديك الآخر أو مَذْبَحـه فلا يُخطئ . قال : ثم مَعْرِفتُه بالليـل وساعاتِه وٱرتفاقُ بنى آدم بمعرفتـه وصوتِه ، يتعرَّف آناءَ الليـل وعَدَدَ الساعات ومقاديرَ الأوقات ثم يقسِّط أصواتَه على ذلك تقسيطًا موزونا لا يُغادر منـه شيئًا . فليعـلم الحكماءُ أنه فوق الإسْطرْلاب وفوق مقدار الجَزْر(٣) والمَدّ على مَنَازِل القمر ، حتى كأن طَبْعَه فَلَكٌ [على حِدَته(٤)] .

ومن عجيب أحوال الدِّيَكة أنها إذا كانت فى مكان ثم دخل عليها ديكٌ غريب سَفَدَتْه جميعا . والدِّيك يُضرب به المثل فى السخاء ، وذلك أنه ينقُر الحبَّ ويحمله بطرَفَىْ منقاره إلى الدّجاج ، فإذا ظَفِر بشىء من الحبّ والدَّجاجُ غَيَبٌ دعاهنّ إليـه وقنِـع منه بدون حاجته توفيرًا(٥) عليهنّ . قالوا : والدِّيَكَةُ تعظُم بدَبِيـل(٦) السِّنْد حتى تكون مثلَ النّعام .

(١) الأفرق : ذو العرفين لافتراق ما بينهما ؛ وهو أيضا الأبيض . (٢) الصيصية والصيصة : شوكة الديك . (٣) كذا فى الحيوان للجاحظ (ج ٢ ص ٨٨) . وفى أ : «الزجر» وفى ب : «الرجز» ، وكلاهما تحريف . (٤) الزيادة عن مباهج الفكر والحيوان للجاحظ . (٥) فى الأصلين : «توفرا» . (٦) دبيل : مدينة من مدن السند .

وقال الشيخ الرئيس أبو علىّ بن سينا : إنّ مَرَقَة الديوك الْعُتق لها خاصّيات، سنذكرها . قال : والوَجْهُ الذى ذكره جالينُوس فى طبخها أن تُذْبَح بعد عَلْفها وبعد إعدائها إلى أن تَنْبَتَّ[1] فتسقُط فتُذبح، ثم يُخرج ما فى بطنها ويُملأ بطنُها مِلْحًا ويُخاط ويُطبخ بعشرين قسطًا ماءً حتى ينتهى إلى الثُّلُث ويُشرب . قال : ثم يُزاد فى ذلك مانذكره . قال : وأجودُ الدِّيَكة ما لم يَصْقَع[2] بعدُ . وأجودُ الدّجاج ما لم يَبِض، والعتيقُ ردىءٌ . قال : ولحمُ الفراريج أحرُّ من لحم الدَّجاج الكبير . وخَصِىّ الدُّيوك محمودٌ سريعُ الهَضْم . ومرقةُ الدّيوك المذكورة تُوافِق الرِّعشةَ ووجعَ المفاصل . ولحمُ الدّجاج الفتىّ يزيد فى العقل، ودماغُها يمنع النَّزْفَ الرُّعافىّ العارضَ من حُجُب الدِّماغ . ومرقةُ الدُّيوك المذكورة نافعةٌ من الرَّبْو . ولحمُ الدَّجاج يُصفِّى الصوت . ومرقةُ الدِّيك الهَرِم المعمولة بالقُرْطُم والشِّبِثْ تنفع من جميع ذلك . ومرقةُ الديوك نافعة لوجع المَعِدة من الرِّيح، وتنفع القُولَنج جدًّا . ولحمُ الدَّجاج الفتىّ يزيد فى المَنِىّ؛ والمرقةُ المذكورة [مع البسفايج][3] تُسهِّل السَّوْداءَ، ومع القرطم تسهِّل البَلْغم . وقد تُطبخ بالأدوية القابضة للسَّحج[4]، وباللّبن لقروح المثانة . والمرقةُ نافعةٌ من الحُمَّيَات المزمنة . قال : والدَّجاجُ المشقوقُ عن قلبه أو الديك يوضع على نَهْش الهوامّ ويُبَدّل كلَّ ساعة فيمنع من فُشُوّ السّمّ . وفى السموم المشروبة يُتَحَسّى طبيخُه[5] بالشِّبِث والملح ويُتقيّأ .

(١) تنبت : تنقطع إعياء وتعبا . (٢) صقع الديك : صاح .

(٣) الزيادة عن كتاب القانون . والبسفايج : نبات ينبت بين الصخور التى عليها الخضرة وفى سوق شجر البلوط العتيقة (انظر مفردات ابن البيطار ١ ص ٩٢ طبع بولاق) .

(٤) السحج : قشر الجلد من شىء يصيبه .

(٥) كذا فى كتاب القانون . وفى الأصلين : «يحسى طبيعة» ، وهو تحريف .

ومن الحكايات التى تُعَـدّ من خرافات العـرب ما حكاه بعضُهم عن الرِّيَاشىّ(١) قال : كنّا عند الأصمعىّ ، فوقف عليه أعرابىّ فقال : أنت الأصمعى؟ قال: نعم ؛ قال : أنت أعلم أهل الحَضَر بكلام العرب ؟ قال : يزعمون؛ قال : ما معـنى قول أميّةَ بن أبى الصَّلْت :

وما ذاك إلّا الدِّيكُ شارب خمرةٍ * نديم غراب لا يَمَـلّ الحَوَانيـا(٢)
فلما ٱستقلّ الصبح نادى بصوته * ألَا يا غرابُ هل رَدَدتَ ردائيا

فقـال الأصمعىّ : إنّ العـرب كانت تزعُم أنّ الدّيك كان ذا جَناحٍ يطير به فى الجوّ وأنّ الغراب كان ذا جَناح كجناح الدِّيك لا يطير به وأنهما تنادَما ليـلةً فى حانة يشربانِ فنفِد شرابُهما ؛ فقال الغراب للدِّيك : لو أعَرْتَنِى جناحَك لأتيتُك بشرابٍ؛ فأعاره جناحَه ، فطار ولم يرجع إليـه ؛ فزعموا أنّ الديك إنمـا يصيح عنـد الفجر ٱسـتدعاءً لجناحه من الغراب ؛ فضحك الأعرابىُّ وقال : ما أنت إلا شـيطان . وهذه الحكاية ذكرها الجاحظُ فى كتاب الحيوان بنحو ما حُكِى عن الأصمعىّ ، وساق أبياتَ أُميّة بن أبى الصَّلْت، وهى :

ولا غَرْوَ إلّا الديكُ مُدْمِن خمـرةٍ * نديم غرابٍ لا يَمَـلّ الحوانيـا(٣)
ومرهنـــه عند الغـــراب جبينه * فأوفيت مرهوناً وخان مسابيـا(٤)
أدلّ عـــلىّ الدِّيكُ أنّى كما تَرى * فأقبِـلْ على شانى وهـاكَ رِدَائيـا

(١) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : « الناشى » ، وهو تحريف .
(٢) الحوانى : الحانات .
(٣) لم يرد هذا البيت فى كتاب الحيوان للجاحظ .
(٤) كذا ورد هذا البيت فى الأصلين ، وهو غير ظاهر المعنى . ولم نعثر على هذه القصـيدة فى مصدر آخر، غير كتاب الحيوان ، نستأنس به فى تصحيحها .

أمنتك (١) لا تَلْبَث من الدهر ساعةً * ولا نصفَها حتى تؤوبَ مآبِيا
ولا تُدْرِكَنْك الشمسُ عند طلوعها * فأَغْلَق (٢) فيهم أو يطول ثَوَائيا
فردّ الغرابُ والرداءُ يحوزه * إلى الديك وعدًا كاذبًا وأمانيا
بأيّة ذنبٍ أو بأيّة حُجّةٍ * أدَعْك فلا تدعو علىّ ولا لِيا (٣)
فإنى نذرتُ حِجّةً لن أعوقها * فلا تدعُوَنّى دعوةً من ورائيا
تطيّرتُ منها والدّعاءُ يعوقنى * وأزمعتُ حَجًّا أن أطيرَ أماميا
فلا تَيْأَسَنْ إنى مع الصبح باكرًا * أُوافِى غدًا نحوَ الحجيج الغَوَاديا
لحب آمرئٍ فاكهته قبل حِجّتى * وآثرت عمدًا شأنه قبل شانيا
هنالك ظنّ الدّيك أن زال زَوْله * وطال عليه الليل أَنْ لا مُفَادِيا
فلما أضاء الصبحُ طرَّب صرخةً * أَلَا يا غراب هل سمعتَ ندائيا
على وُدّه لو كان ثَمَّ يجيبُه * وكان له نَدْمانَ صِدْقٍ مُوَاتِيا
وأمسى الغرابُ يضرب الأرضَ كلّها * عتيقًا (٤) وأضحى الدّيك فى القِدّ عانيا
فذلك مما أسهتِ الخمرُ لُبَّه * ونادَم نَدْمانًا من الطير عادِيا (٥)

ومن الحكايات التى لا بأس بإيرادها فى هذا الموضع ماحكاه الجاحظُ قال: قال أبو الحسن: حدّثنى أعرابىٌّ كان نزل البصرةَ قال: قدِم علىّ أعرابىٌّ من البادية فأنزلتُه، وكان عندى دَجاجٌ كثير ولى آمرأةٌ وآبنان وآبنتان منها؛ فقلتُ لآمرأتى: بادِرى (١١٧) وآشوِى لنا دجاجةً وقدِّميها إلينا نتغدّاها. فلما حضر الغَداءُ جلسنا جميعا أنا وآمرأتى

(١) كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ. وفى الأصلين: «أمنيك».
(٢) يقال: غلق الرهن يغلق اذا لم يفك وآستحقه المرتهن.
(٣) كذا ورد هذا البيت فى كتاب الحيوان مقدما على الذى يليه.
(٤) كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ. وفى الأصلين: «عقيقا» وهو تحريف.
(٥) كذا فى ا وكتاب الحيوان. وفى ب: «غاويا».

وآبناى وآبنتاى والأعرابىُّ . قال: فدفعنا إليه الدجاجة فقلنا له: اقسمها بيننا، نريد بذلك أن نَضْحك منه؛ فقال: لا أُحْسِن القسمةَ، فإن رَضِيتم بقسمتى قسمتُها بينكم؛ قلنا: فإنّا نَرْضى . فأخذ رأسَ الدجاجةِ فقَطَعه وناوَلَنيـه وقال: الرأسُ للرئيس، وقطَعَ الجناحيْن وقال: الجناحان للآبنَيْن، ثم قطع الساقيْن وقال: الساقان للآبنتيْن، ثم قطع الزِمكّى(١) وقال: العَجُز للعجوز، وقال: الزَّوْر(٢) للزائر؛ قال: فأخذ الدجاجةَ بأسْرها وسخِر بنا . قال: فلمّا كان من الغَدِ قلت لآمرأتى: آشْوِى لنا خمسَ دجاجات، فلما حضر الغَداءُ قلنا له: آقسِم بيننا؛ فقال: إنى أظن أنكم وجَدْتم فى أنفسكم؛ قلنا: لم نَجِدْ فآقْسِم بيننا؛ قال: أقسِمُ شَفْعًا أو وِتْرًا؟ قلنا: آقسم وِترًا؛ قال: أنت وآمرأتُك ودجاجة ثلاثة، ثم رمى إلينا بدجاجة؛ ثم قال: وآبنـاك ودجاجة ثلاثة، ورمى إليهما بدَجاجة؛ ثم قال: وآبنتاك ودجاجة ثلاثة، ورمى إليهما بدجاجة؛ ثم قال: وأنا ودجاجتان ثلاثة وأخذ دجاجتـيْن وسخِر بنا . فرآنا ننظر إلى دجاجتيـه فقال: ما تنظرون! لعلكم كَرِهتم قِسْـمتى! الوِترُ لا يجىء إلّا هكذا، فهل لكم فى قسـمة الشَّفْع؟ قلنا نعم؛ فضمّهنّ(٣) إليه ثم قال: أنتَ وآبناك ودجاجة أربعة، ورمى إلينا بدجاجة؛ ثم قال: والعجـوزُ وآبنتاها ودجاجة أربعـة، ورمى إليهنّ بدجاجةٍ؛ ثم قال: وأنا وثلاثُ دَجاجات أربعة وضمّ إليه الثلاث، ورفع يَديه إلى السماء فقال: اللهـمّ لك الحمـد، أنت فهّمْتَنِيها . هكذا ساقها أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . وحكى غيره هـذه الحكاية عن الأصمعىّ وفيها زيادةٌ، قال: حكى الأصمعىّ: بينا

(١) الزمكى: أصل ذنب الطائر .

(٢) الزور: وسط الصدر، وقيل: ما ارتفع منه إلى الكتفين، أو ملتقى أطراف عظام الصدر حيث اجتمعت .

(٣) كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ . وفى الأصلين: «فضمنى اليه» وهو تحريف .

أنا فى البادية إذا أنا بأعرابىّ على ناقةٍ وهى ترقُص به فى الآل ، فلمّا دنا منّى سلّم علىّ ، فسلّمتُ عليه وقلت : يا أخا العرب

قوم بخَفّان(١) عَهِدناهُمُ * سقاهم الله من النَّوْ

ما النّو ؟ فقال :

نَوْءُ السِّماكيْن وريّاهُما * نُورٌ تلالا بعد إيماضه ضَوْ(٢)

فقلت : ما الضَّو يا أخا العرب؟ فقال :

ضوءٌ تلالا فى دُجَى ليلةٍ * مُقْمِرةٍ مُسْفِرة لَوْ

فقلت : لو إيش يا أخا العرب؟ فقال :

لو مرّ فيها سائرٌ راكبٌ * على نجيب الأرض مُنْطَوْ

فقلت : منطو إيش يا أخا العرب ؟ فقال :

مُنْطوى الكَشْح هضيمُ الحَشَى * كالبازِ ينْقَضّ من الجَوْ

فقلت : ما الجوّ يا أخا العرب ؟ فقال :

جَوّ السما والريحُ تعلو به * فاشتمّ ريحَ الأرض فاعْلَوْ

فقلت : فاعلو إيش يا أخا العرب؟ فقال :

فاعلو لما قد فات من صيده * لا بدّ أن تُلْقى ويُلْقَوْا

فقلت : ماذا يُلْقَوْا يا أخا العرب؟ فقال :

يُلْقَوْا بأسيافٍ يَمانيةٍ * وعن قليلٍ سوف يَفْنَوْا

(١) خفان : موضع قرب الكوفة وهو مأسدة .

(٢) كذا فى الأصلين ولعله : * نور تلا إيماضه ضو * .

فقلت : ما يَفْنَوا ياأخا العرب؟ فقال :

إن كنتَ تُنْكِر ما قلتُـه (١) * فأنتَ عنـــدى رجلٌ بَوّْ

فقلت : وما البوّ ياأخا العرب؟ فقال :

البَـــوُّ من يُفْقَد عن أمّه * يا أحمق النـاس فَرُخْ أوْ

قلت : أو إيش؟ فقال :

تَنْدَفِعُ الكفُّ بصَفْع القفا * تَســمع ما بينهما قَـوّْ

فقلت : يا أخا العرب، هل لك فى الضيافة ؟ فقـال : لا يأبى الكرامةَ إلّا لئيم، فأتيت به منزلى . ثم ساق الحكايةَ بنحو ما تقـدّم، إلا أنه قال : فأتيتُـه فى اليوم الثانى بثلاث دَجاجات، وقلت : نحن كما علمتَ، اقْسِمها بيننا أزواجًا، فقال : أنت وآبناك ودجاجة زوج، وآمرأتُك وابنتـاها ودجاجة زوج، وأنا ودجاجة زوج . وساق خبر الخمسة فى اليوم الثالث كما تقدّم .

***

ذكر شىء مما وصفت به الشعراءُ البيضةَ والدَّجاجة والدِّيك

فمن ذلك ما وصفوا به البيضةَ . قال أبو الفرج الأصبهانىّ من أبيات :

فيهـا بدائعُ صَنْعةٍ ولطائفٌ * أَلَّفْنَ بالتَّقـدير والتلفيقِ

خِلْطان مائيّانِ ما آختلطا على * شكلٍ ومختلف المِـزاج رقيقِ

فبياضُها وَرِقٌ وزِئْبَـق مُحُّهـا * فى حُقّ عاج بُطِّنَتْ بِدَبِيـقِى (٢)

(١) لعله : « تستنكر » .

(٢) الدبيق : نسبة الى دبيق وهى بليدة كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر، و إليها تنسب الثياب الدبيقية . (عن معجم البلدان لياقوت) .

وقال شاعر : (١١٨)

وصفراءَ فى بيضاءَ رَقّتْ غِلالةٌ * لهـا وصفًا ما فوقهـا من ثيابها
جمادٌ ولكن بعد عشرين ليـلةً(١) * ترى نفسَها معمورةً من خرابها

وقال كُشَاجِم من أبيات يذكر فيها جُونةً(٢) أُهْدِيت إليه وفيها بيض مسلوقٌ مصبوغٌ أحمر :

وجاءنا فيهـا ببيض أحمـرِ * كأنه العقيـقُ مالم يُقْشَرِ
حـتى إذا قـدّمه مُقَشَّرا * أبرز من تحت عقيـقٍ دُرَرَا
حتى إذا ما قطّع البيضَ فِلَقْ * رأيتَ منـه ذهبًا تحت وَرَقْ
يخَال أنّ الشطرَ منه مَنْ لَمَحْ * أعاره تلوينَـه قَوْسُ قُزَحْ

وممـا قيل فى الدّجاجة والدّيك

قال الشاعر :

غدوتُ بشَرْبةٍ من ذَاتِ عِرْقٍ(٣) * أبا الدَّهْنـاء من حَلَبِ العَصيرِ
وأخرى بالعَقَنْقَلِ(٤) ثم رُحْنـا * نرى العصفورَ أعظمَ من بعيرِ
كأن الديك ديكَ بنى نُمَـيْرٍ * أميرُ المؤمنيـن على السَّرير
كأن دَجاجهـم فى الدار رُقْطًا * وفودُ الروم فى قُمُص الحـريرِ

(١) كذا فى مباهج الفكر. وفى الأصلين : «حجة» ، وهو تحريف .
(٢) الجونة (بالضم ، وربما همز) : سليلة معشاة بالأدم تكون عند العطارين .
(٣) ذات عرق : مهلّ أهل العراق وهو الحدّ بين نجد وتهامة ، وقيل : هو جبل بطريق مكة .
(٤) العقنقل : كثيب بيدر .

فبِتّ أرى الكواكبَ دانياتٍ * ينَلْن أناملَ الرجل القصيرِ
أُدافِعهنّ بالكفّين عنّى * وأمسح جانب القمرِ المنيرِ

وقال أبو بكر الصَّنَوْبَرىّ من أبيات يصف ديكًا :

مُغرِّد الليل ما يألُوك تغريدا * ملّ الكَرى فهو يدعو الصبح مجْهودا
لما تطرَّب هزّ العِطفَ من طَرَبٍ * ومدّ للصوت لمّا مدّه الجِيدا
كلابِس مُطْرَفًا مُرْخٍ جوانبَه(١) * تُضاحِك البيضُ من أطرافه السُّودا
حالِى المُقَلَّد لو قيست قِلادتُه * بالوَرْد قصّر عنها الوَرْدُ توريدا
رانٍ بفصَّىْ عَقيقٍ يُدركانِ له * من حِدّةٍ فيهما ما ليس محْدودا
تقول هذا عقيدُ(٢) الملك منْتَسِبا * فى آل كسرى عليه التاجُ معقودا
أوفارسٌ شَدّ مِهْمازَيْه حين رأى * لواءَ قائده للحرب معقودا

وقال أبو هلال العسكرىّ :

متوَّجٌ بعقيق * مُقَرَّطٌ بلُجَيْن
عليه قُرْطَقُ وَشْيٍ * مشمّر الكُمَّين(٣)
قد زَيّن النحرَ منه * ثِنْتانِ كالوردتينْ
حتى إذا الصبحُ يبدو * مطرّز الطُّرّتين
دعا فاسمع منّا * من كان ذا أُذُنَيْن
يُزْهَى بطوقٍ وتاجٍ * كأنه ذو رُعَيْن(٤)

(١) فى مباهج الفكر : « ذؤابته » .
(٢) العقيد : الحليف .
(٣) كذا فى ديوان المعانى ، وفى الأصلين « الكمين » .
(٤) ذورعين : من ألقاب ملوك اليمن .

وقال الأسعد بن بِلِّيْطة[(١)] :

وقام لنا يَنْعَى الدُّجَى ذو شَقيقةٍ[(٢)] * يُدِير لنا من بين أجفانه سَقْطا[(٣)]
إذا صاح أصغى سمعَه لِندائه * وبادَرَ ضَرْباً من قوادمه الإبْطا
ومهما اطمأنت نفسُه قام صارخاً * على خيزران[(٤)] نِيطَ من ظُفره خَرْطا ٢١٩
كأنّ أنُوشِرْوانَ أعلاه تاجَه * وناطت عليه كفُّ مارِيَةَ[(٥)] القُرْطا
[سبَى حُلَّةَ الطاوس حسنَ لباسها * ولم يَكْفِه حتى سبَى المِشْيَةَ البَطّا][(٦)]

وقال أبو عبد الله المالكيّ :

رَعَى اللهُ ذَا صوتٍ أنِسْنا بصوته * وقد بان فى وجه الظلامِ شُحُوبُ
دعا من بعيدٍ صاحباً فأجابه * يُخَبِّرُنا أنّ الصباحَ قريبُ

وقال ابن المعتزّ :

بَشَّر بالصبح هاتِفٌ هتفا * صاح[(٧)] من الليل بعد ما انتصفَا

(١) ضبطه ابن خلكان بالعبارة فقال : بكسر الباء الموحدة واللام المشدّدة وسكون الياء المثناة وفتح الطاء المهملة (انظر ح ٢ ص ٥٣ فى ترجمة المعتصم بن صمادح) .

(٢) كذا فى نفح الطيب ، والشقيقة واحدة الشقائق : نبات على نوعين كل واحد منهما أحمر الزهر مبقع بنقط سوداء كثيرة غير أن زهر الواحد منهما أرق من الآخر . ويريد بالشقيقة هنا عرف الديك . وفى الأصلين : « ... الدجى وشقيقه » ، وهو تحريف .

(٣) سقط الزند : ما يقع من النار عند القدح .

(٤) كذا فى خريدة القصر للعماد الأصفهانى (النسخة الفتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٥٥ أدب بالمجلد الأخير ص ٢١٦) . وفى الأصلين : «خرزات» ، وهو تحريف .

(٥) مارية : علم امرأة قيل كان فى قرطيها درتان كبيضتى حمامة لم ير مثلهما قط ، وأهدتهما الى الكعبة . وقيل كان فى قرطيها مائتا دينار . وفى المثل : «خذه ولو بقرطى مارية» . يضرب ذلك مثلا فى الشىء الثمين يؤمر بأخذه على كل حال .

(٦) زيادة عن الخريدة ونفح الطيب ومطمح الأنفس للفتح ابن خاقان .

(٧) فى الأصلين : «ماج» وهو تحريف . ورواية البيت فى ديوانه :

بشر بالصبح طائر هتفا * مستوفيا للجدار مشترفا

مُذَكِّرٌ بالصَّبُوح صاح لنا * كأنّه فوقَ مِنبرٍ وقَفَا
صَفَّقَ إمّا ارتِيَاحةً لِسَنَا الْـ * فَجْرِ وإمّا على الدُّجى أسَفَا

وقال أيضا فيه :

وقام فوقَ الجدار مُشْتَرِفٌ * كمثل طِرْفٍ علاه أُسْوارُ (١)
رافعُ رأسٍ طوراً وخافِضُه * كأنما العُرْفُ منه مِنْشارُ

وقال السّرىّ الرّفّاء :

كشف الصباحُ قِناعَه فتألّقَا * وسطَا على اللّيل البهيم وأبرقا (٢)
وعلَا فلاحَ على الجدار مُوَشَّحٌ * بالوَشْيِ تُوِّج بالعَقيق وَطُوِّقَا
مُرْخٍ فضولَ التاج من لَبَّاتِه * ومُشَمِّرٌ وَشْياً عليه مُنمَّقا

وقال أبو الفرج علىّ بن الحسين الأصفهانىّ يرثى ديكا و يصفه :

أبُنَىَّ منزِلِنا ونَشْوَ مَحَلِّنا * وغذِىَّ أيدينا نِداءَ مَشُوقِ
لَهْفِى عليك أبا النَّذِير (٣) لَوَ انّه * دفَع المنايا عنك لهفُ شَفِيقِ
وعلى شمائلك اللّواتى ما نَمَتْ * حتى ذَوَتْ من بعد حسنِ سُمُوقِ
لما بَقِعْتَ (٤) وصِرْتَ عِلْقَ مَضَنَّةٍ (٥) * ونَشَأْتَ نَشْوَ المُقْبِلِ المَوْمُوقِ
وتكاملَتْ جُمَلُ الجَمال بأسرها * لك من جَليلٍ خالِصٍ ودَقيقِ

(١) الأسوار (بالضم وبالكسر) : قائد الفرس ، والثابت على ظهر الفرس ، والرامى بالنبال .

(٢) الذى فى ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦١٤ أدب : «فأشرقا» .

(٣) أبو النذير وأبو المنذر : كنية الديك .

(٤) كذا فى الأغانى (فى ترجمة أبى الفرج الأصفهانى التى ذكرت فى مقدمة الجزء الأول طبع دار الكتب المصرية) . و بقع الطير : اختلف لونه فهو أبقع . وفى الأصلين : «ينعت» . وفى مباهج الفكر : «يفعت» .

(٥) يقال للشىء النفيس الذى يضن به و يحرص عليه : علق مضنة (بفتح الضاد وكسرها) .

وكُسِيتَ كالطاوُس رِيشًا لامعًا * مُتلألئًا ذا رَوْنَقٍ وبَرِيقِ (١)

من صُفرةٍ مَعْ خُضرةٍ فى حُمرةٍ * تَخْيِيلُها يخفَى على التَّحقيقِ (٢)

عَرَضٌ يَجِلّ عن القياس وجوهرٌ * لَطُفتْ معانيه عن التَّدقيقِ

وكأنّ سالِفَتَيْك تِبْرٌ سائلٌ * وعلى المَفارِقِ منك تاج عَقيقِ

وكأنّ مَجرى الصوت منك، إذا نَبَتْ * وجفتْ عن الأسماع بُحُّ حُلُوقِ، (٣)

نايٌ رقيقٌ ناعمٌ قُرِنتْ به * نَغَمٌ مؤلَّفةٌ من المُوسيقِ (٤)

تَزْقُو وتَصْفِق بالجَناح كمُنْتَشٍ * وصلت يداه الصوتَ بالتَّصفيقِ

وخطَرتَ مُلتحفًا بمِرْطٍ حَبَّرتْ * فيه بديعَ الوَشى كفُّ أنيقِ (٥)

كالجُلَّنارَة أو ضِياءِ عقيقةٍ * أو لَمْعِ نارٍ أو وميضِ بُروقِ (٦)

أو قهوةٍ تختالُ فى بِلَّوْرَةٍ * بتألُّقِ اللَّمَعانِ والتَّزْوِيقِ (٧)

وكأنما الجادِىُّ جادَ بصِبْغِه * لك أو غدَوْتَ مُضمَّخًا بخَلُوقِ (١٢٠)

وقال شاعر أندَلُسِىّ :

وكأنْ نَفى النومَ من عين فانِ * بديعُ الملاحةِ حلوُ المعانِى

بأجفانِ عينَيْه ياقوتَتانِ * كأنّ وَميضهما جَمْرتانِ

---

(١) كذا فى الأغانى . وفى الأصلين : « ولبست » . (٢) رواية الأغانى :

من حمرة فى صفرة فى خضرة * تخييلها يغنى عن التحقيق

(٣) فى الأصلين : « اذا حمت ونبا عن الأسماع لج حلوق » وما أثبتناه عن الأغانى . وبح : جمع أبح من البحة وهى حشونة وغلظ فى الصوت . (٤) فى الأغانى : «ناى دقيق» .

(٥) فى الأصلين : «وخطوت» . والتصويب عن الأغانى .

(٦) فى الأغانى : « أو صفاء عقيقة » .

(٧) فى الأغانى : « بتألق التزويق والتصفيق» . والترويق : التصفية . والتصفيق : تحويل الشراب من إناء إلى إناء ليصفو .

علی رأســه التـاجُ مُستشرِفًا * كتاج ابن هُرمُزَ فی المِهْرَجانِ
وقُرطانِ من جوهرٍ أحْمَـرٍ * يَزينـانه زَيْنَ قُرْطِ الحَصانِ
له عُنُــقٌ حولهـا رَوْنَــقٌ * كما حوتِ الخمرَ إحدى القَنانِی
ودار بَرَائِــلُه(١) حــولهـا * لهـا ثوبُ شَعْرٍ من الزعفران
ودارتْ بجُؤْجِئِــه حُــلّةٌ * تَروقُ كما راقكَ الخُسْرَوانِی
وقام له ذَنَبٌ مُعْجِبٌ * كباقةِ زَهْرٍ بدَتْ من بَنَانِ
وقاس جناحًا عــلى ساقه * كما قِيس سِــتْرٌ على خَيْزُرانِ
وصفّق تَصـفيقَ مسـتَهتِرٍ * بِخَمْرَةٍ من بَنَـاتِ الدِّنانِ
وغرّد تغـريدَ ذی لَوْعــةٍ * يبوحُ بأشــواقه للغَــوانِی

وقال أبو علیّ بن رَشيق حيث مزّق عنـه جِلبابَ المـادح ، وتركه من شمل الذمّ فی الرأی الفاضح :

قام بلا عقــلٍ ولا دينِ * يَخلِطُ تصــفيقًا بتـأذينِ
فنبّــه الأحبابَ من نومهم * ليخـرُجوا من غير ما حِين
بصرخةٍ تبعثُ موتَى الكَرَی * قــد أذكرت نَفْخَ سَرَافِين(٢)
كأنّهـا فی حَلْقــه غُصَّــةٌ * أغصّــه الله بسكّينِ

(١) فی الأصلين : «دارت» . والبرائل : ما استدار من ريش الطائر حول عنقه .

(٢) هذه التسمية عبرية الأصل ، وكانوا يقصدون بها عامة الملائكة . مشتقة من (سرف) بمعنى (أحرق) وهی تسمية مجازية ، لاعتقاد اليهود أن الملائكة مخلوقون من نار . وسرافين : جمع سراف وهو الملك . وقد جاءت هــذه التسمية فی سفر يوشع (إيشعيا) فی الفصل السادس من كتب العهد القديم . والظاهر أن العرب من المسلمين نقلوا هــذه التسمية فقالوا : (إسرافيل) أو (إسرافين) على أنه مفرد وهو الملك الخاص بالنفخ فی الصور .

*
* *

وأما الحَجَلُ وما قيل فيه — والحَجَـلُ طائرٌ يسمّى: "دَجَاجَ البَرّ" وهو صنفان : نَجْدِىّ، وتِهَامِىّ . فالنجدىّ أخضر أحمرُ الرجلين . والتِّهامىّ فيه بياضٌ وخضرةُ . ويسمّى الذكر "يعقوب"، والفرخ الذَّكر "السُّلَك"، والأنثى "السُّلَكة". وهو من الطير الذى يخرج فرخُه كاسيًا كاسبًا . ويقال : إنّ الحجلةَ إذا لم تَلْقَح تمرّغت فى التراب ورشّته على أصول ريشها فتلقح . ويقال : إنهـا تبيض بسَماعِ صوتِ الذَّكر وبرِيحٍ تَهُبّ من ناحيته .

قال أبو عثمان الجاحظ : وإذا باضت الحَجَلةُ ميّز الذكرُ الذكورَ منها فيحضُنُها، وميّزت الأُنثى الإِناثَ فتحضُنُها، وكذلك هما فى التربيـة . قال : وكلّ واحد منهما يعيش خمسًا وعشرين سـنةً . ولا تَلْقَح الأنثى بالبيض، ولا يُلْقِح الذكر إلّا بعـد مُضِىّ ثلاث سنين . والذكرُ شديد الغَيْرةِ على الأُنثى . فإذا آجتمع ذكرانِ آقتتلا، فأيُّهما غَلَب ذَلّ له الآخرُ، وذهبت الأنثى مع الغالب . والأنثى إذا أُصيب بيضُها قصدتْ عُشّ أُخرى وغلَبتها على بيضها . وقد وصف أبو علىّ بن رَشيق القَيْرَاوانىّ الحَجَل فقال :

ما أغْـرَبَتْ فى زِيّهـا(١) * إلّا يَعَـاقِيبُ الحَجَـلْ
جاءتك مُثْقَـلَةَ الـتّرا * ئِبِ بالحُـلِىِّ وبالحُلَـلْ
صُـفْرَ الجفـونِ كأنما * باتَتْ بتِـبْرٍ تَكْتَحِلْ

(١) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : « وصفها » .

(٢) ورد بعد هذا البيت فى مباهج الفكر بيتان زيادة عما هنا وهما :

وتخالها قـد وُكِّلت * بالقوت والصوت الزجل
صفرى أنا بيب من الـ * ـمرجان محكمة العمل

مشقوقةً شـــقَّ الزُّجا * جِ لمن تأمَّـــل أو عقَلْ
وصَلَتْ مذابحُهـا الرءو * سَ بحُمرة فيهـا شُـعَلْ
لولا آختلافُ الجنس والـتـركيب جاءتْ فى المَثَلْ
كَلِحَى الثمـانين التى * خُضِبت ومنها ما نصَلْ
أو كـاللِّئـام أزالَهُ * فَرْطُ التَّلَفُّتِ والعَجَلْ
وتَخَالُهنّ جَـــوارِيًا * لا يُزْدَرَيْن من العَطَلْ
رَمَتِ الثِّيـابَ الى وَرَا * ءَ عن المناكب تَجْـدِلْ
و بدَتْ ســـراويلاتُهـا * يَسحَبْنَ وَشْـيًا من قُبُلْ
حُمْـــرٌ من آلرُّكَبَات فى * لون الشــقائق أو أَجَلّْ
عَقَدْنَها فـوق الصـدو * ر مُخَالِسـاتٍ لِلْقُبَـلْ (١٢١)
وشَدَدْنَ بالأعْضَادِ من * حَذَرٍ عليهـا أن تُحَـــلّْ
وكأنمـا باتتْ أصـا * بعُهـا بحِنّـاءٍ تُعَـــلّْ(١)
مَنْ يَسـتحلّ لصيدها * فأنا آمرؤٌ لا أسْـــتَحِلّْ

* * *

وأمّا الكُرْكىّ وما قيل فيه — ويقال : إنه "الغِرْنيق"؛ ويقـال : إن الغــرنيقَ صِنف منه . وهو طائر أخضر طـو يلُ المِنْقار والرجلين . وسِفادُه فى السُّرعة كالعصــفور . وله مَشَاتٍ ومَصَايف . وفى طبعه التَّناصُر؛ ولهـذا أنّه لا يطيرُ متقطِّعا ولا متُباعِدا بل صَفًّا واحدًا، يقدُمها واحدٌ منها كالرئيس لها المقدَّم

(١) تعلّ بحناء : تخضب مرة بعد أخرى .

عليها وهى تتبعه، يكون كذلك حينا، ثم يخلفه آخَرُ منهـا . وفى طبع الكُرْكِىّ وعادته أنّ أبوَيْه إذا كَبِرا عالَهما .

وقال أرسطو : إن الغرانيقَ من الطير القـواطع وليست من الأوابِد، وإنهـا إذا أحسَّت بتغيّر الزمان اعتزمَتْ على الرجوع إلى بلادها . وكلّ منها ينام على إحدى رجليه قائما . ويقال : إن الكَرَاكىّ إذا كَبِرت اسودَّ ريشها وهو فى شيبتها رَمادِىٌّ . وقد ظهر بالديار المصريّة فى شهور سـنة خمسَ عشرةَ وسبعمائة صِنْفٌ من الكَرَاكىّ أبيضُ اللون ناصعُ البياض حَسَنُ الصـورة، وهو أكبرُ جُثَّةً من الكركىّ المعتاد .

وقال النَّاشِى فى وصف الكراكىّ :

وَمَوْرِدٍ يُجْذِل قلبَ الوامِقِ * مُنَظَّمٍ بالغُـرِّ والغَـرانِقِ
وكلِّ طـيرٍ صافرٍ أو ناعقِ * مكتهِـلٍ وبالغٍ ولاحقِ
مَوْشِيّةِ الصدورِ والعواتِقِ * بكل وَشْيٍ فاخرٍ وفائـقِ
تخـالُ فى أجنِحَةٍ خَوَافِقِ * كأنمـا تَختالُ فى قَرَاطِـقِ
يَرفُلن فى قُمْصٍ وفى يَلامِقِ (١) * كأنّهـن زَهَرُ الحـدائقِ
حُمْرِ الحِداق كُحُلِ الحَمـالِقِ * كأنمـا يَجُلْنَ فى مَخَانِقِ (٢)

* * *

وأمّا الإوَزّ وما قيل فيه — والإوَزّ ثلاثة أصـناف : بَطائحىّ وهو الطويل الأسود [بُزرقة] (٣)، وتركىّ (٤) وهو المُدَوَّر المـائل إلى البيـاض، وخبىّ وهو

(١) يلامق : جمع يلمق، وهو القباء المحشو .
(٢) المخانق : القلائد .
(٣) الزيادة عن مناهج الفكر .
(٤) كذا فى الأصلين . ولم نجد فى مصدر آخر من المصادر التى بين أيدينا ما نعتمد عليه فى بيانه .

الضخم الكبير منها . ويقال : إن الإوَز إذا فرغ من السِّفاد وسبَح فى المـاء فإنمـا يفعل ذلك لتَمـامِ اللذة . والأُنثى تحضُن بيضَها ثلاثين يوما . والذكور تحنُو على الفراخ . ولكلّ منها قَضيبٌ يَسـفَدُ به كالبَطّ . والإوَزّ البطائحىّ ، وهو المعروف بمصر بالعِراقىّ ، يخالف الحبىَّ فى الصياح ؛ لأن الحبىّ تصيح ذكورها ولا تصيح إناثها ، والبطائحىّ بخلاف ذلك . والحبىّ من الطير الأوابدِ التى لا تبرح من الأماكن التى تُرَبَّى فيهـا لثِقَل أجسامها ، وإذا نَهضت فلا ترتفع من الأرض إلّا يسيرًا . والعراقيّاتُ من الطير القَـواطِعِ التى تنتقلُ من مكان إلى آخر ، وتُرى فى وقت دون وقتٍ .

وقال ابن رَشيق يصف فحلَ إوَزٍّ :

نظـرتُ إلى فحـــل الإوزّ نخِلتُـه * من النُّبْـل فى وَحْلٍ وما هو فى وَحْلِ
يُنَقِّـلُ رجليـــه على حين فَتْرةٍ * كمُنْتَعِلٍ لا يُحسِن المشىَ فى النَّعْلِ
له عُنُـــقٌ كالصَّـــوْلَجَانِ ومَخْطِمٌ (١) * حكى طَرَفَ العُرْجونِ من يانِـعِ النَّخْلِ
يُداخِـــله زَهْوٌ فيلحظ من علٍ * جوانِبَـــه ألحـاظَ مُتَّهَـــمِ العقل
يَضُمّ جناحيـــه إليـــه كما ارتدى * رداءً جديدًا من بَنِى البَدْوِ ذو جهلِ

* * *

وأمّا البطّ وما قيل فيه — وهو أصناف : منها الوَحْشِىّ ، والأهلىّ . ومن الوحشِىّ "اللَّقْلَق" (٢) ، ومن الأهلىّ "الصِّينىّ" . وفراخُه تَخرُج كاسيةً كاسبةً .

---

(١) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «من على * جوانبه ...» .

(٢) اللقلق : طائر أعجمى طويل العنق . وكنيته عند أهل العراق أبو خديج . وهو يأكل الحيات ، والجمع اللقالق . وربما قالوا : اللقلع بالغين المعجمة .

وقيــل : إن بالزَّابَج بطًّا بيضًا وحمرًا ورُقْطا طِوالَ الأعناق قِصارَ الأرجُل . والبطّ يطير على وجه المــاء ، وليس مــن طير المــاء ، لأنه لا يأوِيه دائمــا ولا يغتذى (١٣٢) بالسمك . وهو يأ كل النباتَ والبُذور، وله قضيبٌ يخرج من دُبُره كذكر الكلب عظيمٌ جدًّا بالنسبة إليه، فى رأســه زِرٌّ كالفَلْكة(١)، فإذا سَــفِد لم يُخرِجْه حتى ينقلبَ لجنبِه، ويحصُل له عند السِّفادِ من الألتحام ما يحصُل للكلب .

وقال أبو علىّ بن سينا : وطبع البطّ حارٌّ أسخن من جميع الطيور الأهليــة . قال قال بعضهم : هو يسخّن المبرودَ ويورث المحرور(٢) حمّى . قال : وشحمه عظيم فى تسكين الوجع وتسكين اللذع من عمق البدن، وهو أفضلُ شُحُومِ الطيرِ . ولحمه يُكثِر الرِّياحَ، وقانِصتُه كثيرةُ الغِداءِ . ولحمه يُسمِّنُ ، وهو بطِىءٌ فى المعدة ثقيلٌ ، وإذا انهضم كان أغذى من جميع لحوم الطير، وهو يزيد فى الباه ويُكثر المنِيَّ .

⁂

وأمّا النُّحَام(٣) وما قيل فيه — قالوا : والنُّحام يكون أفرادًا وأزواجًا . وإذا أراد المبيتَ اجتمع رُفوفًا(٤) فنــام ذُكوره ولا تنام إناثُه . وتُعِدّ لهــا مبَاتاتٍ ، إذا ذُعِرتْ فى واحد منها طارت إلى آخر . ويقال : إنه لا يَسْفَد ولا يُخرج فراخه بالحَضْن وإنما تبيض الأنثى من رَقّ الذكر . وإذا باضت تغرّبَتْ وبقِى الذَّكَرُ عند البيض يذرُق عليه ليس إلّا ، فيقوم ذَرْقُه مقامَ الحَضْن . فإذا تمّت مدّةُ ذلك خرجت

(١) فلكة المغزل : رأسه .

(٢) كذا فى كتاب القانون لابن سينا . وفى الأصلين : «المبرود» بالدال المهملة .

(٣) النحام كغراب : طائر أحمر كالإوز . قال الجوهرى : يقال له بالفارسية «سرخ آوى» وهكذا ضبطه الأزهرىّ وابن خالويه وغلط الجوهرىّ فى فتحه وشدّه . (انظر القاموس وشرحه مادّة نحم) .

(٤) الرفوف : جمع رف ، وهو القطيع من الطير .

الفـراخُ لا حَرَاكَ بها ؛ فتجيء الأُنثى فَتَنْفُخُ فى مناقيرها حتى يُجْـرى ذلك النفخُ فيها رُوحًا، ثم يتعاون الذّكَرُ والأُنثى جميعًا على التربيـة . و إذا قَوِيَت الفراخُ على الطُّعْم وأمكنها التكسُّبُ لنفسها طردها الذّكَر .

* * *

وأمّا الأَنيس وما قيل فيه — فقال أرسطو : إنّه حادُّ البصر، وصوتُه يُشبه صوتَ الجَمَـل ويُحاكيه . ومأواه فى قرب الأنهار و فى الأماكن الكثيرة المياه الملتفّة الشجرِ . وله لونٌ حسنٌ وتدبيرٌ فى معاشه . والناس يَتغالَوْن به إذا وقع لهم ويجعلونه فى بيوتهم .

* * *

وأمّا القَاوَنْدُ وما قيل فيه — قال صاحبُ كتاب مباهج الفكر ومناهج العِبَر فى كتابه : كنتُ أسمع بشَحْم القاوَنْد ولم أدرِ ما هو : حيوانٌ هوائىّ أم مائىّ أم أرْضِىّ ، حتى وقفتُ على كتابٍ موضوعٍ فى طبائع الحيوان وخواصّه ليس عليـه آسم المُصنِّف، فرأيته قد قال : « القاوند طائر يتّخذ وكره على ساحل البحر ويحضُن بيضَه سبعةَ أيّامٍ، وفى اليوم السابع يُخرج فِراخَه ثم يَزُقّها سبعةَ أيام . والمسافرون فى البحر يتيمّنون بهذه الأيام و يُوقنون بِطيبِ الرِّيح وحلول أيام السفر » .

* * *

وأمّا الخُطّاف وما قيل فيه — والخُطّاف يسمّى "زَوَّارَ الهنـد" . وهو من الطيور القواطع التى تَقطع البلاد البعيدة إلى الناس رغبةً فى القرب منهـم والإلف بهم ، وهو مع ذلك لا يَبْنِى بيتَه إلّا فى أبعد المواضع حيث لا تناله أيديهم . ومن عجيب حاله أنّ عينَه تُقْلَع فترجع ؛ وهو لا يُرَى أبدًا يقف على شىءٍ يأكله ،

ولا يُرى يُسافِدُ ولا يجتمع بأُنثاه . والأنثى تبيض مرّةً واحدةً فى السنة ، وقيل : مرّتين ؛ وكلاهما قاله الجاحظ . والخُفّاش عدوُّ الخُطّاف ؛ فهو إذا فرَّخ وضع فى أعشاشه قُضْبان الكَرَفْس ، فلا يُؤذِى فراخَه إذا شمَّ رائحة الكَرَفْس . وهو لا يُفَرِّخ فى عُشٍّ عتيقٍ حتى يُطيِّنه بطينٍ جديدٍ . وهو يَبنى عُشّه بالطين والتِّبْن . فإذا لم يجد طينا مُهَيَّأً ألقى نفسه فى الماء ثم تمرّغ فى التّراب حتى يمتلئَ جَناحاه ثم يجمعه بمِنقاره . وهو يُسوِّى فى الطُّعْم بين فراخه . ولا يترك فى عُشِّه زِبْلًا بل يُلقيه خارجًا . وأصحابُ اليَرَقان يُلَطِّخون فِراخَ الخُطّاف بالزعفران ؛ فإذا رآها صُفْرًا ظنّ أنّ اليَرقانَ أصابَها من شدّة الحرّ ، فيذهبُ و يأتيها بحَجَر اليَرَقان فيَطْرَحُه على الفِراخ ، وهو حَجَرٌ أصفَرُ ، فيأخذه المُحتالُ فيعلّقه على نفسه أو يَحُكُّه ويشربَ من مائه [يسيرًا][1] فيبرأ . (١٢٣)

والخطّاف متى سمع صوتَ الرّعد مات .

وقال الشيخ الرئيس أبو علىّ بن سينا : قال ديسقوريدس : إنّ أوّل بطن للخُطّاف إذا شُقّ وُجد فيه حَصاتان ، إحداهما ذاتُ لونٍ واحد والأخرى ذاتُ ألوانٍ كثيرة ، إذا جُعلتا فى جِلد عِجلٍ قبل أن يصيبه ترابٌ ورُبِط على عَضُد المصروع و رقبته آنتفع به ، قال : وقد جرَّبت ذلك وأبرأ المصروعَ . قال : وأ كْلُ الخُطّاف يُحِدّ البصرَ ، وقد يُجَفَّفُ ويُسْقَى . والشربةُ منه مثقالٌ . وقيل : إنّ دماغه بعسل نافعٌ من آبتداء الماء ، وكذلك دماغُ الخُفّاش . قال : و إن مُلِّح الخُطّاف وجُفِّف وشُرِب منه درهمانِ نفَع من الخُناق . قال بعضُ الأطباء : المشهور عند الأطباء أن عُشّ الخطاطيف إذا حُلّ فى ماء وصُفِّىَ وشُرِب سهّل الولادة .

(١) الزيادة عن مباهج الفكر .

وقد ألمّ الشعراءُ فى أشعارهم بوصف الخُطّاف ؛ فمن ذلك ما قاله أبو إسحاق الصّابى :

وهنـديّة الأوطان زَنْجيّة الخلقْ * مُسَوَّده الأثواب مُحْمّرَة الحَدَقْ
كأنّ بهـا حُزْنًا وقـد لَبِستْ له * حِدادًا وأذْرَت من مدامعها العَلَقْ (١)
إذا صَرْصَرَتْ صَرّت بآخر صوتها * كما صَرّ مَلْوَى العود بالوتَر الحَزَقْ (٢)
تَصِيفُ لدينـا ثم تشتو بأرْضِهـا * ففى كلّ عامٍ نَلْتقى ثم نَفْتَرِق

وقال السّرىّ الرّفّاء يصفها من أبيات ويذكر غرفةً :

وغرفَتنا بين السحائب نَلْتقى * لهنّ عليها (٣) كِلّةٌ ورِوَاقُ
تَقَسَّمَ زُوّارٌ من الهند سَقْفَها * خِفافٌ على قلب النديم رِشاقُ
أعاجِمُ تَلْتَذُّ الخِصامَ كأنها * كواعبُ زَنْجٍ راعَهنّ طَلَاقُ
أَنِسْنَ بنا أُنْسَ الإماء تحبّبتْ * وشيمَتُها غَدْرٌ بنا وإباقُ
مُواصِلةٌ والوَرْدُ فى شَجَراته * مُفارِقةٌ إن حان منه فِراقُ

وقال أيضا :

وغرفَتنا الحسناء قد زاد حسنُها * بزائرةٍ فى كلّ عام تَزُورُها
مُبيَضّة الأحشاءِ حُمْر بطونُها * مُزَبْرَجة الأذناب سود ظهورُها
لهنّ لُغَاتٌ مُعْجَماتٌ كأنها * صَريرُ نِعالِ السِّبْتِ (٤) عالٍ صَريرُها

(١) العلق : الدم الشديد الحمرة .
(٢) كذا فى كتاب حياة الحيوان للدميرى . والحزق (بالتحريك) : اسم من حزق الشيء يحزقه حزقا إذا شدّه وضغطه . وفى الأصلين : «الخلق» . وهو تحريف .
(٣) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : « عليها » .
(٤) نعال السبت : نعال تتخذ من جلود البقر المدبوغة بالقرظ .

وقال أبو هلال العسكرىّ :

وزائرةٍ فى كلِّ عام تزورُنا * فيخبر عن طِيبِ الزمان مَزارُها
تُخَبِّرُ أنّ الجوّ رَقّ قميصُه * وأنّ رِياضًا قد توشّى إزارُها
وأنّ وجوهَ الغُدْرِ رَاقَ بياضُها * وأنّ مُتونَ الأرض رَاعَ ٱخضرارُها
تَحِنّ إلينا وهى من غير شَكْلنا * فتدنو على بُعْدٍ من الشكل دَارُها
ويُعْجِبنا وسْطَ العِراصِ وُقوعُها(١) * ويؤنِسُنَا بين الدّيار مَطارُها
أغار على ضَوْءِ الصباح قميصُها * وفاز بألوانِ الليالى خِمارُها
تَصِيح كما صَرّت نِعالُ عرائسٍ * تمشت إلينا هِندُها ونَوَارُها

وقال آخَرُ :

أهلًا بخُطّافٍ أتانا زائرًا * غَرِدًا يُذَكِّر بالزمان البَاسِمِ
لَبِستْ سرابيلَ الصباحِ بُطونُه * وظهورُه ثوبَ الظلام العاتِمِ

وقال أبو نُوَاس :

كأن أصواتَها فى الجوّ طائرةً * صوتُ الجِلامِ(٢) إذا ما قَصّتِ الشَّعَرا

* * *

وأمّا القِيقُ والزُّرْزُور وما قيل فيهما — والقِيقُ : طائر فى قَدْر الحَمَام (١٢٤)
اللطيف ، وأهلُ الشام يُسمّونه "أبا زُرَيْق(٣)" . وفى طبعه كثرةُ الإلف بالناس ، وقبولُ التعليم ، وسرعةُ الإدراك لما يُلَقّن من الكلام مُبيّنا حتى لا يشك سامعه

(١) فى أ : «وفوقها» .
(٢) الجلام (بالكسر) : جمع جلم ، وهو المقص .
(٣) كذا فى حياة الحيوان للدميرى . وفى الأصلين : «زريق» .

إذا لم يَره أنه إنسانٌ ؛ وربمـا زاد على البَبَّغَاء . وله حكاياتٌ وأخبـارٌ فى الذكاء والفِطْنة يطول شرحها، وهو طائر مشهور بذلك .

* * *

وأمّا الزُّرْزُور — فيقال : إنه ضَرْبٌ من الغراب يسمّى "الغُدَاف"، ويقال: إنه "الزّاغ" . وهو يقبل التعليم، ولا يُرى إلّا فى أيام الربيع . ولونه أرقطُ لكن السواد أغلب . وقد يوجد فى لونه الأبيض، وهو قليل جدًا .

وقال بعض شعراء الأندلس :

يا رُبّ أعجمَ صـامتٍ لقّنتُـــه * طُرَفَ الحديثِ فصار أفصحَ ناطقِ
جَوْنِ الإهابِ أُعيرَ قوّةَ صُفْرةٍ * كاللّيـل طـرّزه وَمِيضُ البـارقِ
حِكَمٌ من التّـدبير أعجزتِ الورى * ورأى بهـا المخلوقُ لُطفَ الخالِقِ

وقال آخر :

أمِنـبرٌ ذاكَ أم قَضِيبُ * يَقْـرَعُه مِصْقَعٌ خطيبُ
يَختالُ فى بُرْدَتَىْ شَباب * لم يتـوَضَّحْ بهـا مَشيبُ
أخرسُ لكنّه فصيحٌ * أبـلَهُ لكنّه لبيبُ

وقال الوزير أبو القاسم بنُ الجَدّ(١) الأندلسىّ من رسالة(٢) كتبها إلى الوزير أبى الحسن ابن سِراج جوابًا عن رُقعةٍ وصلتْ منه إليه، يشفَعُ لرجل يعُرف بالزُّرْزُير، ابتدأها بأن قال :

---

(١) فى الأصلين : « الحداد » . والتصويب عن الذخيرة لابن بسام .

(٢) فى هذه الرسالة تحريف كثير فى الأصلين . وقد صححناها عن كتاب الذخيرة لابن بسام (يوجد منها جزآن الأوّل والثـانى مخطوطان بدار الكتب المصرية برقم ٢٣٤٧ أدب . والرسالة تقع فى الجزء الثـانى ص ٢١٨) .

حسُنتْ لك أبا الحسن ضرائبُ الأيام ، وتشـوّفتْ نحوكَ غرائبُ الكلام ، وآهتزّت لمكاتبتـك[١] أعطافُ الأقلام ، وجادت على مَحْلك[٢] ألطافُ الغَمام ، وأشادت[٣] بفضـلك ونُبْلك أصـنافُ الأنام . فإن كان[٤] روض العهد أعزّك الله لم يُصِبْه من تَعَهُّدنا[٥] طَلٌّ ولا وابل، ولا سَجَعتْ[٦] على أَيْكه وُرْقٌ ولا بَلابِل ؛ فإن[٧] أزهارَه على شِرْب الصّفاء نابتـه، وأشجارَه فى تُرْب الوفاء راسخةٌ ثابته . وقد آن الآن لعُقْم[٨] شجره أن تُطالِـع من الثمر ألوانا، ولعُجْمِ طيره أن تسجَعَ من النَّغَم ألحانا؛ بمـا سقط لدىّ ووقع علىّ من طائرٍ شَهِىّ الصفِير، مبنىّ الآسم على التصـغير ؛ فإنه رَجَّع بآسمـك حِينا ، وآبتـدع فى نو بة شكرك تَلْحِينا ، وحرّك من شوق إليـك سكونا ، ودمّث[٩] فى قلبى لوُدِّك وُكُونا[١٠] . ثم أسمعنى أثناء ترنّمه كلامًا وصف به نفســه ، لو تغنّت به الوَرْقاء ، لأَذِنت[١١] له العنقاء ؛ أو ناح بمثله الحمام ، لبكى لِشَجْوه الغَمام؛ أو سَمِعه قيسُ ابن عاصم فى ناديه، و بين أعاديه، لحَلّ الزُّمعُ[١٢] حُبَاه، وآستردّ الطَّرَبُ صِباه :

كلامًا[١٣] لو آن البقْلَ يُزْهَى بمثله ❊ زها البقل وآخضرّ الغضا بمَصيف

فتلقّيتُ فضلَ صاحبه بالتّسليم، وآعترفتُ بسَبْقه آعترافَ الخبير العليم .

---

(١) فى الأصلين : « لمكانتك » . (٢) فى الأصلين : « نحلك » .

(٣) فى الأصلين : « أشارت » . (٤) فى الأصلين : « إن كان » .

(٥) فى الأصلين : « بعدها » . (٦) فى الأصلين : « سمعت » .

(٧) فى الأصلين : « كان » . (٨) فى الأصلين : « لعتم » .

(٩) دمث : هيأ وسهل . يقال : دمث لى هذا الحديث أى اذكر لى أوله حتى أعرف وجهه .

(١٠) فى الأصلين : « ركونا » بالراء . (١١) أذنت : أصغت وآستمعت .

(١٢) الزمع : الخفة والطيش . و يعنى بهذا أن قيس بن عاصم ، وهو أحد حلماء العرب المشهورين ، لو سمع هذا الكلام لاستخفه و بادر اليه .

(١٣) قد سقط هذا البيت من الدخيرة .

وبعدُ، فإنى أعود إلى ذكر [ذلك](١) الحيوان الغرِّيد، والشيطان المَرِيد، فأقول: لئن سُمِّى بالزُّرْزُور، لقد صُغِّر للتكبير(٢)؛ كما قيل: حُرَيْقِيصٌ وسَقْطُه(٣) يُحرِق الحَرَج، ودُوَيْهِيَةٌ وهى تلتهم الأرواحَ والمُهَج. ومعلومٌ أنّ هـذا الطائرَ الصافر يفوق جميعَ الطيور فى فَهْم التلقين، وحسن اليقين. فإذا عُلِّمَ الكلامَ لَهِجَ بالتسبيح، ولم يَنْطِق لسانُه بالقبيح، وتراه يقُوم كالنصيح، ويدعو للخير بلسان فصيح. فمن أحبّ الاتّعاظ، لقى منه قُسَّ إيادٍ(٤) بعُكَاظ؛ أو مال إلى سماع البسيط والنشيد، وجَد عنـده نُخَبَ المَوْصلىّ للرشـيد. فطوراً يُبكيك بأشجى من مراثى أَرْبَد(٥)، وحيناً يُسَلِّيك بأحلى من أغانى معبَد(٦). فسبحان من جعله هادِيا خطيبا، وشاديا مُطْرِبًا مُطِيبا. ولمـا طار ببلاد

(١٢٥) الغرب ووقع، وَرَقِىَ فى أكنافها وصقَع؛ وعاين ما اتّفق(٧) فيهـا فى هذا العام من عدم الزيتون(٨)، فى تلك البطون والمتون؛ أزمع عنها فِرارا، ولم يجد بها قرارا؛ لأن هذا الثمر بهذا الأُفُق هو قِوامُ معاشـه، ومِلاكُ انتعاشه؛ إليه يَقْطَع، وعليه يقع؛ كما يقع على العسل الذُّبَاب، وتقطع إلى العَرَادِ(٩) الضِّباب؛ فاستخفَّه هائجُ التذكار، نحو تلك

---

(١) الزيادة عن الذخيرة. (٢) فى الأصلين: «الكبر». (٣) السقط: ماسقط بين الزندين قبل استحكام الورى. والحرج: جمع حرجة، وهى الغيضة لضيقها أو هى الشجر الملتف.

(٤) هو قس بن ساعدة الإيادى حكيم العرب وخطيبها، وقد سمعه النبي صلى الله عليه وسلم بعكاظ على جمل أحمر يخطب خطبته المعروفة. (٥) هو أربد بن قيس أخو لبيد بن ربيعة لأمه، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وأراده بشرّ فأصابته صاعقة فرثاه أخوه لبيد بقصائد عدة. (راجع الأغانى ج ١٥ ص ١٣٦ — ١٤٠ طبع بولاق). (٦) هو معبد بن وهب المغنى المعروف (راجع ترجمته فى الأغانى طبع دار الكتب المصرية ج ١ ص ٣٦ – ٦١). (٧) فى الأصلين والذخيرة: «أنفق». (٨) فى الأصلين: «الثمن».

(٩) العراد: حشيش طيب الريح. قال أبو الهيثم: تقول العرب: قيل للضب وِرْدًا وِرْدا؛ فقال:

أصبح قلبي صردا * لايشتهى أن يردا
إلا عرادا عَرِدا * وصِـــلِّيانا بَرِدا
* وعَنْكَثًا مُلْتَبِدا *

الأوكار؛ حيث يَكْتسى ريشُه حريرا، ويَحْتَشِى جَوفُه[١] بَرِيرا، ويحتسى قُرَاحا[٢] نميرا، ويَغتدِى على رَهْطِه[٣] أميرا . نخذه إليك، نازلًا لديك، ماثلًا بين يديك؛ يترنّم بالثّناء، ترنُّم الذبابِ فى الرّوضــة الغنّاء؛ وقد هزّ قوادِمَ الجناح، لعـادة الاستمناح؛ وحَبَّر من لُمَع الأسْجَاع، ما يصلُح للانتجاع؛ واثقًا بأن ذلك القُطْر الناضر سَتَنْفَحه[٤] حدائقُه، ولا تَلْفَحه[٥] ودَائِقُه؛ لا سيما وفضلُك دليله إلى تُرَع رِياضِه، وفُرَض حِياضه؛ مع أنه لا يَعْدَم فى جنابكَ حَبًّا نثيرا، وخِصبًا كثيرا، وعُشًّا وثيرا .

فإذا ما أراد كُنت رِشَـاءً * وإذا ما أراد كُنتَ قَلِيبَـا

والله تعالى يَكْفيه فيما ينوب به شرّ الجوارح، ويقيه شؤم السانح والبارح؛ بمنّه وكرمه .

⁂

وأمّا السُّمَانَى وما قيــل فيه — يقال : إن السُّمانَى هو السَّلْوَى . وهو من الطيور القواطع التى لا يُعْلَم من أين تأتى . ويقال : إنه يخرج من البحر المـالح؛ فإنه يُرى وهو يَطِير عليه أوانَ ظهوره وأحدُ جَناحيه منغمسٌ فى المـاء والآخرُ منتشرٌ كالقِلْع . وأكثرُ من يعتنى بتربيته أهلُ مصر ويتغالَوْن فى ثمنــه ويحتفلون بأمره، حتى ينتهى ثمن جَيّده إلى ألف درهم بعد أن يباع كلُّ عشرة منها بدرهم وأرخص . وهو صِنْفان : رَبِيعىّ وطِرْمَاهِىٌّ؛ فالرَّبيعىّ القـادم الراحل . والطِّرماهىّ القاطن فى الأرض والبــلاد الخصيبة، ويَبِيض ويُفَرِّخُ فيها كالحَجَــل . وسببُ مُغالاتهم فى أثمانها لأجل كثرة صِيَاحِها وعددِ أصــواتها . وقد وُجد فيها ما صاح فى الليــلة

(١) فى أ : «صوفه» . وفى ب : «هونه» والبرير : أول ما يظهر من ثمر الأراك وهو حلو .
(٢) فى الأصلين : « فراخه » . (٣) فى الأصلين : « رهط » . (٤) فى الأصلين : « تستحقه » . (٥) فى الأصلين : «تلحقه» . والوديقة : حرّ نصف النهار، وقيل : شدّة الحرّ ودنو حمى الشمس .

الواحدة إلى الثـانية من النهار أربعـة آلاف وستمائة صوت . والصـوتُ عندهم أن يُفْصَلَ بينه وبين الصوت الثانى بسَكْتة . وهم فى تربيته يبدءون بإطعامه دُقاق القَمح (وهو القمح الصـغير الذى لا يُمسكه الغِرْبال لِصِغَرِه) مدّةَ شهر ؛ وتكون ذلك الوقت مجتمعةً فى قَفَص كبير يسمّونه "المرح" ؛ ثم يُفْرَدُ بعد ذلك كلُّ سُمَانَى بمفرده فى قفص ويُطْعَمُ الدُّخْنَ والشَّادَانِق(١) . ويَصيح فى مبتـدأ أمره مقدارَ شهر ثمّ يسكت مدّة شهرين . ويُنقَلُ إلى أقفاصٍ أُخَر يعتنون بجودتها ويرفعونهـا على البَرَاريد (والبراريدُ عِصِيٌّ تُعلّق عليها الأقفاص) فيصيح بعد تلك السكتة أربعةَ أشهرٍ . فإذا دخل فصـل الخريف وهَبط الماءُ سكت مـدّةَ شهرين وتَقَرْنَصَ ، ثم يصيح أحيانا ويسكت أحيانا . وهو لا يطولُ عمره أكثر من سـنة ونصف . وأوّل مايصيح قبل أن يتفصّح بالوَعْوَعَة، وحكاية صوته : "وَعْ وَعْ"؛ ثم يصيح بعد ذلك : "شَقْشَلَق" .

وقال الشيخ الرئيس أبو علىّ بن سِينا فى كتاب الأدوية المفردة : إنه يُخاف من أكل لحوم السُّمَانَى من التمدّد والتّشنّج .

⁂

وأمّا الهُدْهُد وماقيل فيه — والهدهدُ طـائرٌ معروف . وقال الجاحظ فيه : والعرب كانوا يزعمون أن القُنْزُعَةَ التى على رأسه ثوابٌ من الله عزّ وجلّ على ما كان من بِرّه لأُمّه ، لمـّا ماتت جعل قبرها فى رأســه ؛ فهذه القُنْزُعَةُ عِوَضٌ عن تلك الوَهْدة . وهو طائر مُنْتِنُ البَدَنِ من جوهره وذاته . والأعراب يجعلون ذلك

(١) الشادانق : بزر العنب .

النَّتْنَ شيئاً خامَره بسبب تلك الجيفةِ التى كانت على رأسه . ويستدلّون على ذلك بقول أُميَّةَ بنِ أبى الصَّلْت حيث يقول من أبيات :

غيمٌ وظَلْماء وغيثُ سَحَابةٍ * أزْمانَ كَفَّنَ وٱستراد الهُدْهُدُ
يَبْغِى القرارَ لأُمِّه ليُجِنَّها * فبنى عليها فى قفاه يَمْهَدُ
مَهْدًا وطيئًا فٱستقلّ بحمله * فى الطير يَحْمِلُها ولا يتأوّدُ
من أُمِّه فَجُزِى بصالح حملها * ولَدًا وكُلِّف ظهرَه ما يَعْقِدُ (١٢٦)
فتراه يُدْلِج ماشيًا بجنازةٍ * بقفاه ما ٱختلف الجديدُ المُسْنَدُ

وزعم صاحبُ الفِراسَة : أن سبَبَ نَتْنِه أنّه يطلب الزِّبْل ؛ فإذا وجده نقل منه وٱبتنى بيتا منه ؛ فإذا طال مُكثه فى ذلك البيت ، وفى مثله وُلِد ، ٱختلَط ريشُه وبدنُه بتلك الرائحة فورِث ٱبنُه النَّتْنَ ، كما وَرِثه هو من أبيه ، وكما وَرِثه أبوه من جَدّه . قال شاعرٌ :

وأنْتَنَ من هُدْهُدٍ مَيّتٍ * أُصِيبَ فَكُفِّنَ فى جَوْرَب

ويقال عنه : إنه يرَى الماءَ فى باطن الأرض كما يراه الإنسان فى باطن الزُّجاج . وزعموا : أنه كان دليل سليمان عليه السلام على الماء ولذلك تَفَقَّده ، على أحد أقوال المفسرين لكتاب الله تعالى .

وقال الجاحظ فيه : إنه وَفِىٌّ حَفُوظٌ ؛ وذلك أن الذكر إذا غابت عنه أُنثاه لم يأكل ولم يشرب ، ولا يزال يصيحُ حتى تَعودَ إليه ، فإن لم تَعُدْ لا يَسْفِد بعدها أُنثى أبدًا ، ولا يزال يصيحُ عليها ماعاش ، ولم ينَلْ بعدها من طُعْم بل ينال منه ما يُمْسك رَمَقَه .

ووصفه أبو الشِّيص[(١)] فقال :

لا تأمنَنّ على سرّى وسرّكمُ * غيرى وغيرَك أوطىَّ القراطيسِ
أو طائرٍ سأجلّيه وأنعتُه * ما زال صاحبَ تنقير وتدسيسِ
سُودٍ براثنُه ميلٍ ذوائبُه * صُفرٍ حمالقُه فى الحسن مغموسِ
قد كان همّ سليمانُ ليذبحَهُ * لولا سعايتُه فى مُلك بِلقيسِ

وقال آخر من أبيات :

كأنّه إذ أتاه من قُرى سَبإ * مُبشّرًا قد كساه تاجَ بِلقيسِ
يبدو له فوق ظهرِ الأرض باطنُها * كما تبدّت لنا الأقذاء فى الكُوسِ[(٢)]

✤ ✤ ✤

وأمّا العَقْعَقُ وما قيل فيه — ويسمى العقعق أيضا "كُنْدُشًا" . وهو طائرٌ لا يأوِى تحت سَقْف ولا يَستظِل به ، بل يُهيّئ وَكْرَه فى المواضع المشرفة الفسيحة . وفى طبعه الزِّنا والخيانةُ والسرقةُ والخُبْث ، والعرب تَضرِبُ به المثَل فى ذلك كلّه . وإذا باضت الأنثى أخْفَت بيضَها بورق الدُّلْب خوفًا عليه من الخُفّاش ، فإنه متى قَرُبَ منه مَذِر[(٣)] وفسَد وتغيّر من ساعته . وتقول العرب فى أمثالها : « أمْوَقُ من عَقْعَق » . وهو شديدُ الاستلاب والاختطاف لما يراه من الحَلْى الثمين . قال إبراهيم الموصلىّ فيه :

إذا بارك اللهُ فى طائرٍ * فلا بارك اللهُ فى العَقْعَقِ

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن رَزين الخزاعى شاعر معروف ، كان فى زمن الرشيد ، وهو ابن عم دعبل ابن على الخزاعى الشاعر ، توفى سنة ١٩٦ هـ .

(٢) يريد الكئوس جمع كأس .

(٣) مذر البيض : فسد وتغير .

قصيرُ الذُّنابَى طويلُ الجناح * متى ما يجِـدْ غفلةً يَسرِقِ
يُقلِّبُ عينينِ فى رأسـه * كأنهما قَطْـرَتا زِئْبَـقِ

وكان سببُ قوله لهذا الشعرِ فيه ماحكاه إسحاق بن إبراهيم قال : كان لى عَقْعَقٌ وأنا صبيٌّ قـد ربَّيتُه، وكان يتكلّم بكلّ شيءٍ يسمعه ؛ فسُرِقَ خاتم ياقوتٍ كان أبى قد نزَعه من إصْبَعِه ودخل الخلاءَ ثم خرج فلم يجده، فضرب الغلام الذى كان واقفا، فلم يَقِف له على خبر . فبينا أنا ذات يومٍ فى دارنا إذ أبصرت العَقْعَق قد نَبَش تُرابًا وأخرج الخاتمَ منه، فلَعِب به طويلًا ثم دفَنه؛ فأخذتُه وجئتُ به الى أبى، فَسُرَّ به وقال هذا الشعر .

* * *

وأمّا العصافير وما قيل فيها — والعصافير ضروبٌ كثيرةٌ : منها "العصفور البُيوتِىّ" و"عصفور الشَّوْك" و"عصفور النَّوْفر"(١) . ومن ضروبها "القُبَّرَة" و"حَسُّونُ" و"البُلْبُل" .

فأمّا العصفور البُيوتىّ — ففى طباعه اختلافٌ : ففيه من طبائع سِباع الطير أنه يُلْقِم فِراخَه ولا يَزُقّها، ويَصيدُ أجناسًا من الحيوان كالنّمْل إذا طار والجرادِ، ويأكل اللّحمَ . والذى فيه من طباع بهائم الطير أنه ليس بذى مِخْلَب ولا مِنْسِر؛ (١٣٧) وهو إذا سـقط على عُودٍ قَدَّم أصابعه الثلاثَ وأخّر الدّابِرَة؛ وسباعُ الطير تُقدِّم إصبعين وتُؤخِّر إصبعين ؛ ويأكل الحبَّ والبقولَ . ويَتَمَيَّزُ الذكرُ منها من الأُنثى بلِحْيةٍ سوداء . وهو لا يعرِف المشىَ وإنما يرفع رجليه ويَثِبُ . وهو كثيرُ السِّفاد،

(١) كذا فى الأصلين . وقد أورده المؤلف هنا على لهجة العامة . والفصيح فيه : « نيلوفر » « ونينوفر » بإبدال اللام نونا . والنيلوفر : ضرب من الرياحين ينبت فى المياه الراكدة ، ويسميه أهل مصر البشنين . (راجع القاموس وشرحه مادة نيلوفر) .

وربمـا سفِد فى الساعة الواحدة خمسين مرّةً ، ولذلك عمره قصيرٌ فإنّه لا يُعمَّر غالباً أكثرَ من سنةٍ ؛ وإناثُها تُعمَّر أكثر من ذكورها . والمثل يُضرب فى التحقير والتصغير بأحلام العصافير .

قال دُرَيْد بن الصِّمّة :

يا آلَ سفيانَ ما بالى وبالُكمُ * أنتم كبيرٌ وفى الأحلام عصـفورُ (١)

وقال حسّان بن ثابت :

لا بأسَ بالقوم من طولٍ ومن عِظَمٍ * جِسمُ البغـال وأحلامُ العصـافير

*
* *

وأما عصفور الشَّوْك — فزعم أرسطو أنّ بينـه وبين الحمـار عداوةً ، لأن الحمـارَ إذا كان به دَبَرٌ حكّه بالشَّوْك الذى يأوِى إليـه هذا العصفورُ فيقتله ؛ وربمـا نَهَق الحمارُ فتسقط فراخُه أو بيضه خوفًا منه ؛ فلذلك هذا العصفور إذا رأى الحمار رَفْرَف (٢) فوق رأسه وعلى عنقه وآذاه ونقَره فى عَقْره أنَّى كان .

*
* *

وأما عصفور النَّيْلَوْفَر — وهو لا يوجد غالبا إلا بثَغْر دِمْيـاط ، وشأنُه غريب ؛ وذلك أنه عصفورٌ صـغير جدًّا ، فإذا كان قبل غروب الشمس جاء إلى بِرَك النَّوْفَر (٣) فيجد النَّوْفَرَة وهى طافحةٌ على وجه المـاءِ مفتوحة فيقعد فى وسطها ، فإذا

---

(١) كذا ورد هذا الشطر فى كتاب الحيوان (ج ٥ ص ٧٣) والأغانى (ج ٩ ص ٧ طبع بولاق) . وفى الأصلين : * أنتم كثير وفى أحلام عصفور *

(٢) فى الحيوان للجاحظ : «ذرق» . وفى مباهج الفكر : «قرب منه فوق رأسه» .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ ص ٢٤٩ من هذا الجزء .

حصّل فيها انطبقتْ عليه وانغمست فى المـاء طول الليل ؛ فإذا طلعت الشمسُ طفَت النَّوْفرةُ على وجه المـاء وانفتحت ، فيخرج منها و يطير الى غروب الشمس ، فيأتى و يفعل كفعله .

* * *

وأما القُــبَّرة — فقد عدُّوها من أنواع العصافير . وهى غَبْراءُ كبيرة المِنْقار على رأسها قُبَّرةٌ . وهذا الضرب قاسى القلب . وفى طبعه أنّه لا يَهولُه صوت صائح به ، و رُبّمـا رُمِى بالحجر فاستخفّ بالرامى وَلَطِئَ إلى الأرض حتى يتجـاوزَه الحجرُ . وهو يَضع وَكْره على الجَادّةِ رغبةً فى الأُنس بالناس .

* * *

وأما حَسُّونٌ — وتُسميه أهل الأندلس "أمَّ الحسن" والمصريون "السقاية" لأنه إذا كان فى القفص آستقى المـاءَ من إناء بآ لةٍ(١) لطيفةٍ يُوضع له فيها خيطٌ ، فتراه يَرفعُ الخيطَ بإحدى رجليه و يضعه تحت رجله الأُخرى حتى يصل إليه ذلك الإناء اللطيف فيشرب منه . وهو ذو ألوانٍ حسنةِ التركيبِ والتأليفِ من الحمرةِ والصفرةِ والسوادِ والبياضِ والخضرةِ والزُّرقةِ . وله صوتٌ حسنٌ مُطْرِبٌ . ووصفه أبو هلال العسكرىّ فقال :

ومُفْتَنَّةِ الألوانِ بِيضٍ وجوهها * ونُمْــرٍ تَرَاقيها(٢) وصفرٍ جنوبُهـا
كأنّ دَرَارِيعًا(٣) عليهـا قصيرةً * مُرَقَّعَـةً أعطافُهـا وجُيوبُهـا

---

(١) فى الأصلين : «... من إناء الى إناء بآلة ... الخ» . وعبارة مباهج الفكر : « و ربما علم استقاء المـاء من إناء بآلة لطيفة ، يطبق حملها دبرت له » .

(٢) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : « موافيها » ، وهو تحريف .

(٣) الدراريع : جمع دراعة ، وهى جبة مشقوقة المقدّم .

* * *

وأما البُلْبُل — وهـو "العَنْدَليب"، وتُسميه أهلُ المدينـة "النُّغَر". وهو طائرٌ أغبرُ الرأس لطيف القَدِّ، مأواه الشجرُ.

قال الجـاحظ: البلبل موصوفٌ بحسن الصـوتِ والحنجرةِ. ومن شأنه[(١)] إذا كان غيرَ حاذقٍ أن يطارِحه إنسان بشكلِ صوتِه، فيتدرّب ويتعلّم ويحسُن صوتُه. وقد وصَف أبو هلال العسكرىّ البلابلَ فقال:

مررتُ بدُكْنِ القُمْصِ سُودِ العمائم * تُغَنِّى على أطراف غِيـدٍ نواعِمِ
زُهينَ بأصداغ تَرُوق كأنّها * نجومٌ على أعضاد أسـودَ فاحِمِ
تَرى ذهبًا منهنّ تحت مآخِرٍ * لها ولُجَيْنًا نُطْنَه بالقَوادِمِ

وقال آخر:

كيف أُلحَى وقد خَلَعتُ على اللهـ * ـو عِذارى وقد هتكتُ قِناعى
وتعشّقتُ بلبلًا أنا منه * فى آنزعاج إلى الصِّبا وآتِّباع[(٢)]
أنا من ريشه المدبَّج فى زَهْـ * ـرٍ ومن شَجْو صوته فى سماع (١٢٨)

ومن رسالة ذكرها العِماد الأصفهانىّ الكاتب فى الخريدة، وهى لبعض فضلاء أصبهان، ذكر فيها وصفَ الرِّياض ومفاخرةَ الرَّياحين، وفضّل فيها الورد، وآنتهى بعد ذكر الورد إلى وصف البلابل، فقال:

(١) كذا فى مباهج الفكر. وفى الأصلين: «ومن شأنه أنه إذا ... الخ» بزيادة كلمة «أنه» ولا يستقيم بها الكلام.

(٢) كذا فى مباهج الفكر. وفى الاصلين: «واتباع».

"فلما ارتفع صدرُ النّهار، وانقطع جدالُ الأزهار، سُمع من خَلَل(١) الحديقة زَقْزَقةُ(٢) عَنْدليب، قد اتخذ وَكْرًا على حاشية قَليب(٣)، كان يستتر به عن الجمع، ويجعله دريئةً لاستراق السّمع . وحين أتقن ما وعاه، وأوْدَعه سمعَه وأَرْعاه(٤)، انتحى غُصْنًا رطيبا، فأوفَى عليه خَطيبا، ثم قال : يا فتنـة الحَديقه، لقد جئتِ بالشَّنْعاء الفَليقه(٥)، وربّ بَسْمٍ استحال احتداما، ولن تَعْدَم الحسناءُ ذاما . إلامَ ترفُل فى دَلَال زَهْوك، وتغفُل عن رذائل سهوك! وحتّامَ تَتيه على الأكفاء والأقران، كأنّك أنت صاحب القرآن! ألستَ من عُجْبك بنفسك، واسترابتك بأبناء جِنسك، لاتزال مشتملًا شَوْكَ الغصون، معتصمًا منها بأشباه المعاقل والحصون! . لكنّك متى انقضى مَهَبُّ الشّمال، وعَدَل عن اليمين إلى الشِّمال، خِيف عليك نَفْحُ الإحراق، وتعرّيتَ من حُلَل الأوراق، وأصبحتَ للأرض فِراشًا، وتلعّب بك الهواء فعُدت فَراشًا . ثم ما قدرُ جَوْرتك حتى تجور! وهل ينتج حضوره(٦) إلا الفجور! . هذا إذا كنتم على الأصل الثابت، وعُرِفتم فى أكرم المغارس والمنابت، فكيف وأنتم بين رَمْلىّ وجَبَلىّ، ونُهْبُورىّ(٧) أو تَيْهورىّ . وهَبْ أنك ورَهْطَك تفرّدْتم بمُمَايلة القُدود، وتوحّدتم(٨) بمشابهة الخدود، وصِرْتم درر البحور، وعُلِّقتم على الجِبَاه والنّحور، وتحوّلتم جُمَانًا ومَرْجانا، وحُلِّيتم مناطقَ وتِيجانا، أقدَرْتم على

(١) فى الأصلين : «حلك الحديقة»، وهو تحريف .

(٢) الزقزقة : صـدح الطائر عند الصبح . وقد وردت هذه الكلمة فى أ : «زهزهته» وفى ب : «زهزهقه» . ولعلها محرفة عما أثبتناه .

(٣) القليب : البئر . والحاشية : الجانب .

(٤) فى الأصلين : «وآدعاه» .

(٥) الفليقة : الأمر العجب والداهية . وفى الأصلين : «القليقة» بالقاف، وهو تصحيف .

(٦) لعلها «حضورك» .

(٧) النهبور : واحد النّهابير، وهى جبال رمال مشرفة . والتيهور من الرمل : ماله جُرُف .

(٨) فى الأصلين : «واتحدتم»، وهو لا يستقيم به الكلام .

مباراة الشحارير[(١)]، ومجاراة القمارى النحارير! أم ملكتم تهييج البلابل[(٢)]، قبل أصوات البلابل! أم وجدتم سبيلًا إلى ولوج القلوب والأسماع، واتخاذ[(٣)] الطرب والسماع؟! هيهات هيهات، بعد عنكم ما فات! بل نحن ذوات الأطواق، وبنات الغصون والأوراق؛ إنما يكمل صيتكم بنغمات أصواتنا، ويزهو غناؤكم بصحة غنائنا؛ ويحسن تمايل دوحكم بترنمنا ونوحنا، ويروق غديركم بهديرنا، ويشوق تهديلكم[(٤)] بهديلنا. لم تزالوا حملة أثقالنا، ومهود أطفالنا، وجياد شجعاننا، ومنابر خطبائنا. فروعكم محط أرحلنا، ورءوسكم مساقط أرجلنا. إذا أوفى مطربنا على عوده، وعبث بملوى عوده، وشد المثالث والمثانى، شد الثقيلين الأول والثانى؛ فقد أحيا باللحن الأيكى، وبذ يحيى المكى[(٥)]، وأعاد إبراهيم[(٦)]، كحاطب الليل البهيم؛ وخرق له أثواب[(٧)]

(١) الشحارير: جمع شحرور، وهو طائر أسود فوق العصفور يصوّت أصواتا.

(٢) البلابل: الأشجان.

(٣) لعل الصواب فيها: «وإيجاد الطرب...» فإنها أنسب بالمقام.

(٤) كذا بالأصلين. ولعلها محرفة عن: «تهويلكم». والتهويل: ما يعلو الرياض من نورها وأزاهيرها من بين أصفر وأحمر وأبيض وأخضر. ويجمع على تهاويل. ويحتمل أيضا أن يكون صوابه: «ويشوق تهدلكم». وتهدّل الشجر: تدلى أغصانه وثمره.

(٥) هو يحيى بن مرزوق مولى بنى أمية، وكان يكتم ذلك لخدمته الخلفاء من بنى العباس خوفا من أن يجتنبوه ويحتشموه؛ فاذا سئل عن ولائه انتمى الى قريش ولم يذكر البطن الذى ولاؤه لهم واستعفى من سأله عن ذلك. ويكنى أبا عثمان، عمّر مائة وعشرين سنة، وأصاب بالغناء مالم يصبه أحد من نظرائه. (راجع ترجمته فى الأغانى ج ٦ ص ١٦ — ٢٤ طبع بولاق).

(٦) هو إبراهيم الموصلى المغنى المعروف. (راجع ترجمته فى الأغانى ج ٥ ص ١٥٤ — ٢٦٧ طبع دار الكتب المصرية).

(٧) كذا فى الأصلين. ولعل صوابه: «وخرق له الأثواب محارق... الخ».

مُخارق(١) طَرَبًا وحسدا، ولم يسلَمْ منه سُلَيم(٢) غيظًا وكَمَدا، وأخذ قلبَ ٱبن جامع(٣) بمجامعه، وطوّقه من الإقرار غُلّا بمجامعه؛ حتى كأنّه بصحّة ضربه و إتقان أوتاره، يطلب عندهم قديمَ أحقاده وأوتاره.

فهى تُصْى(٤) الأبصارَ لونًا قريبا * وتَسُرّ الأسماعَ ضَرْبًا بعيدَا
خضَبَ الكفَّ من دم القلب وٱبتَزّ * سُوَيداءَه فطوّقَ جيدَا
أعجمىُّ اللّسان مُستعرِبُ اللحـ * ـنِ يُعيدُ الخَلِيَّ صَبًّا عَميدا
كلَّ وقتٍ تراه من فَرْط شَجْوٍ * مُظْهِرًا فى الغِناءِ لحنًا جديدَا
تارةً يجعل النَّشيدَ بَسيطًا * ويُعيد البسيطَ طورًا نَشيدا
مَعْبَدٌ لو رآه أصبح عبدًا * ولَبِيدٌ(٥) أمسى لديه بليدا
ضلّ عن إلفه وأَقْلَقه الوَجْـ * ـدُ فأمسى بكاؤه تغريدا

(١) هو مخارق بن يحيى الجـزار المغنى المشهور. كان أبوه جزارا مملوكا لعاتكة بنت شهدة، وهى من المغنيات المحسنات المتقدمات فى الضرب. وكان مخارق وهو صبي ينادى على ما يبيعه أبوه من اللحم. فلما بان طيب صوته علمته مولاته طرفا من الغناء، ثم أرادت بيعه فاشتراه إبراهيم الموصلى منها وأهداه للفضل ابن يحيى، فأخذه الرشيد منه ثم أعتقه. وكانت له مكانته العظيمة فى الغناء وعند الرشيد. وكناه الرشيد أبا المهنا. (راجع الأغانى ج ٢١ ص ٢٢٠ — ٢٤٩ طبع أوربا):

(٢) هو سليم بن سلام الكوفى، و يكنى أبا عبد الله، وكان حسن الوجه حسن الصوت، انقطع الى إبراهيم الموصلى فال اليه وعلمه وصحبه. (راجع ترجمته فى الأغانى ج ٦ ص ١٢ — ١٥ طبع بولاق).

(٣) هو أبو القاسم إسماعيل بن جامع، وهو من قريش. وكان أحفظ خلق الله لكتاب الله، وكان مغنيا مجيدا. قال: لولا أن القمار وحب الكلاب قد شغلانى لتركت المغنين لا يأكلون الخبز. وكان إبراهيم ابن المهدى يفضله فلا يقدم عليه أحدا. (راجع ترجمته فى الأغانى ج ٦ ص ٦٨ — ٩١ طبع بولاق).

(٤) كذا فى الأصلين. ولعله: «فهو يصبي الأبصار لونا قريبا * ويسر الخ» وأول الكلام وآخره مرجح ذلك.

(٥) قد تكون هذه الكلمة محرفة عن «عبيد». وعبيد اسم ابن سريج المغنى المشهور؛ فإن المقام مقام غناء وسجع، ولبيد كان شاعرا.

لو عارض الخليلَ(١) فى عروضه لبكَّته ، أو ناظر آبنَ السِّكِّيت(٢) فى إصلاحه لسكَّته ؛ أو جادل الفارسىَّ(٣) لَفَرَسه وجَدله ، أو نازل الكُوفِىَّ(٤) لأَكْفاه عن رُتْبته وأنزله" .

(١) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم ، أوّل من آستخرج العروض وحصر أشعار العرب بها ، وكان آية فى الذكاء . وهو أستاذ سيبويه والأصمعى والنضر بن شميل . توفى سنة ١٧٥ هـ . (راجع ترجمته فى بغية الوعاة للسيوطى ووفيات الأعيان لابن خلكان) .

(٢) هو يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت ، كان عالما بنحو الكوفيين وعلم القرآن واللغة والشعر ، وله تصانيف كثيرة ذكرها ابن النديم فى الفهرست ، ومنها كتاب « إصلاح المنطق » . توفى فى رجب سنة ٢٤٤ هـ . (راجع ترجمته فى بغية الوعاة للسيوطى وفهرست ابن النديم) .

(٣) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو على الفارسى واحد زمانه فى علم العربية . كان أعلم من المبرد وهو أستاذ ابن جنى . توفى ببغداد سنة ٣٧٧ هـ . (راجع ترجمته فى بغية الوعاة للسيوطى) .

(٤) لعله يريد إسحاق بن مرار أبا عمرو الشيبانى الكوفى راوية أهل بغداد ، كان واسع العلم باللغة والشعر . توفى سنة ٢٠٦ هـ . (راجع ترجمته فى بغية الوعاة للسيوطى) .

الباب الرابع من القسم الخامس

من الفن الثالث فى بُغَاث الطير

ويشتمل هذا الباب على ما قيل فى القُمْرىّ، والدُّبْسِىّ، والوَرَشان، والفَوَاخت والشُّفْنِين، واليعتبط، والنَّوَّاح، والقَطَا، واليَمَام وأصنافه، والبَبَّغاء. وهذه الأصناف قد عدّها أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ أو أكثرها فى الحمام، فقال: الحمام وَحْشِىّ، وأهلىّ، وبُيُوتىّ، وطُورَانِىّ. وكلّ طائر يُعرف بالنَّوَاح وحسنِ الصَّوت والدّعاء والتَّرجيع فهو حَمام وإن خالف بعضُه بعضًا فى الصُّورة واللون وفى بعض النَّوْح ولَحْن الهَديل. (١٣٩)

قال: وزعم أفليمون[1] صاحبُ الفِراسة أنّ الحمام يُتَّخذ لضروب، منها ما يُتَّخذ للأُنْس والنّساء[2] والبيوت، ومنها ما يُتَّخذ للفِراخ، ومنها ما يتخذ للزِّجَال والسِّبَاق. والزِّجال: إرسال الحَمام الهَوَادِى. ثم ذكر من أوصاف الحمام وما فيه من ضروب المعرفة والمنافع ما نُورِدُه عند ذكرنا للحمام المشتهِر بهذه التَّسمية، وهو الذى أشار الجاحظ إليه. فلنذكر تفصيلَ ما قدّمناه من هذه الأصناف، فنقول وبالله التوفيق:

---

(١) كان فاضلا كبيرا عالما فى فن من فنون الطبيعة وكان معاصرا لبقراط. قال القفطى: وأطنه شامىّ الدار. وكان حبيرا بالفراسة عالما بها، إذا رأى الشخص وتركيبه آستدل بتركيبه على أحلاقه؛ وله فى ذلك تصنيف مشهور خرج من اليونانية إلى العربية، وهو كتاب الفراسة. (راجع تاريخ الحكماء للقفطى ص ٦٠ طبع أوربا وفهرست ابن النديم).

(٢) أورد الجاحظ فى باب الحمام فى غير هذا الموضع عن أفليمون قال: اجعل حمام النساء المسرولات العظام الحسان ذوات الاختيال والتبحتر والهدير. ثم ساق هو بعد ذلك قصة لرجل علق فتاة فتزوجها فامتنعت عليه فشكا ذلك لبعض معارفه فأشار عليه أن يتخذ لها حماما بحيث تراه، ففعل فمازال الحمام يثيرها بغزله ومطاعمته وتشكله حتى أجابت. (انظر ج ٣ ص ٨٣ – ٨٩ من كتاب الحيوان).

*
* *

أمّا القُمرىّ وما قيل فيه — فقـد قالوا : إنمـا سُمِّى القمرىُّ بهـذه التسمية لبياضه، والأقمر : الأبيض . وحكاية صوته تشـبه ضحك الإنسان . وهو شديد المودّة والرحمـة. أما مودّته فإنه يُفرِّخ على فَنَنٍ من أفنان شجرةٍ عليها أعشاش لأبناء جنســه ، فيُصَابِحها فى كلّ يوم . وأمّا رحمته فإنه يربِّى ولدَه و يَعِفّ عن أُنثاه مادام ولدُه صغيرًا . ومن عادته أنه يعمل عُشَّه فى طرَف فَنَنٍ دائِم الاهـتزاز، احترازًا على فرخه لئلا يسعى إليه من الحيوان المـاشى ما يقتله .

وقال أبو الفتح كُشَاجِم [يصفه من أبيات رثاه بها أوّلها](١) :

ومطوَّقٍ من حسن صَنْعة ربه(٢) * طوقين خِلتُهما من النُّـوّارِ

[منهـا(١) :]

لَهْـفِى على القُمْرِىّ لَهْفًا دائمـا * يَكْوِى الحَشَا بجَوًى كلَذْعِ النار
لونُ الغمامةِ لونُه ومُناسِبٌ * فى خَلْقِــهِ الأقـلامَ بالمنقـار

*
* *

وأمّا الدُّبْسِىّ وما قيل فيه — و إنمـا سمِّى الدُّبْسِىّ بذلك للونه، لأنّ الدُّبسَــة حمرةٌ فى سواد . قالوا : والدُّبسِىّ أصــناف، منها المصرىّ ، والحجازىّ ، والعِراقىّ . وأنخر هذه الأصناف المصرىّ [ولونه الدكنة](١) . وهو لا يُرى ساقطا على وجه الأرض، بل له فى الشتاءِ مَشْتًى، وفى الصيف مَصِيفٌ . ولا يُعرف له وكر(٣) .

---

(١) زيادة عن مباهج الفكر .
(٢) يحتمل أيضا أنه « صبغة ربه » .
(٣) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : « ذكر » ، وهو تحريف .

***

وأمّا الوَرَشَانُ وما قيل فيه — والورشان أصناف منها النُّوبِىّ وهو ورشان أسود؛ ومنها الحِجازىّ . والنوبِىّ أشجاها صوتا . وهذا الطائر يوصف بالحُنُوّ على أولاده، حتى إنه ربما قتل نفسَه إذا رآها فى يد القانص [1] .

وقال أبو بكر الصَّنَوْبَرِىّ فيه :

أنا فى نزهتين من بستانى [2] * حين أخلو به ومِن ورَشَانِ
طائرٌ قلبُ مَنْ يغنّيه أوْلى * منهُ عند الغِناء بالطَّيرانِ
مُسْمِعٌ يُودِعُ [3] المسامعَ ما شا * ءت وما لم تشأْ من الألحانِ
فى رداءٍ من سَوْسنٍ وقميص * زرّرتْه عليه تشرينانِ [4]
قد تَغشَّى لونُ السماء قَرَاه [5] * وتراءى فى جيده الفَرْقَدانِ

***

وأمّا الفواخِتُ وما قِيل فيها — والفواختُ عراقيّةٌ ليست حجازيّة . وفيها فصاحةٌ وحسنُ صوت . وفى طبعها أنها تأْنَس بالناس، وتُعَشِّش فى الدُّور .

---

(١) فى أ : «فى أيدى الناس» .

(٢) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «بستان» بدون ياء .

(٣) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «سمع» ، وهو تحريف .

(٤) كذا فى الأصلين . وفى مباهج الفكر : « وزرته عليه بسرمتان » . ولم نوفق مع البحث الى ما نطمئن الى أنه الصواب .

(٥) كذا فى مباهج الفكر . والقرا : الظهر . وفى الأصلين : «تراه» .

والعرب تضرِب بها فى الكذب المثَـلَ ، فيقولون : « أكذبُ من فاختةٍ » ؛ فإنّ حكايةَ صوتِها عندهم : «هذا أوانُ الرُّطَبِ» . قال شاعرٌ : (١٣٠)

أكذبُ من فاختـــةٍ * تقول وســطَ الكَرَبِ
والطَّلْـعُ لم يَبْــدُ لنـا * هــذا أوانُ الرُّطَبِ

وهو يُعمَّر . وحكى أرسطو أن منه ما عاش أربعين سنة .

وقال أبو هلال العسكرىّ :

مَرَرتُ بِمِطْرابِ الغَـداةِ كأنها * تُعَلّ من الإشراق راحًا مُفَلْفَلا
مُنَمَّرةٍ كَدْراء تحسَب أنهـا * تُجَلَّل من جِلد السَّحاب(١) مُفَصَّلا
بدَت تجتلى للعين طوقًا ممسَّكًا * وطرْفًا كما ترنو الغزالةُ أكحَـلا
لهـا ذَنَب وافى الجوانبِ مثلما * تُقشِّر(٢) طَلْعًـا أو تجرِّد مُنْصُـلا
إذا حلَّقتْ فى الجوّ خِلْتَ جناحها(٣) * يُرَدّ صَـــفيرًا أو يحرِّك جُلْجُلا

* * *

وأمّا الشُّفْنين وما قيل فيه — والشفنين من الطير التى تترنّم، وصوتُه فى ترنّمه يُشْبِه صوتَ الرَّبَاب . وفى طبعه أنه إذا فقد أُنْثاه لم يَزل أعْزَبَ(٤)، يأوِى الى بعض فراخه حتى يموت ؛ وكذلك الأنثى إذا فقَدت الذَّكَرَ . وهو متى سمن سقَط رِيشُه وآمتنع من السِّفاد؛ فهو لذلك لا يَشْبَع(٥) . وهو طائر يؤثِر العُزْلة .

---

(١) كذا فى ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى فى الكلام على الطير . وفى الأصلين : «السحابة» ، وهو تحريف .
(٢) كذا فى ديوان المعانى . وقد جاءت فى الأصلين محرّفة .
(٣) كذا فى ديوان المعانى . وفى الأصلين : « صياحها » .
(٤) فى اللسان (مادّة عزب) : رجل عزب ومعزابة : لا أهل له . ثم قال : « ولا يقال رجل أعزب، وأجازه بعضهم» .
(٥) كذا فى مباهج الفكر . وفى ا : «يورث» وهو تحريف . ولم ترد فى ب .

* * *

وأمّا اليعتبط وما قيل فيه — وإنما سمّى اليعتبط بهذه التسمية لصوته ، وهو شريف فى طيور الحجاز . وحاله حال القُمْرىّ ، ولكنه أحرّ منه مِزاجًا وأعلى صوتًا . قال كُشَاجم :

وناطقٍ لم يَخْشَ فى النطق غَلَطْ * ما قال شيئًا قطُّ إلا يعتبطْ

* * *

وأمّا النّوّاح وما قيل فيه — والنوّاح : طائر كالقُمْرىّ ، وحالُه كحاله ؛ إلّا أنّه أحرّ منه مِزاجًا وأرطبُ وأدمثُ وأشرفُ[1] . قالوا : يكاد النّوّاح يكون للأطيارِ الدَّمِثةِ مَلِكا ، وهو يَهِيجها إلى التّصويت لأنه أشجاها صوتا ؛ وجميعُها تهوَى آستماع صوته . وهو أيضا يَسُرُّه آستماعُ صوتِ نفسه . والله أعلم بالصواب .

* * *

وأمّا القَطَا وما قيل فيه — والقطا نوعان : "كُدْرِىّ" و"جُونىّ" . والكُدْرِيّة غُبْرُ الألوان ، رُقْشُ الظهور والبطونِ ، صُفْرُ الحُلوقِ ؛ قِصارُ الأذناب ؛ وهى ألطف من الجُون . والجونيّةُ سُود بطونِ الأجْنِحةِ والقوادِم بِيضُ اللَّبَان[2] وفيه طوقان أسودُ وأصفرُ ؛ وظهورُها غُبْرٌ رُقْطٌ تعلوها صفرةٌ . وتسمّى الجُونيّة غُتْما[3] ؛ لأنها لا تُفصِح بصوتها إذا صوّتت إنما تُغَرْغِر بصوتٍ فى حَلْقها . والكُدْرِيّةُ فصيحةٌ تنادى بآسمها تقول : قَطَا قَطَا ؛ ولهذا يُضرب بها المثَلُ فى الصدق .

---

(١) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : « أترف » .

(٢) فى الأصلين : « اللبات » .

(٣) الغتمة (بالضم) : العجمة فى المنطق .

وتُوصف القطا بحسن المشى لِتقارُب خُطاها . والعرب تشبّه مشىَ النّساء الخفِرات بمشيها إذا أرادوا مدحَهنّ . قال شاعر يصف القطـاةَ — وآختُلِف فى الشاعر من هو، فقيل : هو [أَوْس بن](١) غَلْفاء الهُجَيْمِىّ، وقيل : مُزَاحِم العُقَيْلى، وقيل : العباس بن يَزيد بن الأسود الكِنْدِىّ ، وقيل : العُجَيْر السَّلُولىّ، وقيل : عمرو بن عقيل بن الحَجّاج الهُجَيْمىّ ؛ قال أبو الفرج الأصفهانىّ : وهو أصحّ الأقوال — :

أمّا القَطَاةُ فإنّى سـوف أنْعَتها * نَعْتًا يوافـق نعتى بعضَ ما فيها
سَكّاءُ(٢) مخطوبةٌ(٣) فى ريشها طَرَقٌ(٤) * سُـودٌ قوادمُها صُهْبٌ خَوافيها
مِنقارُها كنَوَاة القَسْب(٥) قلَّمها * بِمبْرَدٍ حاذِقُ الكفَّيْن بارِيهـا
تمِشى كمشى فتاةِ الحىّ مُسرِعةً * حِذَارَقـومٍ إلى سِـتْرٍ يُوارِيها (١٣١)
تَسقِى الفِـــراخَ بأفواهٍ مرقّقةٍ * مثلِ القَوارِيرِ سُدّت من أعاليها
كأن هَيْدَبَةً(٦) من فوق جُؤْجُئِها * أو جِرْوُ(٧) حنظلةٍ لم يَعْـدُ رامِيها(٨)

وقال إبراهيم بن خفاجة الأندلسىّ :

ولرُبّ طيّارٍ خفيفٍ قد جرَى * فَشَــلا بجارٍ خلفَـه طيّـارِ

---

(١) التكملة عن الأغانى (ج ٧ ص ١٥٨ طبع بولاق) .

(٢) السكك : صغر الأذن ولصوقها بالرأس، يقال للقطاة : سكاء لأنه لا أذن لها .

(٣) فى الأصلين : «مخطومة» بالميم، ولعله محرف عما أثبتناه . والخطبة : لون يضرب إلى الكدرة مشرب حمرة فى صفرة كلون الحنظلة الخطباء قبل أن تيبس وكلون بعض الحمر الوحشية .

(٤) طرق الريش : أن يغطى الريش الأعلى منه الأسفل .

(٥) القسب : التمر اليابس الصلب النواة .

(٦) الهيدب : خمل الثوب وهدبه واحدته هيدبة .

(٧) الجرو : الصغير من الحنظل .

(٨) كذا فى الأغانى . وفى الأصلين : «واعيها» . قال فى الأغانى : «أى لم يعد عليها فيكسرها» .

من كلّ قاصرةِ الخُطا مُخْتالةٍ * مَشْىَ الفتــاةِ تجرُّ فضــلَ إزارِ
مخضوبةِ المِنْقارِ تحسب أنهــا * كَرَعَتْ على ظَمَإٍ بكأسِ عُقَارِ
لا تستقرّ بهــا الأيادى (١) خشيةً * من ليــل وَيْلٍ أو نهــارِ بَوارِ

وقال المَرّار أو العكبُّ التغلبىّ (٢) — وهى أجود قصيدةٍ قيلتْ فى القطا — :

بلادٌ مَرَوْراةٍ (٣) يَحارُبهــا القطا * ترى الفرخَ فى حافاتهــا يَتحرّقُ
يَظَلُّ بها فرخُ القطاة كأنّه * يَتــيمٌ جفا (٤) عنه مَواليه مُطْرِقُ
بدَيْمومةٍ (٥) قد بات فيهــا وعينُه * على مَرَهٍ (٦) تُغْضى مراراً وترمُقُ
شــبيهٌ بلا شيءٍ هنالك شخصُه * يُواريه قَيْضٌ (٧) حــولَه مُتفلّقُ
له مَحْجِرٌ (٨) نابٍ وعينٌ مريضــةٌ * وشِــدْقٌ بمثــل الزعفران مُخَلَّقُ
تُعاجيه (٩) كَحْــلاءُ المَدامعِ حُرّةٌ * لهــا ذَنَبٌ ساجٍ وجِيدٌ مُطوَّقُ

---

(١) كذا فى ديوانه (ص ٥٣ طبع مصر) . وفى الأصلين : « الأراحى » .

(٢) كذا فى الحيوان للجاحظ (ج ٥ ص ٢٠٨ من النسخة الفوتوغرافية) . وفى الأصلين : « أبو الغلب » . ولم نعثر فى المراجع التى بين أيدينا على مسمى بهذا الاسم . وقد صححنا هذه القصيدة عن النسخة الفوتوغرافية والمطبوعة منه .

(٣) فى الأصلين : « ثلاث مرورات تجاذبها القطا » . والمروراة : المفازة التى لا شىء فيها .

(٤) فى الأصلين : « تناجيه » بدل « جفا عنه » .

(٥) الديمومة : المفازة الدائمة البعد .

(٦) فى الأصلين : « مرة » . ولعله مصحف عما أثبتناه . والمره : مرض فى العين لترك الكحل .

(٧) القيض : قشرة البيضة العليا اليابسة ، وقيل : هى التى خرج فرخها أو ماؤها كله .

(٨) محجر العين : ما دار بها . وفى الأصلين : « محز » ، وهو تحريف .

(٩) كذا فى الحيوان النسخة الفوتوغرافية . من معاجاة الفصيل وهو أن يرضع بغير لبن أمه إذا كان لا لبن لها أو ماتت أو إذا عللته بشىء أو منعته اللبن وغذيته بالطعام . وفى الأصلين : « نعاجية » وهو تصحيف . وفى النسخة المطبوعة من الحيوان : « تناجيه » .

سِماكيّةٌ (١) كُدْرِيّةٌ عَرْعَرِيّةٌ (٢) * سُكاكيّــةٌ (٣) عفراء سَمْراءُ عَسْلَق (٤)

إذا غادرَتْه تبتغى ما يُعِيشُــه * كفاها رَذَاياها الرَّقيــعُ (٥) الهَبنَّق

غدتْ تَسْتَقِى من مَنْهَلٍ ليس دونَه * مسيرة شهرٍ للقَطَــا مُتعَــلّق

لأزْغَبَ مطروحٍ بجَــوْز تَنُوفةٍ * تَلَظّى سَمُومًا قَيْظَــه فهو أوْرَق (٦)

تَراه إذا أمسى وقــد كاد جِلدُه * من الحــرّ عن أوصاله يتمزّق

غدت فاستقلّتْ ثم ولّت مُغِيرةً * بها حين يَزْهاها الجناحان أوْلَق (٧)

تَيَمَّمُ ضَحْضَاحًا من الماء قد بَدَتْ * دَعَامِيصُه (٨) فالماءُ أطْحَلُ (٩) أطْرَقُ (١٠)

فلمــا أتتْــه مُقْدَحِرًّا (١١) تعوّثتْ (١٢) * تعوُّثَ مخنوقٍ فتطفو وتَغْــرَق

---

(١) سماكية : نسبة إلى السماك . والسماكان : كوكبان نيران يقال لأحدهما : السماك الرامح وللآخر : السماك الأعزل .

(٢) عرعرية : منسوبة الى العرعر ، وهو شجر السرو ، فارسية .

(٣) السكاكية : منسوبة الى السكاكة كثمامة . والسكاكة : الصغير الأذن ، وهى أيضا الهواء الملاق عنان السماء . (٤) العسلق : الخفيف أو الطويل العنق .

(٥) كذا فى اللسان مادة « هبنق » . وقد نسب هذا البيت لذى الرمة ، ولكننا لم نجده فى ديوانه . وقال : قيــل : أراد بالرقيع الهبنق القمرى ، وقيــل : بل هو الكروان وهو يوصف بالحمق لتركه بيضه واحتضانه بيض غيره . وفى الأصلين وكتاب الحيوان : « النحاء الهبنق » .

(٦) الورقة : سواد فى غبرة . (٧) الأولق : الجنون .

(٨) الدعاميص جمع دعموص ، وهو دويبة أو دودة سوداء تكون فى الغدران إذا نَشّت ، وقيل : دودة لها رأسان تراها فى الماء إذا قل .

(٩) الطحلة : لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد .

(١٠) الطرق : التراكب .

(١١) المقدحرّ فى أصل معناه : المتهيئ للسباب والشرّ تراه الدهر منتفخا شبه الغضبان ، وهو بالدال والذال جميعا . ولعله وصف الماء بهذا الوصف على ضرب من التجوّز لثورانه واضطرابه .

(١٢) كذا فى الحيوان . وفى الأصلين : « تعوّبت تعوّب » .

تَجُز(١) وتُلقِى فى سِقَاءٍ كأنّه * من الحَنْظَل العَامِىّ جِرْوٌ مُعَلَّقُ
فلمّا ٱرتوتْ من مائها لم يكن لها * أناةٌ وقد كادت من الرّى تبصُقُ
طَمَتْ(٢) طَمْوةً صُعْدًا ومَدّتْ جِرانَها * وطارت كما طار الشِّهَابُ(٣) المُحَلِّقُ

ذكر شىء من الأوصاف والتشبيهات الشعريّة الجامعة لمجموع هذا النوع الذى ذكرناه

من ذلك قول بعض الشعراء :

وقبلِىَ أَبْكَى كلَّ من كان ذا هوًى * هَتُوفُ البَوَاكِى والدِّيارُ البلاقعُ
وهنّ على الأَفْلاق(٤) من كلِّ جانب * نوائحُ ما تَخْضَلُّ منها المدامعُ
مُزَبْرَجَة الأعناقِ نُمْرٌ ظهورُها * مُخَطَّمَةٌ بالدُّرّ خُضْرٌ روائعُ
ترى طُرَرًا بين الخَوافِى كأنّها * حَوَاشِى بُرُودٍ زيّنتها الوشائعُ
ومن قِطَعِ الياقوت صِيغتْ عيونُها * خواضبُ بالحِنّاء منها الأصابعُ

(١٣٢) وقال أبو الأسود الدؤلىّ من أبيات :

وساجع فى فروع الأَيْك هيّجنى * لم أدرِ لِمْ ناح ممّا بى ولِمْ سَجَعَا
أباكيًا إلْفَه من بعد فُرْقَتِه * أم جازعًا للنّوى من قبل أن تَقَعا
يدعو حمامتَه والطيرُ هاجعةٌ * فما هَجَعتُ له ليلًا ولا هَجَعا

---

(١) فى الحيوان (النسخة الفوتوغرافية) : « تحير » . وليست إحدى الكلمتين بأولى من أحتها فى اتساق النسح .

(٢) طمت : ارتفعت .

(٣) كذا فى الحيوان (النسخة الفوتوغرافية) . وفى الأصلين : « السحاب » .

(٤) الأفلاق : جمع فلق، وهو المطمئن من الأرض بين ربوتين .

موشَّح سُـنْدُسًا خُضْرٍ مناكبُه[1] * تَرَى من المسـك فى أذياله لُمَعا
له من الآس طَوْقٌ فوقَ لَبّته * من البَنَفْسَج والخَـيْرِىّ[2] قد جُمِعا
كأنما عَبٌّ[3] فى مُسْوَدِّ غاليـةٍ * وحَلّ من تحتـه الكافـورُ فٱنتُقِعا[4]
كأنّ عينيه من حسن ٱصفرارهما * فَصّانِ من حَجَر الياقوت قد قُطِعا
كأنّ رجليه من حسن ٱحمرارهما * ما رَقّ من شُعَبِ المَرْجان فٱتّسعا
شكا النَّوَى فبكى خوفَ الأَسَى فرمَى * بين الجوانح من أوجاعه وجعا
والريحُ تَخْفِضُـه طورًا وتَرفَعـه * طـورًا فمنخَفِضًا يدعو ومرتفِـعا
كأنه راهبٌ فى رأس صومعـةٍ * يتلو الزَّبُورَ ونجمُ الصبح قد طلعا

وقال ٱبنُ اللّبّانة الأندلسىّ[5] :

وعلى فروع الأَيْك شادٍ يَحْتوى * طَـرْفِى لآخَرَ تحتـويه الأَضْلُعُ
يَنْدَى له رَطْبُ الهواء فيغتَدِى * ويُظِـلّه وَرَقُ الغصون فيهجَعُ
تَخِـذَ الأَرَاكَ أريكةً لمنـامِه * فـله إلى الأسحار فيها موضِعُ
حتى إذا ما هزّه نَفَسُ الصَّبَا * والصبح، هَزّكَ منه شَدْوٌ مُبْدَعُ
فكأنما تلك الأَراكةُ مِنْـبَرٌ * وكأنه فيها خَطيب مِصْـقَعُ

---

(١) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «موشحا» .

(٢) الخيرى : نور، معرب (عن الجوهرىّ) . وقد شرح خواصه ابن البيطار فى مفرداته ، فراجعه .

(٣) فى الأصلين : «عب» بالعين المعجمة . وفى مباهج الفكر : «غاب» .

(٤) انتقع الرجل وامتقع وابتقع (على صيغة المبنى للمجهول) : تغيّر لونه ، وبالميم أجود .

(٥) هو الوزير الأديب أبو بكر بن اللبانة الدانى أحد شعراء دولة المعتمد فى الأندلس ، المرتضعين درها ، والمنتجعين دُرها . وكان المعتمد — رحمه الله — يميزه بالشفوف والإحسان ، و يجوزه فى فرسان هذا الشان . (راجع نفح الطيب ص ٤١٣ ، ٥٧٨ من المجلد الثانى طبع أوربا) .

وقال بعضُ الأعراب [يصف مُطَوَّقَةً](١) :

دعَتْ فوق ساقٍ دعوةً لو تناولتْ * بهـا الصَّخرَ من أعلى أَبَانَ(٢) تَحَـدَّرا
تُبَكِّى بعين ليس تُذْرِى دموعَهـا * ولكنّها تُذْرِى الدموعَ تذكُّرا
محلَّاة طَوْقٍ ليس تَخْشَى ٱنفصامَه * إذا همّ أن يَبْلَى تُجَـدِّدُ آخَرا
لَهَـا(٣) وُشُحٌ دون التَّرَاقِى وفوقَها * وصَدرٌ كمقطوف البَنَفْسَج أخضرا
تنَازعُها الألوانُ(٤) شتّى صِقالُهـا * بدا لتَـلَالِى الشمس فيه تحـيرا(٥)

وقال شاعر أندلسىّ :

وما شـاقنى إلا ٱبنُ وَرْقاء هاتِفٌ * على فَنَنٍ بين الجـزيرة والجسرِ
مُفَتَّـقُ طوْقٍ لا َزوردىٌّ كَلْكلٍ * موشّى الطُّلَى أَحْوَى القوادمِ والظهرِ
أدار على اليـاقوت أجفانَ لؤلؤٍ * وصاغ على الأجفان طوقًا من التّبرِ
حديدُ شَـبَا المِنقـارِ داجٍ كأنه * شَـبَا قلمٍ من فِضّـة مُدّ من حِبْرْ
توسّـد من فـرع الأراك أريكةً * ومال على طىّ الجناح مع النّحـرِ
ولـمّا رأى دمعى مُراقًا أرابه * بكائىَ فاستولى على الغُصُن النَّضْرِ
وحثّ جناحيـه وصـفّق طائرًا * فطار بقلبى حيث طار وما يَدرى

وقال آخر :

كأنّ بنحـرها والجيدِ منهـا * إذا ما أمكنتْ للنّاظرِينـا (١٣٣)
مَخَطًّا كان من قـلمٍ لطيفٍ * نخطّ بجيـدها والنحـرِ نُونا

(١) زيادة عن مباهج الفكر .
(٢) أبان : جبل .
(٣) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «له» .
(٤) فى الأصلين ومباهج الفكر : «ألوان» .
(٥) كذا فى الأصلين ومباهج الفكر ، ولعله محرف عن «محبرا» أى مزينا .

وقال ٱبنُ الرومى :

مُطوَّقَــةٌ تبكــى ولم أر باكيًا * بدا ما بدا من شجوها لم يُسَلِّبِ (١)

وقد أوردنا فى باب الغزل والنَّسيب من هــذا المعنى فيما قيل على لسان الورقاء ما يُستغنَى عن تَكرَاره .

***

وأمّا اليمــامُ وأصــنافُه وما وُصف به وما قيل فيه — فالعــربُ تقول : إنــ هذه التسميةَ واقعةٌ على النوع الذى تســمّيه عامّةُ الناس الحمــامَ؛ وهو أصنافٌ مختلفةُ الأشكالِ والألوانِ والأفعال، منها "الرّواعبُ" و "المرَاعِيشُ" و"العَدّاد" و "المِيساقُ" و "الشّدّادُ" و "القَلّاب" و "الشّقّاق" و "المَنْسوب".

***

فأمّا الرّواعبُ — وهو ألوان كثيرةٌ . وزعم الجــاحظُ أنه تولّد بيــن وَرَشانٍ ذكرٍ وحمــامٍ أنثى، فأخذ من الأب الجُثّة ومن الأمّ الصوتَ، وفاتَه سرعةُ الطيران فلم يشبههما فيه؛ وله من عِظَم البدنِ وكثرة الفراخِ والهَديلِ والقَرْقَرة ماليس لأبويه، حتى صار ذلك سببًا للزيادة فى ثمنه والحرصِ على ٱتّخاذه .

***

وأمّا المرَاعيشُ — وهى تَطير مرتفعةً حتى تغيبَ عن النظر فتُرى فى الجوّ كالنّجم .

---

(١) سلّبت المرأة : إذا لبست ثياب الحداد .

* * *

وأمّا العَدّاد — فهو طير ضخم، قليل الطيران [كثير الفِراخ](١) .

* * *

وأمّا المِيساق — وهو أضخم من العَدّاد وأنبـل، ثقيل الجسم لا يستطيع الطيرانَ إلّا قليلا .

* * *

وأمّا الشدّادُ — فهو لا يَلْزم الطيرانَ فى الجو، وله قوّة فى جَناحه [حتى يقال إنّه ربما يكسِر الجَوْز به، ولا يأتى من الغاية لِبَلَهٍ فيه](١) . وأصحابُ الرُّغَبات فى تربية هـذا الصِّنف يُلْقونه على البَصْريّات فيخرج من بينهما حمـامٌ يُسمَّى " المضرّب " يجتمع فيه هدايةُ البصرىّ وشدّةُ الشَّدّادِ . والشدّادُ يطير صُعُدًا حتى يُرى كالنّجم . وفى ذنبه إحدى وثلاثون ريشة .

* * *

وأمّا القَلّاب — فتسمِّيه العراقيون " المَلّاح "، وسمِّى بذلك لتقلّبه فى طيرانه .

والشّقّاق(٢) — وطيرانُه تَحْويمٌ .

* * *

وأمّا المنسوب(٣) — ويسمِّيه العراقيّون " الهوَادى "، والمصريون(٤) يسمونه " البَصَارِى " [يعنون البصرية](١) ، وهو بالنسبة إلى ما تقـدّم ذكرُه كالعِتَاق من

(١) زيادة عن مباهج الفكر. (٢) تدل عبارة مباهج الفكر على أن العراقيين يسمون « القلاب » « الملاح » و « الشقاق » وأن الشقاق ليس بضرب آخر . (٣) زاد فى مباهج الفكر عند الكلام على هذا الصنف من الحمام زيادات كثيرة عما هنا ، فراجعها . (٤) فى مباهج الفكر : « والبصريون » .

الخيل، وما عداه فيها كالبراذين . وفيها "العلوىّ" وهو ألطفُ جِرْمًا وأسرعُ طيرانًا ؛ وهو يطلب وكَرَه ولو أرسل من مسافةِ ألف فرسخ، ويحمِلُ البطائقَ ويأتى بهـا من المسافة البعيدةِ فى المدّة القريبة . قالوا : وفيـه ما يقطعُ ثلاثةَ آلافِ فرسخ فى يوم واحد . وسِـباعُ الطير تطلُبه أشدَّ طلبٍ . وخوفُه من الشاهين أشدّ من خوفه من غيره . وهو أطير منه ومن سباع الطير كلّها ؛ لكنه يُذْعَر فيجهل بابَ المَخْلَص .

والمحمودُ منه ما وصفَه الجاحظُ عن أفليمون صاحبِ الفِراسةِ أنه قال :

جميعُ الفراسـة لا تخرجُ عن[1] أربعة أوجه : أولهـا التقطيعُ ، والثانى المجسّة ، والثالث الشمائل، والرابع الحركة .

فأمّا التقطيع — فآنتصابُ العُنُق والخِلْقـةِ ، وآسـتدارةُ الرأس من غيرِ عِظَمٍ ولا صِغَرٍ، وعِظَمُ القِرْطِمَتَين[2] ونَقَاؤهما، وآتّساعُ المَنْخَرَيْن، وآنهراتُ الشِّـدقيْن ، وسَعَةُ الجوف ، ثم حسنُ خِلْقة العينين مع توقّدهمـا ، وقِصَرُ المِنْقار فى غيرِ دِقّةٍ، ثمّ آتّسـاعُ الصــدر ، وآمتلاءُ الجُؤْجُؤ ، وطولُ العُنُـق ، وإشرافُ المَنْكِبين ، وآنكماشُ الجناحين، وطولُ القوادم فى غير إفراطٍ ، ولُحُوق بعض الخوافى ببعض، وصَـلَابةُ القَصَبِ فى غير آنتـفاخ ولا يُبْسٍ ، وآجتماعُ الخَلْق فى غير الجُعُـودة والكَزَازة،[3] وعِظَمُ الفَخِذَين،[4] وقِصَرُ السّاقين والوَظِيفين، وآفتراقُ الأصابع، وقِصَرُ الذّنب وخفّتُـه من غير تَفْنينٍ[5] وتفريق، ثم تَوقّدُ الحـدقتَين وصَـفاءُ اللّون. فهذه علامة الفِراسةِ فى التقطيع .

---

(١) فى الأصلين : « من » . (٢) القرطمتان : نقطتان على أصل منقار الحمام .

(٣) كز الشىء : يبس وآنقبض . (٤) فى المخصص ومباهج الفكر : «وعظم الفخذين والساقين» .

(٥) من غير تفنين : من غير اختلاط . يقال : فنن الشىء إذا خلطه . وعبارة المخصص : «وقصر الدنب وخفته فى غير تفريق من الريش ولا تفنين» . وقد أورد المخصص هذا الموضوع مع اختـلاف يسير فى بعض الكلمات فراجعه (ج ٨ ص ١٧٠) طبع بولاق .

وأمّا علامة المَجَسّة — فَوَثَاقَةُ الخَلْق، وشدّةُ اللحم، ومَتانةُ العَصَب، وصلابةُ القَصَب، ولينُ الرِّيش فى غير رِقّةٍ، وصلابةُ المِنقار فى غير دِقّةٍ.

وأمّا علامة الشمائل — فقلّة الاختيال، وصفاءُ البصر، وثباتُ النظر، وشدّة الحَذَر، وحسنُ التّلفُّتِ، وقِلّةُ الرِّعْدَة عند الفزع، وخفّةُ النهوض إذا طار، وتركُ المبادرةِ إذا لَقَط.

وأمّا علامة الحركة — فالطيران فى عُلُوّ، ومدُّ العُنُق فى سُمُوّ، وقلّةُ الاضطراب فى جوّ السماء، وضمُّ الجناحين فى الهواء، وتتابُعُ الرَّكْض فى غير اختلاط، وحسنُ القصد فى غير دَوَرانٍ، وشدّةُ المدّ فى الطيران. فإذا أصبتَه جامعاً لهذه الصفات (١٣٤) فهو الطائر الكامل.

وقد وصف الجاحظُ الحمامَ فى كتاب الحيوانِ وبسط فيه القولَ ووسّع المجالَ. ونحن الآن نُورِدُ ملخّصَ ما قاله فيه، قال:

ومن مناقب الحمام حبُّه للناس وأُنْسُ الناس به، وهو من الطير المَيَامين. وهو إذا عَلِمَ الذكرُ منه أنّه قد أودَعَ رحِمَ الانثى مايكون منه الولدُ، تقدّما فى إعداد العُشّ، ونقْلِ القَصَبِ وشِقَق(١) الخُوص، وأشباه ذلك من العيدان الخَوّارة(٢) الدِّقاق، حتى يعملا أُفْحُوصةً ويَنْسِجاها سجًّا متداخلا فى الموضع الذى اتّخذاه واصطنعاهُ عشًّا بقدر جُثْمانِ الحمامة؛ ثم أَشخصا لتلك الأُفْحُوصة حروفاً غيرَ مُرتفعةٍ لتحفظ البيضَ وتمنعَه من التدحرج، ولتلزم كتفى الجُؤْجُؤ، ولتكونَ رِفْدًا لصاحب الحَضْن، وسندًا للبيض؛ ثم يتعاوَران ذلك المكانَ ويتعاقبان تلك الأُفْحُوصةَ يُسَخّنانها

(١) كذا فى كتاب الحيوان (النسخة الفوتوغرافية). وشقق: جمع شقة. وفى الأصلين وكتاب الحيوان المطبوع: «وتشقيق».

(٢) الخوارة: الضعيفة الرخوة.

ويُدفِئانِها ويُطَيِّبانها[1] ويَنفِيان عنها طباعَها الأُوَل ويُحْدِثانِ لها طبيعةً أُخرى مُشـتقّةً من طبائعهما ومُستخْرَجةً من رائحة أبدانهما وقُواهما، لكى تقعَ البيضةُ إذا وقعت فى موضع يكـون أشبهَ المواضع طِباعًا بأرحام الحمام مع الحضانةِ [والوَثَارة][2]، كى لا تتكسرَ البيضــةُ بيُبْس الموضع ، ولئــلا تُنكِرَ طباعُها طباعَ المكان ، وليكونَ على مقــدارٍ من البَرْد والسُّخُونة والرَّخاوَةِ والصَّــلابةِ . ثم إنْ ضرَبها المَخَاضُ وطَرَّقَتْ ببيضها، بدَرَتْ إلى الموضع الذى قد أعدّته وتحامَلَت إليـه ، إلّا أن يَقرعَها رَعْدٌ قاصفٌ أو ريحٌ عاصفٌ فإنها ربمـا رمَت بها دون الأُفْحوصة . والرَّعد ربّمـا أفسد البيضَ . فإذا وضعتِ البيض فى ذلك المكانِ الذى أعدّاه لا يزالان يتعاقبانِ الحَضْنَ ويتعاورانه حتى تنتهِى أيّامُه ويَتمَّ ميقاتُه؛ فعند ذلك يَنصدِعُ البيضُ عن الفرخ ، فيخرج عارىَ الجلد صـغيرَ الجَناح مُسْـتَدَّ الحُلْقوم ؛ فيعلَمانِ أنّه لا يتّسع حَلْقُـه وحوْصلتُه للغِـذَاء ، فلا يكون لهما همٌّ إلّا أن يَنْفُخَا فى حَلْق الفَرْخ الرِّيحَ لتَتّسع الحوصلةُ بعــد ٱلتحامها . ثم يعلمانِ أنه وإن ٱتّســعت الحوصلةُ لا يَحْمِــلُ فى أوّل ٱغتذائه أن يُزَقّ بالطُّعْم، فيُزَقّ باللُّعَاب المختلِط بقُواهمـا وقُوَى الطُّعْم . ثم يَعلمـانِ أنّ الحوصــلةَ تضعُف عن ٱستمراء الغِـذاء وهضم الطُّعْم فيأكلان من شُرُوج[3] أصــول الحيطان — وهو شيء من المِلح المَحْض والـتراب الخالِص ، وهـذا هو السَّبَخُ — فيَزُقّانِه به . حتى إذا علما أنه قد ٱندبغ[4] وٱشتدّ زَقّاه بالحَبّ الذى قد غَبَّ فى حواصلهما، ثمّ يَزُقّانه بعــد ذلك بالحَبّ والمــاء . حتى إذا علمـا أنه قد أطاق

(١) كذا فى الحيوان للجاحظ . وفى الأصلين : «ويطينانها» بالنون بدل الباء الموحدة .

(٢) زيادة عن كتاب الحيوان .

(٣) الشروج : الشقوق والصدوع .

(٤) كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٣ ص ٤٧) طبع مصر . وفى الأصلين : «اندمع» .

اللَّقْط منعاه بعضَ المنع ليَحتاج إلى اللّقط فيتعوّده . فإذا علمـا أنّ إرادتَه قد تمّت وأنه قد قَوِى على اللَّقْط و بلغ بنفســه مُنتهى حاجته ، ضَربَاه إذا سألهما الكفاية ، ونَفَياه متى رجع إليهما ، وتُنْتَزَعُ تلك الرحمةُ العجيبةُ منهما و يَنْسَيانِ ذلك التعطّف . ثم يبتدئان العمل ثانيًا على ذلك النظام وتلك المُقَدِّمات . فسبحان الهادى الملهم .

قال : ثمّ يَبتدئ الذَّكَرُ بالدُّعاء والطِّراد ؛ ويَبتـدئ الأُنثى بالتَّأتِّى والاستدعاء، ثم تَزِيفُ[1] وتَشْكل[2] ، وتُمَكِّن وتَمْنَع ، وتُجيبُ وتَصْـدِف بوجهها ؛ ثمّ يَتَعاشقان ويَتَطاوعان و يكون بينهما قُبَـلٌ وآرتشافٌ و إدخالُ فِمها فى فمه ؛ وذلك هو التَّطَاعُم والمُطَاعَمَةُ . قال الشاعر :

لم أُعْطِها[3] بيدى إذ بِتُّ أَرْشُفُها * إلّا تَطاوُلَ غُصْنِ الجيدِ بالجيدِ
كما تَطَـاعَمَ فى خَضْرَاء ناعمــةٍ * مُطَوَّقانِ أصاخَا بعــد تَغْـرِيدِ

قال أبو عثمان : وممـا أشبه فيه الحمـامُ الناسَ أن ساعاتِ الحَضْن على البيض أكثرُها على الأُنثى، وإنمـا يحضُن الذكرُ حَضْنًا يسـيرًا . والأُنثى كالمرأة فى كفالة الصبىّ ، حتى إذا ذهب الحَضْنُ وصار البيضُ رِاخًا كالأطفال فى البيت يحتاجون إلى الطعام والشَّراب صار أكثرُ ساعات الزَّقّ على الذكر .

وقال : قال مُثَنَّى بن زُهَير — وهو إمام الناس فى البصرة بالحمـام — : لم أر شـيئًا قطّ فى رجلٍ ولا آمرأةٍ إلّا وقد رأيتُ مثله فى الذكر والأنثى من الحمـام . رأيت حمامةً لا تُريد إلّا ذكَرها ، كالمرأة لا تُريدُ إلّا زوجها أو سـيّدها . ورأيتُ حمامةً لا تَمنعُ شـيئًا من الذُّكورة ؛ ورأيت آمرأة لا تمنع يَدَ لامِسٍ . ورأيتُ

(١) يقال : زافت الحمامة تزيف اذا مشت مدلّة متبحترة بين يدى الحمام الذكر .

(٢) شكلت المرأة : كانت ذات شكل أى غنج ودلال وغزل .

(٣) عطا فلان الشىء يعطوه : أخذه وتناوله .

حمامةً لا تَزِيفُ إلّا بعد طِرادٍ شديدٍ وشـدّةِ طلبٍ ، ورأيتهـا تَزِيف لأوّل ذكر يريدها ، ورأيت من النساء كذلك . ورأيتُ حمامةً لها زوج وهى تُمَكِّن ذكرًا آخر (١٣٥) لا تَعدُوه ، ورأيت مثل ذلك فى النساء . ورأيتها تَزِيف لغير ذكرها وذكرُها يراها ، ورأيتها لا تفعل ذلك إلّا وذكرُها يطيرُ أو يحضُن . ورأيت الحمامةَ تَقْمُطُ الحمامة ، ورأيتُ الحمامَ الذكرَ يَقْمِطُ الذكر . ورأيتُ أنثى كانت لا تَقْمُط إلّا الإناث ، ورأيت أخرى تقمُط الإناثَ فقط ولا تَدَعُ أنثى تقمِطها ، ورأيت ذكرا يَقْمُطها ويَدَعُها حتى تَقْمُطَه . ورأيتُ ذكرًا يَقْمِطُ الذكورَ وتَقْمُطُه ؛ ورأيت ذكرا يَقْمُطُ الذكورَ ولا يَدَعُها تَقْمُطه ؛ ورأيت أنثى تَزِيف للذكور ولا تدع شـيئًا منها يقمطُها ؛ ورأيت هذه الأصناف كلّها فى السّحاقات واللّاطَة . قال : وآمتنعت علىّ خَصْلةٌ فوالله لقد رأيتها ؛ لأنى رأيتُ من النساء من تَزْنى أبدًا وتُساحِقُ أبدًا ولا تتزوّج ؛ ومن الرجال مَنْ يَلُوط أبدًا ويزنى أبدًا ولا يتزوّج ، ورأيت حمامًا ذكرًا يَقْمِط ما لَقِى ولا يُزاوِج ، ورأيت حمامةً تُمَكِّن كلَّ حمام أرادها من ذكر أو أنثى وتقمِط الذكورةَ والإناثَ ولا تُزاوِجُ ، ورأيتها تُزاوِج ولا تبيضُ ، وتبيض فيفسدُ بيضُها ، كالمرأة . قال : ورأيت ذكرًا له أُنْثَيَانِ وقد باضتا منه ، وهو يحضُن مع هذه ومع تلك ويَزُقّ مع هذه ومع تلك ، ورأيت أنثى تبيض بيضـةً ، ورأيت أنثى تبيض فى أكثر حالاتهـا ثلاثَ بَيْضات . قال : ورأيت حمامةً تُزاوِج هـذا الحمامَ ثم تتحوّل منه إلى آخر ، ورأيت ذكرًا فعل مثل ذلك فى الإناث ، ورأيت الذكر كثيرَ النَّسْل قويًّا على القَمْط .

قال الجاحظ : والحمـام يبيضُ عشرةَ أشهر من السنة ؛ فإذا صانوه وحفظوه وأقاموا له الكفايةَ وأحسنوا تعهُّدَه باض فى جميع السنة . والفواخت والأُطْرُغُلّاتُ (١)

(١) قال فى اللسان نقلا عن التهـذيب : « ... فى كتاب شمر : الأطرغلات هى الدباسى والقمارى والصلاصل ذات الأطواق ، قال : ولا أدرى أمعرب هو أم عربى » .

والحمام البَرِّىّ تَبيضُ مرّتين فى السنة. قال: ويتمّ خلْقُ الحمام فى أقلّ من عشرة أيام. والحمامةُ فى أكثر أمرها يكون أحدُ فرخيها ذكرًا والآخر أنثى[(١)]؛ وهى تَبيضُ أوّلًا البيضة التى فيها الذكر ثم تُقيم يومًا وليلةً وتبيض الأخرى. وتحضن ما بين السبعةَ عَشَرَ يوما إلى العشرينَ. والأنثى أبرُّ بالبيض، والذكرُ أبرُّ بالفراخ. ولقد أطنب أبو عثمان الجاحظ وأَوْغل وبَسَط القول فى ذكْر الحمام وأوصافه ومناقبه والمغالاة فى ثمنه والحرص على آقتنائه، حتى إنه قال: وللحمام من الفضيلة والفخر أنّ الحمام الواحد يباع بخمسمائة دينار؛ ولم يبلغ ذلك باز ولا شاهين ولا عُقابٌ. قال: وأنت إذا أردت أن تتعرّف مبلغ ثَمن الحمام الذى جاء من الغاية ثم دخلتَ بغدادَ والبصرة، وجَدتَ ذلك بلا معاناة. وهذا يدلّ على أنّ قوله فيه كان مشهورًا عندهم فى وقته. ثم قال: والحمامُ إذا جاء من الغاية بِيع الذَّكرُ من فراخه بعشرين دينارا وأكثر، وبِيعت الأنثى بعشرة دنانير وأكثر [وبِيعتِ البيضةُ بخمسة دنانير][(٢)]؛ فيقوم الزوجُ منها من الغَلّة مقام ضَيْعة، حتى ينهَض بمؤونة العيال وبقضاء الدَّيْن، وتُبْنَى من غَلّاته[(٣)] وأثمان رِقابِه الدُّورُ والجِنانُ وتُبتاع الحوانيتُ. ثم وصف مُجرَّ الحمام ومقاصيرَها المبنيّة فى ذلك الزمان وما يُعانيه أهلُها من حديثها[(٤)] والآحتفال بها فى المسابقة وغيرها. وأطال فى ذلك. وقال: وللحمام من حُسْن الآهتداء، وجَوْدةِ الآستدلال، وثباتِ الحفظ والذِّكر، وقوّةِ النزاع إلى أربابه، والإلْفِ لوطَنه، أن يكون طائرا من بهائم الطير يجىء من مسافة كذا إلى مسافة كذا. قال: ولن ترى جماعةَ طيرٍ أكثرَ طيرانا

(١) فى الأصلين: «والحمامة فى أكثر أمرها إما أن يكون ... الخ». ولا يستقيم الكلام بهذه الزيادة.

(٢) زيادة عن كتاب الحيوان.

(٣) كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ. وفى الأصلين: «من غلات رقابه... الخ».

(٤) لعله محرف عن «خدمتها».

إذا كَثُرن من الحمـام، فإنّهنّ كلما ٱلتففن(١) وضـاق موضعُهنّ كان أشـدَّ لطيرانهنّ .

قال النابغــة :

وٱحكُم كحُكْم فتاةِ الحىّ(٢) إذْ نظَرتْ * إلى حَمـامٍ شِراعٍ(٣) وارِدِ الثَّمَـــدِ
يَحُفُّــه(٤) جانبَا نِيــقٍ(٥) وتُتْبِعُــه * مثلَ الزُّجاجةِ لم تُكْحَلْ من الرَّمدِ
قالت أَلَا ليتَمَا هــذا الحمَامُ لنـا * إلى حمـامتنا ونصــفُهُ فَقَــدِ
فَحَسَّــبُوه فألفَـــوْهُ كما حَسَبَتْ * تسعًا وتسعين لم تَنْقُص ولم تَزِدِ
فأكملَتْ مائــةً فيها حَمـامَتُها * وأسرعَتْ حِسْبَةً فى ذلك العَدَدِ

قال الأصمعىّ : لمـا أراد أن يمدح الحاسِبَ وسُرعةَ إصابته شدَّدَ الأمرَ وضيّقه عليه ليكون أحمدَ له إذا أصاب، فجعله حَزَرَ طيرًا والطيرُ أخفّ من غيره، ثم جعله (١٣٦)

(١) كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ . وفى الأصلين : «التفتن» .

(٢) فتاة الحى هى بنت الخسّ، عن الأصمعى . وعن أبى عبيدة : هى «زرقاء اليمامة» . ولقبت الزرقاء لزرقة فى عينيها . قالوا : إنه كان لها قطاة ومرّ بها سرب من القطا بين جبلين فقالت :

ليت الحمام ليه * إلى حمامتيـــه
ونصـفه قـديه * تم الحمام ميــه

وهى التى يضرب بحدّة بصرها المثل، وكانت تبصر الشىء من مسيرة ثلاثة أيام، وقد أنذرت قومها بمجىء العدوّ فلم يصدّقوها ولم يستعدّوا لملاقاته حتى صبحهم وأعمل فيهم حتى هلكوا وأخذ كبيرهم الزرقاء فشق عينيها فاذا فيهما عروق سود من الإثمد، وكانت أوّل من اكتحل به من العرب .

(٣) شراع (بالشين المعجمة) : مجتمعة . ويروى «سراع» بالسين المهملة . والثمد : الماء القليل الذى يكون فى الشتاء ويجف فى الصيف .

(٤) يحفه : يحيط به .

(٥) النيق : الجبل . قال الأصمعى : إذا كان الحمام بين جانبى نيق ضاق عليه فركب بعضــه بعضا فكان أشد لعدّه وحزره، وإذا كان فى موضع واسع كان أسهل لعدّه فكان أحكم لها، اذا أصابته فى هذه الحال . ويريد بقوله : «مثل الزجاجة» عينا صافية لم يصبها رمد قط فتحتاج إلى كحل (عن شرح ديوان النابغة للوزير أبى بكر عاصم بن أيوب البطليوسى ضمن مجموعة طبع مصر رقم ١٧٨ أدب) .

حماما والحمامُ أسرعُ الطير وأكثر آجتهادا فى السرعة إذا كَثُر عددهنّ، وذلك أنه يشتدّ طيرانُهُ عند المسابقة والمنافسة . وقال : « يحفّه جانبا نيقٍ وتُتبعه » ، فأراد أن الحمام إذا كان فى مَضيق من الهواء كان أسرع من أن يتسع عليه الفضاءُ . والله أعلم بالصواب .

ذكر ما قيل فى طوق الحمامة

يقال : إنّ نوحًا صلّى الله عليه وسلّم لمّا كان فى السفينة بعث الغرابَ ليَكْشِف له هل ظَهَر من الأرض موضعٌ، فوقع على جِيفة فلم يرجِع إليه؛ فبعث بالحمامة، فآستَجْعَلَتْ على نوح الطَّوْقَ الذى فى عُنُقها فجعل لها ذلك جُعْلا . وفى ذلك يقول أُمَيَّةُ بن أبى الصَّلْت :

وأُرسِلتِ الحمامةُ بعد سَبْعٍ * تَدُلُّ على المهالك لا تَهَابُ
تَلَمَّسُ هل ترَى فى الأرض عينًا[1] * وعاينه من الماء العباب
فجاءت بعد ما رَكَضتْ بِقِطْفٍ[2] * عليه الثَّأْطُ[3] والطِّينُ الكُبَابُ[4]
فلمّا فَرَّسُوا الآياتِ صاغوا * لها طَوْقًا كما عُقِد السِّخابُ[5]
إذا ماتت تُوَرِّثُه بَنِيها[6] * وإن تُقتَل فليس لها آستِلابُ

---

(١) كذا فى الأصلين . على أنه ورد فى كل الشعر الذى أورده المؤلف لأمية بن أبى الصلت بعض كلمات غير واضحة المعنى؛ وقد ورد أكثر هذا الشعر فى الحيوان للجاحظ (ج ٢ ص ١١٧ — ١٢٠) وآثرنا أن نثبتها كما وردت فى الأصلين لأنها غير واضحة كذلك فى الحيوان .

(٢) كذا فى اللسان . وفى الأصلين : «عليها» .

(٣) كذا فى لسان العرب (مادة ثأط) . والثأط : الحمأة . وفى الأصلين : « الناط » بالنون، وهو تصحيف .

(٤) الكباب : الثرى والتراب والطين اللازب .

(٥) السخاب : قلادة تتخذ من قرنفل وسكّ ومحلب ليس فيها من اللؤلؤ والجوهر شىء .

(٦) لعله : « فليس له » اذ الظاهر أن مرجع الضمير الطوق .

وقال أيضا فيها :

سَمِـعَ اللهُ لاْبنِ آدمَ نــوحٍ * رَبُّنـا ذو الجـلال والإفضالِ
حين أَوْفَى بذى الحمـامةِ والنـا * سُ جميعا فى فُلْكِهِ كالعِيَالِ
حابِسًـا خوفه عليـه رسولًا * من خِفاف الحَمَـامِ كٱلتِّمْثالِ
فَرَشَاها على الرّسـالة طَـوقًا * وخِضـابًا علامةً غـيرَ بالِ
فأتتــه بالصِّـدق لمّـا رشاها * وبِقِطْفٍ لمـّا بدا عِثْكَالِ (١)

قوله : "فرشاها" أى جَعل لها جُعلا .

وقال فيها :

وما كان أصحابُ الحمـامة خِيفةً * غداةَ غَدَت منهم تَضُمُّ الخوافيـا
رســـولًا لهم والله يُحكم أمرَه * يُبين لهـم هل برنس التُّرب باديَا
فجـاءت بِقِطْفٍ آيةً مســتبينةً * فأصبح منها موضعُ الطينِ جاديا (٢)
على خَطْمِها وٱستوهبتْ ثَم طوقها * وقالت ألا لا تجعل الطوق حاليا
ولا ذَهَبًـا إنى أخاف نِبَـالهم * يَخالونــه مالى وليس بماليـا
وزِدْنى على طوق من الحَلْى زينةً * تُصيب إذا أتبعت طوقى خِضابِيا
وزدنى لِطرف الطين منك بنعمةٍ * ووَرِّث إذا ما مُتُّ طوقى حماميَا
يكون لأولادى جمالًا وزينةً * وعنوانَ زَيْنى زِينةً من تُرابيـا

(١) العثكال : العذق ، وقيل : هو الشمراخ وهو ما عليه البسر من عيدان الكباسة ، وهو فى النخل بمنزلة العنقود فى الكرم .

(٢) الجـادى : الزعفران .

ذكر شيء مما وصف به هذا النوع نظمًا ونثرًا

قال عبد الواحد بن فتوح الأندلسىّ يصف حمامًا بسرعة الطيران والسَّبْق :

يجتابُ أودِيَةَ السّحاب بخافقٍ * كالبرق أَوْمَضَ فى السّحابِ فأَبْرَقَا
لو سابَقَ الريحَ الجنوبَ لغايَةٍ * يومًا لجاءك مثلَها أو أسْبَقَا
يَستقرِبُ الأرضَ البسيطةَ مَذْهبًا * والأُفْقَ ذا السُّقُفِ الرفيعةِ مُرْتَقَى
ويظلّ يَسترق السماءَ بخافقٍ * فى الجوّ تَحسبه الشِّهابَ المُحْرِقَا
يَبْدُو فيُعْجِب مَن رآه لحُسْنِهِ * وتكاد آيةُ عُنْقِهِ أن تَنْطِقَا (١٣٧)
مُتَرقرقًا من حيث دُرتَ كأنما * لِبَس الزجاجةَ أو تَجلْبَبَ زِئْبَقَا

وقال أبو هلال العسكرىّ فى حمام أبلق :

ومُتَّفِقات الشَّكل مُختلفاته * لَبِسنَ ظلاما بالصباح مُرقَّعا
أَخَذْن من الكافور أنفًا ومَنْسِرًا[(١)] * وخَضَّبْنَ بالحنّاء كفًّا وإصبعَا
وترنو بأبصارٍ إذا ما أدَرْنَها * جَلَوْنَ عقيقًا للعيون مُرصَّعَا
تطيرُ بأمثال الجلَام كأنّها * جنادِلُ تَدْحوها ثلاثًا وأربعَا
تَبُوعُ[(٢)] بها فى الجوّ من غير فَتْرةٍ * كأنّ مجاديفًا تَبُوعُ بها معَا
إذا هى عَبَّتْ فى الغدير حَسِبتَها * تَزُقُّ فراخا فى المغاور جُوَّعَا

وقال القاضى الفاضل عبد الرحيم البَيْسانىّ من رسالة يصف طائرا جاء من غاية :

"وكان هذا الطائر أحدَ الرسل المُسَيَّرة بل المُبَشِّره، والجنود المجرّدة بل المسخّره؛ فإنها لاتزال أجنحتُها تحمِل من البطائق أجنحه، وتُجَهِّز من جيوش المقاصد والاقلام

(١) المنسر : منقار الطائر .
(٢) تبوع بها ، أى تبسطها فى الجوّ ، يقال : باع يبوع إذا بسط باعه .

أسلحه ؛ وتحمــل من الأخبار ما تحمــل الضمائر، وتَطْوِى الأرضَ إذا نَشَرتِ الجناحَ الطائر، وتُزْوَى لها حتى تَرَى ما سَيَبْلُغُه مُلْك هذه الأمّه، وتَقْرُب بها السماءُ حتى ترى ما لا يَبْلُغُه وَهْم ولا هِمّه، وتكون مراكبَ للأغراض لمّـا كانت الأجنحة قُلوعا ، وتركب الجوّ بحرًا يُصفِّق فيــه هبوبُ الرياح مَوْجًا مرفوعا ؛ وتُعلَّقُ الحاجاتُ على أعجازها ، فلا تَعْرِفُ الإراداتُ غير إنجازها . ومن بلاغات البطائق استعارت ماهى به مشهورة من السَّجْع ، ومن رياض كتبها أَلِفتِ الرياضَ فهى إليهـا دائمة الرَّجْع . وقد سكنت البروج فهى أَنجم ، وأُعِدّت فى كنائنها فهى للحاجات أسْهم . وقد كادت تكون ملائكةً فإذا نِيطت بالرِّقاع ، صارت أُولِى أجنحةٍ مَثْنَى وثُلاثَ ورُبَاع . وقد باعدَ اللهُ بين أسفارها وقرَّبها ، وجعلها طَيْفَ اليَقَظة الذى صدّق العينَ وما كَذَبها . وقد أخذت عهــودَ الأمانة فهى فى أعناقها أطواقا ، فأدّتها من أذنابهـا أوراقا ؛ فصارت خَوَافِىَ وراء الخَوَافِى ، وغَطّت سِرّها المُودَع بكتمانٍ سحبت عليه ذيولَ ريشها الضوافى(١) ؛ تُرغِم النَّوَى بتقريب العهود ، وتكاد العيونـ تَلاحظها تَلَاحُظَ أنجمِ السعود ؛ فهى أنبياء(٢) الطير لكثرة ما تأتى به من الأنباء ، وخطباؤها لأنها تقوم على منابر الأغصان مَقامَ الخطباء" . والله أعلم بالصواب .

* * *

وأما البَبَّغاء وما قيل فيها ـــ والبَبَّغاء طائرٌ هندىّ ، وحبشىّ . حَسَنُ الخَلْق ، دَمِثُ الخُلُق ، ثاقب الفهم ، له قوّةٌ على حكاية الأصوات بالتلقين والتعليم ؛ تتخذه الملوكُ وأكابرُ الناس فى منازلهم . وفى لونه الأخضرُ والأغبرُ والأسودُ والأحمرُ

(١) الصوافى : السابغة الكثيرة .

(٢) فى الأصلين : «أثناء» وهو تحريف .

والأصفرُ والأبيضُ . وهذه الألوان كلّها قليلة نادرة الوجود إلّا الأخضر والأغبر . وقد شاهدتُ أنا بالقاهرة المُعِزّيّة دُرّة[(١)] بيضاء . وحكى أنه أُهْدِى إلى معزّ الدولة[(٢)] ابن بُوَيْه ببغداد هديّةٌ من اليمن كان فيها بَبَّغاءُ بيضاء، سوداء المنقار والرجلين، وعلى رأسها ذؤابة فُسْتُقيّة . وهذا الطائر يتناول الطُّعْم برجله . وله منقار مُعَقَّف قصير يكسر به ما صَلُب ويَنقُب به ما تعسَّر نَقبه . وهو فى مأكله ومشربه كالإنسان التَّرِف الظريف . والناس يحتالُون على تلقينه بأن ينصبوا تجاهه مرآةً يرى خَيالَه فيها ويتكلّم الإنسان من ورائها ، فيتوهّم الطائر أنّ خياله فى المرآة هو المتكلّم فيأخُذ نفسه بحكاية ما يسمعه من ذلك الصوت .

وقال المولى تاج الدين عبد الباقى اليمانىّ رحمه الله فيها مُلْغِزًا :

يا سيِّدًا أبدعَ فى المقالِ * ويارئيسًا فاق فى المعالى
ما حيوانٌ مشبهُ الإنسانِ * مُرَتِّلُ الآياتِ فى القرآنِ
ذو مَبْسِمٍ صِيغَ من النُّضَار * ومُقلَةٍ قد رُكِّبتْ من قارِ (١٣٨)
ومِخْلَبٍ يُكَسِّر الصِّلابَا * ومَنْطِقٍ يُفاخِر الخطيبا
ذو حُلّة بَنْدِيّةِ البُرودِ * منسوجةٍ من أخضر البنود
كروضةٍ قد أينعتْ أزهارُها * وأدهشتْنا بالغِنَا أطيارُها

(١) الدرة : الببغاء .

(٢) هو معز الدولة أحمد بن أبى شجاع بويه أحد ملوك الديلم، ملك العراق والأهواز . وكانت مدة ملكه إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا . وكان فى أوّل أمره يحمل الحطب على رأسه ، ثم ملك هو وأخواه : عماد الدولة على بن بويه وركن الدولة الحسن بن بويه البلاد وآل أمرهم الى ما آل . وكان معز الدولة أصغر الإخوة الثلاثة . ولد سنة ثلاث وثلثمائة وتوفى سنة ست وخمسين وثلثمائة ودفن فى داره ثم نقل الى مشهد بنى له فى مقابر قريش .

قد جُمعت فى ذاته ألوانُ * كأنّه فى خَلْقـــه بُستانُ
فـذَاتُه من ناصــع الزَّبَرْجَدِ * ونَوْرُه مُركَّبٌ من عَسْـــجَدِ
وتارة يُبصـــرُ من أقاحى * خِلْقَتِـــه(١) فى سائر النـــواحى
وعُرْفُه من خالص المِـدادِ * ونُطقُـــهُ مُسْـــتحكِم الإيراد
يأكل بالكفّ خلافَ الطير * ويَغْتَـدِى وهو قـديرُ السَّـيْر
إن لَقَطَ الحَبَّ لدى تفريقـه * رأيتَ دُرًّا جال فى عَقيقِـــه
يحفـظ بيتَ المـرء فى المغيبِ * ويغتـدى كالحارس المرهوب
سميُّـــه فى أســـفل البحار * مُســـتودَعٌ فى آخر التيّـار
إليه يُعـــزَى الشاعرُ المجيــدُ * والكاتبُ النّحـــريرُ والمُجيــدُ
فاكشف مُعمّى ما لغزتُ يا إمامْ * واسلم على مرّ الدهور فى الدّوامْ

---

(١) فى أ : « حلقه » . وفى ب : « حلته » وكلاهما تحريف .

البــاب الخامس من القسم الخامس

من الفن الثالث فى الطير الليلىّ

ويشتمل هــذا الباب على ذكر ما قيــل فى الخُفَّاش ، والكَرَوان ، والبُوم ، والصَّـــدَى .

* * *

فأمّا الخُفّاش وما قيل فيه — فالخُفّــاش ليس من الطـير فى شىء؛ فإنه ذو أذنين ظاهرتين وأسنان وخَطْم وخُصيتين بارزتين، ويبول كما تبول ذواتُ الأَربع، ويَحيض، ويَلِد، ويُرضع، ولا رِيش له . قال بعض المفسّرين لكتاب الله عزّ وجلّ : إنّ الخُفّاش هو الطائر الذى خلقه عيسى بن مريم عليه السلام بإذن الله تعالى؛ ولذلك هو مباين لصنعة الخالق؛ ولهذا سائرُ الطير تَقهره وتُبْغضه؛ فما كان منها يأكل اللحمَ أكله ، وما لا يأكل اللحم قتلَه؛ فلذلك لا يطـير إلّا ليلا . وطعامُه البعوضُ والفَـراشُ يصيدهما وقتَ طَيَرانه ، ولا يبلغ ذلك إلا بمـا فيه من سرعة الآختطاف وشِدّة الطيران ولِينِ الأعطاف . وهومع ذلك ليس بذى رِيش وإنما هو لحم مُغشّى بجِلْد صُلبٍ كأنّه جِلد ضِفْدَع، وهو يطير بغير ريش؛ وهذا من العَجَب. وهو لا يطير فى ضـوء ولا ظلمةٍ . وسببُ ذلك أنه ضعيف حاسّــةِ البصر، قليلُ شُعاع العين؛ فالشمس تُضعِف بصرَه عن التحديق فى شعاعها، والظلمة تغمُر ضياءَ بصره؛ فهو يجعل طيرانَه لطلبِ قُوتهِ وقتَ غروب الشمس وظهور الشّفق. [وذلك وقت هَيَج البعوض وآنتشاره][(١)] . ومنازله تكون فى الجبال وصُدوعِ الصخور وبسيطِ

(١) زيادة عن مباهج الفكر .

الفَيافى وجزائر البحر والأماكنِ الخَرِبة المهجورة . وهو يَطلب قُرب الناس؛ فإذا كان فى بيوتهم قصد أرفعَ مكانٍ وأحْصَنه فيكون فيه . ويُذكر بطول العُمر، ويكبُر حتى يكون فى قدر الحِدَأة وأكبر . وهو يلد ما بين الثلاثة إلى التسعة . ويَسفِد غالبًا وهو طائر فى الهواء . وهو يحمل ولده تحت جناحه، وربما قبض عليه بفِيهِ لإشفاقه عليه . وربّما أرضعتِ الأنثى ولدَها وهى طائرة . أخبرنى مَن شاهد ذلك ممن يُعتمد على نقله . وهو متى أصابه شجر الدُّلْب خَدِر .

قال الجاحظ: والخُفّاش يأتى الرُّمّانة وهى على شجرتها فينقُب عنها ويأكل جميع ما فيها حتى لا يَدَعَ إلا القشرَ وَحْده . قال: ولحوم الخفافيش موافقةٌ للشواهين والصُّقور والبَوَازِى ولكثيرٍ من جوارح الطير، وهى تَسْمَن عنها وتَصِحّ أبدانها عليها، ولها فى ذلك عملٌ محمود ناجع عظيم النفع بيّن الأثر .

وقال بعض الشعراء فى الخُفّاش مُلْغزًا :

وطائرٍ جَناحُه فى رِجْلِهِ * أبعد شىءٍ فَصُّه من وُصلِهِ (١)
لم يُوصف اللهُ بخلقِ مِثْلِهِ (٢) * وهو على تآلفٍ فى شكلِهِ
لو بِيع فى سُوقٍ له لم أُغْلِهِ

وقال آخر :

أبَى علماءُ الناس أن يُخبرونِى * وقد ذهبوا فى العلم فى كلّ مذهبِ
بجِلدةِ إنسانٍ وصورةِ طائرٍ * وأظفارِ يَرْبُوعٍ وأنيابِ ثَعْلبِ

(١) الوصل (بالكسر والضم) : كلّ عظم على حدة لا يكسر ولا يوصل به غيره ؛ جمعه أوصال . وقال الجوهرىّ : الأوصال المفاصل . وقال غيره : مجتمع العظام .

(٢) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «لو يوصف» وهو تحريف .

***

وأمّا الكَرَوان وما قيل فيه — والكروان طائرٌ من طبعه وعادته (١٣٩) الطيرانُ فى الليل، والإدْلاجُ والصِّيَاح بالأسحار، والإشراف على مواضع العساكر. ويوصف بالحُمْق؛ ومن حمقه أنه يقال له: أَطْرِق كَرَا، فيَلْصَق بالأرض حتى يُرْمَى. وتقول العرب: «أَطْرِق كَرَا أطرق كرا إنّ النَّعَامَةَ فى القُرى»(١).

***

وأمّا البُومُ وما قيل فيه — ويقال: إنه الصَّدَى، ويقال: بل الصَّدَى ذكَرُ البوم، وللبوم ذكرله منه. ويقال: إنه خمسة أصناف: منه ما يصيد الأرنبَ. ومنه صِنْف له لونان يأوِى الآكامَ والبَرِّيّةَ. ومنه المدبَّج بالصُّفرة، وله حواجبُ وقرونٌ من ريش، ويسكن الجُدْرانَ. ومنه الهَامُ ويسمّى "الغبشيّة"(٢). ومنه "القن" وهو يصيح كالهامِ لكنّ صوته أدقّ. وكل هذه الأصناف تحب الخَلْوَةَ بنفسها. وهى تُبغِض الغربان، وسائرُ أصناف الطير تُبغِضها؛ فإنّ الطيور إذا رأينها يَطِرْنَ حولَها ويَنتِفْنَ ريشَها؛ فلذلك صيّادو الطيور يجعلونها فى مصايدِهم؛ لأن الطيور إذا رأوْها آجتمعوا عليها، فتُصاد عند ذلك.

---

(١) يضرب مثلا للرجل يخدع بكلام يلطف له ويراد به الغائلة. وقيل: يضرب مثلا للرجل يتكلم عنده فيظن أنه هو المراد بالكلام، أى اسكت فانى أريد من هو أنبل منك وأرفع منزلة. وقال أحمد بن عبيد: يضرب للرجل الحقير اذا تكلم فى الموضع الذى لا يشبهه وأمثاله الكلام فيه؛ فيقال: اسكت يا حقير فان الأجلاء أولى بهذا الكلام منك. والمراد بقولهم: «إن النعامة فى القرى» تخويفه بأن النعامة حاضرة فتدوسه بأخفافها. (راجع اللسان مادة كرا ومجمع الأمثال).

(٢) كذا فى مباهج الفكر. ولعل الغبشية: نسبة الى الغبشة (بالضم) أى الظلام، على أن يكون قد نسب هذا الضرب من البوم الى ظلام الليل. وفى أ: «العفشنة». وفى ب: «العمشة».

* * *

وأما الصَّدَى وما قيل فيه — فالعرب تزعم أن الإنسان إذا مات أو قُتِل نتصوّر نفسُه فى صورةِ طائرٍ تصرُخ على قبره مستوحِشةً لجسدها . وفى ذلك يقول تَوْبة :

ولو أنّ ليــلَى الأخْيَلِيّةَ سلَّمتْ * علىّ ودُونِى جَنْـدَلٌ وصــفائحُ
لسلّمْتُ تسليمَ البَشَاشةِ أو زَقَا * إليها صَدًى من جانب القبر صائحُ

ويحكون على ذلك حكايةً (١) . وتقول العـرب : إن هـذا الطائر يكون صـغيرا ثم يكبر حتى يصـيرَ فى قَدْر البُوم، ويســمُّونه الهَام، واحدُه هامَةٌ . وهو يتوحَّش ويصـيح ويوجد فى الدّيار المعطَّلة والنّواويس (٢) وحيثُ مَصَارعُ القتْـلَى وأجداثُ الأموات . ويقولون : إنه لا يزال عنـد وَلدِ الميّت ومُخلَّفيه ليعـلم ما يكون بعـده فيخبره . وهذا كلُّه أراه من خُرافات العربِ وأكاذيبِها . وما زالوا على ذلك حتى جاء الإســلام فنهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنـه فقال : "لا عَدْوَى ولا طِيَرَة ولا هامَةَ" الحديثَ . والله أعلم .

---

(١) جاء فى الأغانى أن هـذا الشعر كان سببا فى مقتل ليلى هذه ، وذلك أنها مرت على قبر توبة بن الحمّير وذكرت هـذا الشعر وقالت : والله ما عرفت له كذبة قبل هذه فما باله لم يسلم علىّ ! ؛ وكانت بومة الى جانب القبر كامنة ، فلما رأت هودجها فزعت وطارت فى وجه الجمل فرمى بها على رأسها فماتت . (انظر الأغانى ج ١٠ ص ٨٢ طبع بولاق) .

(٢) النواويس : مقابر النصارى ، مفرده ناووس .

الباب السادس من القسم الخامس
من الفن الثالث فى الهَمَج

وقد قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فيه : إنه ليس من الطير، ولكنّه مما يطير كالحشرات مما يمشي . والذى أُطلق عليه اسمُ الهَمَج هو مما يَشتمل عليه هذا الباب، وهو النّحل، والزُّنْبور، والعنكبوت، والجَرادُ، ودودُ القزّ، والذُّباب، والبَعُوض، والبراغيثُ، والحُرْقُوص .

فأمّا النحل وما قيل فيه — قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِى مِنْ كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ . وعن أبى سَعيد الخُدْرىّ رضى الله عنه : أنّ رجُلًا أتى النبىَّ صلى الله عليه وسلم فقال : إن أخى يشتكى بطنَه يا رسول الله؛ فقال النبىّ صلّى الله عليه وسلم : "اِسقِه عَسَلا". ثم أتاه فقال : قد فعلتُ؛ فقال : "اِسقِه عسلا". ثم أتاه فقال : قد فعلت؛ فقال : "اِسقِه عسلا". ثم أتاه فى الرابعة؛ فقال : "صَدَق اللهُ وكَذَب بطنُ أخيك اِسقِه عسلا"؛ فسقاه فبَرِئَ الرجل .

وقال أرسطو : النحل تسعة أصنافٍ : ستّةٌ منها يأوى بعضُها إلى بعض، وذكر أسماءها باليونانيّة . وغِذاءُ[1] النحلِ من الفضول[2] الحُلْوةِ والرُّطوباتِ . والنحلُ

(١) كذا فى حياة الحيوان للدميرى ومباهج الفكر . وفى الأصلين : «وعدّ» وهو تحريف .

(٢) فى مباهج الفكر : «من الطل الحلو والرطوبات» .

لا تقعُـد على أزهارٍ مختلفةٍ بل على زهرٍ واحدٍ ؛ وإن قعدت على زهرٍ آخر فإنما تقعُد عليه بعد أن تنصرف إلى الخليّة . وبيوتُها من أعجب المبانى؛ لأنها مبنيّة على الشكل الذى لا يُنتَهك ولا يَنْخَرِق، كأنه حُرِّر بآلةٍ وقياسٍ هندسىّ . وإذا هلك شىء (١٤٠) من النحل فى باطن الخلايا أخرجَتْـه الأحياء إلى خارجها . وهو يعمل فى فصـل الربيع والخريف . والرَّبيعىّ أجود من الخَريفىّ . والصغير منه أعمَلُ من الكبير . وهو يشرب من المـاء النقىّ العذبِ الصّافى، ويطلبه حيث كان . وهو يَسْلُخ جلدَه كالحيّات . وتوافقه الأصـوات المُطرِبة . ويجتمع للتصفيق بالأيدى والرَّقص . والسوسُ يضرُّه . ودواؤه أن يُطرَح فى كل خليّةٍ كفٌّ من الملح ، وأن تُفتحَ فى كلّ شهر مرّةً وتُدَخَّنَ بأخْثاءِ البقرِ .

وقد وصف الشـعَراء الشُّهد والعسلَ فى أشـعارها؛ فمن ذلك قولُ إبراهيم بن خَفَاجة الأندلسىّ يصف شُهْدَةً بعث بها إليه بعضُ أصدقائه :

لله ريقـةُ نحـــلٍ * رعَى الرُّبى والشِّعابَا
وجاب أرضًا فأرضا * يَغْشَى مَصابا مَصابا (١)
حتّى ٱرتوى من شِفاءٍ * يمُجّ منـــه رُضَابا
إن شئتَ كان طعامًا * أو شئت كان شرابا

وكتب مع هـذه الأبيات رسالة ، جاء منها : " وكفَى النّحلةَ فضيلةَ ذات، وجَلالةَ صفات؛ أنّهـا أُوحِىَ إليها، وأُثنِىَ فى الكتاب عليها ؛ تعلم مساقِطَ الأَنْداء، وراء البَيْداء ؛ فتقع هناك على نُوارةٍ عَبِقه، وبَهَارةٍ (٢) أنِقه ؛ ثُمّ تصدُر عنها [بما تَطبعه

(١) المصاب : موقع الغيث .

(٢) البهار : نبت طيب الريح جعد له فقاحة صفراء ينبت وقت الربيع .

شمَعه، وتُبدعه صنعَه، وترتشف منها] ما تحفَظه رُضابا، وتلفظه شَرابا، وتجافى بعدُ(١) منه عن أكرم مُجْتَنَى، وأحكم مُبْتَنَى .

✤

وأمّا الزُّنبور وما قيل فيه — والزنبور يُسمّى "الدَّبْرَ" . وهو جَبَلىّ وسُهْلِىّ . فالجبلى يأوى الجبالَ والأماكنَ الخشِنةَ، وقد يُعَشِّش على الشّجر، ولونه إلى السواد . والسُّهْلى أحمرُ اللونِ ويتّخذ عُشّه تحت الأرض ويُخرج الترابَ منه كما يفعل النّملُ، وهو يختفى فى الشتاء فلا يظهر، وأكثره يهلِك . ومن السُّهْلِىّ صِنف مختلِفُ الألوانِ مستطيلٌ؛ وفى طبعه الشَّرَه يطلب المطابخَ ويأكل اللحم، ويطير مفردًا ويسكن بطنَ الأرض .

وصِنف الزنبور جميعُه مقسومٌ فى وسطه، وهو لذلك لا يتنفّس من جوفه ألبتّة . ومتى غُمِس فى الدُّهنِ سكنت حركاته وذلك لضيقِ منافذِه .

وقد وصفه الشعراءُ . فمن ذلك قولُ السُّلامىّ :

ولابِسِ لونٍ واحدٍ وهو طائرٌ * ملوّنة أبرادُه وهو واقعُ
أغرّ تردّى طَيْلَسانا مُدَبَّجًا * وسودُ المنايا فى حشاه ودائعُ
إذا حكّ(٢) أعلى رأسه فكأنما * بسالِفتيه من يديه جوامِعُ(٣)
يُخاف إذا ولّى ويُؤمَنُ مُقبِلًا * ويُخفِى عن الأقران ما هو صانعُ
بدا فارسىّ الزّىّ يعقِد خَصْرَه * عليه قَباءٌ زيّنته الوشائعُ(٤)

(١) زيادة عن مباهج الفكر .
(٢) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «حل» باللام وهو تحريف .
(٣) الجامعة : الغل لأنها تجمع اليدين الى العنق .
(٤) الوشائع : جمع وشيعة وهى الطريقة فى البُرد .

فمِعجرُه[(١)] الوَرْدِىُّ أحمر ناصِــعٌ * ومِــئْزَرُه التِّبْرِىّ أصفر فاقــعُ
يرجّع ألحـانَ الغَريضِ ومَعْبَـدٍ * ويَسْقِى كؤوسًا مِلؤها السمّ ناقِــع

وقال السَّرِىُّ الرَّفّاء يصفه :

ومُخْطَفِ الخصرِ[(٢)] بُرده حَـبِرُ[(٣)] * نَحـذَرُه وهو خائف حــذِرُ
مُجنَّــح طـار فى مُجنَّحـــةٍ * تصــعَد طـورًا به وتنحــدر
كأنّهــا والرياح تنـــثُرها * غرائبُ الزَّهْرِ حين تَنْتَــثِر[(٤)]
لهــا حُمَـاتٌ كأنها شــعر * تَظْهَــر مســوّدة وتســتتر
قد أُذهبتْ فى الجبين[(٥)] غُرّتُه * إذ فُضِّضتْ فى جيـادنا الغــرر
ســلاحُه الدّهــرَ فى مؤخّره * يطعَنُ طـورًا به وينتصــر
كأنّ شــطر الذى يُجــرّده * من بين فكّيه حيّــة ذكر

⁂

(١٤١) وأمّا العنكبوت وما قيل فيه — قد ضرب اللهُ عزّ وجلّ المثلَ فى الوَهْن بالعنكبوت، فقال تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنْكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ . والعنكبوتُ أصنافٌ : منها صِنْفٌ يُسمّى "الرُّتَيْلا"[(٦)] من ذوات السموم القواتل، وهو عنكبوتٌ

(١) المعجر : ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها .

(٢) مخطف الخصر : لاحقه وضامره .

(٣) الحبر (ككتف) : الناعم الجديد .

(٤) كذا فى ديوانه . وفى الأصلين : «...تنشرها * ... ... تنتشر» بالشين المعجمة فى الكلمتين .

(٥) كذا فى ديوانه . وفى أ : «الحين» . وفى ب : «الحين» وكلاهما تحريف .

(٦) كذا فى الأصلين والمخصص واللسان وشرح القاموس مادة « رتل » . وقد ضبطها الدميرى بالعبارة فى كتابه حياة الحيوان (بضم الراء المهملة وفتح الثاء المثلثة . وهو يمدّ ويقصر) .

صغير. ومنه صنفٌ طويل الأرجل . ومنه صنف يُسمّى "اللَّيْثَ" يصيد الذّبابَ، وله ست عيون وثمـانى أرْجُلٍ . وقال الجاحظ : ولَدُ العنكبوت يَقْوَى على النَّسْج ساعةَ يُولد ، وذلك من غير تلقينٍ ولا تعليم . وأوّل ما يولد دودًا صغارًا، ثمّ يتغيّر ويصير عنكبوتًا . وهو يُطاوِلُ فى السِّفاد(١) . ومنـه ما هو كبيرٌ ونسجُه رديءٌ ، ومنه ما هو دقيق . وهو فى نَسْجه يَمُدّ السَّدَى ثم يعمَل اللُّحمَة، ويبتدئ من الوسـط، ويُهيِّئُ موضعًا لِمَـا يصيده يكون له كالخزانة . والأنثى منـه هى التى تَنْسِجُ ، والذكر يَحُلُّ ويَنْقُضُ . والتى تَنْسِجُه لا تُخْرِجه من جوفها بل من خارج جسدها . وفَمُ العنكبوت مشقوقٌ بالطول . وهو إذا صاد الذّبابَ يَثِبُ عليه وُثُوبَ الفَهْد .

وقال الشـيخ الرئيس أبو علىّ بن سـينا : إنّ نَسْجَ العنكبوت يَقْطَعُ نَزْفَ الدَّم إذا جُعِل على الجِراحة، وإذا وُضع نَسْجُه على القروح منَعَها أن تَرِم وعلى الجراحات(٢). وإذا طُبِخَ العنكبوتُ الذى هو غليظ النَّسْج أبيضُـه بدُهْن الوَرْد وقُطِّر فى الأُذُن سَكَّن وجعَها . قال : وقال بعضُهم : إنّ نسجَ العنكبوت إذا خُلِط ببعض المراهم ووُضـع على الجَبْهة والصُّـدغين أبرأ حُمَّى الغِب . قال : وزعم بعضهم أنّ نسج الصِّنف الذى يكون نسجُه كثيفًا أبيضَ إذا شُدّ فى خيط وعُلِّق على العنق والعَضُد أبرأ حُمَّى الغِبّ .

وقال ٱبن الرومىّ يَصِف فهدَ العنكبوت :

أَعْجَبُ مُسْـتَفَادِ * أفـادنى زمانى

من الفهود فَهْـدٌ * فى ٱلاسم والعِيانِ

(١) إذا أراد العنكبوت السفاد جذب الذكر بعض خيوط نسج الأنثى من الوسـط ، فاذا فعل ذلك فعلت الأنثى مثله فلا يزالان يتدانيان حتى يتشابكا فيصير بطن الذكر قبالة بطن الأنثى .

(٢) كلمة «وعلى الجراحات» ليست فى القانون . وهى نابية فى السياق ، فلعلها من زيادات النساخ .

تلك ذواتُ أربعٍ * وذاك ذو ثمـان
كأنما أرْجُـلُه * مَخَالِبُ النغْـرانِ(١)
سَيْفاه سَيْفا بَطَلٍ * والدرعُ درعُ جانِ
مستأنِسٌ ما إنْ بَنَى * والإنْسَ فى مكان
وصائدٌ وهْو من الـ * ـمَصِيد(٢) فى أمان
ذُبَابُه فى كَفِّه الـ * ـطائرُ مثـل العـانى
وليس يبـغى بدلًا * بطائر الخوَان
إذا دَنَا فـلم يكن * بينهـما عقـدان
عانقَـه أسْرَعَ من * تعانُقِ الأجفـان
بخفَّـة الوثوب بل * بجُـرْأَة الجنَان
فهـو عزيزٌ عزَّةً * فى غاية الهَـوان

وقال خَلَف الأحمر فى الرُّتَيلاءِ .

ابعَثْ له يا ربِّ ذاتَ أرْجُلِ * فى فَمِهـا أجْنَأُ(٣) مثـلُ المِنْجَلِ
دَهْماءَ مثلَ العنكبوت المُحْوِلِ * تأخـذُه من تحتـه ومن عَلِ

* * *

وأمّا الجراد وما قيل فيه — فالجراد أحد جُنْد الله الذى عذّب اللهُ به قومَ فرعون ؛ قال الله تعـالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَـا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ

(١) النغران : جمع نغر، وهى فراخ العصافير، وقيل : البلبل أيضا .
(٢) فى مباهج الفكر : «من الصائد» .
(٣) الأجنأ : المعوج ويعنى به السِّن .

وٱلضَّفَادِعَ ﴾ . والعرب تقول : سَرَأَتِ الجرادةُ إذا باضت . فإذا خرج من بيضه فهو "دَبًى" ، ويخرج دودًا أصهبَ إلى البياض . فإذا تلونت فيه خطوطٌ صُفْرٌ وسُودٌ وبِيضٌ فهو "المُسَيَّحُ" . وإذا ضمّ جناحيه فذاك "الكُتْفَانُ" ؛ لأنه حينئذ يَكْتِفُ [في](١) المشي . فإذا ظهرت أجنحتُه وصار أحمرَ إلى الغُبْرة فهو "الغَوْغاء" والواحدة غَوْغاءة ؛ وذلك حين يستقلّ فيموج بعضُه في بعض و[لا](٢) يتوجّه إلى جهة . فإذا بدت في لونه الحمرةُ والصفرةُ وٱختلف في ألوانه فهو "الخَيْفَان" . وإذا ٱصفرّت الذكور وٱسودّت الإناث سُمّي حينئذ "جَرادا" .

[وهو إذا أراد أن يبيض التمس لبيضه المواضعَ الصَّلْدَةَ والصخور الصُّلْبة التي لا تعمل فيها المعاول فيضربها بذنبه فتنفرج له ، ثم يلقي بيضه في ذلك الصَّدْع فيكون له كالأُفْحُوص ويكون حاضنا له ومربِّيا(٢)] .

والجرادة لها ستّ أرْجُل : يَدان في صدرها ، وقائمتان في وسطها ، ورجلان في مؤخّر جسدها . وطرفا رجليها مِنْشاران . والجرادُ من الحيوان الذي ينقاد إلى رئيس [يجتمع إليه كالعسكر ، إن ظَعَن أوّله تتابع كلّه ظاعنا ؛ وإذا نزل أوّله نزل جميعُه(٢)] . ولُعابُه سمٌّ على الأشجار ، لا يقع على شيء منها إلا أَهْلَكه . والجرادة فيها شَبَهٌ من عشرة من جَبابرة الحيوان ، وهي : وجهُ فرس ، وعينا فِيل ، وعُنُقُ ثور ، وقرْنا إيَّل ، وصدرُ أسدٍ ، وبطنُ عَقْرب ، وجناحا نَسْر ، وفَخِذا جَمَل ورِجْلا نَعامة ، وذنبُ حيّة . قال شاعر(٣) :

لها فَخِذَا بَكْرٍ وساقا نَعامةٍ * وقادِمَتا نَسْرٍ وجُؤْجُؤُ ضَيْغَمِ (١٤٢)
حَبَتْها أفاعي الرمل بطناً وأَنْعمتْ * عليها جيادُ الخيل بالرأس والفَمِ

---

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) زيادة عن مباهج الفكر . (٣) هو القاضي محيي الدين الشهرزوري المتوفى سنة ست وثمانين وخمسمائة . (انظر حياة الحيوان للدميري في الكلام على الجراد) .

وقال أبو عليّ بن سِينا : أجودُ الجراد السمينُ الذى لا جَناح له ؛ وأرجلُ الجراد تَقلَع الثآليلَ فيما يقال . قال : يؤخَذ من مُسْتَدِيراتها آثنتا عشرة وتُنْزع رُءوسُها وأطرافُها ويُجعل معها قليـلُ آسٍ يابسٍ و تُشرب للاستسقاء كما هى . قال : والجراد نافع لتقطير البول؛ وإذا تُبُخِّر به نفع عسرَه وخصوصا فى النساء . ويُتَبَخَّر به من البواسير. والذى لا أجنحة له يُشْوَى ويُؤكل لِلَسْع العقرب .

وقال بعضُ الأعراب وذكر فساده : « بَاكَرنا وَسْمِىٌّ (١) ، ثم خَلَفَــه وَلِىٌّ ؛ حتى كأنّ الأرض وَشْىٌ منشور، عليه لؤلؤٌ منثور؛ ثمّ أتتنـا غيومُ جراد، بمَنَاجِلَ حداد، فأخربَت البلاد، وأهلكت العباد . فسبحان من يُهلِكُ القوىُّ الأكول ، بالضعيف المأكول » .

وقال العسكرىّ يصف جرادةً :

أجنـــحةٌ كأنّهـا * أرْدِيَةٌ من قَصَــبِ
لكنّها منقــوطة * مثل صدور الكُتُبِ
بأرجـــلٍ كأنّهـا * مَناشِرٌ من ذَهَبِ

وقال أيضا :

وأعرابيّـــة تَرتاد زادا (٢) * فتمرُق من بلاد فى بلادِ
غَدَتْ تمشِى بمِنْشارٍ كليلٍ * تَبُــوع (٣) به قَرارةَ كلّ وادِ
وتَنْشُرُ فى الهواء رِداء شَرْيٍ (٤) * على أطرافه نُقَطُ المِــدَاد

(١) الوسمىّ : أوّل المطر . والولىّ : المطر بعده .

(٢) كذا فى ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى . وفى الأصلين : « تزداد دارا » .

(٣) باع الشىء يبوعه : أدرك غايته .

(٤) كذا فى ديوان المعانى . والشرى : الحنظل . وفى الأصلين : «وتنشر فى الهوا عذبات شرب» .

وقال يَعْلَى بن إبراهيم الأندلسىّ :

وخيفانةٍ صفراءَ مسودّةِ القَرا[1] * أتتكَ بلَوْنٍ أسودٍ فوقَ أصفرِ
وأجنحة قد ألحقتها لرؤيةٍ[2] * تقاصَرُ عن أثناء بُرْدٍ مُحَبَّرِ

وقال آخر :

جرادةٌ حَنَّتِ[3] القلوبُ لها * حين أشارت بناظِرَىْ رَبْرَبْ
صفراءُ جسمٍ يَشُوبُها رَقَطٌ * فى نُقَطٍ من عَبيرِها الأشهبْ
كأنها والجَناحُ حُلَّتُها * راقصةٌ فى مُمَسَّكٍ مُذْهَبْ

ووقفتُ على حكاية عجيبة فى أمر الجراد، نقلها ٱبنُ حلب راغب[4] فى تاريخه فى حوادث سنة ٱثنتين وتسعين وخمسمائة ، قال : قال القاضى الفاضل عبد الرحيم البَيْسانىّ : حدّثنا القاضى بهاء الدّين بن شَدّاد قاضى حلب فى يوم الثلاثاء من عشر [شهر] رَبيع الأول سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، وقدِم علينا فى صفر منها ، قال : كان الجراد بالشأم قد زاد أمرُه وعظُم خَطْبه وأمحلت السّنةُ بعد السّنة ولم يسلم من الزرع إلا أقله ؛ فأُعلِم الملكُ الظاهر[5] غازى صاحب حلب عن طائر يسمى "السَّمَنْدَل"،

(١) القرا : الظهر . (٢) كذا فى الأصلين . وفى مباهج الفكر : «كِرْدية» . والرِّدْيَةُ : ٱسم من الارتداء . ولعله « أُلحمتها كِردية » من ألحمه الخاف : ألبسه إياه .

(٣) كذا فى مباهج الفكر ، وقد وردت هذه الكلمة محرفة فى الأصلين .

(٤) لم نجد فى كشف الظنون فيمن ألفوا فى التاريخ هذا الاسم .

(٥) هو أبو الفتح غازى الملقب بالملك الظاهر ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . كان ملكا مهيبا حازما متيقظا ، كثير الاطلاع على أحوال رعيته وأخبار الملوك ، عالى الهمة ، حسن التدبير والسياسة ، باسط العدل ، محبا للعلماء ، مجيزا للشعراء ، أعطاه والده مملكة حلب فى سنة ٥٨٢ ﻫ بعد أن كانت لعمه الملك العادل فنزل عنها وتعوّض غيرها . ولد بالقاهرة فى منتصف رمضان سنة ٥٦٨ ﻫ وهى السنة الثانية من استقلال أبيه بمملكة الديار المصرية ، وتوفى بقلعة حلب فى جمادى الآخرة سنة ٦١٣ ﻫ (راجع تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٥٧٢ طبع بولاق) .

إذا ظهر الجرادُ ببلاد أحْضِر إليها ماءٌ من مكان مخصوص فتبعه ذلك الطائرُ ووقع على الجراد فأتلفه وآستخرج بيضَه من التراب ونَظَّفَ البلادَ منه . قال : فنـدب ثلاثة نفـرٍ من العجم ذوى قوّة فى أبدانهم وصَبْرٍ على مشـقّةِ المَشْى فى أسفارهم ، وأزاح عِلّتهم بنفقة وسَّـعَها عليهم، وساروا على خُوزِسْتان، واسـتدلّوا على الضَّيْعة التى هى من عملها وفيها هذا المـاءُ، فوصلوا إليها وحملوا من المـاء، ووجدوا هـذه العين على وجه الأرض لا تبلغ إلى أن تَفِيض فتسيح ولا إلى أن تَغِيض فتُسْـتَقَى . ومن تدبير هذا المـاء إلى أن يتمّ به المرادُ أن يحمِـله المـاشى ولا يركب، وإذا نَزل بمنزلة علّقه ولا يضعه على الأرض؛ وكان الملك الظاهر قد سيّر معهم دوابَّ يركبُها من لم يحمل المـاء بالنَّوبة ويمشى من يحمله ؛ ومن عادة من يحمله ألّا ينفردَ بنفســه وألّا يســيرَ إلّا فى قافلةٍ وأن يُعلم أهلَها بمـا معه ويُشهِدَهم أنه ما ركِب ظهرَ دابّةٍ فى حال حمله ، وأنه مشى والمـاءُ فى إنائه فى يده؛ وكلّمـا وصلَتْ قافلةٌ إلى بلد أدّى شهودُ القافلة ما شَهِدوا به عند الحاكم؛ ويَتَنجّزُ حاملُ المـاء كتبًا حُكميّةً من قُضاة البلاد فى أمر المـاء بصحّة نسبه وكيفيّة حَمـلِه . قال : ولم يزالوا على ذلك إلى أن وصلوا إلى حلب، فعُلِّق ذلك المـاء ووصل ذلك الطائرُ فى حمع بجَمع الجَراد وأكثر، (١٤٣) وهو يشبه السُّمَانَى فى قَدْره ولونه، ووقَع على الجراد فأتلفه وآستأصله . قيل : إنّه كان يأكل الجرادةَ والثنتين والثلاث والأربع فى دَفْعَة ويرميها فى الحال من بطنه، وإنه يتتبّع مكانَ بيضــه فى الأرض فيبحث عنـه بمناقيره وأخرجه، حتى صارت الأرض كالغِرْبال من أثر نقره، وإنّ الجراد آرتفع من الشام وكُشِفَتْ به البلوى . قال : وأمرُ هـذا المـاء مشهور معلوم مستفيض .

***

وأمّا دُودُ القَزّ وما قيل فيه — ودود القَـزّ وإن لم يكن من الهَمَج الذى له جَناح ، فمـآلُ أمرِه أن يصيرله جناحٌ؛ ولذلك أوردناه فى هذا البـاب وألحقناه بهذا النّوع .

ودُودُ القَـزّ أوّلُ ما يكون بِزْرًا فى قَدْر حبّ التين، وهو البيض الذى يتكوّن فيه الدُّودُ . ويكون خروجُه منه فى أوّل فصل الربيع . ويخرجُ أصغرَ من الذَّرّ ، وفى لونه . وإذا تأخّر خروجُه وضَـعه النســاء تحت ثُدِيِّهِنّ فى صرر . فإذا خرج غُذِّىَ بورق التوت . ويأخذ فى النموّ إلى أن تصـير الدودةُ منـه فى قَدْر الإصْـبَع وينتقل من السواد إلى البياض [أوّلًا فأوّلا] (١) ، وذلك فى مدّة ستين يوما فما دونها . وله فى غضون هذه المدّة نَوْماتٌ لا يأكل فيها شـيئًا ٱلبَتَّةَ، كُلُّ نومةٍ يومان؛ فإذا آستيقظ أكل أضـعاف ما كان يأكل قبـل النوم . فإذا أكمل المُدَّةَ آمتلأ حريرا فلا يبقى فيـه مَساغٌ لمأكل، فيقطع الأكلَ عند ذلك ويَهيج للنَّسْـج ؛ فأىّ شىء تعلّق به نَسَج عليـه . وهو يَنْسِجُ على نفسه بمـا يُخرِجه من (٢) فيه إلى أن يُخْرِجَ ما فى جوفه، وهو أَرَقّ من العنكبوت، ويُكمِل عليه ما يبنيه، فيكون كهيئة اللَّوزةِ (٣) . ويبقى محبوسا فى غَزْله قريبًا من عشرين يوما ، ثم يَنقُب عن نفسه ويخرج فَراشًا أبيض ذا جناحين لا يَسكُنان عن الآضـطراب وقرنين وعينين . وهو إذا نقَب عن نفســه وخرج لا يُنتفع من نســجه بحرير لأنه يقطع طاقاته . وعنـد خروجه

---

(١) زيادة عن مباهج الفكر وحياة الحيوان للدّميرى .

(٢) كذا بالأصلين . ولعله يريد : « من نسج العنكبوت » .

(٣) فى مباهج الفكر وحياة الحيوان : «الجوزة» .

يهيج للســفاد فيُلصِق الذكرُ ذنبه بذنب الأنثى ويلتحمانِ ساعة زمانيّــة ثم يفترقان ، وتنثر الأنثى البِزر على الصــفة التى ذكرناها على خِرَقٍ بِيضٍ تكون قد فُرِشت له . فإذا نفِـد ما فيهما من السفاد والبِزر ماتا . هذا إذا أريد من الدود الـبِزرُ . وإذا أريد منه الحرير تُرِك ذلك النسج فى الشمس بعض يومٍ فيموت .

وقد جعله بعض الشعراء مثلا للحريص على جمع المـال، فقال :

يُفنِى الحريصُ لجمع المـال مُدّتَهُ * وللحــوادث والوُراث ما يَدَعُ
كدودة القَــزّ ما تَبنيــه يُهلِكُها * وغيرُها بالذى تَبنيــه ينتفــعُ

وهو كثيرُ العوارض . وأكثرُ ما يَعْـرِض له الفسادُ إذا اطعِم ورَقَ التُّــوت الحامض . ويَهْلِكُ من صوت الرعد وضرب الطَّسْت والهَاوُن، ومن رائحة الخَـلّ والدُّخان . وكثرة الحرّ تُهلكه وتُذيبه؛ وكذلك البردُ الشديدُ فإنه يبطئ به . ويؤذيه مَسُّ الجُنُب والحائض، ويُخشَى عليه من الفأر والعصفور والنمل والوَزَغ .

* * *

وأما الذُّباب وما قيل فيه — فقد ضرب اللهُ عزّ وجلّ به المثلَ فقال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَـلٌ فَٱسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ لَنْ يَخْلُقُــوا ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْــهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ . فهذا مَثَلٌ ضَرَبه اللهُ تعالى لضَعْف الناس وعجزِهم عن الإتيان بمخلوقٍ . وجاء فى الحديث : "إذا سَقَطَ الذّبابُ فى طعام أحدكم أو شرابه فلْيَغْمِسْه فإنّ فى أحد جناحيه داءً وفى الآخر شفاءً" . ويقال : إنه يَغْمِس جناحَ الداء ويَرفعُ جناحَ الشــفاء، فلهذا نُدب إلى غَمْسه . والعرب تجعل النحلَ والفَرَاش والدَّبْر من الذباب .

قال الجاحظ : „ والذبابُ ضروبٌ سوى ما ذكروا[١] من الفَرَاش والنحل والزَّنابير“ ؛ فمنها الشَّعْراء[٢] . قال الراجز[٣] :

* ذبابُ شَعْرَاء ونبتٌ مائل[٤] *

وللكلاب ذبابٌ على حِدة يتخلّق منها فلا يريد سواها . ومنها ذباب الكَلَأ والرِّياض ؛ وكلُّ نوع منها يألف ما خُلِق منه“ .

ومنها الذّباب الذى يقتل الإبل وهو أزرق . والذّبابُ الذى يسقط على الدّوابّ وهو أصفر . ويقال : إنّ الذّباب يكثر إذا هاجت ريحُ الجَنوب وإنّه يُخْلَق فى تلك الساعة ؛ وإذا هبّت ريحُ الشمال خَفّ وتلاشَى . وهو من ذوات الخراطيم ، وكذلك البعوض . ويقال : إن الذّباب لا يُعمَّر أكثر من أربعين يوما . (١٤٤)

قال الجاحظ : „ وليس بعدَ أرض الهند أكثرُ ذُبابًا من واسِط[٥] ، وربّما رأيت الحائطَ وكأنّ عليه مِسْحًا شديدَ السواد من كثرة [ما عليه من][٦] “ الذباب .

ويقال : إن اللّبَنَ إذا ضُرِبَ بالكُنْدُس[٧] ونُضِح به بيتٌ لم يدخله ذُبابٌ .

ومن عجيب أمر الذباب أنه يلقِى رجيعَه على الشيءِ الأبيض أسودَ وعلى الأسودِ

---

(١) كذا فى الحيوان للجاحظ (ج ٣ ص ٩٧ طبع مصر، لوحة ١٤٣ من النسخة الفوتوغرافية) . وفى الأصلين : «سوى ذلك» .

(٢) كذا فى الحيوان للجاحظ . وفى الأصلين : « ذباب الشعراء » .

(٣) كذا فى الحيوان للجاحظ . وفى الأصلين : « قال الشاعر » .

(٤) كذا فى النسخة الفوتوغرافية من الحيوان للجاحظ . وفى النسخة المطبوعة : « و بيت ماذل » . وفى الأصلين : « ونبت مادل » بالدال المهملة .

(٥) واسط : بلد متوسط بين البصرة والكوفة بناها الحجاج بن يوسف الثقفى .

(٦) زيادة عن الحيوان للجاحظ .

(٧) الكندس : الخرشف البستانى، وهو عروق نبات داخله أصفر وخارجه أسود .

أبيضَ . ويقال : إنه لا يظهر إلّا فى (١) مواضعِ العُفُونات والقاذُوراتِ، ومُبْتَدأُ خلقه منهـا، ثم يكون من السِّفاد .

قال الجاحظ : ويقال : إنّ الذّباب لا يَقْرَب قِدْرًا فيه كَمْأَةٌ .

والذّباب بطىء فى سِفاده ، وربّمـا بقِيَ الذّكرُ على ظهرِ الأنثى عامَّةَ النّهـار ؛ فهو يتجاوز فى ذلك البعيرَ والخنزيرَ. وهو من الحيوان الشّمسىّ لأنه يَخفى فى الشتاء ويظهرُ فى الصيف . وللذّباب يدان زائدتانِ فى مُقَـدَّم يديه يتّقى بهما الأذى عن عينيه فإنهما بغير أجفان .

والعرب تضرب به المثلَ فى الزَّهْو فتقول : « أَزْهَى من ذُبَابٍ » . قالوا : لأنّه يسـقط على أنف الملك الجبّار وعلى مُوقِ عينيه ويطرُدُه فلا ينطرد . ويُضرب به المثلُ فى القَذَرِ واستطابة النَّتْنِ . فإذا عجَز الذُّبابُ عن شمّ شىء فلا شىء أنتن منه .

وقال ابن عَبْدَل فى محمد بن حَسّان بن سعد ورماه بالبَخَر :

وما يدنو إلى فيـه ذُبابٌ ✽ ولو طُلِيَتْ مَشَافِرُه بقَنْـدِ (٢)
يَرَيْنَ حَلاوةً ويَخَفْنَ موتاً ✽ ذُعَافًا إن هَمَمْنَ له بوِرْدِ

ويقال لكلّ أبخر : أبو ذِبَّان، وكانت من كُنَى عبد الملك بن مروان .

وقد وصف الشعراءُ الذّبابَ، فمن ذلك قولُ عنترةَ :

جادتْ عليهـا كُلُّ عينٍ ثَرَّةٍ ✽ فتَرَكْنَ كلَّ حديقـةٍ كالدِّرهمِ (٣)
فترى الذّبابَ بها يُغنِّى وحدَه ✽ هَزِجًا كفعل الشارب المُتَرَنِّمِ
غَرِدًا يَحُـكُّ ذراعَه بذراعه ✽ فِعْلَ المُكِبِّ على الزِّناد الأجْذَمِ

(١) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين « من » .

(٢) القند (بالفتح) : عسل قصب السكر .

(٣) ويروى « كل قرارة » (انظر اللسان مادتى « ثر وحدق » .

وقال العسكرىّ وجمع بين البراغيث والبَعُوض والذُّباب :

وبدا فغنّانى البعوضُ تَطَـرُّبًا * فهرَقْتُ كأسَ النـوم إذ غنّانى
ثمّ ٱنبرى البُرغوث ينقُط أضْلُعِى * نقطَ المعـلِّم مُشْكِلَ القـرآنِ
حتى إذا كَشَفَ الصباحُ قِنـاعَه * قَرَأَتْ لِىَ الذِّبَّانُ بالألحـانِ

✥

وأمّا البَعُوض وما قيل فيه — والبعوضُ صنفان: صنفٌ يُشْبِه القُرَاد، لكن أرجُله خفيّةٌ ورطوبته ظاهرة، يُسمَّى بالعراق والشـام "الجِرْجِس" و"القُسَافِس"، وبمصر "البَقّ". ويَشَمُّ رائحةَ الإنسان ويتعلّق به. وله لَسْعٌ شديد. ولدمه إذا قُتِـل رائحةٌ كريهة. ويقال: إنّه يتولّد من النَّفَس الحارّ [ولشدّة رغبته فى الإنسان لايتمالك إذا شمّ رائحته، فإذا كان فى السقف رمى بنفسه عليه فلايخطئه][1]. وهذا الصنف ليس من الطير. والصنف الثانى طائر ويُسمّيه أهلُ العراق "البَقّ" و"البَعُوضَ". ويسمّيه أهـلُ مصر "الناموسَ". وهو يتولّد من المـاء الراكد، وإذا صار المـاءُ رَقْرَاقًا ٱستحال دَعَاميص[2]، ثمّ تستحيل الدعاميص فَرَاشًا. والبَعُوض فى خِلْقة الفيل إلّا أنه أكثرُ منه أعضاءً، فإنّ للفيل أربعَ أرْجُلٍ وخُرطومًا وذَنَبًا، وله مع هـذه الأعضاء يدانِ زائدتانِ وأربعةُ أجنحة. وخُرطومُ البعوض [أجوف][1] نافذُ الخَرْق، فإذا طعَنَ به جلدَ الإنسان ٱستقى به الدَّمَ وقذف به إلى جوْفه. وفيه من الشَّرَه أن يمتصّ من دم الإنسان إلى أن ينشقَّ ويموتَ، أو يمتصّ إلى أن يَعجِزَ عن الطيران. ومن عجيب أمره أنه ربّما قتل البعيرَ وغيرَه من ذوات الأربع، فيبقى

(١) زيادة عن مباهج الفكر.

(٢) الدعاميص: جمع واحده دعموص، وهو دويبة أو دودة سوداء تكون فى الغدران إذا نشت (يبس ماؤها).

طريحا فى الصحراء فيجتمع حوله السّباعُ والطيرُ التى تأكل الجِيفَ، فمن أكل منها منه مات لوقته فى موضعه . ويقال : إنّ بعضَ جبابرة الوُلاة بالعراق كان يقتلُ بالبعوض، فيأمر بمَنْ يريد قتلَه أن يُجرَّدَ من ثيابه ويُرْبَط ويُخْرَجَ إلى بعض الآجام التى بالبطائح فيوجد فى أسرعِ وقتٍ عظاماً عاريةً من جلدٍ ولحم .

وقال الجاحظ : بَعُوض البطائح بجَرَّارات(١) الأهواز وعقاربِ شَهْرَزُور . وربّما ظَفِر بالسكران النائم فلا يُبقى فيه إلّا العِظامَ العارية .

وقد أكثر الشعراء فى وصف البَعوض؛ فمن ذلك قولُ فرج بن خَلَف الأندلسىّ :

(١٤٥) بعوضٌ جَعَلْنَ دمى قهوةً * وغَنَّيْنَنى بصنوف الأغانْ(٢)
كأنّ عُرُوقِى أوتارُهنّ * وجسمى الرَّبابُ وهنّ القِيانْ(٣)

وقال آخر :

إذا البَعُوض زَجِلَتْ أصواتُها * وأخَذ اللحنَ مُغنّياتُها
لم تُطْرِب السامعَ خافِضاتُها * وأرّق العينين رافِعاتُها
صغيرةٌ كبيرة أذاتُها * تنغّصُ عن بُغيتها بُغاتُها
ولا يُصيب أبدًا رُماتُها * رامحةٌ خُرطومُها قَناتُها

وقال أبو هلال العسكرىّ :

غِناءٌ يُسْخِن العينَ * ويَنفِى فَرَحَ القلبِ
ولا يأتى على الزَّمْرِ * ولا يجرى مع الضربِ
غِناءُ البَقّ بالليل * يُنافِى طَرَب الشَّرْبِ

(١) الجرارات، جمع جرارة : عقيرب صفراء على شكل التبنة تجرّ ذنبها .

(٢) فى الأصلين : «الأغانى» بالياء .

(٣) فى مباهج الفكر : «البنان» .

إذا ما طــرَقَ المَــرْءَ * جرى فى طَلَقِ الكربِ
إذا ما نقَب الجــلدَ * ةَ أخــفى أثَرَ النَّقبِ
سوى حُمْــرٍ خَفِيَّاتٍ * نُحَــا كِى نُقَطَ الكُتْبِ

وأمّا البراغيث وما قيل فيها — والبُرْغوث أسودُ أحدبُ . وهو من الحيوان الذى لا يَمشى، وإنمــا أوردناه مع ذى الجَناح لأنه ذو وَثْبٍ لا يَقْصُر عن الطيران، ومنــه أيضا ما يمشى ولا يَثبُ . وقالوا : إنه يُطيل السِّــفادَ ، ويبيض ويُفَرِّخ . وأصــلُه متولِّد من التراب فى المواضع المظلمة . وهو يكثُر ويستطِيل ويؤذِى فى أواخر الشتاء وفصلِ الربيع . وإذا آشتدّ عليه الحرُّ هلك .

ومن جِناس الكلام فيه قولهم : أذى آلبراغِيث إذا آلْبَرَى غِيث . يعنُونَ بآلبَرَى التراب إذا نزل عليه المطر .

والبرغوثُ يكْمُن بالنهار ويظهر بالليل. ويشتدّ أذاه للإنسان إذا أخذ مَضْجَعَه. وهو يطول لُبْثُه بمصر؛ ولا يُوجد فى البلاد الحارّة مثــل صعيد مصر ولا فى البلاد الشديدة البرد .

وقــد أكثر الشعراءُ فى وصــف البراغيث وأفعالها؛ فمن ذلك قولُ أبى الرَّمَّاح الأسدىّ وكان قد سكن مصر :

تَطاول بالفُسْطاط ليلِى ولم أكن * بِحِنْوِ الغَضَى ليــلى علىّ يطولُ
يؤرّقنى حُــدْبٌ صغــارٌ أذِلَّةٌ * وإنّ الذى يُوقِظْنــه لذليــلُ
إذا ما قتلنــاهنّ أُضْعِفن كثرةً * علينــا ولا يُنْــعَى لهنّ قتيلُ
أَلَا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلةً * وليس لبرغوث إلىّ سبيــلُ

وقال العسكرىّ من أبيات :

ومن براغيثَ تَنْفِى النومَ عن بصرى * كأنّ جَفْنِىَّ عن عينى قصيرانِ
يَطْلُبن منّىَ ثأرًا لستُ أعرفه * إلّا عداوة سودانٍ لبيضانِ

وقال أبو [الحسن أحمد بن] أيّوب(١) البصرى المعروف بالناهى :

لا أعذُلُ الليلَ فى تطاوُله * لو كان يَدرى ما نحن فيه نَقَصْ
لى فى البراغيث والبعوض إذا * يُلْحِفُنا حِنْدِسُ الظلام قَصَصْ
إذا تَغَنَّى بَعُوضُه طَرَباً * ساعد برغوثَه الغِنا فَرَقَصْ

وقال عبد المؤمن بن هبة الله الأصبهانىّ :

بات البراغيثُ فى الفراش معى * تَقْسِمُنِى قسمةَ المواريثِ
أكلننى بعد ما شَرِبن دمى * فَمَن مُغيثى من البراغيثِ

وقال أيضا فيها : (١٤٦)

إنّ البراغيثَ إذا ساوَرت * من كِنّها ترقُص أو تَقْرُصُ
وكلّما غَنّت بَعُوضٌ لها * فهى على شُرْب دمى أحرصُ
تَقْفِز من ثَمّ إلى هاهنا * كأنها زِنجيّة تَرْقُصُ

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدِّيَنَوَرِىّ :

وحُمْش القوائم حُدْب الظهورِ * طرَقْن فِراشِى على غِرّةِ
ويَنْقُطْنَنِى بخراطيمهنّ * كنَقْط المصاحف بالحُمْرة

وقال ابن المعتزّ :

وبراغيثَ إن ظَفِرْنَ بجسمى * خِلْتَ فى كلّ موضع منه خالا

---

(١) فى الأصلين : « أبو أيوب النصرى » . والتصحيح والزيادة عن يتيمة الدهر .

*
* *

وأمّا الحُرْقُوص وما قيل فيه — فقد ذكره الجاحظ فى كتاب الحيوان فقال : وزعموا أنه دُوَيْبّــة أكبرُ من البرغوث ؛ وأكثرُ ما يَنْبُت لها جَناحانِ بعد حين . وعَضّــةُ الحُرْقوص أشــدُّ من عَضّة البرغوث . قالوا : والحرقوصُ يُسمّى النُّهَيْكَ . وأكثرُ ما يَعَضّ أَحْرَاحَ النســاء وخُصَى الرجال . قال أعرابى وقد عَضّ الحرقوصُ خصيتيه :

لقد منَع الحَرَاقِيصُ القَرَارا * فلا ليــلًا نَقِرّ ولا نَهــارا
يُغالِبْن الرجالَ على خُصاهُمْ * وفى ٱلأَحْرَاحِ دَسًّا وٱنْجِحارا

وقالت ٱمرأة تشير إلى زوجها :

يَغَارمن الحُرْقوص إنعَضّعَضّةً * بمَخْذَىً منهــا ما يجدّ غَيُــور[1]
لقد وقَع الحرقوصُ مِنّى موقِعًا * أرى لذّةَ الدّنيا إليــه تَصِــير

---

(١) كذا ورد هذا الشطر فى الأصلين .

البـاب السابع من القسم الخـامس
من الفن الثالث فى أنواع الأسماك

قال آبن أبى الأَشْعث : السمكُ يَستَنْشِقُ آلمـاءَ بأصداغه فيقوم له مَقامَ الهواء للإنسان . والسمكُ كلُّه شَرِهٌ كثيرُ الأكل، وحاسّــةُ السمع والشمّ فيه أقوى منهـا فى الإنسان . وآســتدلّ على ذلك بأدلّة يطول شرحها . وحاسّــةُ البصر فيه ليست كالسمع والشمّ وإنمـا أضعف . ولسانُه غليظ قصير شبيه باللسان وليس لسانا . وله أضراس ليست للمضغ عليها و إنما لقتل ما يفترسه من حيوان المـاء، ويُفْرِغ فيه سُمّـا يكون سببا لقتله . وصِغار السمك تحـترز من كِباره بأن تطلب المـاءَ القليل الذى لا يحمِل الكِبارَ .

وآختلف الناس فى سِفاد السمك ، فالأكثرُ على أنه يسفَد مثلَ الحيّة . وقال الجـاحظ : وفى السمك القواطعُ والأوابدُ كالطير . ومن أصـناف السمك ما هو فى شكل الحيّـات . قال : وهى إما أن تكون كانت بَرِّيّة أو جبليّــة فاكتسحتها السيولُ وألقتها فى المـاء الدائم فتوالَدَتْ فيه ؛ وإما أن تكون أمهاتهـا وآباؤها من دوابّ المـاء .

وقال الشيخ الرئيس أبو علىّ بن ســينا فى الأدوية المفردة : أفضـلُ السمك فى جثّتــه ما كان ليس بكبير جدّا ولا صُلْب اللحم ولا يابســه، لا دُسُومة فيــه كأنه يتفتّت، والذى لا مُخاطيّة ولا سُهُوكة فيه وطعمُه لذيذ، فإن اللذيذَ مناسبٌ، وما هو دَسِمٌ دسومةً غيرَ مُفرطةٍ ولا غليظةٍ ولا شحميّة ولا حِرِّيفة، والذى لا يُسْرِع إليه النَّتَن إذا فُصل عن المـاء . ويُختار من السمك الصُّلْبِ اللحمِ ما هو أصغر، ومن الرَّخْص

اللحم ما هو أكبرُ إلى حدٍّ ما . وصُلْبُ اللحم مملوحًا خيرٌ منه طَرِيًّا. وأمّا فى الأجناس فالشبَّابِيطُ أفضلُها ، ثم البُنِّىّ، والبِيَاحُ[١] البحرىُّ لا بأس به . وأما فى مأواه[٢] فالذى يأوِى الأماكنَ الصخريّةَ ثم الرمليّةَ والمياه العَذْبَة الجارية التى لا قَذَر فيها ولا حَمْأة وليست بَطِيحِيّةً[٣] ولا نَزِّيّةً ولا من البحيرات الصغار التى لا تَسقِيها الأنهارُ ولا فيها عيونٌ . قال : والسمكُ البحرىّ محمودٌ لطيف؛ وأفضلُ أصنافه الذى لا يكون (١٤٧) إلا فى البحر واللُّجة . والذى يأوِى ماءً مكشوفا ترفرفُ الرِّياحُ عليه أجودُ من الذى بخلافه . والذى يأوِى ماءً كثير الاضطراب والتموّج أجودُ من الذى يأوِى الماءَ الراكدَ . والسمكُ البحرىّ لطيف اللحم لا سيما إذا كان مأواه فى الشطوط صخرًا أو رملًا؛ والذى يصير من البحر الى أنهارٍ عذبةٍ يعارض جِريةَ الماء بالطبع لطيفٌ كثيرُ الرِّياضة .

وأمّا غِذاؤه ، فالذى يغتذى بالحشيش وأصولِ النبات خيرٌ من الذى يَغتذى الأقذارَ التى تُطرح من البلاد إلى المستنقعاتِ. وأفضلُ ما يُؤكل السمك اسفيدباجا[٤] ثم المشوىّ على الطّابَق . وأما المَقلِىّ فيصلُح لأصحاب المِعَد القويّة ومعه الأبازير[٥] . والمشوىُّ أغذى وأبطأ نزولًا، والمطبوخُ بالضدّ . وأفضلُ طبيخه أن يُطبخَ الماء حتى يَغْلِى ثم يُلقَى فيه .

(١) ضبطه فى القاموس ككتّاب وكتّان .

(٢) كذا فى قانون ابن سينا . وفى الأصلين : « مياهه » .

(٣) البطيحية : نسبة الى البطيحة وهى الماء المستنقع .

(٤) الاسفيدباج : نوع من طعام السمك . (راجع طريقة صنعه فى كتاب الأطعمة النسخة الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٢ علوم معاشية) .

(٥) الأبازير : التوابل التى منها الكسبرة والمصطكا والفلفل والدارصينى والكراويا والزنجبيل وزرّ الورد .

وأمّا المـالحُ، فخيرُه ما كان طريًّا قريبَ العهد بالتمليح . وأحْمَدُه المَمْقُور(١) بالخلّ والتَّـــوَابِل .

وأمّا طبعُــه ، فجميعُ السمك باردٌ رطبٌ ، لكن بعضــه أسخنُ بالقياس إلى مِزاج السمك مثل الكَوْسَج(٢) والمـارماهيج(٣) .

وأمّا أفعالُه وخواصُّه، فالطَّرِىّ منه يولِّد البلغمَ المـائىَّ مُرْخٍ للأعصاب ، غيرُ موافقٍ إلا للَعِدةِ الحارّةِ جدًّا . قال : وجِلدُ السمك المعروف "بسيفيانوس"(٤) فى ناحية بيت المقــدس إن ذُرّ رمادُ جلدِه فى عيــون(٥) المواشى أذهَب بياضَها . والمـالحُ من أصناف السمك يُخرج السُّلّاءَ(٦) من المَنَاشب(٧) . قال : ورأس "سماريس"(٨) مُحرَقًا يَقلَعُ اللحمَ

(١) الممقور : المنقوع .

(٢) الكوسج : نوع من السمك له خرطوم كالمنشار يفترس ، وهو فى المـاء شرّ من الأســد فى البرّ . والحيوانات البحرية تنفر منه .

(٣) المـارماهيج : هو السليناج المعروف بالنون ، وهو حوت طو يل .

(٤) كذا فى القانون طبع بولاق . وفى الأصلين : «بسفياس» .

(٥) كذا فى القانون . وفى الأصلين : «عنق» ، وهو تحريف .

(٦) السلاء : شوك النخل ، الواحدة سلاءة . وذلك أنه إذا تضمد بلحم السمك المـالح وخصوصا « الجرى » منه أخرج السلاء من عمق البدن . و يقال : إن لحم « الجرى » قوته قوة جاذبة ، فاذا قدّد ودق ووضع من خارج أخرج السلاء كما أنه يخرج النصول والزجاج . (راجع مفردات ابن البيطار فى اسم «جرى») . وفى الأصلين : «السل» وهى لغة عامة مصر فى السلاء .

(٧) المناشب : جمع منشب ، وهو اسم مكان من النشوب .

(٨) وردت هذه الكلمة فى الأصلين هنا : «سمارس» ، وفيما يأتى : «سماريوس» . وقد أثبتناها كما وردت فى مفردات ابن البيطار (طبع مصر سنة ١٢٩١ هـ) . ووردت فى كتاب القانون لابن سينا : «سماريس» و «سماروس» فى أكثر من موضع .

الزائدَ فى القروح ويمنع سَعْتَها ويَقلَع التآليلَ[1] والْيوث[2] . وماء السمك المـالح ينفع من القروح العَفِنة ويَغسِلها . قال : واذا ٱحتُقِن بِسُلاقة المـالح مرارًا نَفع من وجع الوَرِك . والســمكُ الصغار الذى تسمّيه أهلُ الشام[3] ومصر "الصِّيرَ" إذا تمضمض صاحبُ القُلَاع[4] الخبيثِ بالمُرِّىّ[5] الذى يُتَّخذ منه نفعه . و"الرَّعّاد" الحىّ إذا قُرِّب من رأس المصدوع أخدَره [عن الحسّ[6] بالصداع] . قال: وجلد "سيفيانوس" تُحَكّ به الأجفانُ الجرِبةُ فينفع، وجلدُه المحرَقُ أيضا يدخل فى أدوية العين؛ ويُذهِب[7] الاكتحال به مع الملح الظَّفَرة[8]، وأكلهُ مَقلِيًّا[9] يورث غِشاوةَ العين بل جميعُ الســمك؛ ورءوسُ

(١) التآليل : جمع ثؤلول . قال العلامة السمرقندى : هى بثور صغيرة شديدة الصلابة مستديرة، وهى على ضروب شتى فنها منكوسة، ومنها متشققة ذات شظايا، ومنها مسمارية وهى غليظة الرءوس مستديرة الأصول تأخذ الى داخل العضو وكأنها مسمار (عن قاموس الأطباء للقيصونى المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٣٢ طب) .

(٢) وردت هذه الكلمة فى الأصلين غير واضحة الإعجام . وقد أعجمناها كما وردت فى مفردات ابن البيطار . ونص عبارته : «... سماريس وهو صنف من السمك رأس المملوح منه اذا أحرق قلع اللحم الزائد فى القروح ومنع القروح الخبيثة من أن تسعى فى البدن، ويقلع الثآليل التى يقال لها أبلو واللحم الزائد فى الأبدان الذى يقال له باليونانية بومو وتسميه الأطباء بالعربية اليوث ...» .

(٣) كذا فى القانون . وفى ا : «أهل مصر الخ» . وفى ب : «أهل الشام الخ» .

(٤) القلاع (كغراب) : قرحة تكون فى جلدة الفم واللسان مع انتشار واتساع، وتعرض للصبيان كثيرا لرداءة اللبن أو لسوء انهضامه فى المعدة . (عن قاموس الأطباء للقيصونى) .

(٥) فى مفردات ابن البيطار : «المرىّ المعمول من السمك المـالح واللحوم الجافة اذا صب على القروح الخبيثة منعها أن تسعى فى البدن ويبرئ عضة الكلب الكلب ويحتقن به لقرحة الأمعاء لتكويها» .

(٦) زيادة عن القانون . (٧) فى القانون : «ويذيب» .

(٨) الظفرة (بالتحريك) : جليدة تنبت عند المآق وقد تمتد الى السواد فتغشيه؛ كذا فى كتب اللغة . وفى كتب الأطباء : الظفرة زيادة من الملتحمة أو من الحجاب المحيط بالعين تبتدئ فى الأكثر من المآق الإنسىّ، وهى ثلاثة أنواع : نوع منها غشائى رقيق يبتدئ من جوانب الملتحمة . والثانى يبتدئ من لحمة المآق وينبسط الى أن يلحق حدّ السواد فيقف هناك ويغلظ . والثالث يغشى فيضر بالبصر بل يبطله البتة (عن قاموس الأطباء للقيصونى) .

(٩) كذا فى القانون . وفى الأصلين هكذا : «وأكل طريفلا»، وهو تحريف .

السَّمَكات المملوحة المجفَّفـة تنفَع اللَّهاةَ(١) الوارمةَ، وعلاجٌ جيّـدٌ من شُقَاقِ المقعدة(٢). وغِراءُ السمك يُلقَى فى الأَحْسَاءِ فينفَع نَفْثَ الدّمِ. قال: وحَوْصلةُ سيفيانوس تُلَيِّن البطن مع صعوبة انهضامها. قال: ورأس المـالح [من](٣) سماريس مُحْرَقًا يُجعل على عضّة الكلبِ الكَلِبِ ولسعةِ العقرب فينفع ذلك، وكذلك كلّ سمكةٍ. ومرقةُ كلِّ سمكٍ تنفع من السموم المشروبة والنُّهوش. قال: [والسمك(٤) ينفع من عُسْر النَّفس والرَّبْو واليَرَقَان ويسهِّل البلغمَ وينفع من خُنَاق الرَّحِم].

وقد وصف الشعراء السمكَ فى أشعارها؛ فمن ذلك قول ابنِ الرُّومى يخاطب رئيسا(٥) ويستدعى منه سمكًا:

عَسُرَتْ علينـا دعوةُ(٦) السَّمَكِ * أنّى وجُـودك ضامِن الدَّرَكِ
اِعـلم وُقِيتَ الجهلَ أنك فى * قَصْرٍ تَلَتْـه مطـارحُ الشَّـبَكِ
وبنـاتُ دِجْـلةَ(٧) فى فِنائكم * مأسـورةٌ فى كلِّ مُعْـتَرَكِ

(١) اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق. وقيل: هى لحمة حمراء فى الحنك معلقة على عكدة اللسان، ومنفعتها تدريج الهواء لئـلا يقرع ببرده الرئة بفأة ولتمنع الدخان والغبـار ولتكون مقرعة للصوت يقوى بها ويعظم كأنها باب موصد.

(٢) كذا فى القانون. وفى الأصلين: «المعدة»، وهو تحريف.

(٣) التكملة عن القانون.

(٤) هذه العبارة المحصورة بين مربعين ذكرها المؤلف ضمن منافع السمك ونسبها لابن سينا. وقد راجعنا ما قاله ابن سينا عن السمك فلم نجدها فيه بل ذكرها أثناء كلامه على «سقيدوليون» أو «سقندولبون» كما قال ابن البيطار فى مفرداته وهو اسم نبات.

(٥) هو ابن أبى بشر المرثدى، كما فى ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩ ١ أدب.

(٦) كذا فى ديوانه ومباهج الفكر. وفى الأصلين: «عودة» وهو تحريف.

(٧) قال الثعالبى فى ثمـار القلوب (ص ٢٢٠ طبع مصر): وجعـل ابن الرومى السمك بنات دجلة واستشهد بهذا البيت.

بِيضٌ كأمثال السبائك بل * مشحونةٌ بالشحم كالعُكَكِ (١)

حَسُنَتْ مناظرُها وساعَدَها * طعـــم لكلّ معَاقِدِ التِّكَكْ

فليَصْطَدِ الصــيّادُ حاجتَنا * يَصْطَدْ مودّتَنـا بلا شَرَكِ

وقال أبو الفتح كُشَاجم :

ومحجوبةٍ بالمـاء عن كل ناظرٍ * ولكنهـا فى حَجْبهـا تُتَخَطَّفُ

أخذنا عليهنّ السبيل بأعيُنٍ * رواصِد إلّا أنّها ليس تَطْرِف

لجئنا بهـا (٢) بِيضَ المتونِ كأنّهـا * خَنَـاجِرُ فى أيْمـاننا نَتَعطَّف

وقال أبو عُبَادة البُحْتُرِىّ وذكر بركةً :

لا يبلُغ السمكُ المقصورُ (٣) غايتَها * لِبُعدِ ما بين قاصِيهـا ودانِيهـا

يَعُمْنَ فيها بأوساطٍ مجنَّحَةٍ * كالطير تنفُضُ فى جَوٍّ خَوَافِيها

وقال أبو طالب المأمونىّ فى المَقْلِىّ منه : ١٤٨

ماوِيّةٌ فِضــيّةٌ لحمُــها * ألذّ ما يأكلُه الآكلُ

يضمّها من جلدها جَوْشَنٌ (٤) مُـذَيَّلٌ (٥) فهو لهـا شامِل

لَوّنتُ من فِضّتها عســجدًا * بالقَـلْيِ لمـا ضافنى نازِل

(١) العكك : جمع عكة ، وهى وعاء للسمن من الجلد .

(٢) فى الأصلين : «لجاء بها» وهو لا يلتئم مع بقية الشعر . وقد بحثنا عن هــذا الشعر فى عدّة نسخ خطية ومطبوعة من ديوان كشاجم فلم نجده .

(٣) كذا فى الأصلين ومباهج الفكر . وفى ديوانه : « المحصور » بالحاء المهملة .

(٤) الجوشن : الدرع .

(٥) كذا فى يتيمة الدهر للثعالبي . وفى الأصلين : «مدبل» بالدال المهملة والباء الموحدة .

وقال أيضا :

مائيّـــة فى النار مَصْــلِيّةٌ(١) * يُصْبَغ من فِضّتهــا عَسْجَدُ
كأنّمــا جلدتُها جَوْشَنٌ * مُزَرْفَنُ(٢) الصَّــنْعةِ أو مِبْرَدُ

وقال عطاءُ بن يعقوب يصِف سمكةً من رسالة يَستدعى بهــا صديقا ، جاء منها : " قد أهدى لنا صديق سمكه ، قــد لبِست من جلدها شبكه ؛ تُشبِه حَمَلا شَكْلا وقدّا ، أو جِرابًا قد آمتلأ زُبْدا ؛ كأنها أرادت أن تحارِبَ نجمَ السِّماك ، أو حُوتَ الأفلاك ؛ فلبِست من جلدها جَوْشَــنا مزرِدا(٣) . وسلّت من ذنَبهــا سيفا مجـــرّدا " .

وقال خالد بن صفوان ليزيدَ بن المهلَّب يصــف سمكا : "أتيتُ ببناتٍ بيضِ البطون، زُرْقِ العيون ، سُــودِ المتون، حُدْبِ الظهور، مُعَقّفَاتِ الأذناب، صِغارِ الرءوس، غِلاظِ القَصَر(٤) ، عِراضِ السُّرَر " .

هذا ما آتفق إيرادُه فى السمكِ المُطْلَقِ . فلنذكر أصنافا من أنواع الأسماك .

ذكر شيء من أنواع الأسماك

وأنواعُ الأسماكِ كثيرةٌ جدّا ، منها ما يعرِفه الناسُ ، ومنهــا مالم يعرفوه ، ومنها ما يكون فى أماكنَ من البحار دون غيرها . وقد ذهب بعضُهم أنّ كلّ حيوانٍ

(١) كذا فى يتيمة الدهر . وفى الأصلين : «مصلوبة» .

(٢) الزرفين (بالكسر والضم) : حلقــة الباب أو هو عام ، والجمع : زرافين . ومنه الحديث : كانت درع رسول الله صــلى الله عليه وســلم ذات زرافين إذا علقت بزرافينها سترت وإذا أرسلت مست الأرض ، وهو معرّب كما فى الصحاح .

(٣) فى الأصلين : « موردا » .

(٤) القصر : جمع قصرة وهى أصل العنق .

فى البرّ يكون مثلُه فى البحر . فلْنورِد فى هذا الفصل ما أمكن إيرادُه، وهو الدُّلْفِين، والرَّعّاد، والتِّمساح، والسَّقَنْقُور، والسُّلَحْفَاة، والُّلجأةُ، والفرس النهرىّ، والجندبيدستر والقُنْدُس (١)، والقاقُم، والضَّفَادِع ، والسَّرطانُ ، وشىءٌ من عجائب الحيوان المائىّ، على حكم الآختصار حيث تعذّر الآستيعاب .

فأمّا الدُّلفِين — وهو كالزِّقّ المنفوخ ، وله رأس صغير جِدًّا . وهو يُوجد فى بحر النيل يَقذِفه البحرُ المِلْحُ إليه . ويقال : ليس فى دوابّ البحر ماله رئةٌ (٢) غيرُه؛ فلذلك يُسمع له التنفُّس والنّفخ ، وهو إذا ظفِر بالغريق كان أقوى الأسباب فى نجاته ؛ فإنه لا يزال يدفعه الى البرّ [حتى ينجيه] (٣) . وهو من أقوى الدوابّ المائيّة . ولا يؤذِى ولا يأكل غيرَ السمك . وربما ظهر على وجه الماء وهو نائم كالميّت . وهو يَلِد ويُرضِع . وأولادُه تتبعه حيث ذهب؛ ولا يَلِد إلّا فى الصيف . وفى طبعه الأُنْس بالناس وخصوصا الصبيان . وإذا صِيد جاءت الدّلافين لقتال صائده، فإذا أطلقه لها آنصرفت . وأهلُ المراكب فى البحر الفارسىّ اذا رأَوه آستبشروا به وأيقنوا ببلوغ الأرب سيّما الغُزاة .

وأمّا الرعاد — ويكون فى نيل مصر ، ولم أسمع به فى غيره . وفيه من الخاصيّة أنه لا يستطيع أحدٌ من الناس أن يَمَسّه . ومتى وضَع الانسانُ يدَه عليه

---

(١) فى الأصلين : « القندر » بالراء بدل السين ، وهو تحريف ؛ إذ القندر من أسماء الجندبيدستر، فلا معنى إذا لتكراره . والتصويب عن مباهج الفكر وحياة الحيوان فى كلامهما على « القندس » .

(٢) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : « ألية » وهو تحريف .

(٣) زيادة عن مباهج الفكر .

نزعها بحركته وصاح صيحةً مُنْكَرَةً ربما دَهِش الإنسان لهـا، ويجد الرجلُ فى فؤاده خَفَقاناً من ذلك . وهو متى وقع فى شبكة الصيّاد ٱرتعدت يداه عند إخراج الشبكة من المـاء أو جذب الحبل، فيعلم أنه قد وقع له السمك الرَّعّاد .

*
* *

وأمّا التِّمساحُ — وهو أيضا لا يكون إلا فى نيل مصر؛ وزعم قوم أنه يوجد فى مِهران السِّند(١)، لِزعمهم أنه من النيل . وهو شديدُ البطش فى المـاء . وهو يعظُم إلى أن ينتهى فى الطـول إلى عشرين ذراعًا فى عرض ذراعين . ويفترِس الفرسَ والإنسـانَ . ولا يَقْوَى على قتاله من الحيوان إلّا الجـاموس . وله يدان ورجلان وذنَب طويل يضرِب به ويَلُفّ . وهو لا يُصاد إلّا أن يُضرب فى إبطيه، ومنهما مقتـلُه . ويقال : إنه إذا أراد السِّـفادَ خرج هو والأُنثى إلى البَرّ فيقلِبها على ظهرها ويستبطِنها؛ فإذا فرَغ قلَبها لأنها لا تُمكَّن من الٱنقلاب لِقِصَر يديها ورِجليها ويُبْس ظهرها . وهى تبيض فى البرّ، فما وقَع فى المـاء صار تمسـاحًا وما بقِىَ فى البرّ صـار سَقَنْقُورا . والتِّمساحُ يحرّك فَكَّه الأعلى دون الأسفلِ، ولسانُه معلَّقٌ به . ويقال : إنه ليس له مَخْرَجٌ، وإنّ جوفَه إذا ٱمتلأ خرج إلى البرّ وفتح فَمَه فيجىء طائرٌ صغير (١٤٩) أَرْقَطُ فينقُر بمنقاره ما فى جوفـه ويُخرِجه، وذلك غِذاءُ الطـائر وراحةٌ للتمساح . وفى رأس هذا الطائر شوكةٌ فإذا غلَّق(٢) التمساحُ فَمَه عليه نَخَسه بها فيفتحه . ويقال : إن للتمساح ستين سِنًّا وستين عِرْقًا، ويسفِد ستين مرّةً، ويَبيض ستين بيضةً .

(١) مهران السند : نهر عظيم بالسند بقدر دجلة تجرى فيه السفن ويسق بلادا كثيرة ويصب فى البحر عند الدَّيْبُل (مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند) . وماؤه عذب جدّا . وهو مثل النيل فى الكبر وجريه مثل جريه، ويرتفع على وجه الأرض ثم ينصب فيزرع عليه مثل ما يزرع بأرض مصر .

(٢) علق (بالتضعيف) كأغلق، وغلق (بالتخفيف) لغة نادرة أو رديئة متروكة .

ويُوجد فى جلْده ممّا يلِي بطنَه سِلْعة[(١)] كالبيضة فيها رطوبةٌ لها رائحةٌ كالمسك، وتنقطع رائحتُها بعد أشهر .

ووصَفه شاعرٌ فقال :

وذِى هامةٍ كالتُّرْس يَفْغر عن فَـمٍ * يُضَمّ على مثـلِ الحُسَامِ المثـلَّم
ويَفْتَرّ عن مثل المَنَاشِير رُكِّبت * على مِشْفَرٍ مثـلِ القَلِيبِ المُهَـدّمِ
مشَى فى شَـوَاةٍ من فَقَارة غَيْـلَمٍ * وسَقَّف[(٢)] لحيًا عن مناكب شَيْهَمِ

* * *

وأما السَّقَنْقُور — ويسمى الحِرْذَوْنَ البحرىّ . ويقال : إنه ورَلٌ مَائىٌّ . ومنه ما هو مصرىّ، وما هو هندىّ، وما يتولّد فى بحر القُلْزُم وبلادِ الحبشة . وهو يغتذِى فى المـاء بالسمك وفى البرّ بالقَطَا . وأنثـاه تبيض عشرين بيضـةً وتدفِنها فى الرَّمل، فيكون ذلك حضنَها . وجِلدُه خَشِنٌ مُدَبَّج بالسواد والصفرةِ . وهو إذا عضّ إنسانا وسبَقه الإنسان إلى المـاء فاغتسل منه مات السقنقورُ؛ وإن سـبَق السقنقورُ الإنسانَ إلى المـاء مات الإنسانُ . وبين السقنقورِ وبين الحيّـة عداوةٌ عظيمةٌ، متى ظفِر أحدهما بصاحبه قتله .

وقال الشيخ الرئيس : أجودُ السـقنقورِ ما صِـيد فى الرَّبيع وقتَ هيجانِه . وأجودُ أعضائه السُّرّة . وهو ينفع من العلل الباردةِ فى العَصَب . ومِلحُه يَهِيج الباهَ فكيف لحمُه، وخصوصا لحمُ سُرَّتِه وما يلِي كُلْيَتَيْه وخصوصًا شحمها .

---

(١) السلعة : زيادة تحدث فى الجسد مثل الغدّة .

(٢) كذا فى ب . وورد فى ا مهمل الإعجام . ولعـله يريد به أنه طوّل لحيا من قولهم : لحى سقف أى طويل مسترخ والمسقف كمعظم : الطويل . والغيلم : السلحفاة الذكر . والشيهم : ذكر القنافذ أو ما عظم شوكه من ذكورها .

وأمّا السُّلَحْفَاةُ واللَّجَأَةُ — يقال : إنّ اللَّجَأة تبيض فى البرّ، فما أقام به سُمِّى سُـلَحْفاةً ، وما وقع فى البحر سُمِّى لَجَأَةً . فأمّا ما يبقى فى البرّ فإنه يعظُم حتى لا يكاد الرجلُ الشـديد يحمِله . وقد رأيتُ فى سنة سبع وسبعمائة بالقاهرة المُعِزِّيّة سُـلَحفاةً تَحمِل الرجلَ وتمشِى به وهو قائم على ظهرها . وما ينزِل البحرَ يعظُم حتى لا يكاد الحمار يحمِـله ؛ وربمـا وُجِد منهـا ما زِنَتُـه أربعمائةِ رِطلٍ . وتبيض أُنْثاه أربعمائةِ بيضة . وهى تحضُن بيضها بالنظر إليه والرَّصْدِ له لا غيرُ . وللذَّكرِ نِزْكانِ وللأنثى فرجانِ . والذكر يُطيل المُكْثَ فى السِّفاد . والعرب تَكنِيها « أمَّ طَبَقٍ » . ويزعمون أنها تبيض تِسعًا وتسعين بيضةً ، وتَبيضُ تمـامَ المـائةِ بيضةً يخرج منها أسود (أى ثعبان) . وهو مولَعٌ بأ كل الحيّات؛ وإذا أ كل الأفعى أ كلَ صَـعْترا جَبَليًّا ؛ فإذا أ كثر من أ كل الحيّات والصَّـعْترِ هلَك . وله تحيُّـلٌ فيما يصـيده من الطائر ، وهو أنه يصـعَد من المـاء ويتمرّغ فى التراب ويأتى موضِـعًا قد سـقط الطيرُ عليه ليشربَ ، فيَخْفَى على الطير بكُدْرةِ لونِه التى ٱكتسبها من المـاء والتراب ، فيصيد منها ما يكون له قوتًا ويدخل به المـاءَ فيموت الطائرُ فيأ كله .

ووصفها شاعر فقال :

وسُـــلْحفاة تَمِج * سكونُها والحَـرَكَهْ
شَـبّهتُها بِدَيْـلَمِىٍّ ساقِطٍ فى معـركَهْ
مُسْـــتَترٍ بتُرْسِـه (١) * عمّن عسى أن يُهلِكَهْ

(١) فى الأصلين : « بترٍ به » . والتصويب عن مباهج الفكر .

وقال أبو بكر الخُوَارَزْمِىّ يصف لَجَأة :

بِنْتُ ماءٍ بَدَتْ لنا من بعيـدٍ * مثل ماقد طوى البحارىّ (١) سفرهْ

رأسُهـا رأسُ حيّـةٍ وقَرَاها (٢) * ظهرُ تُرسٍ وجِلدُها جِلدُ صخرهْ

مثلُ فِهْر (٣) العَطّارِ دُقّ به العِطـ * ـرُ فَخَلّت (٤) طرائقُ الطّيب ظهرهْ

يقطع الخوفُ رأسها فإذا ما * أمِنَتْـه فرأسُهـا مستَقَرّه

وقال آخـــر :

لحى الله ذاتَ فمٍ أخرسٍ * تُطيل من العِىّ وسْواسَها

تَكُبّ على ظهرها تُرسَهـا * وتُظهِر من جِلّها فاسَهـا (٥)

إذا الحِذْرُ أقلق أحشاءَها * وضَيّق بالخوف أنفاسَهـا

تَضُمّ الى نَحْرها كفَّها * وتُدْخِل فى جوفها راسَها

وأمّا الفرسُ النّهرىّ — وهو عظيم الجثة، وخَلْقه خلقُ الفرس، إلا أنّ وجهه أوسعُ؛ وله أظلافٌ كالبقرة؛ وذنَبه مثلُ ذنبِ الخنزير؛ وصوتُه يُشبه صوتَ الفرس . وهو لا يوجد إلّا فى نيل مصر . وهو يخرج من المـاء الى البرّ، ويَرعى ١٥٠

(١) كذا فى ا وفى ب هكذا «النجادى» ولم نتبين المراد منها .

(٢) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «وقفاها» .

(٣) الفهر : الحجر الرقيق الذى تسحق به الأدوية على الصلاية .

(٤) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «بخلّت» بالجيم .

(٥) كذا فى كتاب الألفاظ الفارسية (ص ٩٢ طبع بيروت) . وفى الأصلين ومباهج الفكر وحياة الحيوان : «وتظهر من جلدها رأسها» . وقد آثرنا رواية الألفاظ الفارسية لتحاشى الإيطاء الظاهر بين البيت الثانى والرابع . والفأس : طرف مؤخر الرأس المشرف على القفا .

الزرعَ . واذا قصد الزرع لا يبتدئ من أوّله ، ولكنه يجوز منه قطعةً بقدر ما يأكل ويبتدئ منهـا بحيث يكون وجهُه إلى البحر . وهو يقتل التمساحَ ويَقْهَره . وأهلُ الديار المصريّةِ إذا رأَوا أثَرحافره فى البرّ تبـاشروا بزيادة النيل وكثرةِ الخِصْب . وفى سـنة آثنتين وسبعِمائةٍ طلَـع الفرسُ النهرىُّ إلى البرّ بالجيزة وأَبعـد عن البحر ، فتُحيِّل عليه وقُتِل . وأهلُ النُّوبةِ يَصيدونه كثيرا ، ويتّخذون من جلده سِياطًا يسوقون بها الإبل .

***

وأمّا الجندبيدستر — وهـو السَّمُّور ، ويسمى "كلبَ المـاء" .

ولا يُوجد إلا ببلاد القفجاق(١) وما يليها . وهو على هيئةِ الثعلبِ ، أحمر اللّون ، لا يدانِ له ، وله رِجلانِ وذَنَبٌ طويل ، ورأسُـه كرأس الإنسان ، ووجهُه مستديرٌ . وهو يمشى متّكئا على صـدره كانه يمشى على أربع ، وله أربعُ خُصًى : ثِنتانِ ظاهرتانِ وثِنتان باطنتانِ . وهو إذا رأى الصيّادين يجِدّون فى طلبه لأجل الجندبيدستر ، وهو خُصْيَتاه الظاهرتانِ ، قطعهما بفيه ورمى بهما إليهـم ؛ إذ لا حاجة لهم إلا بهما . فإن لم يرهما الصيّادون وداموا فى الجِدّ فى طلبه آستلق على ظهره ليُرِيَهم الدَّم ، فيعلمون أنه قطعهما فينصرفون عنه . وهو إذا قطع الظاهرتَين ظهر الباطِنتانِ وعُوِّض عنهما غيرهمـا . وفى داخل الخصية شِـبهُ الدَّم أو العسـلِ زَهِمُ الرائحة سريعُ التّفرُّك إذا جفّ . ويقال : إنه يوكِّر(٢) على الأرض ويُولِد(٣) عليها ويَرعى فيها ، ويهرُب إلى المـاء ويعتصم به ؛ ويُمكنه أن يَلْبَثَ فى قعره حابسًا لنفسه زمانا ثم يخرج [الى الهواء](٤) .

(١) القفجاق : قوم كانوا يعرفون بالخفشاخ غربوا إلى بلاد القسطنطينية وكان لهم ملوك كثيرة فى بلاد المغرب ففرق التتر شملهم (عن تقويم البلدان ص ٢٠٦ طبع أوربا) . (٢) وكر : اتخذ وكرا .
(٣) يقال : أولدت الشاة إذا وضعت . (٤) زيادة عن مباهج الفكر .

وأمّا حيوانُ القُنْدُس والقَاقُم[(١)] — فالقُنْدُس يغتـذِى بالسمك والنّبات . ويقال: إنّ فيه سادةً وعبيدًا، وإنه يتّخذ مساكنَ مرتَّبةً على ترتيبِ مساكنِ الناسِ . والسادةُ يتّخذون فى بيوتهم صُفَفًا[(٢)] مُرتفِعةً يكونون عليها، وفى أسفلها مواضعَ للعبيد، ولبيوتهِم أنفَاقًا إلى البَرّ وأبوابًا إلى النهر . وبعضُ هـذا الحيوان يُغير على بعض . والسادةُ لاتَتكسّب، وإنما يتكسّب لهـا العبيدُ . ويُعرف جِلْدُ السيّد من جِلْد العبد بحسن لونه و بَصِيصه[(٣)] . وأهلُ تلك البلاد يسلُخون خراطيمَ القُنْدُس والسَّمور و يتعاملون بهـا كما يُتَعَامَلُ بالدّنانير والدراهم بحيث يكون عليها خَتْمُ الملِك . وجِلْدُ هذا الحيوان هو الذى يُعْمَل شَرابِيش[(٤)] الأُمَراء وأطواقَ التَّشاريف ودوائرها .

والقَاقُم : حيوان يُشبه السِّنْجابَ إلّا أنه أبردُ منه وأرطبُ ؛ ولهذا هو أبيضُ يَقَقٌ . وهو يُجلَب من بحر الخَزَر . وجلدُه يُشبه جلدَ الفَنَك[(٥)] .

وأما الضفادع — وهى أصناف كثيرة، تكون من سِفادٍ وغيرِ سِفادٍ . وهى تبِيض فى البرّ وتعيش فى المـاء . والذى من غير سِفادٍ يتولّد من المياه الضـعيفةِ ، ومن العُفُونات، وغِبِّ الأمطار الغزيرةِ ، حتى يتوهّمَ المتوهِّم أنه يسقط من السَّحَاب لكثرةِ ما يُرى منه على الأسطِحةِ عَقِيبَ المطرِ . ويقال: إنه يُخلق فى تلك الساعة .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣١٣ من هذا الجزء .

(٢) الصفة من البنيان : شبه البهو الواسع الطويل السمك .

(٣) البصيص : البريق واللمعان .

(٤) الشرابيش : جمع شربش (كجعفر) وهو هدب الثوب .

(٥) الفنك : دابة يؤخذ منها الفرو .

والضِّفْدع من الحيوان الذى لا عظمَ له . وفيه ماينِقّ ومااليس ينِقّ . وليس صوتُ ما ينِقُّ من فِيه ولكنه من جلودٍ رِقَاقٍ تكون إلى جانبِ أُذُنيــه ؛ فإذا أراد النقيقَ آنفتحت فيخرُج الصوتُ منهـا . وهى تَنْطبِق فى زمن الشـتاء فلا تَنْفَتِح حتى يعتدل الجوّ .

قال الجاحظ : والضِّـفْدَعُ لا يَصيح ولا يُمكِنه الصـياحُ حتى يُدخِلَ حَنَكَه الأسفلَ المـاءَ، فإذا صار فى فِيــه بعضُ المـاء صاح ؛ ولذلك لا تَسـمع للضفادع نَقِيقًا إذا كنّ خارجاتٍ من المـاء . قال : والضـفادع تَنِقُّ ، فإذا أبصرت النـار أمسكتْ . وتُوصف بحدّة السـمع إذا كانت خارجَ المـاء . ويُضرب بهـا المثلُ فى السمع والحذر، فيقال : « أحذَرُ من ضِفْدَعٍ » و « أسمعُ من ضِفْدَعٍ » . وقال شاعر يصف الضفادعَ :

ومُقْعَــداتٍ زانَهنّ أرجُلُ * كقِعْدةِ النا كِحِ حين يُنْزِل
* يُكْسَيْن وَشْـيًا وعيونٌ تُكْحَلُ *

وقال آخرُ:

دَعتْــك فى فاضَـــةٍ(١) مُـــدَنَّرةٍ * ليس لهـا طُرّةٌ ولا هُـــدُبُ
قد نُسِجتْ من زبَرْجدٍ لِحَرَى * بين تَضاعيف نسجِها الذّهَبُ
يَظَــلّ صَمْتَـا نهـارَه فإذا * أدركه الليـلُ بات يَصْطَخِبُ
وهو وإن لم يُغَطِّ مقلتَــه * جفنٌ ولا آمتــدّ خَلْفَه ذنَبُ
يُعجِــبُنى ما أراه منــه فَفِى * خِلْقتِــه وآختــلافِها عَجَبُ

(١) الفاضة : القميص الواسع البراق . ومدنرة : يشبه وشيها الدنانير .

وأمّا السَّرَطانُ وما قيل فيه — وهو ذو فَكَّيْن ومَخالِبَ وأظفارٍ حِدادٍ، كثيرُ الأسنانِ، صُلْبُ الظَّهر، سريع العَدْو، وعيناه على كَتِفيه، وفَمُه فى صدره، وفكّاه مشقوقانِ من جانبين . وله ثَمَانى أرْجُلٍ . وهو يمشى على جانبٍ واحدٍ؛ ويَستنشق الماءَ والهواءَ معًا . وهو يسلُخ جلْده فى السنة ستَّ مراتٍ . ويتّخذ بجُحْره بابين، أحدُهما إلى الماء والثانى إلى البرّ . فإذا سلَخ جلده سدّ عليه ما يلى الماءَ خوفًا من السمك وترك ما يلِى البَرّ مفتوحا؛ فإذا جفَّتْ رطوبتُه وآشتدّ، فتح ما يلى الماءَ وطلب مَعاشَه .

قال شاعر يصفه :

فى سَرَطانِ الماءِ أُعجوبةٌ * ظاهرةٌ للخَلْق لا تَخْفَى
مُسْتَضعَفُ المُنَّة لكنّه * أبطشُ من حاربتَه كَفَّا
يُسْفِر للناظر عن جملة * متى مشى قدّرها نِصْفا

وقال أبو عُبيد البَكْرىّ[(١)] فى كتابه المترجم بالمسالك والممالك : إنّ ببحر الصين سَرَطاناتٍ تخرج كالذراع والشبر، فإذا صارت الى البرّ عادت حجارةً وآنقلبت عن الحيوانيّة؛ والأطباء يتخذون منها كحْلا يجلو البياضَ .

(١) هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى المتوفى سنة ٤٨٧ هـ، وكان مولده سنة ٤٣٢ هـ (١٠٤٠ م) . وقد طبع جزء من كتابه المسالك والممالك هذا فى الجزائر سنة ١٨٥٧ م بعنوان "كتاب المعرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب" . وقد نقل الى الفرنسية وطبع تباعا فى المجلة الأسيوية الباريزية فى سنتيها ١٨٥٨ م و ١٨٥٩ م . وله مؤلفات كثيرة : منها "كتاب معجم ما استعجم" و "أعيان النبات والشجيرات الاندلسية" وغيرهما . (راجع ترجمته بتفصيل فى كتابه "التنبيه على أوهام أبى علىّ فى أماليه" طبع دار الكتب المصرية) .

ذكرُ شيء من عجائب الحيوان المائىّ

وعجائبُ البحر كثيرةٌ جدًا لا يُستغرب ما نذكر منها، ولذلك قيل : «حدِّث عن البحر ولا حَرَج» .وقد حكى صاحبُ كتاب مَباهِج الفِكَر ومَناهِج العِبَر فى كتابه، قال : رأيتُ فى بعض المجاميع المجهولةِ أنّ فى بعض البحار شاةً شَعْراءَ تكون فى البرّ مع البهائم حين الرَّعْى، فإذا فرغت من رَعْيها عادت إلى المـاء، وتأكل السـمك . قال : وذكر لهـا خواصّ . قال : وذكر بعضُهم دابّة سمّاها "خَزّ المـاء" ولم يُسَمِّ المكانَ الذى تكون فيه، وقال : إنهـا مثال ٱبنِ عِرْسٍ أو أكبرُ قليـلًا، سِباحتُها فى المـاء كَجَرْيها فى البرّ، لهـا وبَرٌ ناعمٌ تُعمل منـه ثِيابُ الخزّ، وهذا الوَبَرُ موجودٌ تأتى به التجّار من البحر الرومىّ يُباع بالقاهرة، ويُسمّونه صوفَ السمك، وهو أخضرُ اللون، ويقـال : إنه إذا طلع من البحر يكون أبيضَ يَقَقًا، فإذا صار إلى البرّ وأصابه النسيمُ ٱنقلب إلى الخُضْرة . وهم يَغزِلونه ويُلْحِمُون به الثيابَ المُسداةَ بالحرير، وقيمتُه لا تقصرُ عن قيمة الحرير وربما يزيد عليـه . وأرخصُ ما ٱبتعتُه أنا حسابًا عن وزن كلّ مائة درهم أربعين درهمًا . وبه تُخنق الأفاعى بمصر، تُفتل منـه خيوطٌ تُسمّى إذا خُنِق بهـا الأفاعى حبالَ الخُنَاق، لها نفعٌ فى تحليل مرض الخُنَـاق .

ويقال : إن ببحر الرّوم — وربما بغيره أيضا — حيوانًا يُسمّونه "بناتِ المـاء" يُشْبِهن[1] النساءَ، لهنّ شعورٌ سِباط[2]، ألوانهنّ إلى السُّمْرة، ذوات فروجٍ عظامٍ وثُدِىٍّ، ولهنّ قهقهة وضَحِكٌ وكلامٌ لا يُفهم؛ وربمـا يَقَعْن لأصحـاب المراكب وغيرهم

(١) فى الاصلين ومباهج الفكر : « يشبهون » . وفى حياة الحيوان للدميرى (ج ١ ص ١٩٦ طبع بولاق) : « شبيهة بالنساء » .

(٢) فى الأصلين : « سبط » .

فينكحونهنّ فيجدون لنكاحهنّ لذّةً عظيمة ثم يعيدونهنّ إلى البحر . وفى البحر أيضا أمثالُ الرجال ، يقال : إنهم يظهرون [بالإسكندريّة و](١) بالبُرُلُس ورَشِيد فى صورة الإنسان بجلودٍ لَزِجَةٍ ، لهم بكاءٌ وعويل إذا وقعوا فى أيدى الناس ؛ [وذلك أنهم ربما بَرَزوا عن البحر إلى البرّ يتشمّسون فيقع بهم الصيّادون](١) ؛ فإذا سمع الناس بكاءَهم أطلقوهم رحمةً لهم .

(١) زيادة عن مناهج الفكر .

الباب الثامن وهو الذيل على القسم الخامس

من الفن الثالث

[ويشتمل هذا الباب](١) على ذكر شيء مما وُصفت به آلاتُ الصيد فى البرّ والبحر ووصفِ رُماةِ البندق، وما يَجرى هذا المَجرى .

ذكر شيء مما قيل فى رُماة البندق — ومما وُصفت به الجُلاهِقُ(٢)

وهو قِسِيّ البندق . من ذلك ما كَتب به أبو إسحاق الصّابى من رسالة إلى [أبى الفرج](٣) محمد بن العباس [بن فُسَانْجُسْ](٤)، جاء منها : " أقبلت رُفْقَةُ الرُّماةِ قد بَرَزت قبل الذُّرُور(٥) والشروق، وشمَّرتْ عن الأَذْرُع والسُّوق ؛ مقلَّدين خرائطَ (١٥٢) شاكلت السيوفَ بحمائلها ونِياطاتِها(٦) ، وناسبَتها فى آثارها ونِكاياتها ؛ تحمل من البُنْدُقِ المَلْمُوم ، ما هو فى الصحّة والاستدارة كاللؤلؤ المنظوم ؛ كأنما خُرِط بالجَهْر(٧) فجاء

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) الجلاهق : قوس تتخذ من القنا ويلف عليها الحرير وتعرّى ، وفى وسطها وتر ذا قطعة دائرة تسمى الجوزة توضع فيها البندقة عند الرمى .

(٣) زيادة عن رسائل الصابى المخطوطة والمحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٢٧ أدب .

(٤) زيادة عن رسائل الصابى ومباهج الفكر .

(٥) كذا فى مباهج الفكر . وذرّت الشمس تذر ذرورا (من باب نصر) : طلعت وظهرت . وفى الأصلين : «الدود» ، وهو تحريف .

(٦) الذى فى كتب اللغة أن النياط الذى هو معلق القوس يجمع على أنوطة ونوط .

(٧) كذا فى الأصلين . ولعله يريد بالجهر الرابية العالية ، ويبات الفهر الحجارة الصغيرة ؛ إذ الفهر : الحجر قدر ما يدق به الجوز ونحوه ، وقيل : هو الحجر ملء الكف .

كبنات الفِهْر؛ قد آختِيرَ طِينُه، ومُلِك عجينُه[1]؛ فهو كالكافور[2] المُصَّاعِد فى اللّمس والمَنْظَر، وكالعنبر الأَذْفَر فى الشمّ والمَخْبَر، مأخوذٌ من خير مواطنه، مجلوبٌ من أطيب معادنه؛ كافلٌ بمطاعم حامِليه، مُحَقِّقٌ لآمال آمِليه؛ ضامنٌ لِحمام الحَمام، مُتَنَاوِلٌ لها من أبعد مَرَام؛ يعرُج إليها وهو سمٌّ ناقع، ويهبِط بها وهى رزقٌ نافع" .

ومنها فى وصف القِسِىّ : "وبأيديهم قِسِىٌّ مكسوّةٌ بأغْشية السُّندس، مشتملة منها[3] بأحسن مَلْبَس؛ مثل الكُماة فى جَوَاشِنها ودُروعها، والجيادِ فى جِلالها[4] وقُطُوعها؛ حتى إذا جُرِّدت من تلك المطارف، وآنْتُضِيَتْ[5] من تلك المَلاحف؛ رأيت منها قُدودًا مُخْطَفةً[6] رشيقه، وألوانًا مُعْجِبة أنيقه؛ صُلْبَةَ المَكَاسِر والمَعَاجم[7]، نجيبةَ المنابت والمَنَاجم؛ خَطِّيَةَ الأسماء والمَناسب، سَمْهَرِيَّةَ الأعراقِ والمَنَاصب؛ رُكِّبت من شظايا الرّماح الداعسه، وقرون الأوعال الناخسه[7]؛ فحازت الشرفَ من طَرَفَيْها، وآستولت عليه

---

(١) ملك العجين : عجنه فأمعن عجنه وأجاده .

(٢) الكافور : هو صمغ شجر ولونه أحمر ملمع أو أسمر، وخشبه أبيض رخو يضرب إلى السواد . وهو يوجد فى أجواف قلب الخشب فى خروق فيها ممتدّة مع طولها، وهو أنواع، و يكون على قدر الدرهم أو اللوز أو الحمص أو الفول أو العدس . وهو مختلط فيه شظايا من خشب الكافور . وتصفى هذه الكوافير كلها بالتصعيد ويخرج منها كافور أبيض صفائح يشبه فى شكله صفائح الزجاج التى يصعد فيها .

(٣) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «فيها» .

(٤) الجلال : جمع جل (بالضم) وهو للدابة كالثوب للانسان تصان به . والقطوع : جمع قطع (بالكسر) وهو ضرب من الثياب الموشاة .

(٥) فى الأصلين : «انبصت» ، وهو تحريف .

(٦) قدود مخطفة : ضامرة قليلة لحم الجنب .

(٧) يقال : فلان صلب المكسر والمعجم إذا كان قويا شديدا عند المختبر .

(٨) الوعل الناخس : هو الذى نخس قرناه استه من طولهما . وفى الأصلين : «الباحسة» (بالباء الموحدة)، وهو تصحيف .

بِكِلْتـا يديها ؛ قد ٱنحنتِ ٱنحناءَ المَشْيخةِ النُّسَّاك ، وصالت صِيالَ الفتية الفُتّـاك ؛ وٱستبدلت من قديمها فى عزّ الفوارس[1] ، بحديثها من نفيس الملابس ؛ وٱنتقلت من جِدّها فى طِراد المَغارات[2] ، إلى هَزْلها فى طَرْد المُسْهِرات[3] ؛ ظواهرُها صفرٌ وارِسه[4] ، ودواخِلُها سودٌ دامِسه ؛ كأنّ شمسَ أصيلٍ طلعت على مُتونِهـا ، أو جنحَ ليل ٱعتكر فى بطونها ؛ أو زعفرانًا جرى فوق مناكبها ، أو غاليةً جَمَدت على ترائبها[5] ؛ أو قضبانَ فضةٍ أُذْهِب شَطْرُها وأُحْرِق شطر ، أو حَبّاتِ رَمْل ٱعتنق السودَ[6] منها صفر" .

وجاء منها فى وصف الوتر :

"فلمّا توسّطوا تلك الروضه ، وٱنتشروا فى أكناف[7] تلك الغَيْضَه ؛ وثَبَتَتْ للرّمى أقدامُهم ، وشَخَصت للطير أبصارهم ؛ وتَرُوها[8] بكل وَتَرٍ فُوقُ[9] سهمِه منه ، وهو مفارِقٌ للسهم وخارجٌ عنه ؛ مُضاعَفٌ عليها من وَتَرَيْن ، كأنّه شخص ذو جسدين ، أو عِناقُ[10] ضمّ

(١) فى مباهج الفكر : «هز الفوارس» بالهاء .

(٢) المغارات : جمع مغارة (بفتح الميم وضمها) : مصدر بمعنى الغارة . والطراد : أن يحمل الأقران بعضهم على بعض ، ويقال : هم فرسان الطراد .

(٣) كذا فى مباهج الفكر . والطرد : الصيد . والمسهرات : طيور يلتذ بها كل من يسمعها ويسهر عليها ولا يشتهى النوم من لذة سماعها . وفى الأصلين : «طرد المستهرهات» .

(٤) أورس الشىء : اصفر فهو وارس ، وهو من النوادر ، ويقال : مورس .

(٥) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «ترامبها» .

(٦) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «أعتق السود منها صفرا» .

(٧) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «ناب» ، وهو تحريف .

(٨) وتره : أدركه بمكروه وأصابه .

(٩) كذا فى الأصلين . ولعله يريد «أوفق سهمه منه» أو «فيق سهمه منه» . فانه يقال : فقت السهم وأوفقته إذا وضعته فى الوتر لترمى به .

(١٠) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «عنانا» ، وهو تحريف .

ضجيعين؛ فى وسطه عينٌ كشَرْجة كيسٍ مختوم، أو سُرّة بطنٍ خَميصٍ مهضوم؛ تروعُ قلب الطير بالإنْبَاض، وتُصيب منها مواقعَ الأغراض ".

وقال ضياءُ الدين بن الأَثير الجَزَرىّ من رسالة فى وصف القِسىّ. وذكر الرُّماة، جاء منها :

" وإذا تناولوها بأيديهم قلتَ : أهلّةٌ طالعهٌ فى أكُفّ أقمار، وإذا مُثِّل غَنَاؤها وغَنَاؤهم قلتَ : منايا مسوقةٌ (١) فى أيدى أقدار؛ وتلك قِسىٌّ وُضعت لِلَّعب لا للنّضال، ولِرَدَى الطير لا لردى الرجال. فإذا نعتها ناعتٌ قال : إنهـا جَمَعَتْ بين وصْفَى اللين والصلابه، وصِيغَتْ من نوعين غريبين (٢) فحازت معنى الغرابه؛ فهى مركّبةٌ من حيوان ونبات، مؤلَّفةٌ منهما [على] (٣) بُعْد الشَّتات؛ هذا من سكان البحر وسواحله، وهذا من سكان البرّ ومجاهله. ومن صفاتها أنها لا تَمَكَّن من البطش إلا حين تُشَدّ، ولا تنطلق فى شأنها إلا حين تُعْطَف وتردّ. ولهـا بناتٌ أُحكم تصويرُها، وصُحّح تدويرُها؛ فهى فى لونها صَنْدليّة الإهاب (٤)، وكأنها صِيغت لقوّتها من حجر لا من تراب؛ فإذا حذفها نحو الأطيار [أحد] (٥)، قيل : وتصعّد من الأرض من جبال فيها من بَرَد، فلا ترى حينئذ إلا قتيلا بالمَقْتَل الذى لا يجب فى مثله من قَوَد، فهى كافلةٌ من تلك الأطيار بقبض نفوسها، ومُنزِلةٌ لها من السماء على أمّ رءوسها ".

---

(١) كذا فى مباهج الفكر. وفى الأصلين : « مسوقة ».

(٢) كذا فى مباهج الفكر. وفى الأصلين : « وصبغت لوبين عريبين ».

(٣) زيادة عن مباهج الفكر.

(٤) كذا فى مباهج الفكر. وفى الأصلين : « فأوجد منها نحو الأطيار فند وتصعد... الخ »، والتحريف ظاهر فى العبارة.

(٥) لعل هذه الكلمة أو ما فى معناها ساقطة من العبارة.

ومن إنشاء المولى الفاضـل شهـاب الدين محمود بن سليمان الحلبي الكاتب — أمتع الله ببقائه، وزاد في علوّه وآرتقائه — رسالةٌ في رمى البندق، وصفَ فيها الرّماةَ، ومواضعَ الرَّمْى ووقتَه، والقِسيَّ، وأفعالَ الرُّماة، وجميعَ طير الواجب (١)، لم أقف فيما طالعتُه لمتقدِّم ولا متأخِّر [على] (٢) أجمعَ لهذا الفن منها؛ وهى ممـا يستعين بها الكاتبُ على إنشاء ما يقصده من قِدَم (٣) البندق فى أى نوع أراد من طير الواجب. وقد أوردتُها بجملتها؛ لحسن آلتئامها، وآتِّساق نظامها؛ وجودة ترتيبها، وبديع تهذيبها. وهى : [١٥٣]

"الرِّياضة — أطال اللهُ بقاء الجناب الفلانىّ، وجعل حُبَّه كقلب عدوّه واجبا، وسعدَه كوصف عبده للسارّ جالبا وللضارّ حاجبا — تبعث النفسَ على مجانبة الدَّعة والسكون، وتصونها عن مشابهة الحمـائم فى الرُّكون إلى الوكون (٤)؛ وتحضُّها على أخذ حظّها من كل فنّ حسن، وتحثّها على إضافة الأدوات الكاملة إلى فصاحة اللَّسَن؛ وتأخذ بها طورًا فى الجِدّ وطورًا فى آللعِبْ، وتُصرِّفها فى مَلَاذِّ السموّ فى المَشاقّ التى يستروِح إليها التَّعب؛ فتارةً تحمل الأكابر والعظماء فى طلب الصـيد على مواصلة آلسُّرَى، ومقاطعةِ الكَرَى؛ ومهاجرةِ الأوطار، ومهاجمةِ الأخطار؛ ومكابدةِ الهواجر (٥)،

---

(١) طيور الواجب أربعة عشر طائرا وهى على ضربين : الضرب الأوّل طيور الشـتاء وهى التى يكثر وجدانها فيـه وهى عشرة طيور : الكركى، والإوز، واللغلغ، والحـبرج، والتم، والعناز، والعقاب، والنسر، والأنيسة. والضرب الثانى طيور الصيف وهى التى يكثر وجودها فيه، وهى أربعة أطيار: الكى، والعرنوق، والمرزم، والشبيطر. (راجع صبح الأعشى ج ٢ ص ٦٢). (٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) قدم : جمع قدمة (بكسر القاف وسكون الدال المهملة) وهى رسائل تشتمل على حال الرمى بالبندق وأحوال الرماة وأسماء طير الواجب واصطلاح الرماة وشروطهم. (راجع صبح الأعشى ج ١٤ ص ٢٨٢). (٤) الوكون : جمع وكن، وهو عش الطائر فى جبل أو جدار.

(٥) الهواجر: جمع هاجرة، وهى نصف النهار فى القيظ خاصة عند زوال الشمس مع الظهر أو من زوالها الى العصر، لأن الناس يستكنون فى بيوتهم كأنهم قد تهاجروا.

ومبادرة الأوابد التى لا تُدرَك حتى تبلغ القلوبُ الحناجر؛ وذلك من محاسن أوصافهم التى يُذَمّ المُعْرِض عنها، وإذا كان المقصودُ من مثلهم جِدَّ الحرب فهذه صورةُ لَعِب يُخرَج إليها منها؛ وتارةً تدعوهم إلى البروز إلى المَلَق[(١)]، وتحدوهم فى سلوك طريقها مع من هو دونهم على ملازَمة الصدق ومجانبةِ المَلَق؛ فيَعْتَسفون إليها الدُّجى، إذا سَجَى؛ ويقتحمون فى بلوغها خُرَقَ[(٢)] النهار، إذا آنهار؛ ويتنعّمون بوعثاء آلسفر، فى بلوغ الظَّفَر؛ ويستصغِرون ركوبَ الخَطَر، فى إدراك الوَطَر؛ ويُؤْثِرون السهر على النوم، وآلليلةَ على اليوم؛ والبندقَ على السهام، والوَحْدةَ على الآلتئام.

ولمّا عُدنا من الصيد الذى آتّصل بعلمه حديثُه، وشُرِح له قديمُ أمره وحديثُه؛ تُقْنا إلى أن نَشفَع صيدَ السَّوانح بِرَمْى الصوادح، وأن نفعل فى الطير الجوانح بأهِلّة القِسِىّ ما تفعل الجوارح؛ تفضيلًا لملازمة الآرتحال[(٣)]، على الإقامة فى الرِّحال؛ وأخذًا بقولهم:

لا يُصلِحُ النفسَ إذ كانت مُدَبَّرةً ✻ إلّا التَّنقُّلُ من حالٍ إلى حالِ

فبرزنا وشمسُ الأصيلِ تجود بنَفْسها، وتَسيرُ من الأُفُق الغربىّ إلى جانب رَمْسِها؛ وتُغازِلُ عيونَ النُّوّار بمُقلة أرْمَد، وتنظر إلى صفحات الوردِ نظرَ آلمريض الى وجوه العُوّد؛ فكأنها كئيبٌ أضحى من الفِراق على وَرَق، أو عليلٌ يقضى بين صَحْبه بقايا مدّةِ الرَّمَق[(٤)]؛ وقد آخضلّت عيونُ النَّوْر لوَداعها، وهمّ الروض بخلع حلّته المُمَوّهة بذهب شُعَاعِها.

---

(١) الملق: الصفوح اللينة الملتزقة من الجبل، واحدتها ملقة، وقيل: هى الآكام المفترشة.

(٢) كذا فى صبح الأعشى. وفى الأصلين وحسن التوسل إلى صناعة الترسل: «جرف».

(٣) كذا فى حسن التوسل وصبح الأعشى. والرحال: جمع رحل وهو المنزل والمأوى. وفى الأصلين: «الارتحال»، وهو تحريف.

(٤) كذا فى صبح الأعشى وحسن التوسل. وفى الأصلين: «وهم الروضة تخلع ...».

والطلُّ فى أعين النُّوار تحسَـبه * دمعًا تحــيَّر لم يَرْقَأْ ولم يَكِف
كلُؤلُـؤٍ ظَلّ عِطْفُ الغصن مُتَّشِحًا * بعِقْـده وتَبَـدّى منه فى شَنَف (١)
يُضَمّ من سندس الأوراق فى صُرَر * خُضْرٍ ويُخبَأ من الأزهار فى صَدَف
والشمسُ فى طَفَل الإمساء تنظـر من * طَرْفٍ غدا وهو من خوف الفِراق خَفِى
كعاشــقٍ سار عن أحبابه وهَفَا * به الهَــوى فتَراءاهم عــلى شَرَف

إلى أن نضا المغـربُ عن الأُفُق ذهبَ قلائدها ، وعوّضه عنها من النجوم بخَدَمها وولائدها (٢) ؛ فلبِثْنا بعـد أداء الفرض لُبْثَ الأهِلّه ، ومنعنا جفونَنـا أن تَرِدَ النـوم إلّا تَحِلّه ؛ ونهضنا وبُرْدُ الليل مُوَشَّع (٣) ، وعِقدُه مرصَّع ؛ وإكليلُه مُجَوهَر ، وأديمُه معنبر (٤) ؛ وبدرُه فى خِدْر سِراره مُستَكِنّ ، وبحرُه فى حَشَى مطالعه مُستَجِنّ ، كأنّ آمتزاج لونه بشفق الكواكب خليطًا مِسْكٍ وصَندَل ، وكأنَّ ثُرَيّاه لامتـداده مُعلقةٌ بأمراس كَتّانٍ إلى صُمّ جَندَل .

ولاحتْ نجومُ الليل زُهْرًا كأنّها * عقودٌ على خَـوْدٍ (٥) من الزَّنج تُنْظَمُ
مُحَلِّقَــةً فى الجوّ تحسَب أنهـا * طيـورٌ على نهـر المَجرّة حُـوَّمُ
إذا لاح بازى الصبح وَلَّتْ يؤمّها (٦) * إلى الغرب خوفًا منه نَسرٌ ومِرزَمُ

---

(١) الشنف (بالفتح ، وإنما حرك هنا لضرورة الشعر) : الذى يلبس فى أعلى الأذن ، والذى فى أسفلها يقال له قرط ورعثة ، وقيل : القرط والشنف سواء .

(٢) الولائد : جمع وليدة وهى الصبية والأمة .

(٣) وشع الثوب : أعلمه .

(٤) كذا فى حسن التوسل . وفى الأصلين : « معفر » .

(٥) الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفا .

(٦) كذا فى صبح الأعشى . وفى ا : « توفها » . وفى ب : « نومها » بالنون ، وكلاهما تحريف . والنسر : كوكب وهما اثنان يقال لأحدهما : النسر الواقع ، وللآخر : النسر الطائر . والمرزمان : نجمان مع الشعرى ين .

إلى حدائقَ ملتفّـه، وجداولَ مُحْتفّـه؛ إذا جَمّش النسيمُ غصونَهـا آعتنقت اعتناقَ الأحباب، و إذا فَرَك من الميـاه متونَها آنسابت فى الجـداول آنسيابَ الحُبَاب[1]، ورقصَتْ فى المناهل رقصَ الحِباب[2]؛ و إنْ لَثَم ثغورَ نَوْرها حيّته بأنفاس المعشوق، و إن أيقظ نواعسَ وُرْقِها غنّته بألحان المشوق؛ فنسيمُها وان، وشميمُها لعَرْف الجنان عُنوان، ووَرْدُها من سَهَر نَرْجِسها غيْرَان، وطَلُّها فى حدود الورد مُنْبَثٌّ[3] وفى طُرَر الريحـان حَيران؛ وطائرُها غَرِد، وماؤها مُطَّرِد؛ وغصنُها تارةً يَعْطِفُه النسيمُ اليـه (١٥٤) فَينعطِف، وتارةً يعتدل تحت وَرْقائه فتحسب أنها همزةٌ على ألِف؛ مع ما فى تلك الرياض من تَوافُق المحاسن وتبايُن الترتيب؛ إذ كلّما آعتلّ النسيم صحّ الأَرجُ وكلّما خرّ المـاء شمَخ القضيب.

فكأنّمـا تلك الغصونُ إذا ثَنتْ * أعطافَهَا رسـلُ[4] الصَّبا أحبابُ
فلها إذا افترقت من آستعطافها * صُلْحٌ ومن سَجْعِ الحمَـام عِتَابُ
وكأنّها حولَ العيـون مَوَائسًـا * شَرْبٌ وهاتيك الميـاهُ شَرابُ
فغـديرُها كأسٌ وعَذْبُ نِطَافِها[5] * راحٌ وأضـواءُ النجوم حَبابُ

تُحيط بمَلَقِ نِطافها صَاف، وظِلال دوحِها ضَاف، وحصاها لصفاء مائهـا فى نفس الأمر راكد وفى رأى العين طاف؛ إذا دغدغها[6] النسيمُ حسبت ماءها بتمايُل الظّلال فيـه يتبرّج ويميل؛ و إذا آطّردتْ عليه أنفاسُ الصَّـبا ظننت أفياءَ تلك الغصون

(١) الحباب (بالضم) : الحية .

(٢) الحباب (بالكسر) : القرط من حبة واحدة .

(٣) كذا فى حسن التوسل . وفى الأصلين : « مسعث » .

(٤) فى صبح الأعشى : « ريح الصبا » .

(٥) النطاف : جمع نطفة ، وهى القليل من الماء ، وقيل : هى الماء الصافى قل أو كثر .

(٦) دغدغها : حركها و زعزعها .

فيه تارة تتموّج وتارة تسيل ؛ فكأنّه محبٌّ هام بالغصون هوًى فمثّلها فى قلبه، وكأنّ النسيم كَلِفٌ بها غار من دُنوها إليه فميّلها عن قربه .

والسَّرْو مثـلُ عرائسٍ * لُفّتْ عليهنّ ٱلمُـــلاءْ
شمّرنَ فَضْلَ ٱلأُزْر عن * سُـوقٍ خلاخِلُهنّ ماءْ
والنهـــرُ كالمـــرآة تُبْـ * ـصر وجهَها فيه ٱلسماءْ

وكأنّ صَوَافّ[1] الطـير المُبيضة بتلك المَلَقِ خيام ، أو ظباءٌ بأعلى الرَّقْمتين قيام، أو أباريقُ فضّة رءوسُها لها فِدَام[2] ، ومناقيرُها المحمرّة أوائلُ ما ٱنسكب من المُدام ؛ وكأنّ رقابَها رماحٌ أسِنّتُها[3] من ذَهَب، أو شموعٌ أسـودُ رءوسها ما ٱنطفأ وأحمره ما ٱلتهب . وكنّا كالطير الجليل عِدّه، وكِطَراز العُمْر الأوّل جِدّه .

من كـلّ أبْلَجَ كالنَّسيم لَطَافةً * عَفِّ الضّمير مُهَذَّبِ ٱلأَخلاقِ
مثلُ البـــدورِ مَلاحةً وكعُمْرِها * عَدَدًا ومثلُ الشّمس فى الإشراقِ

ومعهـم قِسِيٌّ كالغُصون فى لطافتهـا ولِينها ، والأهِلّة فى نَحافتها وتكوينهـا ، والأزاهِرِ فى تَرَافتهـا وتَلْوِينها ؛ بطونهـا مُدبّجه ، ومتونها مُدَرّجه ؛ كأنّها الشّـوْلة[4] فى ٱنعطافها، أو أرْواقُ الظّبـاءِ[5] فى ٱلتِفافها ؛ لأوتارها عند القوادم أوتار[6]، ولبنادقها

(١) الصواف من الطير : هى التى تصفّ أجنحتها فلا تحركها .

(٢) الفدام (بالفتح وبالكسر) : المصفاة تجعل على فم الإبريق ليصفى به ما فيه .

(٣) كذا فى صبح الأعشى . وقد وردت فى الأصلين محرّفة .

(٤) كذا فى مسالك الأبصار ح ٨ قسم أول ص ١١٨ من النسخة الفتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٥٩ معارف عامة . وفى الأصل وصبح الأعشى : « كأنها كواكب الشولة الخ» . والشولة : إحدى منازل القمر فى برج العقرب ، وهى كوكبان نيران متقابلان ينزلها القمر، يقال لهما : حمة العقرب .

(٥) كذا فى صبح الأعشى وحسن التوسل . وفى الأصلين : « الطبى » .

(٦) أوتار : جمع وتر (بالكسر و يفتح) وهو الدحل أو الظلم فيه . وأكثر ما يستعمل فى العداوة بسبب القتل .

فى الحواصل أوكار، إذا آنتصبت لطيرٍ ذهب من آلحياة نصيبه، وإنْ أنبِضَتْ[(١)] لرمى بدا لهــا أنها أحَقُّ به ممن يُصيبه . ولعل ذاك آلصّوت زجرٌ[(٢)] لبندقها أن يُبْطِئ فى سـيره ، أو يتخطّى الغرَضَ إلى غيره ؛ أو وَحْشةٌ لمفارقة أفلاذ كَبِدها[(٣)]، أو أسَفٌ على خروج بنيها عن يدها ؛ على أنها طالمـا نبذتْ بَنيها بالعَرَاء، وشـفعت لخَصْمِها التحذيرَ بالإغراء .

مثـــل العقاربِ أذنابًا مُعَقَّدَةً * لمن تأمّلها أو حقَّق آلنّظرا
إنْ مـــدّها قمرٌ منهم وعاينَــه * مُسَافِرُ الطير فيها أو نوى سفرا[(٤)]
فهو المسيءُ آختيارًا إذ نوى سفرًا * وقد رأى طالعًا فى العقرب القمرا

ومن البنادق كُرَاتٌ مُتّفقــة السَّرْد ، متّحدة العَكْس والطَّرْد ؛ كأنّمـا خُرِطتْ من المَنْدَل[(٥)] الرَّطْب أو عُجِنتْ من العنبر الوَرْد ؛ تسرى كالشُّهُب فى الظلام ، وتَسبِق إلى مَقَاتل الطير مُسَدَّداتِ السِّهام .

مثـــلُ النجوم إذا ما سِرْنَ فى أُفُقٍ * عن الأهِـلةِ لكن نونُهـا راءُ[(٦)]
مافاتَها من نجوم اللّيل إنْ رُمِقتْ * إلّا ثَبـاتٌ[(٧)] يُرَى فيهـا وأضــواءُ

---

(١) أنبض الرامى القوس وعن القوس : جذب وترها لتصوّت . وأنبض بالوتر : جذبه ثم أرسله لِيرِن وأنبض الوتر : جذبه بغير سهم ثم أرسله .

(٢) كذا فى صبح الأعشى . وفى الأصلين وحسن التوسل : «بدت لها أنها أحق بها من تصيبه» .

(٣) كذا فى صبح الأعشى وحسن التوسل . وفى الأصلين : « أولاد كبدها » وهو تحريف .

(٤) كذا فى صبح الأعشى . وفى الأصلين وحسن التوسل : « وآنبرى » .

(٥) المندل : العود، وقيل : أجوده .

(٦) يريد أن «النجوم» اذا أبدلت بونها راء صارت «رجوما» .

(٧) فى الأصـلين : « سوى ثبات » . ويترتب عليــه أن يكون فى الشعر إقواء . والتصويب عن صبح الأعشى وحسن التوسل .

تَسْرِى ولا يشعُرُ الليلُ البهيم بهـا * كأنّها فى جفونِ الليـلِ إغفاء
وتسمَع الطـيرَ إذ تَهْفـو قوادمُه * خَـوافِقًا فى الدَّياجى وهى صَمّـاء

تَصُونها جِرَاوَةٌ(١) كأنّهـا جُرج(٢) دُرَر ، أو دُرْج غُرر ، أو كِمامة ثَمر، أو كِنانةُ نَبل، أو عَمَـامة وَبْل، حالكة الأديم، كأنّمـا رُقِمتْ بالشَّفَق حُلّةُ ليلها البهيم .

كأنّها فى وصـفها مَشرِقٌ * تَنْبَثُّ منه(٣) فى الدُّجَى الأنجمُ
أو دِيمةٌ قد أطلعتْ قَوْسَها * مُلَوَّنًا وآنبثقتْ تَسْـجُمُ (١٥٥)

فآتخـذ كلٌّ له مركزا ، وتقاضى من الإصابة وَعْدًا مُنْجَزا ، وضَمِن له السـعدُ أن يُصبِح لمُراده مُحْرِزا .

كأنّهـم فى يُمْنِ أفعالهم * فى نظرِ المُنْصِفِ والجاحدِ
قد وُلِدوا فى طالعٍ واحدٍ * وأشرقوا فى مطلعٍ واحدِ

فسَرَتْ علينا من الطيرِ عِصَابه ، أظلّتنا من أجنحتهـا سَحَابه ؛ من كلّ طائر أقلع يرتاد مَرْتَعا ، فوجد ولكنْ مَصْرَعا ، وأَسَفَّ(٤) يبغِى ماءً جُمَاما فورد ولكن السمَّ مُنْقَعا ، وحلّق فى الفضاء يبتغى ملعبًا فبات هو وأشـياعُه سُجَّدًا للقِسِىّ ورُكَّعا ، فتبرّكْنا بذلك الوجه الجميل ، وتداركْنا أوائلَ ذلك القَبيل .

---

(١) الجراوة : آلة من جلد يجعـل فيها البندق الطين الذى يرمى به عن الجلاهق (انظر ما كتب عن الجلاهق فى الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٤ من هذا الجزء) .

(٢) كذا فى حسن التوسل (ص ١٠٥) . والجرج : وعاء من أوعية النساء . وفى الأصلين : « درج » .

(٣) كذا فى صبح الأعشى . وفى أ : « فيها » . وفى ب : « منها » .

(٤) سف الطائر وأسف : دنا من الأرض فى طيرانه حتى كادت رجلاه تصيبانها .

فٱستقبل أوّلنا "تَمّا"[١] تَمّ بدْره، وعَظُم فى نوعه قدرُه؛ كأنه برْقٌ كَرَع فى غَسَق؛ أو صبحٌ عُطِف على بقيّة الدّجى[٢] عَطْفَ النَّسَق؛ تحسَبه فى أَصْداف المُنَى غُرّةَ نُجْح، وتخاله تحت أذيال الدُّجَى طُرّةَ صُبْح؛ عليه من البياض حُلّةُ وَقار، وله كُرَةٌ من عَنْبرٍ فوق مِنْقارٍ من قار. له عنقُ ظَليم، وٱلتفاتةُ رِيم، وسُرَى غَيْم يُصرِّفه نَسيم.

كَلَوْنِ المَشِيبِ وعَصْرِ الشَّباب * ووقتِ ٱلوِصالِ و يومِ الظَّفَرْ
كأنّ الدُّجَى غار من لونه * فأَمْسَك مِنْقارَه ثم فَرّْ

فأرسل إليه عن الهلال نجما، فسقَط منه ما كبُر بما صغُر حَجْما؛ فٱستبشر بنجاحه، وكبَّر عند صِياحه، وحصَّله من وسَط الماء بجَناحه.

وتلاه "كُكىٌّ"[٣] نقِيّ اللّباس، مُشْتَعِلُ شَيْب الراس، كأنّه فى عَرانينِ شَيْبه لاوَبْلِه كبير أُناس[٤]؛ إن أسَفّ فى طيرانه فغَمام، وإن خفَق بجناحه فقِلْعٌ له بيد النّسيم زِمَام؛ ذو غَبَبَةٍ[٥] كالجِراب ومِنْقارٍ كالحِراب، ولونٍ يَغُرّ فى الدُّجَى كالنّجْم و يَخْدَعُ فى الضُّحَى كالسَّراب؛ ظاهرُ الهَرَم، كأنّما يُخبر عن عادٍ ويُحدِّثُ عن إِرَم.

إن عامَ فى زُرَق الغدير حَسِبتَه * مُبْيَضَّ غَيْمٍ فى أديم سَماءِ

---

(١) التم (بفتح التاء وتشديد الميم): طائر فى قدر الإوز أبيض اللون طويل العنق أحمر المنقار وهو أعظم طيور الواجب وأرفعها قدرا. (عن صبح الأعشى ج ٢ ص ٦٤).

(٢) كذا فى صبح الأعشى وحسن التوسل. وفى الأصلين: «الرجا» بالراء وهو تحريف.

(٣) الكىّ (بضم الكاف): أحد طيور الواجب، وهو من طيور الصيف التى يكثر وجودها فيه. وهو طير أغبر اللون إلى البياض أحمر المنقار والحوصلة رجلاه تضربان إلى السواد. (عن صبح الأعشى ج ٢ ص ٦٦).

(٤) يشير إلى قول آمرئ القيس:

كأن ثبيرا فى عرانين وبله * كبير أناس فى بجاد مزمل

(٥) الغبغبة: اللحم المتدلى تحت الحنك من الديك والبقر.

أوطار فى أُفُــق السماء ظَننتَه * فى الجوّ شــيخًا عائمًا فى ماءِ
مُتناقِضُ الأوصاف فيه خِفَّةُ آلْ * جُهّـالِ تحت رَزانةِ العلمـاءِ

فثنَى الثـانى إليه عِنانَ بُنْدُقِه ، وتوخّاه فيما بين رأسه وعُنُقه ، فخرّ كمارِدٍ آنقضّ عليه نجمٌ من أُفُقِـه ؛ فتلقّاه الكبيرُ بالتكبير ، وآختطفه قبل مصافحته الماءَ من وجه الغَــدير .

وقارنته "إوَزّةٌ" حُلّتها دَكْناء ، وحِلْيتُها حَسْناء ؛ لهـا فى الفضـاء مَجال ، وعلى طَيَرَانها خِفّةُ ذواتِ التبرّج وخَفَرُ رَبّاتِ الحِجال ؛ كأنّما عَبَّتْ فى ذَهَب ، أو خاضَتْ فى لَهَب ؛ تَخْتَالُ فى مِشْيتها كالكاعب ، وتتأنّى فى خَطْوِها كاللّاعب(١) ؛ وتَعْطُو بجيدها كالظّبْى الغَرِير ، وتَتدافعُ فى سَيْرها مَشْىَ القَطَاةِ إلى الغَدير .

إذا أقبلَتْ تَمْشِى تَخَـطَرُ كاعبٍ * رَدَاحٍ(٢) وإن صاحتْ فصَوْلةُ حازمِ(٣)
وإن أقلعتْ قالتْ لها الريحُ ليت لى * خفَا ذى الخَوَافى أوقُوَى ذى القَوَادمِ
فأنعِم بهـا فى البُعــد زادَ مُســافرٍ * وأحْسِن بها فى القُرْب تُحْفةَ قادمِ

فَلوى الثالثُ جِيــدَه إليها ، وعطَف بوجه قوســه عليها ؛ فلجّت فى تَرَفُّعها مُمْعِنــه ، ثمّ نزلتْ على حُكمه مُذْعِنَه ؛ فأعجلها عن آستكمال الهبوط ، وآســتولى عليها بعد آستمرار القُنُوط .

---

(١) لعلها اللاغب (بالغين المعجمة) ، وهو الذى أعيا من التعب فيتأنى فى خطوه تعبا .

(٢) الرداح : المرأة الثقيلة الأوراك .

(٣) كذا فى صبح الأعشى . وفى الأصلين : « خادم » بالخاء المعجمة والدال المهملة ، وهو تحريف .

وحاذتها "لَغْلَغَةٌ" تَحكى لونَ وَشْيها ، وتَصِفُ حُسْنَ مَشْيِها ؛ وتُرْبِي عليها بغُرّتها ، وتُنافسها فى المحاسن كضَرّتها ؛ كأنّها مُدامةٌ قُطِبَتْ(١) بمائها ، أو غمامةٌ شَفَّتْ عن بعض نجوم سمائها .

بِغُــرّةٍ بيضاءَ مَيْمونةٍ * تُشرِقُ فى اللّيل كبدر التّمام
وإن تبدّتْ فى الضُّحى خِلْتَها * فى الحُلّة الدَّكْناء بَرْقَ الغمام

فنهض الرابعُ لاستقبالها ، ورماها عن فَلَك سعدِه بنجم وبالها ؛ فجَدّتْ فى العُلُوّ مُغِذَّةً(٢) ، وتطاردَتْ أمامَ بُندقِه ولولا طِرادُ الصَّيْد لم تَكُ لَذّه ؛ وانقضّ عليها من يده شِهابُ حَتْفِها ، وأدركها الأجلُ لخِفّة(٣) طيرانها من خَلْفِها ؛ فوقعَتْ من الأُفُق فى كفّه ، (١٥٦) ونَفَرَ ما(٤) فى بقايا صفّها عن صفّه .

وأتت فى أثرها "أُنَيسةٌ" آنِسه ، كأنها العَذْراء العَانِسه ، أو الأَدْماء الكَانِسه(٥) ؛ عليها خَفَرُ الأبكار ، [وخِفّةُ ذَوَاتِ الأوكار(٦)] وحلاوةُ المعانى التى تُجْلَى على الأفكار ؛ ولها أُنْسُ الرَّبيب ، وإدلالُ الحبيب ، وتلفُّتُ الزائر المُرِيب ، من خوف الرَّقيب ؛ ذاتُ عُنُقٍ كالإبريق ، أو الغُصنِ الوَرِيق ، قد جَمَع صُفْرَةَ البَهار إلى حُمْرة الشَّقيق ؛ وصدرٍ بَهِيِّ الملبوس ، شهِيٍّ إلى النُّفوس ، كأنّما رُقِم فيه النَّهارُ بالّليل أو نُقِشَ فيه العاجُ بالآبنوس(٧) ؛ وجَنَاحٍ يُنجيها من العطَب ، يحكى لونُه المَنْدَل الرَّطْبَ إلّا(٨) أنّه حَطَب .

مُدَبَّجة الصــدرِ تَفْوِيفُه * أضاف إلى اللّيل ضوء النهار
لهـا عنقٌ خالَه مَنْ رآه * شقائقَ قـد سُيِّجتْ(٩) بالبَهار

(١) قطبت : مزجت . (٢) مغــذة : مسرعة . (٣) فى الأصلين : « بحفة » ؛ وهو تحريف . (٤) كذا فى صبح الأعشى . وفى الأصلين : « من » . (٥) الكانسة : التى دخلت فى كناسها . (٦) زيادة عن صبح الأعشى . (٧) ضبط فى شرح القاموس بكسر الباء ، وضبط فى المصباح المنير بضمها . (٨) فى حسن التوسل وصبح الأعشى : «لولا أنه حطب» . (٩) سيجت بالبهار أى جعل لها البهار سياجا . وفى مباهج الفكر : «وشحت» .

فوثب الخامسُ منها إلى الغَنيمه[١]، ونظَمَ فى سلك رميه تلك الدُّرَّةَ اليَتيمه[٢]؛ وحصل بتحصيلها بين الرُّمَاة على الرتبة الجسيمَه .

وأتى على صَوْتِها "حُبْرُجٌ" تسبِق همّتُه جناحَه ، ويغلب خَفقُ قوادمه صياحَه؛ مدبّجُ المَطَا، كأنما خَلَع حُلّةَ مَنْكِبيْه على القطا؛ ينظُرُ من لَهَب، ويخطو على رجلَين من ذَهَب .

يَزورُ الرياضَ ويَجْفُو الحياض * ويُشْبِهُ فى ٱللونِ كُدْرَ ٱلقطَا
ويهوَى الزُّروعَ ويَلْهُو بهـا * ولا يَرِدُ المـاءَ إلا خَطَـا

فبـدَره السـادسُ قبـل آرتفـاعِه ، وأعان قوسَـه بآمتداد باعِه ؛ فخرّ على الأَلَاءَةِ[٣] كبِسْطَامِ بن قَيْس[٤]، وآنقضّ عليه راميه فخَصَلَه[٥] بحِذْقٍ وحَمَلَه بكَيْس .

وتعذّر على السابع مَرامُه ، ونبَا به عن بلوغ الأَرَب مقامُه ؛ فصَعِد هو وتِرْبٌ له إلى جبـل، وثبت فى موقفه من لم يكن له بمرافقتهما قِبَـل . فعنّ له "نَسْرٌ" ذو قَوَادِمَ شِـدَاد، ومَنَاسِرَ حِدَاد، كأنه من نسور لُقْمان بن عاد؛ تحسَـبه فى السماء ثالثَ أخويْه، وتخـالُه فى الفَضَاء قبّتَه المنسوبةَ إليـه ؛ قد حلَق كالفُقَراء راسَه ، وجعل ممّا قَصُر من الدُّلُوق الدُّكْن لِباسَه؛ وآشتمل من الرِّياش العَسَليّ إزارا، وآختار

(١) كذا فى صبح الأعشى وحسن التوسل . وفى الأصلين : «فيها» .

(٢) فى الأصلين وحسن التوسل : «الثمينة» . وما أثبتناه عن صبح الأعشى .

(٣) الألاء (بوزن العلاء) : شجر ورقه وحمله دباغ ؛ يمدّ ويقصر . وهو حسن المنظر مرّ الطعم . ولا يزال أخضر شتاء وصيفا . واحدته ألاءة بوزن ألاعة . وقال أبو زيد : هى شجرة تشبه الآس لا تتغير فى القيظ ولهـا ثمرة تشبه سنبل الذرة ومنبتها الرمل والأودية .

(٤) يشير بذلك الى قول عبد الله بن عنمة الضبيّ يرثى بسطام بن قيس وقد قتله بنو ضبة :

لخرّ على الألاءة لم يوسد * كأن جبينه سيف صقيل

(٥) خصله : أصابه .

العزلةَ فلا يجد له إلاّ فى قُنَنِ الجبال الشواهقِ مَزَارا؛ قد شابت نواصى الليالى وهو لم يَشِب، ومضت الدهورُ وهو من الحوادث فى مَعْقِلٍ أَشِب .

مَليكُ طيورِ الأرضِ شرقًا ومغرِبًا * وفى الأُفُقِ الأعلى له أَخَوانِ
له حالُ فَتّاكٍ وحِلْيةُ ناسِكٍ * وإسراعُ مِقْدام وفَتْرةُ وَان

فدنا من مَطاره، وتوخّى بِبُنْدُقِه عنقَه فوقَع فى مِنْقاره؛ فكأنما هَدَّ منه صخرا، أوهدَم بِناءً مشمخِرّا؛ ونظر إلى رَفيقه، مبشرا له بما ٱمتاز به عن فريقه .

وإذا به قد أظلّته "عُقَابٌ" كاسر، كأنما أَضَلّتْ صيدًا أَفْلَتَ من المَنَاسِر؛ إن حَطّتْ فسَحَابٌ ٱنكشف، وإن قامتْ(١) فكأنّ قلوب الطير رَطْبًا ويابسًا لَدَى وَكْرِها العُنّاب والحَشَف؛ بعيدةُ ما بين المناكب، إذا أَقْلعتْ لِحَتْ فى عُلُوّ كأنّما تحاوِل ثأرًا عند بعضِ الكواكب .

تَرَى الطيرَ والوحشَ فى كفِّها * ومِنْقارِها ذا عِظامٍ مُزَالَهْ
فلو أمكن الشمسَ من خوفها * إذا طلعتْ ما تَسمّتْ غَزَالَهْ

فوثَب إليها الثامنُ وَثْبَة ليثٍ قد وَثِق من حركاته بنجاحها، ورماها بأوّلِ بُنْدُقة فما أخطأ قادمةَ جناحِها؛ فأهوَتْ كعَوْدٍ صُرِع، أوطَود صُدِع؛ قد ذهب باسُها، وتذهّب بدمها لباسُها؛ وكذلك القَدَر يُخَادِع الجوَّ عن عُقابه، ويَستنزل الأعصمَ(٢) من عِقابه؛ فحمَلَها بجناحها المَهِيض(٣)، ورفعها بعد الترفّع فى أَوْج جَوّها من الحَضِيض؛ ونزلا إلى الرُّفقه، جذِلَيْن بربح الصَّفْقه .

(١) فى حسن التوسل : « وإن طارت » .
(٢) كذا فى حسن التوسل وصبح الأعشى . وفى الأصلين : «العصم» .
(٣) المهيض : المكسور .

فوجدا التاسعَ قد مرّ به «كُرْكِىٌّ» طويلُ السِّفَار، سريع النِّفَار، شَهِىّ الفراق[١]، كثيرُ الاغتراب يَشْتو بمصر ويَصِيف بالعِراق؛ لقَوادمه فى الجوّ هَفِيف[٢]، ولأَدِيمه لونُ سماءٍ طَرَأ عليها غيمٌ خفيف؛ تَحِنّ إلى صوته الجَوَارح، وتَعْجَب من قوّته الرِّياح البوارح؛ له أثَرُ حمرةٍ فى رأســه كَوَمِيض جمرٍ تحت رماد، أو بقيّــةِ جُرْح تحت ضِمَاد؛ أو فَصّ عقيقٍ شَفّت عنه بقايا ثِمــاد؛ ذو مِنْقارٍ كِسِنَان[٣]، وعُنُقٍ كعنان؛ كأنّما يَنُوس[٤]، على عودين من آبنوس.

إذا بدا فى أُفُقٍ مُقْلِعًا * والجــوُّ كالمـاء تَفَاويفُهُ ١٥٧
حَسِبْتَه فى لُجّــةٍ مَرْكَبًا * رجلاه فى الأُفق مجاديفُهُ

فصــبَر له حتى جازه[٥] مُجَلّيًا، وعطَف عليــه مُصَلّيا؛ فخَــرّ مُضَرَّجًا بدمه، وسَــقَط مُشْرِفًا على عَدَمه. وطالمـا أَفْلت لَدَى الكواسِرِ من أظفار المَنُون، وأصابه القدرُ بحبــةٍ من حمأٍ مسنون؛ فكثُر التكبير[٦] من أجله، وحمله راميه من على وجهِ الأرض برِجْــلِه.

وحاذاه «غِرْنَوْق» حكاه فى زِيّه وقَدْرِه، وآمتاز عنه بسواد رأسه وصَدْرِه؛ له ريشتان ممدودتان من رأسه إلى خَلْفه، معقودتان من أُذُنَيْه مكان شَنْفه.

له من الكُرْكِىّ أوصــافُه * سِوَى سَوَادِ الصدرِ والرّاسِ
إن شال رِجلًا وآنبرى قائمًا * ألفيتَــه هيئــةَ بِرْجاسِ

(١) فى حسن التوسل: «شديد العراق».
(٢) الهفيف: صوت هبوب الريح.
(٣) فى الأصلين: «كقبان». وما أثبتناه عن حسن التوسل وصبح الأعشى.
(٤) راجع الحاشية رقم ٧ ص ٣٣٧ من هذا الجزء.
(٥) فى حسن التوسل: «حتى حاذاه».
(٦) فى الأصلين: «فكبر الكبير من أجله». والتصويب عن حسن التوسل وصبح الأعشى.

فأصغى العاشر له مُنْصِتا ، ورماه ملتفتا ؛ فخرّ كأنّه صريعُ الألحان، او نَزِيفُ[١] بنتِ الحان ؛ فأهوَى إلى رِجله بيده وأَيْدِه[٢]، وآنقضّ عليه آنقضاضَ الكاسر على صيده .

وتَبِعه فى المَطَار "صُوغ"[٣] ، كأنّه من النُّضار مَصُوغ ؛ تحسبه عاشِقًا قد مدّ صَفْحته، أو بارِقًا قد بثّ لَفْحته .

طوِيلةٌ رِجلاه مسودّةٌ * كأنّما مِنقارُه خَنْجَرُ
مِثلُ عجوزٍ رأسُها أشمطٌ * جاءت وفى قِمّتها[٤] مِعجر[٥]

فاستقبله الحادِى عَشَر ووثَب ، ورماه حين حاذاه من كَثَب؛ فسقط كفارِسٍ تقطّر عن جَوَاده، أو وامِقٍ أُصيبتْ حَبّةُ فؤادِه؛ فحمَله بساقه، وعدَل به إلى رِفاقه .

وآقترن به "مِرْزَمٌ" له فى السماء سَمِىٌّ معروف، ذو مِنقارٍ كصُدْغٍ[٦] معطوف؛ كأنّ رياشَه فَلَقٌ[٧] آتّصل به شَفَق، أو ماءٌ صافٍ عَلِق بأطرافه عَلَق .

له جِسمٌ من الثّلج * على رِجلَيْنِ من نارِ
إذا أقلع ليلًا قلـ * ـتَ برقٌ فى الدُّجَى سارِى

(١) النزيف : السكران الذى ذهب عقله .
(٢) الأيد : القوّة .
(٣) ذكره صاحب كتاب صبح الأعشى (ج ٢ ص ٦٤) فقال : « الصوع — بضم الصاد المهملة وغين معجمة فى الآخر — هو طائر مختلط اللون من السواد والبياض أحمر الصدر، وأكثر ميله الى الخضرة والأشجار » .
(٤) كذا فى حسن التوسل، وهو أصح وزنا وأنسب معنى . وفى الأصلين : « وفى رقبتها » .
(٥) المعجر (بالكسر) : ثوب تعتجر به المرأة أى تشدّه على رأسها .
(٦) الصدغ : الشعر المتدلى على ما بين العين والأذن .
(٧) الفلق (محركة) : الصبح، وقيل : الفجر .

فآنتحاه الثانى عشرَ مُيَمِّما ، ورماه مصمما ؛ فأصابه فى زَوْرِه ، وحصَّلَه من فَوْره، وحصل له من السرور ما خرج به عن طَوْره .

وآلتحق به "شُبَيطِر"(١) كأنه مُدْية مُبَيْطِر(٢) ، ينحطُّ كالسيل ويَكُرّ على الكواسر كالخيل، ويجمع من لونه بين ضِدّين يُقْبِل منهما بالنهار ويُدْبِر بالليل ؛ يتلوَّى فى مِنقاره الأَيْم(٣)، تلوِّىَ التِّنِّين فى الغَيْم .

تراه فى الجـوِّ ممتدًّا وفى فمـه * من الأفاعى شُجاعٌ أرقمٌ ذَكَرُ
كأنه قوسُ رَامٍ عُنْقُــه يدُها * ورأســه رأسُها والحيّــةُ الوَتَرُ

فصوّب الثـالثَ عشرَ إليـه ببندُقَه، فقطَع لَحْيَــه(٤) وعُنُقَه؛ فوقع كالصَّرْح الممـرَّد، أو الطِّرَاف(٥) الممدَّد .

وآتّبعه "عُنَّاز"(٦) أصبح فى اللّون ضِدّه، وفى الشكل نِدّه؛ كأنه ليلٌ ضمّ الصبحَ إلى صدره، أو آنطوى على هالة بدره .

تراه فى الجوّ عند الصبح حين بدا * مُسْوَدَّ أجنحةٍ مبيضَّ حَيْزُومِ
كأســودٍ حبشىٍّ عام فى نَهَـرٍ * وضَمّ فى صـدره طفلاً من الرُّومِ

(١) الشبيطر (بضم الشين المعجمة وفتح الموحدة وكسر الطاء المهملة . ويسمى اللقلق . وكنيته عنـد أهـل العراق أبو خديج) : هو طائر أبيض أسـود طرفى الجناحين ورجلاه ومنقاره حمر . وهو يأكل الحيات ويوصف بالفطنة والذكاء . (راجع صبح الأعشى ج ٢ ص ٦٧) .

(٢) المبيطر : معالج الدواب .

(٣) الأيم : الحية .

(٤) فى الأصلين : « فقطع الحية ... » والتصويب عن حسن التوسل وصبح الأعشى .

(٥) الطراف : بيت من أدم .

(٦) العناز (بضم العين المهملة وتشديد النون وزاى معجمة فى الآخر) : طائر أسـود اللون أبيض الصدر أحمر الرجلين والمنقار . (راجع صبح الأعشى ج ٢ ص ٦٤) .

فنهض تمامُ القوم إلى التّتمّه ، وأسفرت عن نُجح الجماعة تلك الليلة المُدْلهمّه ؛ وغدا ذلك الطير الواجِبُ واجِبا (١) ، وكَمُل العددُ به قبل أن تُطْلِعَ الشمسُ عينًا أو تُبْرِزَ حاجِبا ؛ فيالها ليلةً حَصَرْنا بها الصوادحَ فى الفضاء المتّسع ، ولقِيت فيها الطير ما طارت به من قبل على كلّ شَمْلٍ مجتمِع ؛ وأضحت أشلاؤها على وجه الأرض كفرائدَ خانها النِّظام ، أو شَرْبٍ كأنّ رقابَهم من اللِّين لم يُخْلق لهنّ عِظام ؛ وأصبحنا مُثْنِينَ على مَقَامنا ، مُنْثَنِين بالظَّفر إلى مستقرّنا ومُقَامنا ؛ داعِين للمولى جَهْدَنا ، مُذْعِنين له قَبِلَنا أو رَدّنا ؛ حامِلين ما صرعْنا الى بين يديه ، عامِلين على التشرّف بخدمته والانتماء إليه .

فأنت الذى لم يُلْفَ من لا يَوَدُّه * ويدعو له فى السرّ أو يَدّعِى لَهُ
فإن كان رَمْىٌ أنت تُوضِح طُرْقَه * وإن كان جيشٌ أنت تَحْمِى رَعِيلَه (٢)

والله تعالى يجعل الآمالَ مَنُوطةً به وقد فعل ، ويجعلُه كَهْفًا للأولياء وقد جعل . (١٥٨)

* * *

ومن إنشاء المولى عَلاء الدّين علىّ بن عبدالظاهر (٣) [فى] قِدْمة بندق .

اِبتدأها بأن قال : « الحمد لله مُهَيِّئ أسباب الارتياح ، ومُهَنِّئ أوقاتِ الانشراح ، ومُطْلِق الأيدِى فى الاقتناص فليس عليها فى صيد ذوات الجَناح جُناح ؛

(١) واجبا : ميتا . يقال : ضربه فوجب ، اذا خر ميتا .

(٢) الرعيل : مقدمة الجيش والخيل .

(٣) هو علاء الدين على بن فتح الدين محمد بن محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر رئيس الكتّاب وسيد الرؤساء وجليس الملوك . أورد له المؤلف فيا تقدّم من الرسائل البليغة والتقاليد البديعة والعهود الوثيقة ما جعله يعتذر من التقصير فى الانتهاء الى وصف محاسنه و يعترف بالعجز عن إدراك كنه مناقبه ومياممه . (راجع الجزء الثامن من هذا الكتاب ص ١٢٦ — ١٤٩) .

ومزيِّن السماء بمصابيح أنوارِها(١)، ومُوَشِّى الأرض برَوْضهـا ونُوّارها؛ ومنوِّر الأيام بشموسها والليالى بأقمـارِها، ومطَرِّز مطارِف الآفاق بَطار أطيارها. والصـلاةُ والسـلام على سيِّدنا محمد وآلِه وصَحْبه الذين أنجدهم الله من ملائكته بأُولِى أجنحه، وأهوَى بصَرائعهم(٢) وأَوْهَى قُوَى مُمَانِعهم بعزائمهم المُنْجِحه.

وبعـد، فإنّ القنَص شُغِفتْ به قلوبُ ذوِى العزائم، وصيّرته عُنوانًا للحرب إذ حَام الحِمامِ فيـه على الفرائس حوائم؛ تلتذّ نفوسُهم بالمطاردة فيه وترتاح، وتهواه فلو تمكنت لركِبت اليه أعناقَ الرياح؛ تَرِد منه موردَ الظَّفَر، وتمتّع فيه بنُزَه تقسّم الحسنُ فيهن بين السمع والبصر، وتملّى عنـد السرور إليه برياض دبّجها صَوْبٌ من المطر لا صوب من الفِكَر، ويَطْوِى من الأرض ما نشرت أيدى السماء به برودًا أبْهَى من الحِبَر(٣)؛ فتارةً تستنزِل من العواصم الظباءَ العَوَاصِى، وآونةً تقتنِص الطيرَ وقد تحصّنتْ من بروج السُّحُب فى الصَّيَاصِى(٤) ببُعوثها الدّانيـةِ من كلّ قاصى. وأحسَنُ أنواعه الذى جَمع لمُعَايِنه بين رَوْضـةٍ و رياضه، وغُدُرٍ مُفَاضه؛ ومغازلة عيون النَّوْر وهى تدمَع حين طرَفَها بذيله نسيمُ الصباح، ومباكرة اللذّات من قبل أن ترشُـف شمسُ الضحى ريقَ الغـوادى من ثغور الأَقَاح؛ رمى البندق الذى هو عُقْـلة المستوفِز(٥)، وانتهازُ غَفْلة الطائر المتحرِّز، ونزهةُ القلوب التى إن طالت لا تُمَلّ؛ وإن اجتاز المتنزِّه بموطنها لم يؤجر(٦). أحلى من صيد الظبـاء، وأشهى من لَمْح مُلَح الحسناء؛

(١) فى الأصلين: «بمصباح».

(٢) لعله يريد «صرعاهم» جمع صريع.

(٣) الحبر: جمع حبرة: ضرب من برود اليمن مخطط.

(٤) الصياصى: الحصون وكل شىء امتنع وتحصن به.

(٥) المستوفز: المتهيئ للوثوب.

(٦) كذا بالأصلين. ولعلها: «لم يوجل».

لا يحتاج إلى ركض جواد، ولا يحتاج فيه خفض العيش جُواد[1]، ولا يُهاجر متعاطيه إلى الهواجر، ولا يحجُر على نفسه فى الإفضاء إلى المَحَاجر[2]؛ أربابُه يرتاضون فى الروضة الغَنَّاء، ويسمعون من نغمات الأوتار وشدْو الأطيار مختلِفَ الألحان والغِناء؛ ويمتطُون الليلَ طِرْفا ، ويستنيرون من النجوم شُمُوعا لا تُقَطّ ولا تُطْفا ؛ قد اتخذ كل منهم مُقاما أكرِم به من مُقام، وهام باللذة فترك كرائم كَرَاه وكذا عادةُ المُسْتهام ؛ وسبح فى لُجَج الليل وكرع فى نهر النهار ، وتحلّى فى حُلَل الصدق وتخلى عن خَلَل العار . يهوَوْن لَذّةَ القَنْص فى الليل إذا عَسْعَس، والصبح إذا تنفّس، ويرسلون رُسُلَ المَنَايا إلى صرائعهم فما تتنفس . إذا بَرَزوا عند الغروب توارتْ شمسُ الأَصِيل حياء، وذهبتْ فى حُلّتها الذهبيّة حين بَهَروها سَنًا وسَنَاء؛ تراهم كالزُّهر أو الأزهار، أو عِقْد نُظِم باللُّجَيْن والزُّمرّد والنُّضَار ؛ أوجُهُهم فى أفلاك قِسِيِّهم أقمار ، كوِلْدان جِنان، وأعطاف أغْصان؛ قد طاف بهم سِيَاجُ المَسَرّة وأَحْدق، وحُلّوا بثياب سُنْدُس خُضْر وإسْتَبْرَق؛ كأنّ الأرض ضاهت بهم السماء، فصيّرتْ قِسِيَّهم أفلاكَها، وغُرَرَهم نجومَها، وعزائمَهم صواعقَها وبنادقَهم رُجُومَها؛ يَخْفِق منهم قلبُ كلّ خافِقه، وتقدُم بعوثُهم على ذوات القَوَادم فبينا هى مترافِقة إذا بها متفارِقه ، وكأن صَوَافَّ الطير لديهم فى جوّ السماء، سطورٌ فى صفيحةٍ زَرْقاء؛ أو كأنها فى التئامها، عقودُ دُرّ فى نظامِها؛ يَفْرُطون سلكَها ، ويقرِّبون هُلْكها ، ويَغْدِرون بها فى الغُدُر ، ويَجْسُرون عليها فى الجسور، وتُقَايِضُ بنادقُهم صرائعَهم فيصير وَكْر الطير الحراوةَ وحراوةُ البنادق حواصلَ الطيور . وإذا أسْفَروا وجهَ صباح ، سمعتَ للطير صياحًا والطربُ كلُّه فى ذلك الصياح ؛ وإن عشَوْا مقاماتِهم وجهَ عِشَاء رأيت الطيرَ وهى لَدَى محاريب

(١) الجواد (بالضم) : جهد العطش ، يريد أنه عيش ناعم لا يشوبه كدر .

(٢) المحاجر : جمع محجر وهو الحديقة ، أو الموضع فيه رعى كثير وماء .

قسيِّهم وهى سُجُود ورُكّع، طرائحَ من بِيضٍ وسُودٍ كأنّ أديمَ الأرض منهنّ أبقــع . وإن تعلّقوا بأذيال الليــل وبَجْفه ، و باتوا فى عِطْفه ؛ احتمى منهم بشُهُبِه ، وتستّر فى حُجُبِه ؛ وتوارَى عنهم البدرُ بذَيْل الغمام ، وهال هالتَه أن تبدوَ لقسيِّهم الموتّرة بالحَمام. إلى غير ذلك ممــا آلتزموه من محاسنِ أوصاف وأوصافِ محاسن ، ووردوه من مناهل مصافاةٍ ماؤها غيرُ آسن ، ووجَدوه من طيب عَيْش مالانوا معــه ولا آستكانوا إلى المساكن ؛ وحفظوه من صناعتهم من شروطٍ وأَوْضاع ، ووقفوا فى مقاماتهم (159) من مُطِيع ومُطَاع ؛ يرعَوْن قدرَ كبيرهم ، ولا يُراع بينهم قلبُ صغيرهم ؛ ويتناصفون فى أحكامهم ، فالحكمُ واحد على آمرِهم ومأمورهم . إن تفرّقوا فهم على قلب رجل واحد ، وإن آختلفتْ منهم المقاعد فقــد آتفقتْ منهــم المقاصد . ما خلا جوُّهم من واجب الطاعه ، ولا علا بينَهم كبيرٌ إلّا بذَلوا فى خدمته جُهْدَ الاستطاعه ؛ وأضحَوْا وأمرُهم عليهم محتوم ، وأمسوْا وما فيهم إلا من له مَقَامٌ معلوم ؛ بأيديهم قِسِيٌّ قاسِيه ، قُضْبانُها قاضِيه ؛ منعطفةٌ جافيه ، بعوثها فى الخوافِى خافِيه ؛ تَمثّلُها الأفكار فى ساحة الفضاء ، كزَوَارِقَ مبثوثةٍ فى لُجّة المــاء . وكيف لا ! وهى تَحْمِــل المنايا إلى الطير ، وإن لم تكن سائرةً فلها بُعوثٌ سريعــةُ السير ؛ كأنّ صانعها قصَد وَضْعها كالأهلّة واقترح ، أو حكَى بمدبّج أثوابها قوسَ قُزَح ؛ وكأن ظهرها[(1)] وقد تنوّعتْ به من الغروز مَدَارجُه ، مَدَرُ سَحِيقٍ وَرْسٍ دَبّ عليه من النمل دَارِجُه ؛ إذا حُطّت عنهــا أوتارُها كانت عصًا لربّها فيها مآربُ ومغانم ، يُوجِسُ الطيرُ فى نفسه منها خِيفةً وكيف لا ! وهى فى شكل الأرَاقِم ؛ متضادّة تَجْفو وتَلِين ، موتورةٌ وغيرها حَزِين ؛ تضمُّها أناملُ

(1) فى الأصلين : «ظهورها» .

من يُسْراهم هى أيْمَنُ من يَمين عَرَابةَ(١) بن أوْس ، ويَطْلُع كلٌّ منهم فى فَلَكها والطّالعُ القمرُ فى القوس؛ لا تعتصِم منها الطّرائدُ بالحبَاء فى وَكْر الدّجُنّه، ولا يُخْفيها آتخاذُها الظَّلماءَ جُنّــه ، ولا يُوَقّيهــا نَزَقُها ، ولا ينقيها مَلَقُها(٢) ولا تَنْجح بخفْــق الجَناح ، ولا تَسْتروح بمساعدة الرياح؛ لها بنادق كأنها حبات القلوب لونا ، وأشكال العقود كونا؛ كأنمــا صُبِغتْ من ليل وصِيغتْ من شُهُب، أو صُنعت من أَديم للسُّحُب؛ تُفْرِد من الطير التُّؤَام، وتجمع بين رُوحها والحِمام؛ قد تحاماها النَّسْران فاتخــذا السماء وكْرا، واتفقا أن يصبحا شفعا ويُمْسِيا وَتْرا؛ تَقْبِض منها الأيدى عند إطلاقها رائحةً رابحــه، جارحةً من الطير كلَّ جارحه، لا ترى صادحةً إلا صيّرتْهــا صائحه . قلبُ كلّ طير منهــا طائر، وكيف لا وهى للسِّهام ضرائر؛ تُضْرَم النار لإشْواء الطّريدة قبل مفارقتها للأوتار، وتَقْتنص من الجوارح كلَّ مُسْتَخْفٍ بالليل وساربٍ بالنّهار؛ تَهيج كامنَ الغنيمة وتَسْتثير، وتبدو كأنما عُجِنت من صَنْدَل وعَبير .

ولمــا كان مَنْ هو واسطة عِقْد هــذه الأوصاف، والرافلُ فى بُرُودها المَوْشِــيَّة للأطراف، والمُبْدِع فى فنِّه، والجــامع بين فضيلة الرمى وحُسْنه؛ والمستنطِق لسانَ قومه بالإحسان، والحافظُ شروطَه فى طهارة العِرْض وصِدْق اللسان؛ والرامى الذى

---

(١) هو عرابة بن أوس بن قيظيّ الأنصارى . ويشير بهذا الى مدح الشماخ بن ضرار المزّى لعرابة . وسببه أن عرابة قدم من سفر فجمعه الطريق والشماخ فقال له عرابة : ما الذى أقدمك المدينــة ؟ قال : قدمت لأمتار منها ؛ فملأ له عرابة رواحله برا وتمرا وأتحفه بغير ذلك فقال الشماخ :

رأيت عرابة الأوسى يسمو ✽ الى الخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رفعت لمجــد ✽ تلقــاها عرابة باليمين
إذا بلغتــنى وحملت رحلى ✽ عرابة فاشرقى بدم الوتين
ومثل سراة قومك لم يجاروا ✽ الى ربع الرهان ولا الثمين

(٢) كذا فى أ ، وفى ب : « ولا ينقها » . ولعل كلتيهما محرفة عن : « ولا ينفعها » .

بلغ بهمّته غاية المرام ، وضاهى ببُنْدُقه السِّهام ؛ وكان يوم كذا وكذا خرج إلى بَرْزَته المبارَكة وصرَع طيرَيْن فى وجه واحد ، وأبان عن حُسْن الرمى وسَدَادِ الساعد ، وأضحى بينهما كثيراً بين قومه ، وجعَلهما لهم وليمةً فى يومه ، وهما " تمٌّ "(١) كأنما صيغ من فضّه ، أو تدرَّع من النهار حُلّةً مبيضّه ؛ أو غاير بياضُه الليلَ فلطَم وجهَه بيد ظَلْمائه ، فاقتصّ منه وخاض فى أحشائه ، بجناحه هَفِيفٌ فى المَطَار ، تسمَع منه نغمةَ الأوتار . و"لَغْلَغَةٌ" كأنها كُوِّنت من شَقِيق وغَمَام ، أو مُزِج لونُها بماءٍ ومُدَام ؛ لها غُرّةٌ لو بدَت فى الليل خِلْتَها بَدْرا ، وإن أسفرتْ عند الصباح حَسِبتَها فَجْرا ؛ وحملها فلان وفلان ، وقطع شَبَقَه(٢) فلان وآدَّعى لفلان ؛ وعاد الرامى قريرَ العين ، مملوءَ اليدَين ؛ إذا فخَر غيرُه بواحدة فخر بآثنتين ؛ معظَّما بين أترابه ، مُكَرَّما لَدى أحبابه ؛ ألبسه الله من السرور أزهى أثوابه . بمنّه وكرمه .

ومما ورد فى وصف الجُلاهِق نَظْماً — قال أبو الفرج البَبَّغاء يصفها :

ومِرْنانٍ(٣) معبَّسـةٍ ضَحُوك * مُهـذَّبةِ الطبائع والكِيَانِ
مُغالِبـةٍ وليس بها حَرَاكٌ * وباطشـةٍ وليس لها يدَانِ
لها فى الجارح النَّسبُ المعلَّى * وإن هى خالفتْه فى المعانى
تطـير مع البُزاة بلا جَنَاح * فتَسْبِقُها إلى قَصَب الرِّهانِ
وتُدرِك ما تَشاء بغـير رِجْلٍ * ولا باعٍ يَطُـولُ ولا بَنَانِ
وتلحَظ ما يَكِلّ الطرفُ عنه * بلا نَظَـرٍ يَصحّ ولا عِيَانِ
لها عُضوانِ من عَصَب ولَحْمٍ(٤) * وسائرُ جسمها من خَيْزُرانِ

(١) فى الأصلين : « صيغ » بالباء الموحدة ، ولعلها مصحفة عما أثبتناه .

(٢) فى ب : « سبقه » . (٣) المرنان : القوس وصف من رن إذا صوّت .

(٤) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «وعظم» .

يُخاطَبُ فى الهواء الطيرُ منها * بلفظٍ ليس يصدُر عن لسانِ
فإن لم تُصغِ أَرْدَتْها بطَعْنٍ * ينُوبُ الطينُ فيه عن السِّنانِ
مُقَرْطَقة ممنطقة خَلُوب * مُهَفْهفَة مخفَّفة الجِرانِ
مذكَّرة مؤنَّثة تَهادَى * من الأصباغ فى حُلَل القِيانِ
مُعمَّرة تَزايدُ كلَّ يوم * شَبيبتُها على مَرّ الزمانِ
كأنّ الله ضمّنها فبانت * لنا فى الرِّزق عن أوفى ضَمانِ
أعزّ على العيون من المآقى * وأحلى فى النفوس من الأمانى
إذا ما آستَوْطنتْ يومًا مكانًا * تولّى الجَدْبُ عن ذاك المكانِ

وقال أبو الفتح كُشَاجِم :

وثيقةٌ مُدْمَجةُ الأوصالِ * مَحْنيّةٌ عَوْجاءُ كالهلالِ
تعود إن شئتَ إلى آعتدال * باطنُها(١) لِعاقل الأوعالِ
والظهر منها لقَنَا الأبطال * يجمعها أَسْمَرُ ذو آنفتالِ
فى وَسْطِه من صنعة المحتال * مثالُ عينٍ غيرِ ذى آحْوِلالِ
تَقْذِى(٢) بصَدْفات من الصِّلْصال * أمضَى من السِّهام والنِّبالِ
قَدًى يُقِرّ أعيُنَ الآمالِ * فاقعةُ الصُّفْرة كآلجِرْيالِ(٣)
رَخيصةٌ تَغْنَم كلَّ غالِ * تُؤمَن منها وَنْيةُ الكَلالِ
تَعُول فى الجدب وفى الإمحالِ * وقد يكون الصَّقْر كالعِيالِ

(١) يريد أن وترها منسوب لعاقل الأوعال كما أن ظهرها منسوب لقنا الأبطال . و يؤيد هذا المعنى بيته الثانى من القصيدة التالية . و يقال : وعل عاقل اذا تحصن بوزره عن الصياد فى الجبل العالى .

(٢) يقال : قذت العين تقذى اذا قذفت مافيها من قذى . وقد شبه الجوزة التى فى وسط الوتر بالعين ، فصح له لذلك أن يستعمل القذى فى قذف الجوزة لما فيها من بندق . وفى الأصلين : « تعدى » وهو تحريف .

(٣) الجريال : الخمر أو لونها .

مَطِيُّهـا عَوَاتِـقُ(١) الرجـالِ * فى غُلُفٍ ممـدودةٍ طِـوَالِ
كم أَفْضلَتْ على ذوى إفضال * وكم أنالتْ من أخى نَوَالِ
* وقرَّبت للطَّيْر من آجالِ *

وقال أيضا فيها من أبيات :

وفى يَسَارِى من الخَـطِّىّ مُحْكَمَةٌ * متى طَلَبْتُ بهـا أدركتُ مطلوبى
للوَعْلِ باطنُ شَـطْرَيْها ومُعْظَمُها * من عُودِ شَجْراءَ ظَمْياءِ الأنابِيبِ
تأنَّقَ القَيْنُ(٢) فى تزيينها فغَـدَتْ * تُومِى بأَحْسنِ تفضيضٍ وتذهيبِ
فى وسْـطها مُقْلَةٌ منها تُبيِّن ما * يُرمى فمـا مَقْتَـلٌ(٣) عنهـا بمحجوبِ
فقمتُ والطيرُ قد حُمَّ الحِمـامُ لهـا * على سـبيلَى فى عادِى وتجـويبِى(٤)
حتى إذا ٱكتحلَتْ بالطين مُقْلتُها * صَبَّتْ عليهنّ حتفًا جِدّ مَصْبوب
فرُحتُ جَذْلانَ لم تكدُر مشارِبُ لَذّاتى ولم تُـلْقَ آمالى بتخييبِ

ذكر شىء ممـا قيل فى سَبَطانَةٍ(٥)

قال أبو الفرج البَبَّغاء :

وجَـوْفاءَ حاملةٍ تهتـدِى * إلى كل قلبٍ بمَقْـروحِهِ
مُقَوَّمةِ القَـدِّ ممشـوقَةٍ * مُهَفْهَفةِ الجسمِ ممسـوحِهِ

---

(١) كذا فى مباهج الفكر . وفى الأصلين : «عرانق» ولا معنى لها . (٢) القين : الحدّاد و يطلق على كل صانع . (٣) فى الأصلين : «مقبل» ولا يستقيم بها المعنى .

(٤) كذا بالأصلين . ولعلها محرفة عن : «فى عدوى وتجويبى» .

(٥) السبطانة (وتسمى أيضا : الزبطانة بالزاى بدل السين) : آلة من آلات الصيد تتخذ من خشب ، مستطيلة كالرمح مجوّفة الداخل يجعل الصائد بندقة من طين صغيرة فى فيه ، و ينفخ بها فيهـا فتخرج منها بحدّة فتصيب الطير فترميه ، وهى كثيرة الإصابة (عن صبح الأعشى ج ٢ ص ١٣٨) .

مُثقَّفــةٍ فمُهـا عينُهـا * تُبشِّــر قلبِي بتصحيحه (١٦١)
فإن هي والجـارح اَستُنْهِضَا * الى الصَّيد عاقته عن رِيحه
إذا المــرء أودعهـا سِرَّه * لتُخفيـه باحتْ بتصريحِه
مَوَاتٌ تعيشُ إذا ما أعاد * لهـا النافخُ الرُّوح من روحه
هي السَّـبطانة فى شكلهـا * ففى القلب جِدٌّ تَبارِيحـه
تحُطّ أبا الفَــرْخ عن وَكْره * وتستنزِلُ الطــيرَ من لُوحه(١)

وقال أبو طالب المأمونىّ :

مُثقَّفـــة جَوْفاء تُحسَب زَانةً(٢) * ولكنها لازُجَّ فيها ولا نَصْلُ
تُســدَّد نحوَ الطــير وهو محلِّق * فينفُذُ عنها للردَى نحوه الرُّسْـلُ
يطير إلى الطير الرَّدَى فى ضميرها * فيَجْرِى كما يَجْرِى و يعلو كما يعلو
فيَعقِل ما تنجو به فكـأنمـا * يُمـدّ إليه(٣) من بنادقها حَبْلُ

ذكر شىء ممـا قيل فى عيدان الدِّبقِ(٤)

قال عبد الله بن المعتز فيها مُلْغِزًا :

وما رِماحٌ غــيرُ جارحاتِ * ولَسْنَ(٥) فى الدِّماء والغـاتِ
ولَسْنَ(٥) للطِّــرَاد والغاراتِ * يُخْضَبْنَ لا من عَلَقِ الكُماةِ

---

(١) اللوح : الفضاء بين السماء والأرض ، بضم و بفتح والضم أعلى .

(٢) كذا فى اليتيمة . وفى الأصلين « راية » .

(٣) كذا فى اليتيمة . وفى الأصلين : « اليها » .

(٤) الدبق : شىء يلتزق كالغراء يصاد به الطير .

(٥) فى الأصلين وديوانه : « وليس » .

بريق حتف منجز العِدات * مكتمن ليس بذى إفلات (١)

يَنْشَب فى الصدور واللَّبّاتِ * فِعْــلَ إسار فُلِّق السِّيَاتِ (٢)

على عوَاليهـا مُرَكَّباتِ * أسِــنّةٌ لَسْنَ مُوَقَّعاتِ (٣)

من قَصَب الريش مجرَّداتِ * يُحْسَبْن فى الهواء شائلاتِ

* أذنابَ جِرْذانٍ مُنَكَّساتِ *

وقال أبو الفتح كُشَاجم :

وآسِراتٍ مثلِ مأسُــوراتِ * مُمَكَّناتٍ غــيرِ مُمْكَنَاتِ

مؤمِّلاتٍ غـــيرِ مكْذِبات * صــوادِقِ التعجيل للعِداتِ

نواظر الأشــكالِ ذاهباتِ * كــواسِرٍ ولَسْنَ ضارياتِ

ولا بمـا يَصِــدْن عالمـاتِ * بمثــل ريقِ النحلِ مَطْلِيّاتِ

أقتَــلُ من سمائم الحَيّــاتِ * لو صلحت شيئاً من الآلاتِ

ووُصِــلت بالزُّجِّ والشَّباةِ * كانت مكانَ النَّبْــل للرُّماةِ

حواملٍ للطـــيرِ مُمسِكاتِ * تَعَـــلُّقَ الأحباب بالحَبّاتِ

كأنها فى النعت والصفاتِ * أذنابُ ما دَقَّ من الحَيّاتِ

أغدرُ بالوُرْقِ المغــرِّداتِ * فيهــا من الفتيان بالقَيْناتِ

فهنَّ من قَتْلَى ومن عُنَاةِ * بلا فَكَــاكٍ وبلا دِياتِ

(١) كذا فى ديوانه . وفى الأصلين :

تذبق حتف منجر العداة * متمكن ليس بذى إفلات

(٢) الإسار : ما شدّ به وهو الرباط . وسية القوس : ما عطف من طرفيها .

(٣) موقعات : محدّدات . ورواية الديوان : «أسنة غير منكسات» .

(١٦٢)

ذكر شى مما قيل فى الشَّبَاك

قال السَّرِىّ الرَّفَّاء يصف شبَكة :

وجدولٍ بين حديقتين * مُطَّرِدٍ مثلِ حُسَامِ القَيْنِ
كَسَوْتُه واسعةَ القُطْرَيْنِ * تنظر فى الماء بألفِ عَيْنِ
راصِدةً كلَّ قريبِ الحَيْنِ * تُبْرزه مُجَنَّحِ الجنبينِ
كَمُدْيةٍ مصقُولةِ المَتْنَيْنِ * كأنما صِيغَ من اللُّجَيْنِ

وقال أبو الفرج البَبَّغَاء يصف شبكة العصافير :

رَقْراقةٌ فى السَّرابِ تحسَبُها * على الثَّرَى حُلَّةً من الزَّرَدِ
كالدِّرع لكنها مُعَوَّضَةٌ * عن المسامير كثرةَ العُقَدِ
سائرها أعينٌ مُفَتَّحةٌ * لا تَرْتَضِى نِسبةً إلى جسدِ

ذكر ما قيل فى الشِّصّ ، وهو الصَّنَانير

— قال كاتب أندلسىّ يصفه من رسالة : « صَنَانِير ، كأظفار السَّنَانِير ؛ قد عطَفها القَيْن كالراء ، وصيّرها الصَّقل كالماء ؛ فجاءت أحدَّ من الإبَر ، وأرقّ من الشَّعر ؛ كأنها مِخْلَبُ صُرَدٍ[(١)] ، أو نصفُ حَلْقةٍ من زَرَد » .

وقال أبو الفتح كُشَاجِم :

من كان يحوِى صيدَه الفضاءُ * وللبُزَاة عندَه ثَواءُ
وطال بالكلب له العَنَاءُ * فإن صَيْدِى ماحواه الماءُ
بِمِخْلَبٍ ساعِدُه رِشاءُ * يَظَلّ والماءُ له غِطاءُ

---

(١) الصرد : طائر أبقع أبيض البطن أخضر الظهر ضخم الرأس والمنقار .

كما طوتْ هِـلالَهـا السماءُ * كأنه من الحروف راءُ

فهو ونصفُ خاتَمٍ سـواء * يحمـل سِمًّا ٱسمُه غِذاءُ

وعَطَبًا فيـه لنـا إحيـاءُ * تَدْمَى به القلوبُ والأحشاءُ

عادٍ إذا ساعده القضـاءُ * أمتعنـا القَرِيسُ[1] والشِّـوَاءُ

✦ ✦ ✦

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

كمل الجزء التاسع[2] من كتاب "نهاية الأرب فى فنون الأدب" للشـيخ العلامة شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبـد الوهاب البَكْرى التَّيْمىّ القرشىّ نسبا المعروف بالنُّوَيرى رحمه الله . ويليه الجزء العاشر[2] المتعلق بالنباتات، على يد كاتبه، فقير رحمة ربه المعين، الفقير نور الدين بن شرف الدين بن أحمد العاملىّ بلدا، الشافعىّ مذهبا، وذلك فى مستهلّ شهر رمضان المعظم قدره سنة ٩٦٦ هـ .

---

(١) القريس : سمك يطبخ ويتخذ له صباغ و يترك فيه حتى يجمد .

(٢) يلاحظ أن الأجزاء المطبوعة من هذا الكتاب اختلفت عن الأجزاء الفتوغرافيـة المحفوظة بدار الكتب المصرية ابتداء من الجزء السابع فليعلم .

استدراكات

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١١	١٤	قال الشيخ رحمه الله	قال الشيخ(٤) رحمه الله
١٤	٧	فصل بعد قوله : « إذا كان أبيض العجز » بثلاث نجوم ويستحسن اتصاله بالذى بعده بدون فصل .	
١٥	٩	فصل بعد قوله : « وقد تقدم ذكره » بثلاث نجوم ويستحسن اتصاله بالذى بعده بدون فصل .	
١٥٢	٢	دوابّ	ذوات

(مطبعة الدار ٢٠١٠٢٠/١٩٣١/٢٥٠٠)